

أرييل

مدينة الأدب والعلم والحضارة

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربيل - كُردستان العراق

أرييل

مدينة الأدب والعلم والحضارة

د. عثمان أمين صالح

اسم الكتاب: أربيل - مدينة الأدب والعلم والحضارة
تأليف: د. عثمان أمين صالح
من منشورات نأراس رقم: ٨٩٣
تنقيح: أوميد البناء
الإخراج الفني: أراس أكرم
الغلاف: مريم متقيان
الطبعة الأولى ٢٠٠٩
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان: ٢٠٠٩/٧٦٩

الفهرست

7 المدخل
9 الفصل الأول
11 المقدمة
14 التمهيد
20 الأغراض الشعرية
108 الدراسة الفنية
187 الفصل الثاني
189 ثلاثة شعراء من أربيل
205 الفصل الثالث
207 شاعران من سريان اربيل
215 الخلاصة
219 الفصل الرابع
221 ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل
263 الفصل الخامس
265 إربل في شعر الشعراء
293 نظرة في الخصائص الفنية
305 الفصل السادس
307 الصورة الشعرية عند شعراء أربيل ٥٢٦ - ٦٣٠ هـ
352 الخاتمة

المدخل

أصبحت أربيل من المدن المزدهرة في حقبة حكم الأمير مظفرالدين كوكبري في حياتها السياسية والثقافية والاجتماعية والحضارية، وكانت قلعتها الأثرية حصينة، ومنازة المظفرية وجامعتها مركزاً مهماً للعلم والأدب . إن أدب أمة يتصل بحياتها السياسية والاجتماعية والفكرية، وهذا الأدب هو صدى لهذه الجوانب، فلاعجب إذا وجدنا أصداء هذه الثقافة الأصيلة عند الكرد الذين عبروا عنها باللغة العربية التي كانت لغة العلم والثقافة والحضارة، فضلاً عن اللغة الكردية التي كانت متداولة أيضاً في أوساط المجتمع الأربيلي القديم.

فالأمة الكردية أمة أصيلة في مجال مساهماتها لبناء الحضارة الإنسانية، وقد أضاف أدباء وعلماء أربيل إشراقات فكرية الى الحضارة الاسلامية ولاسيما في عصر مظفرالدين الذي وفرّ الأمن والإستقرار لأبناء إمارته فأدى إلى تنشيط حركة أدبية، وبنى فيها صرحاً شامخاً من ألوان المعرفة والأدب، وقد أصبحت لأربيل صلات ثقافية مع بلدان العالم المختلفة، وفي الوقت نفسه كانت مأوى للأدباء والعلماء الذين كانوا يزورونها لأجل إكتساب العلوم والأخذ من شيوخها وعلمائها وأدبائها، أو لغرض نشر علومهم وكتبهم، وقد شاد هذا الامير في ربوع المدينة حضارة ورقياً، وتعد حقبة حكمه مرحلة مهمة في تاريخ أربيل عطاءً وإنتاجاً، وعصره مشرق في حياة الأربيليين منذ تعلمهم اللغة العربية وأدائها والتي كانت لغة العصر ولغة المثقفين والمنتورين من أبناء أربيل إلى جانب اللغة الكردية التي كانت اللغة الأم، فنحن الآن في القرن الواحد والعشرين مشدودون بحبال متينة بهذا التراث الحضاري، حيث إنه النبع الأصيل، فالاطلاع على هذا التراث ودراسته مهم جداً، لأنه يزيح الستار عن خفايا هذه الحقبة من حياة الأربيليين ودولتهم التي كانت تسمى (إمارة) في حينه، ولهذا التراث آثار خطيرة في حياتنا الفكرية والاجتماعية المعاصرة، ويمكن أن تنهض مدينة أربيل على أنقاضه من جديد، وقد بدت بوادرها واضحة للعيان في أيامنا.

وإسهاماً في الكشف عن هذا التراث في هذه الحقبة الزاهية من تاريخ أربيل أقدمنا على تأليف هذا الكتاب الذي يتضمن الفصل الأول منه حركة الشعر وموضوعاته في أربيل المقتبس من رسالتي للماجستير التي عنوانها (الشعر العربي في أربيل) وفيه تناولنا البيئة الثقافية العامة في أربيل، وسلطنا الضوء على شخصية مظفرالدين أمير أربيل وكشفنا عن شخصيات أدبية جديدة في دوحة الادب العربي من الكرد الذين رقدوا الشعر العربي بمجموعة من الدواوين الثمينة، ورفعنا الضيم عن شعراء أربيل المغمورين الذين لم يأخذوا حقوقهم من

الدراسة والاهتمام.

وجاء الفصل الثاني للحديث عن ثلاثة ادباء أربيليين لهم دواوين محققة في رسائل جامعية، وكان عطاؤهم الأدبي غزيراً، وهذا الفصل ترجمة لسيرة حياتهم بصورة موجزة. وتطرق الفصل الثالث الى النشاط الثقافي السرياني في أربيل وضواحيها ولا سيما في عينكاوه من خلال بحث علمي عن شاعرين من شعراء السريان، اللذين ساهما في رقد الحركة الحضارية في أربيل بنتاج وفير في ميدان الادب والشعر باللغة السريانية، وقد كان لشعراء السريان دور مهم بسبب الجو الآمن والحرية المطلقة للتعبير عن المشاعر والافكار، وكان لنصاري أربيل نشاط ثقافي وديني بارز، وهذا دليل على أن الكرد شعب أصيل محب للحرية والفكر الخلاق، يتحلى بالتسامح الديني، ولا يتعصب على الآخرين.

ونظراً لتعدد موضوعات الشعر فقد عالج الفصل الرابع موضوعات الشعر الاجتماعي، الذي يكشف عن عدد من المسائل الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الأربيلي، فالشعر في أربيل لم يكن متصلاً بالأمرء والسلطين فحسب، بل اتصل بصميم حياة الأفراد والجماعة، فالشاعر الأربيلي احتل مكانة متميزة في توضيح ظواهر إجتماعية فيها قبل ثمانية قرون خلت، وقد وجدنا أن لكل شاعر نصيباً معيناً في الاصلاح الاجتماعي، وتشخيص العيوب والسلبيات في المجتمع.

ولكون الشعراء قد وقفوا مواقف متباينة من مدينتهم، لذا جاء الفصل الخامس لبيان هذه المواقف، فمنهم من تغنى بجمال أربيل وبهائها، ومنهم من مدحها بروائع الشعر، ومنهم من هجاها بأقذع الالفاظ لأسباب إجتماعية أو النزعة الشعوبية أو الصراع الاقليمي أو التعصب الشخصي، ومع ذلك ظلت أربيل مدينة شامخة الى يومنا هذا.

وفي الفصل السادس تمت دراسة الصورة الشعرية عند الشعراء فبحثنا عن منابع الصورة وخصائصها وأنماطها، وقد تبين أن منابع الصورة في شعر الاربيليين ترجع الى جذور الثقافة العربية القديمة من دينية وتراثية، فضلاً عن الاقليمية والمحلية. وكلنا أمل بأننا قد كشفنا عن التراث الأدبي العريق المكتوب باللغة العربية لشعراء كرد، وقد أثبت هؤلاء الشعراء ان العقل الكردي ساهم في النهضة الحضارية القديمة، وقد كتبوا الروائع الفريدة بغير اللغة الأم، وقد سجل التاريخ هذه المساهمة، وهذا الذي بين أيدي القراء لهو الشاهد على ذلك، ولايزال الى يومنا هذا يساهم العقل الكردي في البناء الفكري والحضاري باللغتين العربية والكردية ولغات أخرى.

ومن الله التوفيق

المؤلف - ٢٠٠٩

الفصل الأول

المقدمة

الحمد لله الرب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن الأدب يعد مرآة لواقع الأمة الثقافي والعلمي والاجتماعي والسياسي، وهو - بلا ريب - عامل من عوامل رقيها وازدهارها، وعنصر لا يستهان به من عناصر تقدمها الأنساني والحضاري، وسجل يخلد تأريخها الذي يحكي للأجيال مآثر الأجداد، ويتجسد فيه الوجه الناصع لها فيما أنتجه أبنائها من منظوم الكلام وفشوره، وما أودعوه فيهما من خلق في مضمار الوجدان والفكر.

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على النتاج الشعري العربي في أربل ويقلب بعضاً من صفحات تأريخها الأدبي في الحقبة المحصورة بين سنتي (٥٢٦هـ و ٦٣٠هـ)، ويكشف عن جانب مشرق من جوانب الحياة الأدبية فيها.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة دراسات وكتبا عرضت لتأريخ أربل في احوالها السياسية والفكرية والاجتماعية لتلك الحقبة منها: "أربيل في أداورها التاريخية" للسيد زبير بلال أسماعيل، و "أربيل في العهد الاتابكي" للدكتور محسن محمد حسين، و "تراث أربيل التاريخي" للسيد هادي رشيد الجاوشلي؛ و "الحياة العلمية في أربل" للسيد اوميد أبراهيم.

وقد تبين لي بعد أستقصاء ومتابعة إن هذه الدراسات، بأستثناء دراسة الدكتور ناظم رشيد شيخو الموسومة "الشعر في أربل في ظل الأسرة البكتينية"، المنشورة في المجلة آداب الرافدين، لم تعن بدراسة الشعر في أمانة أربل، كما عنى به هذا البحث، سابرا أغواره، واقفا عند دقائقه وتفصيله، ومن هنا تأتي جدة البحث وأهميه.

وقد نحا البحث منحى الخريدة للعماد الأصفهاني الذي مفاده أن العراقي هو كل من ولد في العراق، وإن تركه بعد ذلك، وتوفي في بلاد أخرى، وهذا ما أجرته على شعراء أربل، وأدخلت فيه أيضاً شعر من وفد إليها وأقام بها.

اما المصادر التي أنتقيت منها النصوص الشعرية، فقد كانت من أهمها: دواوين الشعراء الكبار الذين برزوا في هذه الحقبة، وهم حسام الدين الحاجري، ومجد الدين النشابلي، وأبن الظهير الأربلي، وكتب عديدة من أبرزها: "وفيات الأعيان" لابن خلكان، و "قلائد الجمان" لابن الشعار، و "تأريخ أربل" لابن المستوفي، وغيرها.

أما الدراسات الحديثة التي أفدت منها سواء من حيث المنهج أو التبويب، فقد كانت دراسة الدكتور مزهر السوداني "الشعر العراقي في القرن السادس الهجري" و "الشعر العربي في العراق وبلاد العجم" للدكتور علي الجواد الطاهر، و "الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد" للدكتور عبدالكريم عبود وغيرها، فضلا عن الدراسات الحديثة التي تناولت الحياة الأدبية في العصر الأيوبي لاسيما دراسة الدكتور عمر موسى باشا "أدب الدول المتتابعة"، و كذلك "الأدب في العصر الأيوبي" للدكتور محمد زغلول سلام، و "دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين" للدكتور محمد كامل حسين وغيرها.

وبما إن البحث مسيرة شاقة وصبر و أناة، فلا بد لمن يركب هذا المركب أن يلقي صعوبات، ويواجه مشاكلات، على نحو من الانحاء، وقد تمثل جانب منها في هذا الكم الهائل من الشعراء المقلين والوافدين على أربل الذين تعسر الاحاطة بهم، ودراسة أشعارهم، ومتابعة أخبارهم، فضلا عن رداءة بعض أوراق مخطوطة قلائد الجمال التي تعد مصدراً رئيساً من مصادر شعر الأربيلين.

واقترضت طبيعة البحث الربط بين المنهج التاريخي والمنهج الفني والافادة منها، ويتضح ذلك جليا في تقسيم البحث الي تمهيد وفصلين.

فالتمهيد الذي هو دراسة تاريخية للحقبة المحددة للبحث أشتمل على أربعة مباحث، عرضت فيها للأحداث والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية التي كانت سائدة يومذاك.

أما الفصل الأول فقد خصصته لدراسة أشهر الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشعراء منها: الغزل والمديح والهجاء والوصف... الخ.

وحين تناولت شعر الغزل، وجدته على ثلاثة أضرب، أحدها الغزل العفيف، والثاني الغزل المادي، والثالث بالمذكر، وبينت سمة الشعر الغزلي من حيث الشكل والمضمون وأشرت الى الغزل المغنى ودرست الآراء المتباينة حول ظاهرة الغزل بالمذكر وعوامل شيوعها.

وفي شعر المديح وقفت عند أشهر شعراء أربل، وأشرت الى ألتجاه العالم لكل منهم، وذكرت أبرز سماته الفنية، وأهم عيوبه.

وعندما درست الهجاء نظرت الى فئة المهجوين، وأساليب الشعراء في هجائهم، وأهم ألتجاهاته، ووقفت على دور الشاعر الأربلي في هذا الفن ناقدا سياسياً وأجتماعياً، ومحاولة بعضهم الجمع بين الهجاء وأغراض أخرى.

وفي الوصف أشرت الى أهم جوانبه، ووقفت على وصف الطبيعة ووصف المعالم

الحضارية، وبت الروح في الأشياء الجامدة.

أما في الخمريات فقد عنيت ببحث عوامل قلتها، والدور التقليد والأبداع فيها. وفي دراسة شعر التصوف والزهد نوهت بعوامل رواجه، وأبرز سماته، ودعوة الشعراء الى التزهد والتخلي بالحكمة في الحياة. وحين درست شعر الرثاء-وهو فن قصر فيه الشعراء - تناولت أهم ضروبه، ووضحت بعض سماته.

أما شعر الشكوى فقد وقفت على ندرته، وذكرت أبرز ألوانه. وفي حديثي عن شعر الأخوانيات، أشرت الى أسباب كثرته وأهم ضروبه، وختمته بالكلام على الألفاظ والأحاجي، وعرضت لأسباب أنتشارها. وختمت الفصل بدراسة موضوعات أخرى منها الحنين والشوق، والفخر والحماسة، والصيد والطرء.

أما الفصل الثاني والأخيرة فقد حوى الدراسة الفنية للقصائد الشعرية ودراسة عن الفنون الشعرية المستحدثة كالموشح والدوبيت والمواليا.

وأخيراً فهذا البحث ثمرة جهود متواصلة، يرجو الباحث من ورائه الأسهام في تقديم خدمة علمية لمدينته أربل، وليدلي بدلوه في بعث تراثها الأدبي الثر، والتنويه بأدبائها الأفاضل الذين يستأهلون أن توظف الطاقات لكشف ماخلفوا لنا من تراث أدبي، وأنا راج أن يكون هذا البحث قد أستوفى الموضوع، ومنحه حقه من العناية، فأن كان الأمر كذلك فهو ما كنت أصبو إليه، وإلأفحسي أجتهد المجتهد، وبالله التوفيق.

وأخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

البيئة العامة:

من المعلوم إن دراسة الأدب بعيدة عن الحياة المحيطة به تعد دراسة غير ناضجة لاتعبر عن أحداثها، لأن الأدب صورة تتجسد فيها مظاهر البيئة المختلفة، ولتحقيق هذا الغاية فأن دراسة الأدب وعلى وجه التحديد دراسة الشعر تتطلب الأحاطة بمظاهر الحياة المتعددة في أمانة أربيل، ولما كان لكثير من هذه المظاهر جذور في القدم، فأن العودة إلي المصادر القديمة تعد من ضرورات البحث العلمي الجاد، وقد تمسكنا بهذا المنهج في دراستنا لهذا الفصل، فأنصبّ جلّ أهتمامنا في كتابات المؤرخين الذين عايشوا أحداث تلك الحقبة وكانوا من المسهمين في توطيد بنیان الحالة الثقافية والاجتماعية فيها. وفي كلّ الأحوال فأن الدولة العباسية قد ضعفت في هذه الحقبة، وأنسلخت منها أراض قامت عليها دول لها كيانها، وأشتهرت مدن أحتضن بلاط بعض ملوكها العلماء والأدباء والشعراء على نحو لم يشهده بلاط الخليفة، وألّفت كتب ضخمة في أكناف أولئك الملوك الذين كان لهم دور عظيم في دفع مسيرة الثقافة العربية والإسلامية الى آفاق جديدة من الرقي والتقدم، وأحدى هذه المدن هي "أربيل" التي كانت قلعة حصينة وقفت بوجه الغزاة المغول وغيرهم، ويعود الفضل في هذا الأزدهار إلي أسرة بكتكين التي حكمت أربيل من سنة ٥٢٦هـ إلى سنة ٦٣٠هـ.

الحياة السياسية:

تجلّت أهمية إربيل حين أصبحت مقر الآلهة "عشتار"، فكانت أربيل هي "أربائيلو" نفسها أو "أربيلو" الواردة في النقوش البابلية والآشورية المكتوبة بالخط المسماري، وتعني مدينة "الآلهات الأربعة، وقد ذكرتها النقوش الفارسية "أربيرا"^(١).

وقد سميت "هولير، هه ووير" ويذكر أنها مشتقة من "أربائيلو" بعد أن مرّت بالمراحل الآتية "أربائيلو، أربيللا، أرويل، هورويل، هولير"^(٢). لقد فاقت "أربيلو" مدينة دلفي "دلفي" اليونانية المقدسة^(٣)، وظلّ أسمها محفوظاً على مرّ العصور، وثبتت طوال أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ومما ساعد على بروز أسم أربيل هو وقوع المعركة الحاسخه بين الأسكندر الكبير ودارا ملك الفرس عام (٣٣١ ق . م) بالقرب منها، والتي عرفت ب "معركة كوكمبلا"^(٤).

اما في التاريخ الإسلامي فنجد أسمها يتردد في أواخر القرن الثالث للهجرة، وأخذت أربيل

تبرز وتتجلى أهميتها حين غدت مركزاً للأمانة المهذبانية الكردية التي استمر حكمها الى ما بعد سنة (٥٢٠هـ)^(٥).

وثمة إختلاف^(٦)، حول سنة فتح هذه المدينة من قبل عمادالدين زنكي، فقد ذهب أحد المؤرخين المعاصرين الى إنه فتحها قبل سنة (٥٣١هـ)، إذ اقطعها بدوره الى الأمير زين الدين علي كجك سنة (٥٢٦هـ)^(٧)، والجديد بالذكر أن رسالتنا هذه تتناول شعراء المدة الواقعة بين (٥٢٦هـ) وسنة (٦٣٠هـ) وهي زمن زوال هذه الامارة.

برزت أربل مدينة مهمة كونها في المنطقة الواقعة بين الزاب الكبير والزاب الصغير، ويقوم أقليمها على هضبة خصبة شبة مستوية، في حين تقوم المدينة على تل مرتفع واسع^(٨). أما سكانها فأغلبهم من الكرد، وقد ظهر فيهم رجال عظام وفي مقدمتهم البطل صلاح الدين الأيوبي، وقد شكل مظفر الدين جيشه من هؤلاء الكرد في قتاله مع الصليبيين^(٩).

وأضحت أربل ذات شأن كبير بعد أن غادر الأمير زين الدين علي كجك الموصل الى مركز أمارته في أربل حيث أدركته المنية سنة ٥٦٣هـ، ودفن فيها^(١٠).

يروى عنه إنه لما مدحه الشاعر حبص بيص^(١١)، قال للحاضرين: "أنا لا أعرف ما يقول، ولكنني أعلم إنه يريد شيئاً، فأمر له بخمسائة دينار وفرس وخلعة وثياب مجموع ذلك الف دينار"^(١٢).

ورث الأمانة أبنة مظفر الدين كوكبري^(١٣) وعمره أربع عشرة سنة، وبعد بضعة أعوام حدث خلاف بين المجاهد الدين قايماز الزيني^(١٤) خادم أبيه ومظفرالدين كوكبري، فأقصاه عن الأمانة وكتب محضراً بأنه لا يصلح للملك، ووُلِّي أخاه الأصغر زين الدين يوسف مكانه^(١٥).

استنجد صلاح الدين بملوك المسلمين على حرب الأفرنج سنة (٥٨٦هـ) فكان زين الدين يوسف أول القادمين لنجدته، وأنزله صلاح الدين في خيمته، وشاء القدر أن يصاب بمرض أدى الى وفاته^(١٦)، فأنعم صلاح الدين على مظفرالدين باربل وأعمالها، وأصدر منشوراً بذلك^(١٧).

شدَّ الأمير الجديد مظفرالدين رحاله الي أربل، وإستقبله الناس متوسمين فيه الخير، وقد تحققت ظنونهم إذ كان رجلاً جديراً بحكم أربل، وكان مظفرالدين حاكماً نبيلاً، قال: "لما أخذت أربل آليت على نفسي أن أقسم مغلها ثلاثة أقسام: قسم أنفقه في أبواب البر، وقسم للجد وما يخصني، وقسم أدخره لعدويّ قسدي"^(١٨).

وتفيد الأخبار الناقلة لجريات الأحداث أنه صدق في قوله، إذ غدت أربل في عهده منيعة وزاهية، وذاع صيتها في الشرق والغرب^(١٩).

وتروى المصادر أنه كان فارساً شجاعاً قد أكتسب خبرة واسعة في محاربة الأفرنج، ولو كان الخليفة الناصر لدين الله أستمع إليه لما أجتاحت جيوش التتر فيما بعد العراق^(٢٠)، وكان مخلصاً في عمله، وقد قضى نحبه في يوم الأربعاء الثاني عشر من رمضان سنة ٦٣٠ للهجرة.

ويظهر إن الأمانة في عهد مظفر الدين كانت تتوافر فيها الخطط والدواوين التي تتطلبها دولة مستقلة^(٢١)، وكانت هذه الخطط والوظائف أمثلة لما كان عليه تنظيم الدولة في عهد كوكبري الذي أمسك بزمام الحكم في الأمانة، بحيث لم تستطع الخلافة من أخضاعها فضلاً عن الدولة الأتابكية في الموصل والدولة الأيوبية اللتين لم تتمكنتا من التسلط عليها بل كانت كل واحدة منها تخطب ودّها وترغب في أن تميل إليها لتعديل الكفة^(٢٢).

لقد حول مظفر الدين كوكبري مدينة أربل الي مدينة عامرة زاخرة بالعمران، والزراعة، والتجارة، حتى نالت أعجاب كل من رآها في هذه الحقبة^(٢٣) وعقب وفاة أميرة أربل مظفر الدين، أستولت عليها عساكر الخليفة المستنصر بالله ثم أجتاحتها التتر، وعملوا على تخريبها وقتل أكثر أهلها^(٢٤)، وبذلك أنطوت تلك الصفحة المشرقة من حياة هذه الأمانة الموديعة^(٢٥).

الحياة الاجتماعية:

قال ياقوت الحموي: "أربل قلعة حصينة، ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط"، وأضاف "وفي ربض هذه القلعة في عصرنا هذا مدينة كبيرة، عريضة طويلة، قام بعماراتها وبناء سورها وعمارة أسواقها وقيساراتها الأميز مظفر الدين كوكبري"^(٢٦).

والحديث عن الحياة الاجتماعية في تلك المدة يسوقنا الى الكلام عن فضائل هذا الأمير ومناقبه فقد كانت حياة الناس ترفل بالسعادة والطمأنينة والأمان في عهده، وقد أشتهر بكونه عادلاً، منصفاً وذا عناية شعبه، وأستفاد مجتمعه من عدالته، ويعود السبب في ذلك الى أنه خصص وأردات الدولة وماله الخاص لخدمة رعيته^(٢٧).

وقيل عنه أنه "كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحد فعل في ذلك ما فعله، ولم يكن في الدنيا شيء أحب اليه من الصدقة"^(٢٨)، وقيل أيضاً إنه كان "كثير الصدقات، غزير البرّ والصلات"^(٢٩)، كما ذكرانه "كان مفضلاً على الفقراء كثير الصدقات على الغرباء"^(٣٠).

وأكثر من ذلك أنه "كان له كل يوم قنات الطير مقنطرة من الخبز يفرّقها على المحاويج في عدّة مواضع من البلد، يجتمع في كل موضع خلق كثير، يفرّق عليهم في أول النهار"^(٣١).

ومن اللافت للنظر أن أعمال البرّ عند هذا الأمير يعسر عدّها وأحصاؤها^(٣٢)، ويفرد محمد

كرد علي مظفرالدين مكانة بارزة بين حكام المسلمين إذ قال عنه: "إن مظفرالدين كوكبري صاحب أربل كان من أولئك المحسنين من ملوك المسلمين وأهل الخير، وأنه تفنن في أعمال البرِّ والأحسان، وأقام من المصانع ما يشبه من أكثر وجوهه مصانع الغربيين اليوم"^(٣٣).

وتفيد الأخباران مظفرالدين أقام مؤسسات صحية وأجتماعية ذات أهمية بعيدة المدى، فبنى أربعة خانقاهات^(٣٤) في أربل لتضم العميان والمرضى والزمنى وخصص لهم ما يحتاجونه من طعام وملابس وعلاج ومبالغ وافية للصرف عليها^(٣٥) كما أنشأ دوراً للأيتام واللقطاء والأرامل^(٣٦) وداراً للضيافة لأستقبال الفقهاء ورجال الحديث والتجار وغيرهم^(٣٧) وأنشأ مؤسسات أخرى منها المارستان "البيمارستان"^(٣٨) أو المستشفى، وكان يضم صيدليات تسمى " شراب خانة"^(٣٩).

وقد أشاد أحد الدارسين المعاصرين بفضائله التي شبهها بصنيع بعض بناء الدول من المصلحين الذين عرفوا بقيامهم بأعمال جليلة في مجال تقديم الخدمات الأجتماعية والصحية وغيرها^(٤٠).

ويلاحظ أن مظفرالدين قد تأثر بأسلوب صلاح الدين في إدارة حكم البلاد، ومما لاشك فيه أن حياة الدولة الأيوبية كانت حياة صرامة وجدِّ، إذ شغلت هذه الدولة بدرء خطر الأفرنج ومع ذلك كانت هناك مناسبات يفرغ فيها الخاصة والعامة لألوان من الأبتهاج والسرور، إذ تقام الزينات وتعد الأحتفالات^(٤١).

ونحسب أن مظفرالدين كان يستغل المناسبات الدينية للبرِّ بشعبه، كما كان يتخذها وسيلة لترفيحه، من ذلك أحتفاله الرائع بالمولد النبوي الشريف.

ويعد وقت أحتفاله بهذه المناسبة من أعظم مواسم مدينة أربل^(٤٢)، تنفق فيه الأموال الطائلة حتى تصل الى كلِّ يد، ويذكر في هذا المجال أن مظفرالدين أنفرد بشيء لم يسبق اليه أحد من الملوك الحاضرين والخلفاء المتقدمين، وأختص دونهم بأقامة الأحتفالات تيمناً وتبركاً بولادة الرسول-صلى الله عليه وسلم-^(٤٣) ويشير ابن خلكان الى أن قوافل المحتفلين من الوافدين كانت تصل الى أربل مع بداية الأحتفال وعلى أختلاف طباقتهم إذ كان بينهم الفقهاء، والمحدثون، والأدباء، والشعراء، والقراء، والمنشدون^(٤٤).

ونحن نرى من جانبنا أن وصف ابن خلكان هذا الأحتفال لا يحتاج الى تعليق عليه^(٤٥) والذي بعد أنتهائه يشرع أهل أربل في العودة الى حياتهم الطبيعية، ويتهيأ الضيوف للعودة الى بلدانهم، وكان مظفرالدين يشملهم ببرِّه فكان يدفع لكلِّ منهم نفقات عودة تيسيراً له^(٤٦) وقد أصبح هذا الأحتفال فيما بعد عادة وتقليداً في الممالك الإسلامية كافة^(٤٧).

وقد ألف أحد الوافدين للمشاركة بذكرى مولد الرسول-صلى الله عليه وسلم-وهو الحافظ

أبو الخطاب عمر بن علي المشهور بأبن دحية الأندلسي البلسي (ت ٦٣٣هـ) (٤٨) كتابا نفيسا يتناول سيرة النبي ومآثره سماه "كتاب التنوير في مولد السراج المنير" الذي ختمه هبقصيدة طويلة مطلعها: (من مجزؤ الرجن).

لولا الوشاةُ وهُم

أعد ونا ما وهَموا

أجازه عليه مظفرالدين بألف دينار (٤٩)

ويبدو أن مظفرالدين لم يأل جهدا في أسعاد شعبه، وقد حكم أمارته حكما نزيها، ومنع الأمور المحرمة في الإسلام من أن تقترب في بلاده بحيث "لا يمكن أحدا أن يدخل بلده خمرا ولا يشرب الخمر ويزدري شاربه" (٥٠).

وقد عمد عدد من المؤرخين الى توجيه بعض الانتقادات الى مظفرالدين، فقد أشاد ياقوت الحموي بأعماله وشهامته ثم قال: "أنه كثير الظلم عسوف بالرعاية" (٥١) ويشاركه في هذا الرأي ابن واصل (٥٢) وأبو الفداء (٥٣) وابن الموردي (٥٤) ويرى أحد الدارسين المعاصرين إن مصادر أموال بعض رجاله جاء بعد إن رأى أنهم أستغلوا مناصبهم وجمعوا عن طريقها أموالهم أو تسلموا الرشوة من المواطنين (٥٥)، وأستشهد لتأييد قوله بأبيات من الشعر على لسان النشابى الذى تولى كتابة الأنشاء في ديوان صاحب أربل: (٥٦) (من الخفيف)

قَدْ قَسَمْنَا الدِيَانَ خَمْسَةَ أَقْسَا

مِ عَلَيْهِا لِكُلِّ قَوْلٍ دَلِيلٌ

رَبُّ حَقٌّ فَلَا يُطَاعُ وَمَنْسُو

بِ إِلَى الظُّلْمِ قَوْلُهُ مَقْبُولٌ

ثُمَّ شَخْصٌ كَأَنَّهُ الحَرْفُ فِي الحُ

وَفَلَا فاعِلٌ وَلَا مَفْعُولٌ

وَمَصْرٌ عَلَى التَّحْيِيقِ وَالظُّلْمِ

مِ بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ جَهْلٌ

وَأخو حاجةٍ يمشي أحوا

لأ لديه أن جاءه البِدْطِيلُ

أتراهم لم يَعْمَلُوا أَنْ كَلًّا

منهم عن فِعَالِهِ مَسْؤُولٌ

ويبدو لنا أن هناك عوامل أخرى وراء ما يسمى بظلمه لبعض رعيته، وهو إيمانه بالعدالة الاجتماعية ومحاولة تطبيقها على مجتمع أربل من جانب وزهده في الحياة وحاجته الدائمة للأموال من أجل تسخيرها في أبواب البر من جانب آخر.

ولكي تكتمل الصورة في دراسة هذا الجانب من حياة الأمانة، نجد من الضروري التحدث عن النشاط التجاري الذي بلغ مستوى عليا، أقتضى معه إنشاء قيسارية في أربل^(٥٧)، وكانت تصحب الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إقامة سوق تجارية مهمة^(٥٨)، وتشير المصادر الى أن الحركة التجارية ازدهرت بسبب تعاضم شأن هذه الأمانة، وأستقرار وضعها السياسي، بحيث أصبحت أربيل تتاجر مع البلاد البعيدة، ودخلت إليها بضائع الترف، وتضيف تلك المصادر أن والد الشاعر الأربلي موفق الدين البحراني الأربلي، تردد بين أربل والبحرين متأجرا باللالكي، وكان يقيم في البحرين مدة^(٥٩).

ويذكر أيضاً أن التاجر المدعوا أمين الدين تردد بين أربل والديار المصرية وبلاد العجم وأنتهي الى خوارزم وهذا -بلاشك- دليل أتساع نطاق تجارة أربل مع الخارج، وقد أشار ياقوت حموي الى أن قوافل التجارة كانت تبدأ بالترحل من أربل وتتجه نحو أذربايجان، وكان التجار أصحاب هذه القوافل ينزلون في مدينة "تل هفتون"^(٦٠) الجبلية التابعة لامارة أربل لينالوا قسطا من الراحة ثم يستأنفون رحلتهم، ويظهر أن "تل هفتون نفسها كانت مدينة تجارية عامرة"^(٦١).

وكذلك استأثرت الزراعة بأهتمام (الأربليين)، وأن من أهم المحاصيل (الزراعية) بالأضافة الى الحبوب كان محصول القطن الذي أثنى عليه الجغرافي حمد الله المستوفي^(٦٢).

وعلى الرغم من أفئقار المنطقة الى البساتين، إلا أنها كانت ومازالت غنية بالفواكه التي تجلب من المناطق الجبلية المجاورة منها قرية شقلاباد "شقلاوة"^(٦٣).

كذلك فقد عني الأربليون بالصناعة، وقد تحدث ياقوت الحموي عن ألنصافي التي تنسب الى بلدة حزة^(٦٤)، وهي عبارة عن ثياب قطنية تصنع من القطن المنتج محليا.

ومن المرجح أن يكون التقدم العمراني الذي شهدته الأمانة قد دفعها الى أنتاج مواد البناء كالطابوق والجص، ويدل على هذا مواد مئذنتها^(٦٥). التي ماتزال شاخصة الى يومنا هذا.

الحياة الثقافية:

تميز القرنان السادس والسابع الهجريان ببروز عدد من المدن التي كان لها دور كبير في تقدم مسيرة الثقافة العربية الى أمام، وأحدي هذه المدن هي "أربل"^(٦٦).

وقد ازدهرت أربل ويعود الفضل فيه الى الأسرة البكتينية بل الى كبير هذه الأسرة

مظفرالدين كوكبري الذي أوصلها الى قمة المجد، ووُلد صلوات علمية بينها وبين الأقطار العربيه والأسلامية فارتفعت منزلتها^(٦٧)، وأنتجها الكثيرون من كل حدب وصوب، وكثرة من دخلها من الوافدين ألف شرف الدين بن أبي الفتح أحمد المشهور بأبن المستوفي آخر وزراء أربل كتابا كبيرا بأربعة مجلدات سماه "نباة البلد الخامل بمن ورده من الأمائل"^(٦٨).

ومن الظواهر البارزة أن العلماء والفقهاء والمحدثين كانوا يحظون برعاية أمير أربل الذي كان يرعاهم ولا يخيب آمالهم، وإنه دفع لأبي الخطاب أبن الدحية البلنسي ألف الدينار نظير قيامة بتأليف كتاب له^(٦٩).

وقد أجتازت أربل في عهد مظفرالدين شأوا كبيرا في الميدان الثقافي بحيث يعده أحد الدارسين المعاصرين من أبرز الولاة القائمين على بناء المدارس، وإنه عرف بكونه راعيا عظيماً لها^(٧٠).

وعلى الرغم من الحروب المستمرة في تلك الحقبة، فقد شهدت الحياة العلمية نشاطاً بارزاً، وأغلب الظن أن هذا النشاط العلمي كان نتيجة لهذه الحروب، وما أدت اليه من إتصال بين الشرق والغرب^(٧١)، فضلا عن عاملي الأمن والأستقرار اللذين شهدتهما أمانة أربل.

ومن الحقائق العامة أن كثرة العمران وأستقرار الناس ورفاهيتهم تؤدي-غالبا-الى توجيههم نحو العلم والمعرفة، وقد عدّ العلم والتعليم من الجملة الصنائع المتصلة بأستقرار الناس وأكمال العمران ثم يأتي الأنصراف الى العلوم والصنائع تأتي جودة الصنائع على مقدار عمران البلد^(٧٢).

وهكذا عرفت أربل بجذب العلماء وأستقطاب الأدباء حيث أغدق عليهم صاحبها الأموال والصلوات والهدايا، وأنا طبهم الوظائف الهامة، وجعلهم موضع ثقته وإستشارته^(٧٣)، وكان يستمع الى العلوم الإسلامية من فقة وتفسير وحديث، وأستمر في مواصلة تحصيله العلمي "وكان يميل الى علم التآريخ وعلى خاطره منه شيء يذاكر به"^(٧٤).

ويلاحظ أن مظفرالدين كان يحضر المجالس العلمية التي كانت تعقد في مسجد القلعة، والمسجد الذي شيّد بجوار مدرسته في ريبض أربل أو دار الحديث وكان رجال دولته يعقدون مثل هذه المجالس ويحتفون في ندواتهم بالوافدين من العلماء والأدباء^(٧٥)، ولم يقتصر التدريس في المسجد على العلوم الدينية بل أمتد الى علوم مختلفة كالشعر، والنحو، والأدب، والفلك، والحساب، وأحيانا كان يدرس فيها الطب^(٧٦).

ويعد عام ٤٥٦ للهجرة بداية عهد جديد في أنشاء المدارس، ففي هذا العام أفتتحت أول مدرسة في بغداد من مجموعة المدارس المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك

وعرفت بأسم "المدارس النظامية"، واستمر إنشاء المدارس وأقتفى أثره الملوك والأمراء الذين أقاموا إمارات بعد الحكم السلجوقي ومنهم أمير أربيل^(٧٧).

ومن المرجح إن لأول مدرسة ظهرت في أربيل هي "المدرسة العقيلية" نسبة الى الفقيه أبي العباس الخضر بن الفضيل (ت ٦٧٥هـ) وهو أول من درّس فيها^(٧٨)، ثم أنشأ نائب مؤسس الأمانة مدرسة القلعة سنة ٢٣٥ للهجرة، وقد تخرج فيها عدد من العلماء منهم أبو عمرو ضياء الدين الهذباني (ت ٦٠٥هـ) صاحب كتاب "الأستقصاء لمذاهب الفقهاء"^(٧٩)، وأقام النائب الثاني لمؤسس الأمانة مجاهد الدين قايماز "مدرسة المجاهدية" وقد درّس فيها الفقيه عمر بن أبراهيم بن خلكان (ت ٦٠٩هـ)^(٨٠)، والشاعر ابن الظهير الأربيلي (ت ٦٧٧هـ)^(٨١).

ولم يلبث مظفرالدين أن بني أكبر مدرسة وهي "المدرسة المظفرية" التي ما تزال مناراتها باقية الى يومنا، وكان يشرف عليها بنفسه، ويبين فيها أحياناً في الأحتفالات الدينية، وقد ولد المؤرخ ابن خلكان في هذه المدرسة سنة ٦٠٨ للهجرة، والتي نالت شهرة فاقت بها مدارس أربيل كلها، نظرا لمنزلة شيوخها العلمية وأهتمام مظفرالدين بها^(٨٢).

ومن علماء هذه المدرسة محمد ابن خلكان (ت ٦١٠هـ) وهو والد مؤرخ ابن خلكان^(٨٣)، وأبو الفضل أحمد ابن موسى بن منعة (ت ٦٢٢هـ)^(٨٤)، وفضلا عن هذا فقد أقام مظفرالدين "دار الحديث المظفرية"^(٨٥)، وبفضل هذه المؤسسات العلمية الرصينة وصلت أربيل الى قمة الأزدهار العلمي والأدبي.

ومما يلفت النظر أن بلدة مثل أربيل، حوت أربع مدارس كبيرة في هذه الحقبة، ولا يستغرب أن يتخرج منها عدد من الأفاضل في علوم الكثيرة^(٨٦).

وقد كان للحركة العلمية والأدبية الواسعة، وأحتضانها للعلماء والأدباء وأكرامها أثر كبير في أقبال أبناء أربيل على الدرس والتحصيل، فلم يمض وقت طويل حتى ظهر فيهم رجال عظام وصلوا الى مراتب عليا، أسهموا مع أخوانهم في البلدان الإسلامية الأخرى في أغناء المكتبة العربية بنتاج فكري عظيم تناول جوانب شتى من المعرفة الأنسانية^(٨٧).

ولعل من أبرز هؤلاء شمس الدين أحمد بن محمد بن أبراهيم بن خلكان (ت ٨١٦هـ) صاحب كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ولد بأربيل ودرس فيها، ويفصح كتابه عن ميل شديد الى الشعر وأيام الناس، ويزاحم لديه الحقيقة التاريخية، ويغلبه حبه للشعر أحياناً^(٨٨)، ونظم كثيراً من الأشعار أوردناها في أثناء هذه الرسالة، ومدحه الشعراء لما تولى به من الخصال الكريمة^(٨٩).

ويجدد بنا أن نذكر من الشخصيات العلمية المشهورة أبي البركات المبارك المنعوت بشرف الدين ابن المستوفي الأربيلي (ت ٦٣٧هـ) الذي ولد في القلعة ودرس في مدارسها، وحصل على

ثقافة غزيرة ألا إنه نال شهرته بوصفه مؤرخ أربل، وكتابه يعد أحد مصادر كتاب قلائد الجمان لأبن الشعار الموصللي وكتاب وفيات الأعيان لأبن خلكان^(٩٠)، وقد صنّف ابن المستوفي في مجال الأدب كتاب "النظام في شعر المتنبي وأبي تمام" وكتبا أخرى^(٩١). فضلا عن أن له ديوان الشعر^(٩٢).

وقد أقرنت هذه الحركة العلمية بظهور أسر علمية أسهمت في هذه النهضة الثقافية، ومنها أسرة ابن منعه التي ذاع صيتها في أنحاء العالم الإسلامي كله^(٩٣)، ومن أوائل من أشتهر منهم رضي الدين يونس بن محمد بن منعة (ت ٦٥٧هـ)، وأبو الفتح كمال الدين موسى بن يونس بن منعة (ت ٦٣٩هـ) الذي حظي بشهرة واسعة بعيداً عن أربل، وكان علامة زمانه، ويقال أنه كان يتقن أربعة وعشرين علماً وفناً^(٩٤).

ولعل أبا الفضل بن كمال الدين موسى بن منعة (ت ٦٢٢هـ) من أشهر أبناء أسرة بن منعة^(٩٥)، وكان أماماً كبيراً وله شرح على كتاب "التنبيه في الفروع الشافية" للشيخ ابن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، وأختصر كتاب "أحياء علوم الدين" للأمام أبي حامد الغزالي^(٩٦).

تلك هي أهم الأسره العلمية الأربيلية، ونرى من المفيد الحديث عن عدد من الشخصيات العلمية البارزة منهم أبو العباس بن نصر العقيلي الذي وُلد بأربل سنة ٤٧٨ للهجرة، وله تصانيف عديدة في التفسير والفقه وغيرها^(٩٧).

ويعد أبو العباس أحمد بن عثمان الزرزاري (ت ٥٩١هـ) من رجال الحديث وقد جاب المدن الإسلامية أيام درسته^(٩٨)، ومن رجاله أبو الفضل الياس بن جامع الأربلي (ت ٦٠١هـ)^(٩٩)، الذي صنّف في التاريخ أيضاً وكان ينضام الشعر، قال في أحد قصاده الغزلية^(١٠٠): (من الطويل).

وَمُسْتَعَذِبِ التَّعْذِيبِ جَوْرًا بِصَدِّهِ

أَمَا لَكَ فِي شَرْعِ الْمَحَبَّةِ زَاجِرٌ

هَنِيئًا لَكَ الْقَلْبُ الَّذِي وَقَفْتَهُ

عَلَى ذِكْرِ أَيَّامِي وَأَنْتَ مَسَافِرٌ

وَفِي الْمَجَالِ الْفَقْهِ وَالنَّحْوِ نَذْرُ أَبِي

سعيد محمد بن علي الجاواني الأربلي (ت ٦١٥هـ) الذي له مؤلفات عديدة^(١٠١)، وكان ينظم الشعر، ومن شعره^(١٠٢): (من الوافر)

دَعَانِي مِنْ مَلَامِكُمْ دَعَانِي

فَدَاعِي الْحُبِّ لِلْبَلْوَى دَعَانِي

أَجَابَ لَهُ الْفُؤَادُ وَنَوْمُ عَيْنِي

وسارا في الرِّفَاقِ وَوَدَّعَانِي

وهذا غيظ من فيض رجالات الحركة العلمية، إذ ليس بوسعنا ذكر علماء أربل في هذه الرسالة المختصة بالشعر، ونظن أن دراسة علماء أربل تحتاج إلى أكثر من الرسالة. وعندما ندرس الحياة الثقافية في أربل نقف بأستغراب أمام هذا الحشد الجم من الوافدين على أربل، وأغلب الظن أن الحركة العلمية في أربل كانت مضاهية للحركة العلمية في بغداد أو تفوقها، الأمر الذي شجّع الكثيرين من العلماء والأدباء على الورد إلى أربل والمكوث فيها المدة طويلة أو أستيطانها مدى الحياة.

ومما لا يخفي أن التحوط بهؤلاء الوافدين من العلماء والشعراء وغيرهم، تتطلب دراسات متعددة، وهذا مانتركة لغيرنا، ولكن الأشارة إلى عدد منهم تعد من ضرورات أستكمال هذه الرسالة.

وفي مقدمة من وفد إلى أربل من الأندلس أبو الخطاب عمر المعروف بأبن دحية، وزارها من الأندلس أيضاً الشاعر يحيى بن سليمان بن شاؤول من طليطلة.^(١٠٣)

وقد أوفد أربل من مصر أبو القاسم فلك الدين بن علي العصري^(١٠٤)، والشاعر أبو الفتح نصرالله الكتاني (ت ٦١٧هـ) وأقام بها إلى أن توفي فيها، وقدم إليها من واسط الشاعر أبو المظفر المعروف بأبن السنينيرة (ت ٦٢٢هـ)^(١٠٥)، وكان من أعيان عصره، إذا جلس للتدريس حضره كل من له عناية بالأدب^(١٠٦)، وأستوطن أربل أبو البشائر أسحاق (ت ٦١٦هـ) قاضي مدينة خلاط، وكان عالماً أصولياً وواعظاً وشاعراً^(١٠٧)، وزارها أيضاً المؤرخ المعروف بسبط بن الجوزي صاحب كتاب "مرآة الزمان" (ت ٥٤٦هـ)^(١٠٨)، وذكر في كتابه أنه بقي فيها مدة، ونزلها أيضاً أبو الثناء محمود المعروف بـ "أبن الأرملة" (ت ٦٠٦هـ) وأستقر فيها، وتصدر الجامع يعلم الناس القرآن وكان شاعراً^(١٠٩).

ومن الجدير بالذكر أن هناك أدباء معروفين زاروا أربل ومكثوا فيها مدة غير قصيرة منهم الشاعر أبو البركات كمال الدين المبارك بن أبي بكر من حمدان المعروف بأبن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ) صاحب كتاب "قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان"^(١١٠)، وتوجه إلى منزل الوزير أبن المستوفي، وزارها الأديب ضياء الدين أبن الأثير أخو صاحب كتاب "الكامل في التاريخ"^(١١١)، وقدم له مظفر الدين هدايا منها طير البازي الذي جعله أبن الأثير موضوع رسالة شكر بليغة بعثها إلى أمير أربل^(١١٢).

وقدم أربل أيضاً الشيخ صاعد البغدادي (ت ٦٢٥هـ) وقرر عدم مغادرتها وتوفي بها ودفن في داره^(١١٣)، وكذلك وردها الشيخ أبوبكر، المعروف بأبن النقطة (ت ٦٢٩هـ)^(١١٤)، وأبو

عبدالله البرزالي (ت ٦٣٩هـ) (١١٥)، وأبو حفصة المعروف بأبن طبرزد (ت ٦٠٧هـ) (١١٦)، وأبو حفص مجدالدين بن مهران العراقي الضرير (ت ٦١٣هـ) (١١٧)، وأبو نزار الملقب ب"ملك النحاة" (ت ٥٦٨هـ) (١١٨)، وأبو الحسن فخرالدين بن عبدالله التركي البغدادي (ت ٢٦٢هـ) (١١٩). وخالصة القول إن أربل أستقبلت الكثيرين، وإستضافتهم في منازل كريمة، وكان شرف سبق الأمر بذلك لمظفرالدين كوكبري ورجال دولته الكرماء، وخير شاهد على ذلك كتاب "تأريخ أربل"، إذ أورد مؤلفه في الجزء الذي وصل إلينا تراجم (٣٣٧) ثلاثمائة وسبعة وثلاثين عالما وأديبا وفقهيا ومحدثا. ولو وصلت إلينا الأجزاء الثلاثة الأخرى المفقودة لكان العدد-في تقديرنا-أربعة أضعاف المذكورين في هذا الجزء المطبوع، ولعل في ذكر هؤلاء كفاية في الاستدلال للنشاط العظيم والحركة المستمرة في حقول المعارف المختلفة آنذاك.

الحياة الأدبية:

لم يكمن لأربل نشاط بارز في ميدان الأدب قبل تسنّم الأسرة البكتينية لدفة الحكم فيها، ولم يظهر أدباء كبار يشار إليهم في ساحة العطاء الفكري بأستثناء عدد من الشعراء في عهد الهذبانين الأكراد الذين حكموا أربل قبل هذه الأسرة (١٢٠) ولعلنا لانجانب الحقيقة إذا قلنا إن النشاط الأدبي أيام آل بكتكين بدا غزيرا ومبدعا، وبسببه نالت أمانة أربل مكانة متميزة بين البلدان الإسلامية إذ أنجبت نوابغ كبارا في حقول المعرفة جميعها.

فقد أولت هذه الأسرة العلوم والأدب رعاية الخاصة، وسعت الى نشرها بين أبناء الأمانة بالوسائل بين كلها، والظاهر أن العلم قد فلض وتسرب الى القرى الصغيرة والكبيرة، وأغلب الضان أن هذه الأسرة أتجهت أتجاهها دينيا في نشر الثقافة والعلوم، وما أهتمامها باللغة العربية لغة القرآن الكريم إلا ترجمة فعلية لهذا الأتجاه، فصار أربل محط أنظار ومرمي أبصار الأدباء في العالم الإسلامي قاطبة.

وإذا إتقنا الى الشعراء نجد أنهم كانوا طرفا كبيرا في مسيرة الحركة الفكرية وقد وصل إلينا نتاج غزير من الشعر في دواوين محققة في هذا العهد كديوان حسام الدين الحاجري (ت ٣٢٦هـ)، ومجد الدين النشابى (ت ٥٦٦هـ) وأبن الظهير الأربلي (ت ٦٧٧هـ)، فضلا عن النصوص الشعرية الكثيرة التى أوردتها الكتب، ومن حوافز هذه الوفرة في أنتاج الشعري-حسب أعتقدنا- هو إيواء المسؤولين للشعراء والأنفاق عليهم، وتداول الشعر بين أفراد الخاصة، وأستساغتهم أياها، وميل العامة اليه.

ويلحظ إن الشعراء أدركوا فضل مظفرالدين وفعاله النبيلة التى شملت القاصي والداني، ووقفوا على أعماله الجليلة فعكسوا في قصائدهم تلك الرعاية الكريمة نحو قول أبي

المكارم بن عابد الكرمانى(ت٦١٦هـ)(١٢١) فى قصيدة طويلة(١٢٢): (من الكامل)

باب المليك مظفر الدين الذي
سَبَقَ الملوك بِجوده الهطال
المحسن المطعام والمقدام من
أضحى بسؤدده عديم مثال
يجتاز شأواً المكرمات ووصفه
قد فات كلُّ مُجودٍ قَوالٍ

وعده عبدالحميد بن مرى المقدسى (ت ٦٠٢هـ)(١٢٣) من أكرم الناس وأنبلهم لا يباريه
أحدهم فى العزة والكرامة، بقوله(١٢٤): (من البسيط)

وأنت أكرم من طاف الوفود به
ومن إلى شرف العلياء منسوب
ومن له شرف مامثله شرف
على قلوب عباد الله مكتوب

وقد أتاه هذا الثناء والتعظيم من أناس وفدوا على أربل فكيف الذين عاشوا فى كنفه.

وقد عرف عنه أنه أكثر ملوك زمانه جوداً على صغر مملكته، وتحولت أربل فى عهده إلى
مركز ثقافى وأدبى مهم قصدها طلبة العلم من الشرق والغرب(١٢٥).

وعلى هذا المنوال فقد تحولت بيوت الأمراء والأدباء إلى منتديات أدبية يحتفون فيها
بالوافدين اليهم من الشعراء والأدباء وطلاب العلم، يتناظرون الشعر والحوار الأدبى
ويتقارضونه.

ويجدر بنا إن نشير إلى عدد من هذه المناضارات الأدبية إذ يروى أن الشاعر النشابى قد
أهدى إلى الوزير أبى المستوفى فى بعض الليالى طبقة فيه تفاح مخضب وسفرجل على يد
غلام جميل الصورة، فوصل إليه وعنده جماعه فيهم الشاعر حسام الدين الحاجرى، فنظم كل
واحد من الحاضرين فى ذلك شعراً فأنشد الحاجرى(١٢٦): (من البسيط)

أهدى لنا المجدُ تفاحاً وأحمر
من خد من حمل التفاح مسترق
وللسفرجل من أعلاه رائحة
أضحت فيها لمهديها به عبق

فَصَرْتُ أُعْجِبُ مِنْ حَالِنِ كَيْفَ حَوَى
وَصَفَّ الْغُلَامَ وَوَصَّفَ السَّيِّدَ الطَّبِيقُ

وقد أشار ابن الشعار الى أحد هذه الحوارات الشعرية وهو ما ضمَّنه النشابي أبياتاً منه الى الأمير أحمد بن قرطايا الأربلي^(١٢٧)، فأجابه الأمير على الوزن والقافية بقوله^(١٢٨): (من الطويل)

أَبَا الْمَجْدِ شَوْقِي جَاوَزَ الْحَدَّ وَصَفُّهُ
إِلَيْكَ فَهَلْ يَوْمَ اللَّقَاءِ قَرِيبُ
يَقْرُ لِعَيْنِي أَنْ أَرَاكَ وَشَمَلْنَا
جَمِيعُ وِلْيَاتٍ مَضِينَا تَوَّوبُ
فَمَنْ لِي بَلْقِيَا أَسْعَدَ لَاعِدْمَتُهُ
وَيَدْعُو وَدَارِي حَبِيبِهِ فَيَجِيبُ
وَلَيْسَ عَجِيبَا طُولُ نَائِي وَفُرْقَةُ
وَلَكِنْ صَبْرِي قَدْ نَأَيْتُ عَجِيبُ

وما دمننا بصدد الحديث عن الأدب وميدانه الخصب نرى من المناسب هنا الإشارة الى المجالس الأدبية في الإمارة، وفي مقدمتها مجلس الوزير ابن المستوفي الذي كان ملتقى الصفاة من الأدباء والعلماء الأربيليين منهم الوافدين حيث سماع الشعر وقرضه^(١٢٩).

وتكاد تكون المجالس الأدبية من أبرز عوامل الأزدهار الأدبي، وقد كان لمظفرالدين ولع كبير بمجالسة العلماء والأدباء^(١٣٠)، سواء بحضوره الندوات الأدبية التي كانت تعقد في دور الأدباء وكبار رجال الدولة ممن يتذوقون الأدب مثل دار ابن المستوفي الوزير (ت ٥٦٣٧هـ)، أو حضور المجالس الدينية، والأستماع الى العلوم الإسلامية، ويلاحظ إن هذه الندوات كانت تقام في مسجد القلعة والمسجد الذي شيده بجوار مدرسته^(١٣١).

ومن الملاحظ أيضاً إن هذه المجالس الأدبية لم تكن تعقد دائماً في مواقع ثابتة، ويقول بعض الدارسين المعاصرين بهذا الصدد: "لم تكن هذه الأندية تجتمع في أماكن معينة أو منازل معروفة وإنما كانت تجتمع حيث يتاح لها الأتماع"^(١٣٢).

وهكذا ظهر أدباء بارزون في هذه الحقبة، فضلاً عن هؤلاء المشتغلين في هذه المجالات الثقافية الأخرى الذين أسهموا في النشاط الثقافي بنظم الشعر وتناوله وتذوقه.

ومن الأمور التي تلفت الأنتباه أنه كان للأزدهار الذي عم جميع مناحي الحياة في إمارة

أربل أثر في النصارى الأربليين القاطنين في المناطق الجبلية والسهلية الذين عاشوا مع أبناء بلدتهم المسلمين جنباً الى جنب، فظهرت عندهم حركة علمية وأدبية، وبرز بينهم شعراء وأدباء^(١٣٣).

ويبدو أن الشاعر جيورجيس وردا الأربلي قد تقدم عليهم ببراعته، وذكائه، وأملاكه لديوان شعر ضخم متنوع الموضوعات وقد وصف في بعضها حصار أربل وجنود المغول، كما عرف عنه شغفه الشديد بالسيدة العذراء^(١٣٤)، وأتسم ديوانه بكونه طافحه برباعيات في مديح العذراء و الثناء عليها حتى لُقّب بجدارة بشاعر العذراء، وأمتاز شعره بالعذوبة والسهولة والحلاوة والجزالة^(١٣٥)، ومن شعره في مريم العذراء^(١٣٦):

أَعْظَمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ

خَلَقَهَا كَسَمَاءٍ جَدِيدَةٍ

وَفَوْقَ طَعْمَاتِ الرُّؤْسَاءِ

نَقِيَّةٍ قَدْسِيَّةٍ وَدُودَةٍ

هَكَذَا أَرَادَتِ السَّمَاءُ

زِينَتَهَا بِالْفَضَائِلِ الْمُرْدَةِ

إِنْ تَكُونُ مَلَكَةَ الْبِهَاءِ

لَتَكُنْ لِأَبْنِهِ وَالِدَةٍ

الأغراض الشعرية

من البديهي أن الموضوعات الشعرية التقليدية، شغلت حيزاً واسعاً في طيات الدواوين، وهي تمثل المادة الأساسية لدراسة الشعر، ومعرفة اتجاهاته.

وفي دراستنا للشعراء في أربل أنصب اهتمامنا في شعر المشهورين من أصحاب الدواوين، لأنهم يمثلون-بلا شك-حياة الشعر في الأمانة، فظلا عن الشعراء الآخرين الذين مازال شعرهم- على الأرجح-غير مجموع ومحقق، وقد بذلنا جهداً في لَمُّ شتاته.

ومن أجل أن تكون الدراسة شاملة، سعينا الى الأستشهاد بأكبر عدد ممكن من الأبيات الشعرية المتوافرة في المصادر المطبوعة والمخطوطة، وخصصنا لكل شاعر أربلي منزلة معينة في هذا الفصل. وتحدثنا عن تباين المستوى الفني للشعراء من حيث الاتجاه العام، فوجدنا أن الاتجاه العام في شعر النشابي هو المدح، ولقينا عند الحاجري الغزل، وتميز ابن الظهير بالوصف الدقيق، في حين أتسم الاتجاه العام في شعر ابن خلكان في الغزل بالذكر، وهلمّ جراً.

وقد واجهتنا صعوبة الأطلاع على الاتجاه العام للآخرين، لأن أشعارهم مازالت مبعثرة في مقطوعات أو أجزاء من قصائد في كتب الأدب وتاريخه.

وأشتمل هذا الفصل على دراسة تحليلية لمختلف الموضوعات الشعرية مع الأشارة الى بعض الخصائص الفنية من حيث الشكل والمضمون، ومرد ذلك الى سببين:

الأول صعوبة الفصل التام بين دراسة الموضوعات والدراسة الفنية، لأنهما مرتبطان بوشائج متينة، يؤدي الفصل بينهما الى تفريع الموضوع الواحد الى عدة موضوعات متفرقة تقلل القيمة الفنية له، والآخر- وإن لم يكن مقصودا-تخفيف العبء عن الفصل الثاني الذي أعد لدراسة الخصائص الفنية.

وأثرنا في هذا الفصل أن جعل الغزل بألوانه العفيف والمادي والغزل بالذكر في المقدمة، بسبب شيوع هذا الضرب من الشعر في الأمانة على لسان الشعراء والأدباء والعلماء والسياسة، ثم ربتنا الموضوعات الأخرى حسب كميتها وكثرتها.

ووجدنا من المناسب إدراج فن الأحاجي والألغاز ضمن موضوع الأخوانيات، لكونه أقرب الى المراسلات الشعرية، وبذلك أختلفنا-بعض الشيء- مع عدد من الدارسين الذين جعلوه فنا مستقلا بذاته^(١٣٧).

وقد جاءت تراجم الشعراء موجزة في الهوامش فكلما ذكرنا أسم أحدهم في المتن ذكرنا معه مصدرين قديمين لترجمته باستثناء عدد من الشعراء المغمورين الذين أنفرد كل من مؤلف كتابي قلائد الجمان وتاريخ أربل بالترجمة لهم.

الغزل:

وهو من أقدم الفنون الشعرية وأكثرها شيوعاً لاتصاله الوثيق بالطبيعة الإنسانية^(١٣٨)، قال ابن رشيق القيرواني: "النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد، وأما الغزل فهم ألف النساء..."^(١٣٩).

ويعد الغزل من الموضوعات الثابتة في الشعر العربي، ويحكمه اتجاهان، الأول: هو الحب العذرى العفيف الذى يتحول في قلب صاحبه الى ما يشبه جذوة من النار، والثاني: يتمثل في تلك الموجة من الغزل المادي التى أتسع مداها من العصر العباسي الأول^(١٤٠)، غير أن هناك من لم يكثر بها على نحو ما هو معروف عند أبي تمام، والبحتري، وابن الرومي، ثم المنتبى الذى أتخذ من البدويات موضوعاً لغزله^(١٤١)، وتبعه الشريف الرضي في حجازياته، وآخرون^(١٤٢). وفي أربل أفرد الشعراء للغزل القصائد والمقطوعات، معظمها تصف الملامح الخارجية للمرأة، مثل الأعين النجلاء التى هي كالسهام^(١٤٣)، والقوام الذى يثني كغصن ألبان^(١٤٤)، والخدود التى حمرتها من دماء العشاق، والفم الذى رضابه كالخمر^(١٤٥).

ونعتقد إن نتاجات معظم الشعراء لاتخلوا من الغزل ولكن مع تباين في توجهاتهم، فقد جاء أكثر غزل الشبابي في مقدمات قصائده المدحيه، لذا كان غزله تقليدياً من النمط الذى درج على تناوله شعراء المديح في قصائدهم.

أما الحاجري فقد أودع معظم غزله في قصائد ومقطوعات مستقلة أو ضمن خمرياته، وقد سماه بعض الباحثين "نجديات الحاجري" بسبب ولعه الشديد بذكر الديار الحجازية^(١٤٦)، وغزل ابن الظهير يختلط بشعره الخمرى، أما الآخرون فقد جاء أكثر غزلهم قي مقطوعات مستقلة.

وتتفاوت المقدمات الغزلية من حيث عدد أبياتها من شاعر الى آخر فقد بلغ أطول مقدمة غزلية للشبابي تسعة وعشرين بيتاً في قصيدة مدحية مطلعها^(١٤٧): (من مجزوء الرجز)

ياذا الجَمالِ النَّضيرِ
قَدْ حارَ فيكَ مَنْظَرِي
ما أَنْتَ إِلا مَلِكُ
مُجَسِّدُ في بَشَرِ

وأقصر مقدمة له في الغرض نفسه لم تتجاوز ثلاثة أبيات^(١٤٨).
وقد تصل المقدمات الغزلية لأبن الظهير الى ستة عشر بيتاً، نختار من بعض أمثلة ذلك
هذين البيتين^(١٤٩): (من الخفيف)

لَوُوجِدْنَا إِلَى اللَّقَاءِ سَبِيلاً
لَشَفَيْنَا بِالْقُرْبِ مِنْكُمْ غَلِيلاً
وَسَعَيْنَا عَلَى الرَّؤُوسِ سِرَاعاً
وَرَأَيْنَاهُ فِي هَوَاكُمُ قَلِيلاً

وللحاجر مقدمة غزلية تتعدى ثلاثة وثلاثين بيتاً، ضمن قصيدة تتألف من ثلاثة وأربعين بيتاً،
مطلعها^(١٥٠): (من الكامل)

مَا لِلدُّمُوعِ تَسِيلُ سَيْلَ الْوَادِي
حِذَا بِرِكْبِ الْعَامِرِيَّةِ حَادِي
نَعَمَ اسْتَقَلُّوا ظَاعِنِينَ وَخَلْفُوا
نَاراً لَهَا فِي الْقَلْبِ قَدْحُ زِنَادِ

ويبدو مما سبق أن الشعراء قد أطالوا في مقدماتهم بالأعادة والتكرار وجمع الصور
المختلفة، ولم يبق للغرض الأصلي إلا أبيات معدودة، ونحسب إن تطويل المقدمة الغزلية، الأ
وسيلة مصطنعة لاطالة القصيدة، وقد يعزى ذلك-أحياناً-الى طاقة الشاعر الكبيرة على النظم
وثقافته، لاسيما أملاكه لخاصية اللغة، إذ بدونها لا يستطيع إن يأتي بكل هذه المفردات التي
يقيم بها شعره.

وأذا أمعنا النظر في مقدمات الشعراء الآخرين، نجد إنها لا تتجاوز أبياتاً قليلة-في أكثر
الأحيان-ومن هؤلاء محمد بن مكارم بن أبي العلاء^(١٥١) وأبو ربيع الأربلي^(١٥٢) فالشاعر ذو
القابلية المحدودة في النظم يختصر مقدمته ويسرع الى غرضه الرئيس قبل أن يدركه الأعياء،
كما فعل شيطان الشام^(١٥٣) في مقدمته^(١٥٤) (من الكامل)

قَسَمًا بِوَرْدِ الْوَجْنَتَيْنِ يَصُونُهُ
أَسُ الْعِذَارِ وَنَرْجِسُ الْأَجْفَانِ
وَيَسْلَسِلُ مَا بَيْنَ سِمْطِي لَوْلُو
حَفَّتْ بِهِ مِنْ جَوْهَرٍ شَفَتَانِ

فليس بعيداً أن يكون الشاعر المجيد في الغزل أراد إبراز براعته الأدبية، والآخر أختصر

مقدمته لعدم تمكنه في هذا الفن.

ولابد من الإشارة الى جودة بعض المقدمات الغزلية، إذ نرى أن أجمل مقدمة غزلية في شعر الأمانة هو للحاجري وقد سبق ذكرها، وتأتي مقدمات ابن الظهير في المرتبة الثانية. ومن المقدمات الغزلية الجيدة لشعراء أربل-حسب ظننا- مقدمة أبي الفضل الحيزاني^(١٥٥):
(من الطويل)

فؤادُ الى وَصَلِ الحِسانِ طَروِبُ
وَقَلْبُ لَريبِ الحادِثاتِ كَسَّيبُ
وعارِضُ دَمْعٍ لَمْ يَزَلْ فَيَضُ مائِهِ
دَفوقاً على أَرْضِ الخُدودِ سَكوبُ

ولأبن خلكان مقدمة غزلية لطيفة، وهي قوله^(١٥٦): (من الطويل)

هُوى بَيْنَ أحناءِ الضُّلوعِ مُخامِرُ
وَفَرَطُ غَرامِ أختَرَّتَهُ السَّرائِرُ

ونحن من جانبنا نرى أن معظم مقدمات النشابي الغزلية رديئة، ويبدو أن شاعرنا لم يكن يطرب للغزل، وما قاله في هذا الموضوع لا يتعدى تقليد الشعراء القدامى في أفتاح قصائدهم، ومن مقدماته الرديئة^(١٥٧): (من الكامل)

ما بَيْنَ نافِثِ سِحْرِهِ أو عاقِدِ
رَوَتْ الضُّلوعُ غَرامَها عن واقِدِ
لولا أنسِكابُ الدَّمعِ ما ظَهَرَ آلَهُوى
مَنّي لِعادِي لوعَتِي أو عائِدِي

ولما كانت المقدمات الغزلية جزءاً من قصيدة المدح التقليدية فقد كان الطابع العام لشعراء المديح هو الألتزام بهذه المقدمات على الرغم مما يبدو من أن بعض الشعراء قد أهملوا هذه المقدمات، وابتدأوا قصائدهم بالمدح مباشرة، ولاسيما ابن هبة اللّه عزّى الأربلي^(١٥٨) في مدحه، حيث يقول^(١٥٩): (من الطويل)

أضاعَتْ بِكَ الأيامُ بَعَدَ ظَلامِها
وعادَ سُرورُ الخَلقِ بَعَدَ ذَهابِها

نقق في الشعر الغزلي على أبيات تمتاز بالجمال والخفة، تقترب من المقطوعات المستقلة التي يرى أحد الدارسين أنها أخذت من قصائد المديح^(١٦٠) ولكننا نذهب الى أن هذه الأبيات

نُظمت تعبيراً عن أنفعالات حبِّ صادقة تثور في وجدان الشاعر تبعاً لمواقف معينة في حياته ولهذا السبب جاءت عواطفه دافقة فياضة بالمشاعر النبيلة، وهي ذاتية بعيدة عن أنظار المدوح وبطانته. فهذه المقطوعات ليست مقدمات لقصائد المديح فحسب، بل أنها تفصح عن شاعرية فذة إلا أنها ليست من الشعر المغنّى، كما في قول الحاجري^(١٦١): (من المتقارب)

ولمّا آلتقينا ومَنّ الزمان

جرى دمعُ عيني دماً في المآقي

فقال وعهدي به لؤلؤاً

أيجرى عقيقاً وهذا التلاقي

فقلتُ حبيبي لا تعجبنْ

جعلتُ فداكم ميتاً وباقي

فتلك أوائلُ دمع التلاقي

وهذي أوآخرُ دمع الفراقِ

وكما في مطلع مقطوعة لمحمد بن مكي الإربلي^(١٦٢): (من الخفيف)

غيرُ مُجدٍ إنْ عنف العذالُ

أقصروا في ملامهم أو طالوا

أنا لا أسمعُ الملامَ ولا يو

جدُ عندي في حبِّ حبيّ ملال

وحين نمضي في أستقراء الشعر الغزلي يطرق أسماعنا الغزل المغنى الذي يطربنا بحلاوة الفاظه وعذوبة موسيقاه، وهو عبارة عن أبيات معدودة أو مقطوعة تنظم للغناء غير جارية على سنن القدماء في الوقوف على الأطلال و البكاء.

ومن هذا الغزل مانقله الوزير أبْن المستوفي^(١٦٣) وأحمد بن بهرام الإربلي^(١٦٤) في منزل الأخير بالموصل، وفي ليلة من ليالي الأَنْس، حين غنى صدقة بن محمد^(١٦٥) الأربلي أبياتا من شعره في لحن صنعه وهو: (من المجتث).

إذا تمنّع صَبْبري

وصانَ بالهجرَ صَبْبري

ناديتُ والليلُ داجٍ

وقد خلوتُ بفكري

يَارَبِّ هَبْ لِي مِنْهُ
وَصَالَ يَوْمَ: بَعْمَرِي

وزاد عليه صديقه وقال:

لَأَجْتَنِي وَرَدَّ خَدًّا
زَاهٍ عَلَيَّ كُلَّ زَهْرٍ
وَأَجْتَلِي غُصْنَ بَانَ
يَمِيسُ مِنْ تَحْتِ بَدْرِ
إِنْ صَحَّ لِي ذَاكَ مِنْهُ
يَوْمًا وَفَيْتُ بِنَذْرِ

وسئل أبن المستوفي أن يكمله، فقال:

عَجْتُ مِنْ صَبْحِ وَجْهِ
يَلُوحُ مِنْ لَيْلِ شَعْرِ
فَالشَّمْسُ تَلْعَبُ مَايِدِ
نَنَا بَدَارٍ وَبَدْرِ

وقال أحمد بن بهرام الإربلي:

أَقُولُ مِنْ فَرَطٍ وَجَدِي
بِهِ وَقَلَّةِ صَبْرِي
يَا مَنْ تَمَلَّكَ رَقِي
أَرْحَمُ - فَدَيْتُكَ - ضُرِّي

وقال أبن المستوفي:

عِذَارُ خَدِيكَ فِيهِ
يَقُومُ لِلنَّاسِ عُذْرِي
وَفِيكَ طَابَ جَنُونِي
وَلِذَلِكَ هَتَكَ سَتْرِي

وينقل أبن الشعار اجتماعاً^(١٦٦) آخر للوزير أبن المستوفي مع الشاعر أحمد بن بهرام
باربل، والمغني ينشد قوله: (من الرمل)

دَع ملامي بالحمى أو رُح ودعني
واقفأ أنشد قلباً ضاع مِنِّي
فقال أحمد بن بهرام بديها:

ياحبيبي صلُّ مُحَبَّاً هَائِماً
قَدْ يراهُ في الهوى طولُ التمني
ثم تممه أبْن المستوفي أرتجالاً:

لم يقل إذْ باعكم مُهجتهُ
بهواكُم يالها صَفْقَةٌ عُبنِ
وأخيراً أتمه أحمد بن بهرام بقوله:

فأنضحوا ماءً وصالٍ منكمُ
فوقَ عودي فعسى يُورِقُ غصني
أيها المُعرِضُ عني ظالماً
لا تدعني ندماً أقرعُ سِنِّي

وبين أيدينا أخبار أخرى عن الغزل المغنّى الشائع في أربل، وقد نقل أبْن خلكان جزءاً منها، وذكر وفاة شخصين في إحدى أمسيات الغناء، متأثرين بهذا النمط من النظم^(١٦٧)، مما يدل على أن مجتمع أربل كان يتذوق الأدب ويميل إلى الغناء، ويجد اللذة و النشوة في الاستماع إليه، على الرغم من أن هذا المجتمع في عهد أميره مظفر الدين كان محافظاً وملتزماً بمبادئ الدين و الحنيف، ولعل مرد ذلك إلى أن الغناء لا يأتي - دائماً - مصاحباً للعبث والمجون، فقد يكون جزءاً من حياة أصحاب الثقافة المهذبة والذوق الرفيع.

ويؤسفنا ألا تكون بوسع هذه الرسالة الإشارة إلى الغزل المغنّى كلّه بسبب وروده منشوراً في أثناء دواوين الشعراء وكتب الأدب.

أتسم هذا النمط من الغزل بقلة عدد أبياته، ويحوره القصيرة أو المجزوءة وألفاظه الرشيقية، وأشهر من روى لهم أمثلة منه الحاجري^(١٦٨) وأبو البرّ الإربلي^(١٦٩) ويوسف الهذباني الكردي الإربلي^(١٧٠) وأبو يعقوب الربعي^(١٧١)

ومما يلاحظ أن الحاجري فاق أقرانه من الشعراء في هذا الميدان، بنظمه نماذج متميزة في هذا الفن، بحيث طغى على موضوعاته الشعرية الأخرى، ونظن أن سبب هذا الاهتمام يعود إلى مشاعره المرهفة، وتذوقه السليم للغناء.

ومن غزله المغنّي، قوله^(١٧٣): (من الخفيف)

جَسَدٌ نَاجِلٌ وَقَلْبٌ جَرِيحٌ
وَدَمُوعٌ عَلَى الْخُدُودِ تَسِيحٌ
وَحَبِيبٌ مَرَّ التَّجَنِّيَ وَلَكِنْ
كُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَلِيحُ مَلِيحٌ

ومن هذا الفن أيضاً قول بهاء الدين بن علي الإربلي^(١٧٣) ^(١٧٤): (من السريع)

فَاقَتْ عَلَى كُلِّ مَلَا حِ الْوَرَى
وَفَاقَ فِي أَوْصَافِهَا شَعْرِي
فِي ثَغْرِهَا دَرٌّ، وَفِي لَفْظِهَا
دَرٌّ وَفِي نَظْمِي وَفِي نَثْرِي

ونتهي الغزل المغنّي ببيتين للشاعر أبي الربيع الإربلي المعلم وهما قوله^(١٧٥): (من المقتضب)

لَوْ نَظَرْتُ طُلْعَةَ مَنْ
قَدَّ هَوَيْتُ مَنْ بَعْدِ
كُنْتُ أَمْنًا أَبَدًا
مِنْ نَوَازِلِ الرَّمْدِ

ومهما يكن من شيء فإن من الضروري العودة إلى الشعر الغزلي في مقدمات القصائد لمعرفة سماته العامة، حيث بدا لنا أن معظم هذا الغزل جاء تقليداً للشعراء القدامى، وكأنه دين يجب على الشاعر أدائه، وأن آثار التكلف والصنعة باقية عليه.

ففي المقدمة الطللية، يطوف الشاعر بين البوادي والرمال على ظهور الجمال، ذاكراً المنازل التي يتصور أن أحبابه من سكانها، كما جاء في مقدمات الحاجري من قوله^(١٧٦): (من الكامل)

عَرَجَ بِرَامَةٍ إِنْ رَامَةَ مَنْتَهَى
أَمْلِي وَغَايَةَ بَغِيَّتِي وَمُرَادِي
لِلَّهِ صَبَّ بِالْعِرَاقِ مُتَيْمٌ

ظَامٍ إِلَى مَاءِ الْمُحْصَبِ الصَّادِي^(١٧٧)

وقد ذهب الدكتور شوقي ضيف ألى أن "ذكر الأماكن الحجازية هو العودة إلى البداوة والبساطة"^(١٧٨).

وهذا ما جسده شعراء أربل كالنشابى في قوله^(١٧٩): (من الكامل)
وتودُّ لو شامتُ بريقاً بالفِضا
أوقابلتُ من أرضِ نجدٍ مُخبراً
وتسنمتُ كُثبانَ رملٍ محجّرٍ
وتتسمت فيه النسيم ومعطراً

ويبدو لنا أن التيار الصوفي الذي عم البيئة الأربلية والذي حمل رؤية ذات منحى قدسي عن الديار الحجازية، والاحتفال السنوى بالمولد النبوى الشريف كان له تأثير في الشعراء في تعظيم هذه الديار وذكرها في غزلهم^(١٨٠).

ومن ضروب الغزل المعروفة في الأمانة الغزل المادي الذي عرفه المجتمع العربي و الاسلامي منذ زمن بعيد^(١٨١) ولعل من أوائل الشعراء الذين أولعوا به أبا نواس والحسين بن الضحاک المعروف بالخلع، و والبة بن حباب الكوفي الذي عدّه الدكتور شوقي ضيف رائد هذا اللون المقيت في القرون الأخيرة من عمر الدولة العباسية^(١٨٢) وقد غدا ظاهرة لايعدها المجتمع خروجاً على القيم السائدة . يعتمد هذا الغزل على وصف حسي لمفاتن المرأة، وموطن الحسن فيها، ويعدّ الحاجرى رائد هذا اللون من الغزل في اربل، فهو يصف جمال وجه الحبيبة ورفقتها، ويتشوق إلى رشق رضاها، كما في قوله^(١٨٣): (من الوافر)

هوى لولا لواحظُ أم عمرو
لصادفنا مصادفة القضاء
رقيقة صفحة الخدين أشهى
من الماء الزلال على الظمأ
وقالوا في مراشفها شفاءً
فوا شوقَ المريضِ إلى الشفاءِ

ويعد الحاجرى إلى وصف مغامراته الماضية، وتصوير لياليه المليئة بالعبث واللهو و ذكر خلواته^(١٨٤) وأحياناً يقترب في غزله المادى من الأدب المكشوف كما في قوله^(١٨٥): (من السريع).

وكلمما ناولتني قبلة
أشرق وجهه الزمن المقبل
وأنت بالقرب إلى جانبي
أحسن من حسناء تحت الحلي

وقد وصف عرش الدين الأربلي^(١٨٦) محبوبه الجميل، بأنه مريض الأجفان، بقوله^(١٨٧): (من الخفيف)

ومريضُ الأَجْفَانِ بَلْبَلِ عَقْلِي
بعذارٍ مِنْ فَوْقِ خَدِّ أُسَيْلِ
جُوذَرِي اللِّحَاطِ حُلُوِّ التَّنَايَا
طَابَ سُقْمِي فِي حَبِيهِ وَنَحُولِي
وَصُورُ النِّشَابِي فِي غَزَلِهِ المَادِي، رَشَاقَةٌ مَحْبُوبِهِ تَصْوِيرًا بَدِيعًا^(١٨٨): (من الطويل)
شَكَا خَصْرَهُ مِنْ رِدْفِهِ فَتَرَاخِيَا
يَفْصَلُهُمَا بِنْدُ القَبَاءِ المَكْتَمِ
وَرَدَّ جُيُوشَ العَاشِقِينَ لِأَنَّهُ
أَتَاهُمْ بِخَطِّ العَارِضِ المُنْتَحِكِمِ

ومما يجدر ذكره محاولة بعض الشعراء تجديد المقدمة الغزلية – من ناحية اللفظ أو الشكل – بذكر أسماء أماكن من بلادهم، ولكن يبدو أنهم لم يفلحوا، نحو قول الحاجري^(١٨٩): (من السريع)

أَذْكَرُ عُهُودًا كُنْتَ عَاهَدْتَنِي
وَنَحْنُ بِالشَّرْقِيِّ مِنْ إِرْبِلِ
وقال في إحدى مقدمات خمرياته^(١٩٠): (من الطويل)
لَأَطِيبُ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بَسَقَطِ اللُّوِي دَارِ بَشْرَقِي إِرْبِلِ
ويلاحظ أن الدوبيت (الرباعية) الذي سوف ندرسه لاحقاً هو الفن الجديد الذي شاع في هذه الحقبة، وأستساغه الشعراء "وخصصوا له دواوين مستقلة"^(١٩١) فقد أعجب به الحاجري، فنظم عليه في أغراض عديدة، فمن دوبيتاته في الغزل، قوله^(١٩٢):
يَارِيحُ صَبَاً لَاحَتْ بِنَجْدٍ وَسَرَتْ
هَلْ هِنْدُ كَمَا عَهَدْتُهَا أَمْ هَزَلَتْ
قَالَتْ بِلِسَانِ الحَالِ لَوْ أَمَكْنَهَا
جَاءَ تَكَ عَلَى جُفُونِهَا وَاعْتَذَرْتُ
ولعله كان يرمي في نظمه إلى الغناء، لاسيما في غزله الذي يتصف بجمال الموسيقى ولطافة

المعنى، مثل قوله(١٩٣):

الناس بأسرهم له عشاقُ
والكونُ إلى طلعتِه مُشتاقُ
من أية طينة تُرى طينتهُ
ما أحسنه تبارك الخلاقُ

ومن ناحية المعنى أو المضمون، يعد التغزل بالأتراك، وبالاعين التركية الضيقة(١٩٤) من الموضوعات الجديدة في شعر الأمانة، فهذا ابن الظهير، قلبه مقيم على الجمر بسبب وقوعه في شباك غرير من الأتراك(١٩٥): (من الطويل)

غَرِيرٌ مِنَ الأتراكِ زنجيِّ خاله
كقلبي مُقيمٌ مِنْ هواهُ على جمرِ
إذا أزورَّ سخطاً أو تلفت راضياً
أَماتَ وأحيا بالقُطوبِ وبالبشرِ
وإنَّ سَلَّ سيفُ اللحظِ أو هز عطفه
فيا حَجَلَةَ البيضِ القواضيبِ و السحرِ
من ذلك أيضاً قول بهاء الدين الإربلي(١٩٦)(١٩٧): (من السريع)
ظَبِيٌّ مِنَ التُّركِ له قامَةٌ
يُزري تشنيتها بسحر الرِّماحِ
عَارِضه أس وفي خدِّه
وَرْدٌ نضيرٌ والثنايا أقاحُ

وللنشابي حكاية غرام مع محبوب تركي، فيها محاوراة جرت بينهما بعد أن رشف رضابه وقد تشبه بالأعراب، أد قال(١٩٨): (من الطويل)

يَقولُ وَقَدْ قبلتُهُ ورشفتُهُ
أراك أبحثُ الخمرَ و الخمرُ في فمي
فقلتُ طبختُ الخمرَ حين لثمتُهُ
بأنفاسي وجدي فهو غيرُ مُحرمِ
ولما رأى بالتُّركِ هتكِي ورامَ أن
يُكتمُ منه بَهْجَةً لم تَكتمِ

تشبّه بالأعراب عند التئامه الثامه
بعارضه ياطيب لثم المُلثم
فما زادني الأ قولونم لي
إلى الناس عذّر بالعدّار المنهم

ويكثر الحارجي في التغزل بالأترار وبالعيون التركيبة الضيقة^(١٩٩) أما بقية معاني الغزل فقد التقطها الشعراء من البيئة المحيطة بهم، منها معان سياسية^(٢٠٠) ومنها أيضاً معان حربية، ومن المعاني الحربية قول أبي الخير النحوى الإربلي^(٢٠١): (من الخفيف)

هَلْ لَطَعَنَ الْقَنَا ووقع الحديد
مثلُ فعلِ العيونِ في المعمودِ
أمُ لشربِ الطّلا ونيلِ الأمانِ
مثلُ رَشَفِ اللَّمي ولثمِ الخدودِ

وأفاد الشعراء من الثقافة الدينية^(٢٠٢) وقصص القرآن^(٢٠٣) والثقافة التاريخية^(٢٠٤) وكذلك أفادوا من علمي النحو و الصرف^(٢٠٥) ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الفن، وجود ظاهرة بارزة، وهي كثرة عودة الضمير إلى المذكر، والتي يرى بعض الدارسين أنها "دلائل تدل على أن الأغلب يراد به المذكر الحقيقي"^(٢٠٦) وذهب غيره إلى " أن كثيرا من الشعراء قد أستعملوا ضمائر المذكر مع أنهم في الواقع كانوا يوجّهون شعرهم إلى معشوقات لا إلى معشوقين"^(٢٠٧)

وقد شاع هذا اللون من الغزل بين رجال السياسة و العلماء والفضلاء^(٢٠٨) ولهذا عدّ من باب تقليد من سبق أو الظرافة^(٢٠٩) أو تعبيراً عن واقع اجتماعي حقيقي^(٢١٠) وهكذا تباينت الأراء فيه، فيراه البعض مظهرا حضاريا مألوفاً^(٢١١) وأن " الشعر لا يروي ولا يقبل عليه الناس الا إذا كان مشتملاً على شيء من هذا الغرض"^(٢١٢) أو قد يكون من آثار العنصر الفارسي^(٢١٣) ونحن من جانبنا نميل إلى أن قسما من هذا الشعر، عبّر عن الواقع الاجتماعي للشاعر، لأنه ثبت أن بعض الشعراء نظموا فيه عن تجارب واقعية، أو ذات ظلال واقعية، ولا نستبعد وجوده في أمارة إربل، ولا يمكن لأحد أن ينفيه، لأننا وجدنا الشاعر العزّ الاربلي الضريريتهم شخصاً يدعى ابن أبي زهران بأنه يدعو الناس اليه ويرغبهم فيه^(٢١٤): (من المتقارب)

وقال السلامُ على من زنى
ولاطَ وقاد لإخوانه

فَرَدُوا جَمِيعاً عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَكُلٌّ يَتَرَجَّمُ عَنْ شَأْنِهِ
وَقَالَ يَجُوزُ التَّدَاوِي بِهِ
وَكُلُّ عَلَيْكَ بِأَشْجَانِهِ

ولا يمكن عدّ هذا اللون من الموضوعات الجديدة، وقد ظهر في القرن الثاني الهجري^(٢١٥) وشاع في العصر البويهي^(٢١٦) وعرفه المجتمع العراقي في العصر السلجوقي^(٢١٧) وظلّ تعاطيه مستمرا إلى عصر هذه الأمانة.

ومن دواعي هذا اللون من الغزل في مجتمع إربل، كثرة الغلمان الأفرنج الذين أسرتهم جيوش إربل خلال معاركها المستمرة في بلاد الشام، "وأصبح هؤلاء بملاحظتهم موضع قربي من الناس، حتى أن الأمراء والسلاطين، بل الفقهاء والعلماء لم يردعهم الدين والتقية عن أن يصطحبوا الغلمان الصباح الوجوه في مجالسهم، ولم يروا عيباً أو بأساً في أن يختص أحد هم بواحد أو اثنين منهم لمرافقته في خلواته يستعملهم لطعامه ووضوئه"^(٢١٨) فضلاً عن ذلك، فإن معظم رجال الحرب كرهوا الزواج بسبب الحروب الصليبية التي لم تكن تخمد نارها، ومنعتهم من الاستقرار وتكوين الأسر.

وتصدى كثير من الكتّاب لهذه العادة، منهم ابن قيم الجوزية الذي أعلن على عشاق الغلمان حرباً في كتابه "أغاثة اللفهان في مصاديد الشيطان"^(٢١٩) وقد أستنكر أمير إربل هذه العادة، وحاربها بالقاء الكثيرين منهم في السجن^(٢٢٠) ويبدو أنه كان هناك لونان من هذا الغزل في إربل، الأول في مقدمات قصائد المدح، ولاسيما في مقدمات النشابي الذي له فضلاً عن ذلك مقطوعات مستقلة قليلة في الغزل، ولعه بهذا يكون أقل الشعراء غزلاً، وغزله يختلط بموضوعاته الأخرى، كالشكوى والعتاب والحكمة وصف الخمر وصف الطبيعة، وهو في غزله بوجه عام يُعنى بالصفات الحسية.

فالمقدمات التي تغزل فيها بالذكر قليلة، وغزله لا يصدر عن تجربة شعورية ومن أمثلة ذلك قوله^(٢٢١) (من المنسرح)

سَلَّنِي فَمَا فِي السُّؤَالِ مِنْ بَأْسِ
عَنْ عَزَمِ صَبْرِي فِي الْحُبِّ أَوْ بَأْسِي
خُلِّقْتُ جَلْدًا عَلَى الْغَرَامِ وَكَمْ
قَاسَيْتُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ قَاسِي

ويلمح من ظاهر شعر النشابي، أنه يتغزل بالذكر والمؤنث معاً، بل قد يفوق غزله بالذكر

غزله بالمؤنث - أحيانا - وأن الشاعر يصف الذكر ويتغزل به وكأنه أنثى لامتياز بين الغزلين، سوى أن الشاعر في بعض قصائده يشير صراحة إلى المذكر بذكره العذار، وبهذا يقطع الشك باليقين كما في قوله^(٢٢٢): (من الكامل)

سَرَدَ العَذَارَ مُزْرَدًا مِن خَدِّه

لأَمَّا فَأَصْبَحَ لَأَمِّهِ مِن لَأَمِّهِ

ويشير في بعض غزله إلى أن العذار قد أينع في خد غلامه كالأس في قوله^(٢٢٣): (من الرمل)

وكان الخال في الخدِّ وقد

أينع الأسُّ به إذ عَـذَرا

وقوله أيضاً^(٢٢٤): (من الكامل)

ياذا الجمالِ وما الجمالُ بمحصلِ

أَنْ كَانَ فَعَلَكُ فِيهِ غَيْرَ جَمِيلِ

لك كعبَةٌ في الخدِّ أضحى خالها

حجراً فهلاً جُدَّتْ بالتقبيلِ

أما الشعاران الحاجري وأبن الظهير الإربلي، فلم يتطرقا إلى الغزل بالمذكر في مقدمتي القصيدتين المدحيتين الوحيدتين في ديوانيهما^(٢٢٥) بل تطرقا إليه في قصائد ومقطوعات كثيرة مستقلة سوف نتناولها بالدراسة لاحقاً.

واللون الآخر من الغزل بالمذكر يأتي في القصائد و المقطوعات المستقلة، وقد أفرغ الإربليون معظم غزلهم في هذه المقطوعات، ونكاد نجزم بأن ديوان الحاجري ما هو إلا مقطوعات شعرية مستقلة، نعني بالمقطوعات ما يتألف من ثلاثين بيتاً فما دون^(٢٢٦).

وقد مال الحاجري إلى هذا الاتجاه بسبب مراعاته لذوق العصر، وطبيعة موضوعاته الشعرية، فشعره - في الغالب - غزلي، ولذلك عرض له الدكتور شوقي ضيف فعده من أبرز شعراء الغزل في العراق أبان الحقبة الأخيرة من عمر الدولة العباسية^(٢٢٧) وقد أمتلك الحاجري مقدرة فذة في التعبير عن مشاعره الذاتية وطاقة مبدعة في تصوير مظاهر الجمال، وبطريقة بديعة، عرفت بـ " الطريقة الغرامية" وفي غزله بالمذكر يصف جمال محبوبه، وحركاته والتفاتاته، نحو قوله^(٢٢٨): (من الكامل)

كَذَبَ الَّذِي ظَنَّ المَلاحَةَ كُلَّها

في يوسفٍ كَمُ مِنْ جَمالِكَ يوسفُ

أَتَكْلِفُ الإِعْرَاضَ عَنكَ مَخَافَةَ آلِ

وَأَشِيءُ إِلَى كَمِّ جُهْدٍ مَا أَتَكْلِفُ

فالمصادر لم تشر إلى شغفه بالغلمان، لذا جاء غزله أَرْضَاءَ للذوق العام، ولزيادة ترغيب الناس بالاقبال على فنه.

ومن المقطوعات الغزلية المستقلة لشعراء إربل، نختار إبياتا للعرّ الأربلي الضرير الذي بث شكواه إلى الحبيب الذي أصم أذنيه، وكأنه لا يسمعه بعد أن وقع أسير هواه لايزول عنه، كما في قوله^(٢٢٩): (من الطويل)

تَدَلَّلْتُ لِمَوْ أَنَّ التَّـذَلُّلَ يَنْفَعُ

وَأَفْرَطْتُ فِي الشُّكْوَى لَوْ أَنَّكَ تَسْمَعُ

وَأَمْسَى خَضُوعِي لِلْحَبِيبِ شَجِيئِي

وَسَلُّ نَافِعِي لِلْحَبِّ أَنِّي أَخْضَعُ

هذا وقد وصلتنا أشعار في الغزل بالملحوظ لشعراء لم يكن لهم ولع أو ميل إلى الغلمان، ونحسب أن هذا الغزل يدخل ضمن باب تقليد من سبق، أو التظرف ونذكر على سبيل المثال الشاعر ابن الظهير الأربلي الذي قال^(٢٣٠): (من الكامل)

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مَعْجَزَ حُسْنِهِ

تَبَيَّنَتْ لَهُ صِفَةُ الْكَمَالِ مُحَرِّفَا

فَيَبْنُونَ حَاجِبَهُ وَنُورَ جَبِينِهِ

وَيَنْمُلُ عَارِضَهُ رَأْيُ الزُّخْرُفَا

ولا غرابة في أن أكثر الذين رويت لهم أشعار في الغزل بالملحوظ من علماء الأمانة وكبار السياسة فيها، ومنهم الوزير ابن المستوفي الذي تعلقته يده بعدار غلامه وخده، تارة يجنى وتارة يقبل، ثم خالطت زفراته بأنفاسه، لما ضمهما الليل، كم جاء في قوله^(٢٣١): (من الكامل)

عَلَقْتُ يَدِي بِعَدَارَةٍ وَبِخَدِّهِ

هَذَا أَقْبَلُهُ وَذَا أَجْنِيهِ

لَوْ لَمْ تَخَالِطْ زَفَرَتِي أَنْفَاسَهُ

كَانَتْ تَنْمُ بِنَا إِلَى وَاشِيهِ

حَسَدَ الصَّبَاحِ اللَّيْلِ لَمَّا ضَمَّنَا

غِيظًا فَفَرَّقَ بَيْنَنَا دَاعِيهِ

ومن غزل العلماء قول ابن خلكان الذي اشتاق إلى رؤية غلامه ذي القامة التي أقامت
قيامته، فقال^(٢٣٢): (من مجزؤ الخفيف)

أنا واللّه هالكُ
أيس من سلامتي
أورى القامة التي
قُد أقامت قيامتي

ولا بن خلكان مقطوعات جيدة في هذا اللون، وفي المقطوعة الآتية نراه يقسم بالوجه النير،
وبالطرّ البارزة السوداء. والقامة الفارهة، فيطلب من غلامه أن يطفى حرقته، ويشفي غلته، قبل
أن يفتضح أمره^(٢٣٣): (من الكامل)

قَسَمًا بوجهك وهو بدر طالعُ
وبليل طرّك التي كالغيب
بقامة لك كالقضيبي ركبت في
أخطارها في الحب أعظم مركب
فارحم فديتك حرقه قد قاربت
كشفت القناع بحق نياك النبيّ
لا تفضحن محبك الصب الذي
جرّته في الحب أكدر مشرب

ويلحظ أن ظاهرة الغزل بالذكر ليست من أبداعات العلماء الأربليين، بل كانت معروفة قبل
هذه الحقبة، وقد سبق الحديث عنها.

وقد أوع الشعراء بذكر "العذار" وهو أول ما ينبت من خد الغلام، إذ تباروا في ذكره في
غزلهم، وفي هذا الصدد قال الحاجري^(٢٣٤): (من السريع)

عُذراً فقلبي ما عليه اعتذارُ
إن بات مفتوناً بذاك العذارُ

ولدى انعام النظر في هذا الغزل، نجد أن بعض الشعراء تناولوا فيه معاني ظريفة، ولحات
ظريفة ونذكر على سبيل المثال هذه الأبيات للشاعر البحراني الملقب موفق الدين الأربلي^(٢٣٥)

في غلام اسمه السهم وقد التحى^(٢٣٦): (من مخلص البسيط)

قالوا أَلتحي السَّهْمُ قَلْتُ حَصْنُ
حَشَاكَ فَالآنَ لا يَطِيشُ
فالسَّهْمُ لا يَنْفِذُ الرمايا
إِلا إِذا كانَ فِيه ريشُ

وأخيراً ونحن نختم دراسة هذا الفن نقول، أن بعض الإربليين لم يكفوا عن الغزل بالمذكر حتى بعد أن أدركوا الشيخوخة، فهذا بهاء الدين الأربلي يهيم شوقاً - وقد جاوز الثمانين - بغلام يفوق الظباء في جمال جیده، والقمر المنير في حسنه، فيقول^(٢٣٧): (من الطويل)

وَلولا مَعانِ فِيكِ أوجِبِ صَبوتِي
لَمَّا كُنْتُ من بَعْدِ الثمانينِ مَغرَما
كَلَفْتُ بساجي الطرفِ أحوى مَهفَهفِ
يَميسُ فينسيكِ القُضيبَ المنعما
يَفوقُ الظبا والغصنَ طرفاً وقامَةً
وبدرِ الدجي والبرقِ وجهاً ومبسما

ومما يلفت النظر في شعر الإربليين، ندرة شعر المجون و العبت الذي يصاحب - في أكثر الأحيان - الغزل بالمذكر، وقد يعود السبب في هذا إلى استقرار الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الأمانة، وإلى عدم إنحراف الشعراء في توجهاتهم الفنية، وعدم خروجهم عن حدود الآداب و الذوق.

المديح:

يعد المديح من أبرز الفنون الشعرية، وقد أزهت هذا الفن الشعري في العصرين الإسلامي والأموي أزهارة كبيرة بسبب المقومات والمعاني والاتجاهات الجديدة التي برزت على الساحة الأدبية، ظلّ ينمو باطراد في عهد بني العباس حتى أصبح الشاعر العباسي بلبلا في القصر، يغرد بفضائل الممدوح، ويتغنى بعظمته وجاهه وسعة سلطانه، وأتخذ الملوك نديما لهم، ويطلبون لقلوبه ويخلعون عليه ويخصونه بالمال^(٢٣٨) وهكذا كان المديح دائم الحضور على مسرح الشعر في مختلف العصور، ولا نغالي إذا قلنا مع من قال: "هو الأصل وسائر الفنون الشعرية هي الفروع"^(٢٣٩)

ولا نظن أن ثمة من يختلف في أن المديح الذي كان قمة ما يطمح اليه الشعراء في ما سبق من العصور قد فقد في شعر هذه الحقبة كثيراً من مميزاتة الفنية الأولى لعدم اكتراث

الشعراء الفحول به، ومع ذلك فقد ظلّ المديح متصلاً بتصوير الأعمال الباهرة، وتمجيد الأصدقاء و الفضلاء و العلماء، لا من أجل التكسب وإنما التزاماً بالوفاء و التعبير عن مشاعر الود. (٢٤٠)

قبل التمعن في دراسة هذا الفن لابد من الإشارة إلى أن معظم ما خلفه شعراء القرنين السادس و السابع الهجريين ما يزال مخطوطاً، وأن بعضه مفقود، وأن كل ما نستشهد به مدون في بعض الدواوين المحققة أو في كتب التراجم العامة.

فالأمر الذي يلفت الأنتباه كثرة عدد شعراء العصر العباسي الثاني بحيث يصعب على الدارس أن يحصيهم عدداً، وذلك لأنهم - فضلاً عن كونهم شعراء - كانوا في الوقت نفسه علماء، ومحدثين، وقضاة، أصحاب مهن فقد كان فيهم الوراق، و النشاب، والأمير، و الوزير. (٢٤١)

وقد تميزت هذه الحقبة بوفرة شعر المديح، ويعزا ذلك إلى اهتمام الخلفاء و الأمراء بالشعر و الشعراء فغزارة الأموال في يد الخلفاء و الولاة ووفرة عطاياهم وقلة الأموال في يد سواهم جعلت الفنون الجميلة ومنها الشعر لا تزدهر إلا في أحضانهم" (٢٤٢) وفي أربل كان الوزير ابن المستوفي في مقدمة المهتمين بالشعراء، بحيث جعل من منزله منتدى أدبياً ليس لشعراء أربل وحدهم، وإنما للوافدين عليها أيضاً لذا خصه الشعراء بقصائد رائعة.

ولم يكن المديح في هذه الامارة مقتصرأ على المشهورين من الشعراء، أمثال النشابى، والحاجري، وأبن الظهير، والعزّ الإربلي، والبحراني، وغيرهم، بل في أدب الأمانة شعر في المديح نظمها الوزراء (٢٤٣)، والأمراء (٢٤٤) والعلماء.

ويبدو أنه كان لابن خلكان باع طويل، ومقدرة جيدة على النظم، وهو من العلماء البارزين في أربل، وكان يصف ممدوحه بأنه في جوده وكرمه يفوق الملوك الأوائل كما في مدحه للملك الكامل ناصرالدين (٢٤٥)

إذ يقول (٢٤٦): (من الطويل)

اليك ابن أيوب سَمْتُ بِي هَمَّةُ
هَدَاها ضِيَاءٌ مِنْ جَبِينِكَ ظَاهِرُ
وَمَا أُثْبِتَ الْأَخْبَارَ فِي الْجُودِ كُلِّها
لدى الناسِ الْإِجْودَكَ متواترُ
ولولاك ما كُنَّا نَحققُ أَنه
يفوقُ الملوكَ الأولينَ الأواخرُ

فما قدر وسعي أن أتيتك ناصراً

بنظمٍ ولو أن الكلامَ جواهرٌ

ويشترك معه من العلماء في النظم في المديح الفقيه أبو الفضل الحيزاني^(٢٤٧) في مدحه الوزير ابن المستوفي - الذي كان جميل مزايه يدور على كل لسان وقد كان مغيث كل ملهوف - بقوله^(٢٤٨): (من الطويل)

أيا شرف الدين الذي قام في الورى

على كل عودٍ من ثناهُ خطيبٌ

ترى أي ملهوفٍ دعاكَ ولم تثبُ

لدعواه من دون الأنام تُجيبُ

ولا نظن أن المديح أنحصر في الخلفاء والوزراء فحسب، بل وجدنا مديحا نظم في العلماء^(٢٤٩) وفي الكتب، فقد أثنى ابن الظهير الاربلي على كتاب "الجزولية"^(٢٥٠) ووصف مؤلفه بأنه كالبحر يقذف الدر والياقوت، وهو وحيد زمانه في شرح النحو، فقال^(٢٥١): (من الطويل)

مقدمة في النحوذات نتيجة

تناهت فأغنت عن مقدمة أخرى

حبانا بها بحر من العلم زاخر

ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا

وأوضحها بالشرح صدر زمانه

ولم نر شرحاً غيره يشرح الصدرا

ونجد أيضاً مديحا للعشيرة، فقد مجد بطولاتهم، ورفع من شأنهم بقوله^(٢٥٢): (من الكامل)

أبني فزارة كيف دلّ فتاكم

ويراكم أسداً له وأساودا

ومقامكم واهاً له من معهد

ي بقى له أمد الحياة معاهدا

ونلقى مديحا نظم في مدينة إربل التي هي نعم الدار عند ابن منعة بن مالك الإربلي الداعي لها بالرخاء بقوله^(٢٥٣)^(٢٥٤): (من الكامل)

ياربّع إربل أنت نعم الدار

دُم عامراً تنحى بك الأعمار

ويشيد بها أيضا ابن الحداد (ت ٦٢٦ هـ) (٢٥٥) بعد وروده اليها، ورؤية معالمها، ومشاهدة حياة أبنائها وسلوكهم الطيب، قائلاً (٢٥٦): (من البسيط)

حُيِّيتِ إِرْبِلُ مِنْ دَارٍ وَمِنْ وَطَنِ
وَلَا تَعْدَاكَ صَوْبُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ
وَطَابَ مِنْكَ نَسِيمُ الرِّيحِ فِي السَّحْرِ أَلِ
أَعْلَى لِأَنَّكَ مَأْوَى الْإِلْفِ وَالسَّكَنِ

ولكي تكتمل صورة شعر المديح نعرج قليلا على ذكر بعض سماته فمن الناحية الشكلية نجد المقدمات الطلية تنصدر معظم هذه القصائد، ولا سيما مانظم منها في مدح الخلفاء والوزراء، ويلجأ الشعراء فيها إلى استخدام لغة واضحة، ويلاحظ أن البعض منهم أهمل هذه المقدمة، وأستهل قصيدته بالمدح مباشرة.

وعند النظر في ديوان النشابى، نقف على إحدى وخمسين قصيدة في مدح الخليفة المستنصر بالله (٢٥٧) والوزير أحمد بن الناقد (٢٥٨) وقد أهمل صاحبها المقدمة الطلية في عشرين قصيدة من تلك القصائد، ومنها هذه القصيدة التي قال في مطلعها (٢٥٩): (من الوافر)

صَلَاةُ اللَّهِ تَشْفَعُ بِالسَّلَامِ
عَلَى مَنْ دَارَهُ دَارُ السَّلَامِ
عَلَى خَيْرِ الْخَلَائِقِ مِنْ قُرَيْشٍ
إِمَامِ الْعَصْرِ نَبِيِّ الْمَنِّ الْجَسَامِ

وقد أجهد الشاعر نفسه في بعض هذه القصائد ليساوى بين أبيات المقدمة مع أبياته في المديح (٢٦٠) وفي بعضها الآخر أختصر المقدمة في ثلاثة أبيات، كما في قوله (٢٦١): (من الخفيف)

كُلُّ يَوْمٍ تُمَلِّي سَطُورَ التَّهَانِي
فَتَمَلَأُ بِهَا صُدُورَ الْأَمَانِي
أَشْرَقَ الدِّينُ بِأَسْمِ الثَّغْرِ بِالْبُشَى
رَى لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ
وَتَجَلَّى الْإِسْلَامُ فِي الشَّرَفِ الْأَعْلَى
بِ مَنِ الْفَخْرِ مُؤَذِّنًا بِالْأَمَانِ

ومن طريف شعر النشابى في هذا الباب أنه عمد إلى إطالة مقدمة إحدى قصائده، ولم

ينظم في ممدوحه الأ واحداً، حَظَه قلمه المتعب بعد أن نَفَدَتْ لديه الأداة، وهو قوله^(٢٦٢): (من البسيط)

لَوْ كَانَ يُفْصَحُ عَنْ قَوْلِ أَبَانَ لَنَا

مَدَحَ الْخَلِيفَةَ مَكْتُوباً عَلَى الْوَرَقِ

وقد نهج ابن الظهير سبيل زميله، في مدحه لابن الصلايا^(٢٦٣) مبتدأً قصيدته بوصف رحلته الشاقة صوب ديار الممدوح، وحين يلتقيه تخونه قريحته الشعرية، وتستنفد كلماته، فلا توجد عليه الأ بيت يتيم في مدحه، وهو قوله^(٢٦٤): (من الخفيف)

وَأَجْتَلِينَا وَجَهَ النَّهَارَ كَوَجْهِ آلِ

صَاحِبِ الصِّدْرِ مَرْتَجِي مَأْمُولَا

وفي هذا الميدان، يبدو الحاجري حريصاً على الموازنة والتكافؤ بين المقدمة وما يخص الممدوح في قصيدته المدحية الوحيدة، وخاصة في مدحه للأمير أحمد بن قرطاي في القصيدة التي مطلعها^(٢٦٥): (من الكامل)

مَا لِلدَّمُوعِ تَسِيلُ سَيْلُ سَيْلِ الْوَادِي

أَحَدًا بَرَكْبِ الْعَامِرِيَّةِ حَادِي

إذن لم يكن لدى شعراء إربل قاعدة ثابتة متبعة في بناء هيكل أو شكل المقدمة، فالنشابي جرب السبل جميعها، فهو يهملها^(٢٦٦) أو يختصرها^(٢٦٧) أو يسوى بينها وبين أبيات المديح، أو يطيلها، أما ابن الظهير فهو يطيلها كما رأينا، وأما الحاجري فقد ذهب إلى الموازنة والتسوية، وأما الآخرون فلكل منهم مذهبه الخاص في ذلك.

وهكذا فليس بمقدرونا الوقوف على قاعدة مطردة في كيفية إستهلال الشعراء لقصائدهم، فالنماذج المذكورة أنفاً، تمثل اتجاهات ونزعات شعراء إربل في بناء شكل القصيدة المدحية.

إما السمة الأخرى من سمات شكل القصيدة، فهي مراعاة ذوق العصر في أطالة المديح، ويعد النشابي من أبرز شعراء الإمارة في هذا الميدان، وقد سلك طرقاً متعددة في أطالة مدائحه، منها الوصف^(٢٦٨) والغزال^(٢٦٩) والتهنئة^(٢٧٠) وذكر الديار الحجازية^(٢٧١) فضلاً عن ذكر الكواكب الخمسة^(٢٧٢). والنيرين، ومنازل القمر، من ذلك قوله^(٢٧٣): (من الخفيف)

وَعَلَى كُلِّ كَوْكَبٍ مِنْكَ وَصْفٌ

كَلَّ عَنْ وَصْفِهِ لِسَانٌ وَجُودٌ

فَلَكَيْوَانٍ مِنْ عُلَاكَ مَكَانٌ

جَعَلْتَهُ فِي رَفْعَةٍ وَصُعُودٌ

ولك المشتري بياغُ وقد أُصد
بح يُدعى بجدِ المجدودِ
وأستعار المريخ سيفك لما آح
مرّ والأحمرار أوفى الشهودِ

كما ضُمن إحدى قصائده ألقاب الخلفاء العباسيين جميعهم - توجيهها وتورية - وهذا ما سنفصل القول فيه في موضوع الدراسات الفنية.

وللوصول بقصيدة المديح إلى تحقيق هذه الغاية، أستند كل من الشعراء الآخرين إلى ذوقه الخاص، فابن الظهير لجأ إلى الوصف^(٢٧٤) والحاجري إطال غزله بديار الحبيبة المزعومة^(٢٧٥) وأنتهج آخرون هذه السبل جميعها، وهلمّ جراً، ومهما يكن من الأمر فقد قال ابن رشيق القيرواني "إن طريق العرب القدماء في كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت، وأشكّل بأهله^(٢٧٦) ومن سمات المديح الأخرى، أجتراح شعراء الامارة لمعاني مديح الشعراء من السلف، وتكرار صورهم وأفكارهم، وهو المنهج الصريح الذي أنتهجه - في الغالب - شعراء القرن السادس و السابع الهجريين، فلم يطرأ تغيير يذكر على مدح الخلفاء، فالجميع من بيت النبوة، فالخليفة ورث الخلافة، وهو أحق الناس بهذا الإرث المقدس يتناقله أفراد الأسرة الحاكمة، نحو قول النشابي^(٢٧٧): (من الكامل)

تُروى الخلافةُ فيه عن آباءه
بأصحّ إسنادٍ وعن أعمامه
فلهُ بميراثِ النبوةِ حجةُ
تقضي لهُ بقيامه ومقامه

فالحقيقة الثابتة التي نريد بيانها هي أن الشعراء القدامى في القرنين الثالث و الرابع الهجريين تناولوا المعاني فطوروها، وأضافوا إليها من تجاربهم وقبضوا على زمام اللغة، وحافظوا على مكانتها، وقوة أسلوبها، والقاء نظرة على دواوين تلك الحقبة^(٢٧٨) يكفي للوقوف على ذلك، وأما شعراء أماراة إربل ومعهم شعراء العصر، فقد ظلّوا يرددون المعاني القديمة نفسها ويكررونها باستمرار. وهذا أبو الربيع الأربلي^(٢٧٩) يثني على ممدوحه الوزير ابن المستوفي ويصف شجاعته وأقدامه وبسالته وكرمه - وهي من المعاني التقليدية المكررة - بقوله^(٢٨٠): (من الطويل)

جوادُ جرى في حلّبه السيفِ والندى
وفاضتُ على كُّل الأنامِ مواهبهُ

هُوَ الْغَيْثُ يَرُوي كُلَّ صَادٍ عَلَى الثَّرَى

هُوَ الْبَحْرُ حَدَّثَ مَا أَرْتَكُ عَجَائِبَهُ

ويلحظ أن الشاعر أبى هبة الله الكفر عزى الإربلي (٢٨١) يكيل لممدوحه عبارات المديح و الاطراء التقليديا، ويشبّهه بالشمس التي تزيل الظلام، وبهلال الأرض، وبالبحر في الجود، بقوله (٢٨٢): (من الطويل)

أضَاعَتْ بِكَ الْأَيَّامَ بَعْدَ ظَلَامِهَا

وَعَادَ سُرُورُ الْخَلْقِ بَعْدَ ذَهَابِهِ

فَأَنْتَ هَالِلُ الْأَرْضِ يَا خَيْرَ مَالِكٍ

وَبَحْرٍ نَدَى طَامٍ بِفَيْضِ عُبَابِهِ

ولم يقف الشعراء عند هذا الحد، بل أعادوا بذكرتهم إلى أيام ما قبل الإسلام، لا استنباط المعاني التي تدل على السماحة و العطاء و الكرم، من ذلك قول محمد بن مكارم بن أبي العلاء (٢٨٣): (من المنسرح)

الْفَاضِلُ الْمُنْعَمُ السَّمُوحُ وَمَنْ

عَطَاءٌ مَعْنٍ فِي جُودِهِ وَشَلٌّ (٢٨٤)

وَالْأَرِيحِيُّ الَّذِي مَكَارِمُهُ

يَفْرُقُ مِنْهُنَّ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

ومن المفيد في هذا المجال التطرق إلى بعض عيوب المديح عند شعراء إربل، ومن أهمها، الحاح فئة من الشعراء في استدرار أكف الممدوحين، حتى أن القارئ ليظن أن هؤلاء الشعراء قد فقدوا كرامتهم، وعزة أنفسهم، وهذا أبو محمد الأربلي (٢٨٥) يتواضع للوزير أبى المستوفي، وينعت نفسه بعده الأصغر، ويطلب منه معونه، بقوله (٢٨٦): (من الخفيف)

عَبْدُكَ الْأَصْغَرُ الْمُحِبُّ يَنَادِي

كَ وَقَدْ هَزَّهُ الْحَيَاءُ أَرْتِياعاً

وَهُوَ يَرْجُو مِنْكَ الْإِحَالَةَ يَا أَط

وَلَ مَنْ مَدَّ فِي الْبَرِيَّةِ بَاعاً

ويطلب أبى الظهير من الوزير نفسه (تخفيفاً) (٢٨٧) وبالصيغة نفسها بقوله (٢٨٨): (من السريع)

عَبْدُكَ لِأَشَى عَلَى رَأْسِهِ

هَامَتُهُ فِي الْحُكْمِ مَكشُوفَةً

وَهُوَ عَلَى كَثْرَةِ تَنْقِيلِهِ
يَرْجُو مِنَ الْأَنْعَامِ تَخْفِيفَهُ

ويبدو استجداء شيطان الشام بيّناً في أثناء مدحه للأمير أحمد بن قرطايا^(٢٨٩): (من الكامل)

أَحْسِنِ إِلَيَّ فَإِنِّي لَكَا فِرُّ
حُسْنَ الصَّنِيعِ وَ سَاعَةَ الْإِحْسَانِ
وَأَمْدُدْ إِلَيَّ يَدًا أَوْمَلْ مَدَّهَا
نَحْوِي تَكْفٍ يَدِي عَنِ الْإِخْوَانِ

وتصل نعمة الاستجداء عند النشابي أعلى مداها في مخاطبته للخليفة المستنصر بالله، بقوله^(٢٩٠): (من الخفيف)

أَنْتَ أَحْيَيْتَنِي بِجُودِكَ حَتَّى
خَلْتُ أَنْ النِّوَالَ مِنْكَ نَشُورُ

والواقع أن هذا الاستجداء لم يكن بدعا عند فئة من شعراء الإمارة الذين سلكوا هذا السبيل في المدح الذي كانوا "يفتحون أعينهم عليه، ويغضونها عليه، ويقفون عبقرياتهم على صناعته ويعتبرونه باب الرزق الأوحى وسبيل الغنم"^(٢٩١) وقد حصل هذا - حسب ظننا - لهذه الفئة التي جعلت من الشعر بابا للتكسب ليس الأ، بل هذا الأمر وجد صداه عند الشعراء السالفين أيضاً. وثمة عيوب أخرى يلاحظها الباحث في شعر الأربليين، ألا وهي المبالغة في صفات الممدوحين، إذ لم يلتفت الشعراء إلى وازع من دين أو فن، وفي هذا الصدد يقول أبو الفرج الأصفهاني: "كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء، فلا ينكر ذلك ولا يردده"^(٢٩٢) وهكذا السكوت من قبل الخليفة شجع الشعراء على التعمق فيه، وأدى ذلك إلى إثارة غضب الرشيد في إحدى المرات حين مدحه شاعر، قال فيه^(٢٩٣): (من الكامل)

* فَكَأَنَّهُ بَعْدَ الرَّسُولِ رَسُولٌ *

وظلت هذه المبالغات تنتقل على لسان فئة من الشعراء، إلى عصر الأمانة، ونحن نرى بالتمعن في شعر المديح، أن النشابي من أبرز الشعراء في هذا المجال، خصوصا حين أقترنت مغالاته بالتوجه السياسي، فضلا عن نزعة الشاعر التكسيبية الطافية، ومن ذلك قوله في مدح الخليفة المستنصر بالله^(٢٩٤): (من الرجز)

وَأَرِثْ سِرَّ الْوَحْيِ إِرْثًا ظَاهِرًا
بِحَقِّهِ مِنْ ذَلِكَ السِّرِّ الْخَفِيِّ

ويمضي الشاعر في مغالاته، حتى تذهب به الظنون بعيداً، ويرى الخليفة وأرث الدين كله، و
الايمان، ومكة، و الحج، و الا حلال، والاحرام، في قوله^(٢٩٥): (من الكامل)
والرُّكْنُ وَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَمَكَّةَ

وَالْحَجَّ وَالْإِحْلَالَ وَ الْإِحْرَامَا

وتذهب به المبالغة إلى أن يجعله في مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله^(٢٩٦): (من
الكامل)

وَعَلَيْكُمْ نَزَلَ الْكِتَابُ وَفُصِّلَتْ

آيَاتُهُ بِحَقُوقِكُمْ وَحَقِيقِهَا

ولم يتوقف الشاعر في مدحه عند هذا الحد، بل عدّه أماما للانبيااء جميعهم، تتلى عليه
الكتب السماوية، كما جاء في قوله^(٢٩٧): (من الخفيف)

وَعَلَيْهِ تَتْلَى الْأَنْجِيلُ وَالتَّوْر

أة فِيهَا صَحَائِفُ وَ الزَّبُورُ

وهكذا تسوقه الأوهام نحو الأكاذيب الفارغة، فهو لو ادعى الوحي لصدقه الناس، طالماً
أنبأهم بالأمور الغيبية^(٢٩٨) وهو المحي والمميت^(٢٩٩) وأخيراً نجده يناجيه مناجاة العبد
لربه^(٣٠٠) أن هذا إلا سترسال في مدح الخليفة - بلاشك - يشتمل على شيء كثير من
التخيالات الوهمية، وقد يظن الشاعر أنه إذا أطنب وأفرط فيه رضى المدوح، ويكسب جائزته.
ومهما يكن من شيء، فإن بعض الدراسين يرى أن ارتياح هؤلاء الخلفاء والأمراء لما يقال
فيهم يدل على "أن سلطانهم واهن ضعيف لا يزيد على مجموعة من الاكاذيب يطلقها شاعر
مداح في ساعة طمع"^(٣٠١)

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على النشابي وحده بل وجدنا شعراء آخرين في الأمانة سلخوا
هذا المسلك في التقرب إلى الخلفاء والأمراء، منهم شيطان الشام الذي مدح بدرالدين بن
عبدالله صاحب الموصل^(٣٠٢)، وأدعى أن بيده الحياة والأجل، بقوله^(٣٠٣): (من المتقارب)

وَأَشْتاقُ نَادِيكَ يَا مَنْ إِلَيْهِ

تُشَدُّ الرِّحَالُ وَتَحْلُو الرِّحْلُ

أَعْيِذُكَ بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِ ذَا

وَمَنْكَ الْحَيَاةُ لَنَا وَالْأَجْلُ

وقد يجمع الشعراء معاني طريفة في المدح، مثل قول طه بن أبراهيم الهذباني^(٣٠٤) وكان
في دكة لبستان دار الوزير أبين المستوفي، فجاء الغيث متواليا فقام الوزير مسرعا مع رفاقه،

ودخلوا الدار (٣٠٥): (من الطويل)

دخولٌ لإقبال الشتاءِ مباركُ
عليك ابنَ موهوبٍ إلى آخر الدهرِ
تفرّ من القطرِ الملمِّ عشيّةً
ولم نربحراً قطّ فر من القطرِ

وأخيراً ننقل هذه الصورة الطريفة في المديح، رسمها أبو الربيع الأربلي، بقوله (٣٠٦): (من الكامل)

يا أيها المولى الوزير وما جدُ
في كفه البيضاءِ خمسةُ أبحرٍ
ورضيعُ درِ المكرماتِ ومن لهُ
جوّد كمنهلّ السحابِ الممطرِ

فالشاعر جعل اليد رمزا للعطاء والكرم وجعل كل أصبع منها رمزا مستقلاً قاصداً بذلك الكثرة، إلى جانب السحاب الذي تكمن فيه صفة الجود، وهذا أمر مجازي بأعتبار ما كان.

الهجاء:

يعد هذا الفن من الموضوعات الشعرية التي توضح بعض مناحي الحياة، وهو يلقي الضوء على الحالة النفسية للأفراد و الجماعات، ويكشف عما ساد الحياة السياسية و الاجتماعية من مظاهر التجديد و التأخر، وهنا تكمن أهميته في أطار الدراسات الأدبية (٣٠٧) والهجاء في حقيقته تهذيب لكل وجه سلبي في المجتمع، سواء ما أتصل بحياة الفرد أو الجماعة (٣٠٨) وهو يقابل المديح في شيوعه وانتشاره.

ويبدو أن شعر الهجاء معظمه، أقتصر على أبيات مستقلة معدودة لا تشفي الغليل، وأغلب الظن أن هناك مؤثرات في الأمانة قللت من شأن هذا الفن منها مؤثرات سياسية، فالأمير مظفر الدين كوكبري لم يكن يسمح بالهجو والقذف للالتزامه بقيم الدين الحنيف، فقد نقل صاحب العمدة في هذا الصدد حديثاً للرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو قوله: "من قال في الاسلام هجاء مقذعاً فلسانه هدر" (٣٠٩) ومنها أيضاً طبيعة الحياة الاجتماعية في أربل (٣١٠) كما لا ينسى بالطبع أن مؤرخي الأدب نقلوا لنا من الشعر ما هو نافع ومفيد.

وعند القاء نظرة فاحصة إلى هذا الفن الشعري الذي شاع في هذه الحقبة نجد تعدد أصناف المهجويين، والأمر الذي يلفت الانتباه عند الأربليين أن معظم أهاجيهم أنصب على

شريحة أو فئة معينة في مجتمع أربيل، وهي طبقة موظفي الدولة، وفي مقدمتهم أمير البلاد مظفر الدين كوكبري الذي لم ينجُ من الهجاء أيضاً، وهذا ياقوت الحموي الذي زار أربيل مرتين، يهجو الأمير ويصور أعماله الخيرية وصدقاته من مال جمعه بأساليب غير شرعية، ويتمثل لذلك بهذا البيت^(٣١١): (من الطويل)

كساعية للخير من كَسِبَ فرجها

لَكَ الويلُ لاتزني ولا تتصدقني

فراه يشبهه بالمرأة التي تتعاطى البغاء، وتصرف ما تجنيه من ذلك الفعل على الأمور الخيرية.

وفي إمكاننا أن نعد النشابي رائد الهجائين في الأمارة، وقد تميّز هجائه بطابع ذاتي، والاتجاه الغالب فيه هو النقد السياسي والاجتماعي المتسم - غالباً - بنبل الغاية. وقد وجه النشابي مجمل نقده إلى الرؤساء وكبار موظفي الدولة و السياسيين من الذين احتلوا مناصب عليا في الدولة بلا أستحقاق أو كفاية.

ومع هذا التوجه ذي السمة الإيجابية في هذا الفن الشعري عدّه أبين الشعار الموصلية شاعراً بذى اللسان، وقال عنه: "وكان شاعراً بذى اللسان مقداما على الهجو والسب، ذا أهاج سخيفة وذم فاحش، كثير التعرض بأرباب الدولة و أصحاب المناصب، قلّ أن سلم أحد من رؤساء أربيل وأمثالها من لسانه، لأنه سلك طريقة أبي الحسن علي بن بسام^(٣١٢) في هجاء الأشراف والاكابر وتمزيق أعراضهم"^(٣١٣) ونحن من جانبنا نستغرب آراء أبين الشعار إذ نعت شاعرنا بكلّ هذه الصفات التي لا يستحقها لمجرد هجائه أرباب الدولة والأكابر، فلا عتب عليه في هذا، فأكابر الرجال أولى بالهجاء من غيرهم حين يتقاعسون في قيادة المجتمع، ويبثون الرعب و الفساد، ويجدر بالذكر هنا أن هذا الأمر يعد دليلا على أن أمير أربيل قد منح الحرية التامة للشعراء في نقد الأوضاع السلبية السائدة في أمارته، والأمثلة على ذلك كثيرة سوف نأتي عليها لاحقاً. ونحسب أن أبين الشعار أراد بهذا الكلام أرضاء خصوم الشاعر للتقليل من تأثير هجائه فيهم ونظن بأنه أدعى ذلك بايعاز من هؤلاء الذين أقلقهم الشاعر وهزّ مضاجعهم، وكشف عن عيوبهم أمام أنظار الناس.

ومن جميل نقده السياسي والاجتماعي تنبؤه بسقوط بغداد، وقد أنذر رجال الدولة قبل سقوطها بيد المغول بمدة وجيزة، في قصيدة مطلعها^(٣١٤)

يا سائلي ولمحض الحق يرتادُ

أصغ فعندي نُشْدانٌ وإنشادُ

وأسمعُ فعندي روايات تحقّقها

درايةٌ وأحاديثٌ وأسنادٌ

وكشف عن الأوضاع المضطربة للبلاد، والسلوك المنحرف لرجالها، وقد أنتقد الوزير، وحاجب الباب، ومشرف الديوان، وشيخ الاسلام صدر الدين بقوله (٣١٥)

أما الوزيرُ فمشغولٌ بعنبره

والعارضانِ ففساجٌ ومَدادٌ

وحاجبُ البابِ طوراً شاربٌ ثملٌ

وتارةٌ هوَ جنكيٌ وعَوادٌ

ومُشرفُ الدستِ مُغرىٌ باللواطِ لهُ

في كلِّ ناحيةٍ علقٌ وقوَادٌ

وشيخُ الإسلامِ صدرُ الدينِ همتهُ

مَقصورةٌ لحطامِ المالِ يصطادُ

وفي هذه الأبيات نقل النشابي صورة حيّة ناطقة بما وصلت إليه الحياة السياسية، والاجتماعية والاقتصادية.

وقد سخر النشابي من موظفي الأمانة، وحمل عليهم بسبب سوء أدارتهم في هجاء يتسم بطابع التندر و السخرية من الوزير الجديد المعين بعد أقصائه، فقال (٣١٦)

فرحنا وقلنا تولى الوزيرُ

وأفلحَ ديواننا بالوزارهُ

فما زادنا غيرَ جاويشهِ

وفي كُتبتنا كُتبتْ بالإشارهُ

ويلاحظ في هجائه للموظف تصويره له، على أنه غير كفاء للمنصب الذي يتولاه ويقوم هجاؤه - أحياناً - على ثلب المهجو والانتقاص منه وأظهار معايبه، وقد هجا المدعو المختص أبو الحسن مشرف الديوان المعين بعد حبس سلفه المدعو يعقوب بن أسماعيل النصراني، بقوله (٣١٧): (من الطويل)

فرحنا ببيعقوب اللعين وحبسهِ

وَقُلنا أَتانا ما يطيبُ بهِ القلبُ

ولمَّا ولي المختص فالكل واحدٌ

إذا مامضى كلبٌ أتى بعدهُ كلبٌ

أما الشاعر أبْن الظهير فأنه لم يكن يستسيغ هذا الفن أو بالأحرى لم يكن يجيده، وفي ديوانه بيت يتيم في هجاء القاضي أبْن خلكان وأبْنه موسى إذ لم تكن علاقته بأبْن خلكان حسنة، ولعل هذا الأمر هو الذي حمل الأخير على عدم ترجمة له في كتابه الذائع الصيت "وفيات الأعيان".

قال أبْن الظهير في هجائه^(٣١٨): (من السريع)

وكيف يؤتى رُشدُه حاكمُ

حكم في لحيته موسى

ومن طريف هجاء الموظفين، هجاء النشابي للوزير أبْن المستوفي الذي تردد ذكره على لسان الشعراء جميعهم ووصفوه بأنه راعي الثقافة والأدب، وأن منزله قبلة الشعراء ومأواهم، بقوله^(٣١٩): (من المجتث)

إنَّ المَبَاركَ فِيهِ

تَوَقَّفُ وَلِجَاجِهِ

صَدِيقُهُ أَنْتَ مَالِمٌ

تَعْرِضُ إِلَيْهِ بِحَاجِهِ

ونحن من جانبنا نظن أن هذا الهجاء بعيد عن الحقيقة وجاء لسبب ما نجهله، وفي هذا اللون من الهجاء، يتنفس أبو عبد الله الأربلي^(٣٢٠) عن حنقة واحتته على علي بن النفيس^(٣٢١) ويصب عليه غضبه، ويلبسه رداء الخزي والعار بقوله: (من الخفيف)

قَدْ كَرِهْتُ الْوَلَاءَ لِمَا تَسْمَى

بِعَلِيٍّ هَذَا الْوَضِيعُ الرَّذِيلُ

إِنْ يَوْمًا يَكُونُ فِيهِ رَفِيعًا

عِنْدَ هَذَا الْوَرَى لِيَوْمٍ ثَقِيلُ

ويفا جننا الشاعر أبو عمرو الرصاصي^(٣٢٢) بقصيدة طويلة بديعة في هجاء رؤساء أربل من أصحاب الديوان و المقدمين، مزق فيها اعراضهم، وقد شاعت عنه، وأنتشر ذكرها على كل لسان، فولى بسببها هاربا خائفا.

قال في مطع قصيدته^(٣٢٣): (من السريع)

يَارُؤَسَاءَ النَّاسِ مِنْ إِرْبَلِ

مَا أَغْرَبَ الْحُرَّ بِنَادِيكُمْ

حرام مَنْ جاعكُمْ سائلاً

واخيبة المسعى لراجيكم

وقد جاءت هذه القصيدة في وقت كان الاتجاه السائد في فن الهجاء إعتقاد الشعراء في الامارة على مقطوعات قصيرة جداً أو أبيات معدودة، ويبدو أن الشاعر أراد الانتقام من الجميع وخصهم بهذه القصيدة الطويلة.

وثمة اتجاه آخر في فن الهجاء وهو الهجاء الشخصي الذي يقوم على الانتقاص من قيمة المهجو وأظهار معاييه وهذا ما ينسجم مع هدف الهجاء الذي هو " الحط من قدر المهجو في غالب الأحيان، وكذلك بأن يجعله الشاعر ضحكة للسامع وتفكها للناس فيصوره بصورة مزرية"^(٣٢٤) فيجاء هذا الهجاء معتدلاً لا تعدو معانيه المعايب الخلقية كالبلخ والمكر والغدر والخيانة والخبث واللؤم .

وقد نظم الحاجري في هذا اللون معظم هجائه، وأتهم في أحد أهاجيه الشاعر مجد الدين النشابى بالبلخ، فقال^(٣٢٥): (من المقارب)

وذ والمجد ليس له لُقمة

يُقَدَّم يوماً لزواره

أما أغلب هجائه الشخصي فيدور حول شخص يلقبه بـ "زبالة" ويظهر أنه كان أحد المقربين من الأمير ركن الدين بن قرطايا، ولعله هو الشخص نفسه الذي لعب دوراً رئيساً في الواقعة بين الشاعر وهذا الأمير.

والحاجري يجمع في فنه بين هجائه لهذا الشخص ومدحه للأمير، بقوله^(٣٢٦): (من الطويل)

ألا قل لركن الدين ذي الفضل والحجا

مقالة غير ان عليه إذا زلاً

زبالة لا بأساً لديه ولا ندى

بنيل ولا رأياً سديداً ولا أصلاً

أعيذك أن يعلو بساطك أسود

من المجد لم يجمع لمكرمة شملاً

ويدخل أهاجي الياس بن جامع الاربلي^(٣٢٧) ضمن هذا الاتجاه حين نراه يهجو شخصاً

يدعى كمالاً، بقوله^(٣٢٨): (من البسيط)

قالوا الكمالُ يزيدني فقلت لهم

لاتأمنوه وكونوا منه في حذر

أضحى بسؤ أعتقاد من الوصي وفي
أبناءه النجباء السادة الزهر
أعمى الفؤاد وأعمى العين إذن
على القياسين أعمى القلب والبصر

وقد ذكر الشاعر مساوئه التي تتمثل في سؤ أخلاقه، وقلة أدبه، ونعته بالجاهل الأعمى.
ومن أصناف الهجاء، الهجاء الخلقى، وفيه يحاول الشاعر سلب المهجو بعض الصفات
الانسانية، ويقدم نماذج بشرية مصابة بعاهة اجتماعية، نذكر على سبيل المثال أبا الربيع
الاربلي، يهجو الشيخ شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري^(٣٢٩) الذي قامر بثيابه وخفافه،
فقال فيه^(٣٣٠): (من الخفيف)

ما رأينا ولا سمعنا بشيخ
قبل هذا مقامر بالخفاف
يدعي نسبة إلى آل شيبا
ن وتلك القبائل الأشراف
مثل نجد لو أستطاعت لقاتل
ليس هذا الدعي من أكنافي
وهم ينكرون ما يدعيه
فهو والقوم دائماً في خلاف

وقد يتجه الشاعر في هجائه إلى الجمع بين الهجاء والاعتذار و المديح فهذا أنو شروان
البغدادي^(٣٣١) الذي ورد أربل هجا أهلها بقوله^(٣٣٢): (من السريع)

تباً لشیطاني وما سولاً
لأنه أنزلني أربلاً
نزلتها في يوم نحس فما
شككت أني نازل كربلا

ثم يعتذر قائلاً:

قد تاب شيطاني وقد قال لي
لاعدت أهجو بعد كم أربلاً

وأخيراً يمدح أحد رؤسائها - وقد يكون الوزير أبن المستوفي أن لم تكن مخطئين، لأنه كان

ممدوح أغلب الشعراء الوافدين على أربل - بقوله:

كَيْفَ وَقَدَّ عَايِنْتُ فِي صَدْرِهَا

صَدْرًا رَئِيسًا سَيِّدًا مَقْبِلًا

وقد يكون الجميع بين الهجاء والتأنيب، كما جاء ذلك في شعر خطيب أربل وقاضيها جعفر بن هبة الله الاربلي الذي دخل يوماً على أحد موظفي الأمانة وكان قد درّسه الأدب و النحو، فلم يهتم به، فجلس متألماً، وقال فيه أرتجالاً مشيراً إليه^(٣٣٣): (من مخرج البسيط)

هَذَا مَقَامِي لَدَيْكَ يَا مَنْ

أَقَامَ دَهْرًا وَرَاءَ بَابِي

أَقْصَى أَمَانِيهِ قُرْبُ إِذْنِ

فِي دَوْلَةِ الْحُسْنِ وَالشُّبَابِ

إِنْ كُنْتَ أَنْسَيْتَ ذَاكَ فَانظُرْ

فِي فَرْدِ بَابٍ مِنَ الْكِتَابِ

فلما سمع الأمير مظفرالدين الخبر أمر بعزل هذا الموظف^(٣٣٤) وهنا قام هذا الفن بتصحيح بعض القيم في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

ويلاحظ أن عدداً من الشعراء وجهوا هجاء هم صوب أصحاب الحرف، ولا سيما الأطباء، فوصفوهم بالجهل في مهنتهم وقد هجا الحاجري الطبيب أبْنِ شَمْعُونِ بقوله^(٣٣٥): (من السريع)

أَفْتَى أَبْنِ شَمْعُونِ جَمِيعَ الْوَرَى

فَلَيْتَ لَوْ يَعْدَمُنَا طِبُّهُ

لَسْتُ أَطِيلُ الشَّرْحَ فِي وَصْفِهِ

لَوْ عَالَجَ الْخَضْرُ قَضَى نَحْبَهُ

وهجا أبْنِ الماشطة الاربلي^(٣٣٦) طبيباً يلقب بـ "معافي" بقوله^(٣٣٧): (من الكامل)

مَنْ شَاءَ يَنْظُرْ فِي الْوَرَى ضِدَّ اسْمِهِ

فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَعَا فِي يَكْتَفِي

طَبِيبٍ إِذَا عَادَ الْمَرِيضَ تَزَايِدَتْ

أَمْرَاضُهُ وَإِذَا تَجَنَّبَهُ شَفِي

وسلك النشابى الاتجاه نفسه في هجائه للطبيب سعد الدين الدمشقي^(٣٣٨) وكان قد عاد من

الحج بقوله^(٣٣٩): (من مخرج البسيط)

حج سعيدُ الطبيبُ عاماً
وهو من الاثم غيرُ ناجي
مأحج الا يتوب مما
قد قتل الناس بالعلاج
لا يقبلُ اللهُ منه حجاً
لأنها حجة المداجي

وثمة نوع آخر من الهجاء في شعر الامارة يعرف بهجاء المدن، وقد عدّه أحد الدارسين المعاصرين أتجاهاً جديداً ظهر في القرن الثاني الهجري^(٣٤٠) وقد أستمر إلى هذه الحقبة التي نحن بصدد دراستها، وهي فترة وجود أمانة أربل.

وأنساق الشعراء بدوافع مختلفة إلى النظم في هذا الفن، وربما ذموا تلك المدن من خلال الطعن في ساكنيها^(٣٤١) وأسباب هذا الهجاء متعددة، وتتخذ أشكالاً مختلفة، منها أن بعض المدن التي كان يسكنها الشاعر ضاقت عليه بما فيها، كأن يعاني من شظف العيش، أو كون المقيمين فيها أناساً لئاماً لا يحسنون معاشرته الآخرين، وهذا ما كان يهدف إليه الشاعر أبو محمد الأربلي الكردي الهذباني في هجائه لأربل وذم أهلها بقوله^(٣٤٢): (من الوافر)

لحاك الله من بلدٍ خبيث
فلسّت تطيبُ الألفريبِ
أربلُ لا سقاكَ اللهُ غيثاً
فقد أقفرت من رجلٍ لبيبِ
أرى الغراء قد ملئت لئاماً
وقد ضاقت على النصح الوهوبِ
فما في مالكيها من معينِ
على صرف الزمان ولا الخُطوبِ
ولا في قاطنيها أريحي
ولا في ساكنيها من طروبِ

ويلاحظ في شعر الإربليين وجود الهجاء السافر الذي نضج على يدي ابن الرومي، وأكتملت صورته في شعر المتنبي^(٣٤٣) فالحاجري رسم صورة سافرة لا بن شيخ أربل الذي اتخذ من الأدعية و الشعوذة وسيلة للضحك على ذقون الناس، فنال منه، وهنا نجد الشاعر يمثل دور

الناقد الاجتماعي مساوئ مجتمعه، فيقول^(٣٤٤): (من الطويل)

فتى الشيخ لا ينفك عن ظهر بغلة
لنقل حديث ما سواه له راوي
بُريك أبتهاجاً في اللقاء تظنه
وإداداً وفعل الغدر في قلبه ثاوي
يلفق في الناس المساوي بخطه
رقاعاً فلا ينفك صباً بها غاوي

ونجد أن ثمة هجاء للأقوام والدول^(٣٤٥): (من البسيط)

بُعداً لقوم غدوا من عظم ما جهلوا
يعلوا النواة بهم فوق النمارير
ودواة ظل أعناق البزاة بها
مجرورةً بمناقير العصافير

وهجاء في حمائم^(٣٤٦): (من الطويل)

لحا لله حماماً أرتني صروفها
بعيني فيها ضد ما أتمناه
أرتني آست من لأقدرة لي بأن أرى
كما كان ما بين الأنام مُحياه

وقد ضمنوا هجاءهم - أحياناً - بعض شعر السلف ومنه قول الحاجري^(٣٤٧): (من الوافر)

زبالة لا لشمر أنت ممن
يرجيه الصديق ولا لخير
لقد صدق الذي قد قال قدما

" فغض الطرف أنك من نمير "

ويبدو من خلال الامثلة الشعرية السابقة أن الشعراء لجؤوا في هجائهم إلى استخدام الأساليب السهلة، واللغة الواضحة وابتعدوا عن الالفاظ الجارحة، وأكتفوا بالأبيات القليلة ليسهل تداولها، وفي قصر الهجاء، قال ابن رشيق:

" جميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود"^(٣٤٨)

الوصف:

يعد الوصف من أشمل الفنون الشعرية، لأنه يتناول الأغراض الشعرية جميعها، وفي هذا الصدد قال ابن رشيق القيرواني: " الشعر الأقله راجع إلى باب الوصف" (٣٤٩) فالمدح يغدو وصفاً للمدح، والهجاء وصفاً للمهجو، والافتخار وصفاً للمفتخر، والرتاء وصفاً للميت وهكذا (٣٥٠) فهو عماد أكثر الألوان الشعرية.

وقد تطور هذا الفن وازد هر في العصر العباسي نتيجة لتطور الحياة الاجتماعية وانتشار المعالم الحضارية، وتعددت جوانبه إلى حد بعيد، وكثر تداوله في شعر الإربليين.

وجاء وصفهم في قصائد ومقطوعات وفي الأغراض المختلفة، وقد جرى الحديث من بعض مظاهر هذا الفن في دراستنا للموضوعات الشعرية الأخرى ضمن هذا الفصل، لذا فإن وصف الطبيعة يقع ضمن أولويات اهتمامنا، وفي هذا الجانب يرى الدكتور شوقي ضيف أن شعر الطبيعة شعر متأخر الظهور بالمقارنة مع أقرانه، فقد نما حين قرب الشعر من التعبير عن الحوادث اليومية، وأصبح أدنى إلى الواقع الحسي (٣٥١) " فقد مر شعراء العصرين الجاهلي والأموي الآف المرات على الأزهار مصفرها ومحمرها دون أن يلاحظوا في ذلك شيئاً سوى جمال منظرها" (٣٥٢) فأصبح التجاوب الوجداني كبيراً بين الشاعر ومظاهر الطبيعة المختلفة (٣٥٣) وفضلاً عن ذلك فإن الشاعر قد زادت صلته الشخصية بالطبيعة فأصبحت تنير في نفسه استجابة ذاتية بعيدة عن النمط التقليدي.

ونحسب أن القسط الأكبر من شعر الوصف في الامارة كان من نظم ابن الظهير الذي كان له فيه خيال خصب، وقدرة فائقة على التصوير، وهو الرائد الأول في هذا الفن. والطبيعة عند الحاجري نديم خلواته، يتمتع النظر بجمالها، والتلذذ باحتساء الخمرة بين أحضانها، فجاء وصفه لها مسترسلاً من غير صنعة، وهو يكثر ضمن شعره الخمرى، ويأتي وصف الطبيعة عند الشبابي من غير قصد كمقدمات لمذائحه، حرصاً منه على التقاليد الشعرية التي تتطلب أن تطعم قصيدة المدح بالفنون الشعرية الأخرى ولا سيما الوصف.

فالربيع ومظاهره الخلابة هو الشيء الوحيد الذي شغل بال ابن الظهير فهو يبهره ويهزه، ويشير عواطفه، فيناجيه بشعر وجداني صادق قلماً نجد نظيراً له عند الآخرين من الشعراء في الامارة، كما في قوله (٣٥٤): (الكامل)

والأرضُ قد لبستُ ملاءةً سندسٍ

تثني على نؤ الغمامِ الباكرِ

نسجتُ لها أيدي السحاب مطارفاً
موشيةً من كل لونٍ باهرٍ
من أحمرٍ باكٍ وأبيضٍ باسمٍ
أو أصفرٍ شاكٍ وأخضرٍ شاكرٍ
قد شق لطم القطر خدَّ شقيقه
وحبت عليه يدُ السحابِ الماطرِ
ويلحظ أن الشاعر - في الغالب- يجمع بين وصف الربيع والدعوة إلى شرب الخمرة في
أحضانها:

فاشربْ على وجه الربيع مدامةً
قد قُلدت في كأسها بجواهرٍ
جليت فنقطها المزاجُ بلؤلؤٍ
متساقطٍ من كأسه متناثرٍ
يُغنيك عن ضوء النهارِ شعاعُها
كالشمسِ في فلكِ السرورِ الدائرِ
ويسلك الحاجري المنهج نفسه في وصف الربيع، في قوله (٣٥٥): (الكامل)
وترنم الأطيّار تحسبُ أنها
أصواتُ شادٍ مُطربِ الألمانِ
وترقرق الماء القراحِ على حصىٍ
كالدُرِّ والياقوتِ والمرجانِ
وينتهي الشاعر بوصفه شرب الخمرة وأرتشاف لذتها مع ندمائه:
اللَّهُ أكبرُ ما ألدُ لشاربٍ
زمنِ الربيعِ وصحبةِ الإخوانِ
أأبيتُ من رشفِ المدامةِ عاطلاً
لا والصبحِ أليّةِ الندمانِ

والشاعران في وصفيهما متأثران بمظاهر الربيع وشرب الخمرة في كنفه، وهذا ما يثير
الانتباه لا اختلاف في نمط حياة الشعاعين، فالحاجري رجل تهمة الدنيا وما فيها من متعة

ولذة، وهو يعبر عن حياته بصدق، أما الآخر فهو المشهور بالتقوى والتزهد عن حطام الدنيا الفانية، وعلى أي حال فقد يكون الاتجاه السائر في تلك الحقبة هو الجمع بين وصف الربيع ومعاقرة الخمرة في أحضانه.

وقد أستأثر الربيع بأهتمام الحاجري، وفي بعض قصائده تبدو ظاهرة التجسيد بيئة في ثنايا أبياته حين يشبه أزهار الربيع المختلفة بأشياء لطيفة تثير الإعجاب، كما في قوله^(٣٥٦):
(المجتث).

لا والربيعِ النضيرِ
وَزَهْرِهِ الْمُسْتَنِيرِ
من نرجسٍ وأقاحِ
كأعْيُنٍ وثغورِ
وياسمينِ كلون الـ
مُتَّيْمِ المهجورِ
وسوسنِ كنجومِ
أشرقنَ في ديجورِ

وقد أمتلك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس و الشعور والخيال حين شبه صورة النرجس بوجه حسناء باسمه، وصور لون الياسمين بلون العاشق الولهان، وزهرة السوسن بنجوم تتلألأ في الليلة الظلماء وهذه ملكة عالية تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً ومن لطافته حيناً آخر^(٣٥٧) ويظهر أن عدداً من شعراء اربل تأثروا في وصفهم للربيع بشعراء آخرين أبدعوا في هذا الفن، و فاقوا فيه غيرهم، منهم الشاعر بهاء الدين علي الاربلي في قوله^(٣٥٨): (من الكامل)

والطلُّ ينثرُ في الرياضِ دُموعهُ
والزهرُ يضحكُ في خلالِ بكائه
وتخالُ أنفاسُ النسيمِ عليه
عَجَباً وتشفي الصب من برحائه
وقد تأثر بيتي البحتری المشهور^(٣٥٩): (من الطويل)

أتاكَ الربيعُ الطلقُ يخالُ ضاحكاً
من الحُسنِ حتى كادَ أن يتكلماً

وعند النظر في فن الوصف عند النشابي نراه قد برع وتميَّز فيه بذكر المشاهد البدوية،
مقلداً شعراء السلف في صورة حسيّة مركبة نابضة بالحركة والخيال، بنحو قوله (٣٦٠):
(الكامل)

نِعَمَ الحِداةُ وحثّ كاساتِ السُرَى
جَعَلَ المطايا كالحنايا ضُمراً
نشوى يرنحها السهادُ كأنما
قد أسكرتُ أجفانها خمراً الكرى
لَمَّا أَنْبَرْتُ والبر يقذف بحره
أَلَّا يرى أنضاءها جذبَ البرى
خَضِبْتُ مناسمها الثرى فكأنما
خذلتُ على البيداء جسراً أحمرأ

ومن الوان الوصف الشائعة في الامارة، وصف المدن، وقد كان قصب السبق فيه بيد ابن
الظهير، فهو من المبرزين المجيدين فيه، والمناظر الخلابة في الطبيعة الساحرة في قصيدة
طويلة تربو على مائة بيت مطلعها (٣٦١): (طويل)

لعلّ سنا برق الحمى يتألقُ
على النأي أو طيفاً لأسماءٍ يطرقُ
فلا نارها تبدو لمرتقبٍ ولا
و عودُ الأمانى الكواذب تصدقُ

ويبدو على النشابي تعلقه الشديد بوصف الديار، فقد أثارت نكبة مدينة أربل في نفسه
مشاعر وأحاسيس شتى، فخاطب دمن أربل وبكى عصباً أذ طوى أمنيات شبابه المتنعم
بقوله (٣٦٢): (طويل)

ديارلها بالجزع فالمتقلم
أخاطبُ منها دمنةً لم تكلم
عُنيتُ بها دهرأ أجرراً دونها
ذُيولَ شبابِ الناعم المتنعم

ثم مضى يصف ربي أربل الخصبة التي جادت عليها السحب فامتألت غدرانها، وطابت
مراعيها، وترنمت طيورها فرحا:

مواطنٌ كانت قبلَ وقعةِ أربلٍ
تتأفرُّ فيها الغيدُ من كلِّ مجثمٍ
فأمستُ خلاً أنْ أناختِ بربعها
ركابٌ ففي مستوبيلٍ متوخمٍ
سقى إربل الغراء صوبُ غمامةٍ
لعلَّ ثراه بعدَما جفَّ يرتمي

وقد أكثر الشعراء وصف أربل في مقطوعات عديدة^(٣٦٣) وهذا عمر بن شماس الخزرجي^(٣٦٤) يصف " النيلوفر"^(٣٦٥) بالبركة التي كانت بالقناة المهدمة بظاهر أربل، ولم يكن بستان أجمل من بستانها بقوله^(٣٦٦): (من الطويل)

ونيلوفرٍ مثل النجوم ببركةٍ
كلون السماء وهي من خصر عذبٍ
يميلُ مع الشمس المنيرة مثلما
تميلُ عيونُ العاشقين مع الحبِّ

وثمة أشياء أخرى وصفها الأربليون منها الطيف، وقد خصه معظم الشعراء بأبيات بديعة، وأغلب الظن في هؤلاء أنه كان يتعذر لقاءهم مع محبوباتهم بسبب الظرف الاجتماعي الخاص لأربل، مما يضطرهم إلى تصورها في مخيلتهم، فيتحدثون عن ذلك الطيف الذي كثيراً ما كان يزورهم ليلاً وكأنه المعشوقة الحقيقية.

فالجميع أسهموا في وصفه حتى دفع أحدهم لتأليف كتاب فيه^(٣٦٧) وهذا ابن الظهير يتحدث عن طيف العاشق الذي يأتيه وهو نائم فيقول^(٣٦٨): (مجزؤ الكامل المرفل).

أتظنُّ أنك عـاشقٌ
وتبيتُ في المحبوبِ حالماً
الطيف أعـشقُ منك إذ
إذ يسري إليك وأنت نائم

وللطيف معنى طريف عند الحاجري إذ عدّه ذا أخلاق مرنة لا يعرف القسوة على العشاق وأنما يظل نديمهم إلى الصباح أو الفجر في قوله^(٣٧٠): (دو بيت)

ما طيفك إلا حُسنُ الأخلاقِ
لا يعرفُ قسوةً على العشاقِ

إن أجد فضله من أنكرني

كم بات منادمي إلى الإشراق

وأحب الأربليون الجمال، وشغفوا بوصف فتنته، فقد وصل حب الشعراء للجمال حداً حل القلب فيه عند البعض محل العين في تقديره والأحاساس التام به فأصبح ضريرهم عاشقاً حين صور العز الأربلي محبوبته في الضمير بقوله^(٣٧١): (من السريع)

وكاعب قالت لاترابها

يا قوم ما أعجب هذا الضير

هل تعشق العينان ما لا ترى

فقلت والدمع بعيني غزير

إن كان طرفي لا يرى شخصها

فإنها قد صورت في الضمير

ويبدو أنه أفاد في ذلك من قول بشار بن برد الذي كان سمعه سبياً لعشقه دون بصره كما

قال^(٣٧٢): (من البسيط)

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة

والاذن تعشق قبل العين أحياناً

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم

الأذن كالعين توفي القلب ماكانا

وأولع أمين الدين الاربلي^(٣٧٣) بالجمال، أنى وجد، الجمال الذي لا يوجد فيه ريبة مادام الله

سبحانه قد أعتنى به، صورته أحسن تصوير، وقد عبر عن ذلك بقوله^(٣٧٤): (من الخفيف)

قبل تهوى الجمال قلت لهم ما

فيه عيب إن لم يكن فيه ريبه

كيف لا أعتني بمن يعتني الله

له به إن ذي عقول عجيبه

وقد أستأثر الخال بأهتمام الشعراء، وذهبوا في وصفه مذاهب شتى، وخاصة الحاجري

الذي نظم فيه أبياتاً عديدة، مثل قوله^(٣٧٥): (من مجزؤ الخفيف)

لك خال من فوق عر

ش شقيق قد أستوى

بَعَثَ الصَّدْعُ مَرَسَلًا

يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْهَوَى

وهنا وصف الخال الذي فوق جبين محبوبه، وكأنه حسناء جالسة فوق العرش تسبي قلوب الناظرين، ووصف أيضاً الخال الذي في خده بقوله^(٣٧٦): (من الكامل)

ومهفهف من شعره وجبينه

يغدو الورى في ظلمة وضياء

لاتنكروا الخال الذي في خده

كل الشقيق بنكتة سوداء

وفي المعنى نفسه قال ابن الظهير^(٣٧٧): (من مجزؤ الرجز)

وفي الشقيق نكتة

تبدو لعين المبصر

كأنها خال على

صَفْحَةَ خَدِّ أَحْمَرٍ

وعند استقراء شعر الوصف نقف على أنماط مختلفة منه كوصف الطعامة^(٣٧٨) ووصف البرق^(٣٧٩)، وكذلك وصف الشيب الذي قال فيه أبو يعقوب الكفرعزي الأربلي^(٣٨٠) دداعيا إلى مراجعة النفس و التعقل بعد أن ذهبت نضارة الشباب وأقبل الشيب يغزو^(٣٨١): (من البسيط)

ياراكباً في بحار الظلم ملتحفاً

في الشباب وقد غمت غيا هبه

أفعالك السود سبق الشباب بها

وأبيض فودك فافعل ما يناسبه

إن النضارة قد ولت تطايرها

وأقبل الشيب تغزونا كتائبه

ويذهب ابو الربيع الأربلي في وصفه للشيب مذهباً آخر يرد فيه على المتشائمين الذين يرون في الشيب نذيراً للموت، وهو مذهب المتفائل بالحياة فيقول^(٣٨٢): (من البسيط)

قالوا المشيب نذير الموت قلت لهم

كم من صغير قضى نحباً وما شابا

وكم رأينا فتى السن قد علق

به شعوب وشيخاً عاش أحقابا

ووصف الشعراء أيضاً، العيون التركية الضيقة^(٣٨٣)، الحديث^(٣٨٤) والمدارس، ووصف
النشابي المدرسة المستنصرية التي أمر بأعمارها الخليفة المستنصر بالله بالجانب الشرقي من
بغداد على شاطئ دجلة بقوله^(٣٨٥): (من الخفيف)

عَمَّرَ اللَّهُ بَيْتَ عِلْمٍ بِبَغْدَا
دَ مَشِيداً وَجَنَّةً وَقَصُورَا
جَنَّةٌ مَا تَرَى لَضُوءِ سَنَاهَا
حَيْثُ مَالَتْ شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيرَا

ووصفوا الشباب، كما جاء على لسان صفي الدين منصور الاربلي^(٣٨٦): (من الكامل)

أَشْتَاقُ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَحَسَنَ مَا
فَعَلْتُ وَحَقٌّ لِمَثَلِهَا يُشْتَاقُ
رُدُّوْا عَلَيَّ مِنَ الشَّبَابِ بِقَدْرِ مَا
كَسَدَ الْمَشِيبُ فَلِلشَّبَابِ نِفَاقُ

و الملاحظ أن الشعراء قد توسعوا في وصف الطبيعة الجامدة منها الورد^(٣٨٧) والعود
^(٣٨٨) فضلاً عن الأمور المعنوية كالليل^(٣٨٩). وقد وصف أبو العباس الاربلي^(٣٩٠) ساعة،
بقوله^(٣٩١): (من الخفيف)

قِيلَ لِي أَيِّ حِكْمَةٍ فِي سَمَاعِ الطُّ
طَبِلِ ظُهْرًا وَعِنْدَ وَقْتِ الْأَصِيلِ
قَلْتُ سَاعَاتِنَا تَخْبِرُنَا
نَحْنُ سُفْرٌ وَالطَّبِلُ طَبِلُ الرَّحِيلِ

ووصف شيطان الشام دواليب رآها على شاطئ دجلة، قائلاً^(٣٩٢): (من الكامل)

رَأَيْتُ بِشَاطِي دَجَلَةَ لَا عِدْمَتَهَا
دَوَالِبَ مِنْهَا الْمَاءُ كَالسَّيْلِ يَدْعُجُ
لِرَأْدِ الضَّحَى مِنْ فِضَّةٍ فِي مَتُونِهَا
رِدَاءٌ وَمَنْ وَشِيَ الْأَصَائِلَ زَبْرُجُ
إِذَا أَنْسَابَ مِنْ كِيزَانِهَا الْمَاءُ خَلَّتْهُ
عَوَامِيدَ بَلُورٍ مِنَ الْقَارِ تَخْرُجُ

ونختم كلامنا على هذا الفن في الحقبة بأبيات في الوصف لياقوت الحموي^(٣٩٣) الذي زار اربيل وقد وصف كتابه^(٣٩٤) بطلب من الوزير ابن المستوفي بعد أن قرأ عليه جزءاً من مقدمته مع اعترافه بقلّة بضاعته في الشعر، وركاكة نظمه ونشره، بقوله^(٣٩٥): (من الطويل)

فَكَمْ قَدْ حَوَى مِنْ فَضْلِ قَوْلِ مُخْبِرٍ
وَمَنْ نَفَرُ مِصْقَاعٍ وَمَنْ نَظَمَ ذِي فَهْمٍ
وَمِنْ خَبَرِ حُلُوِّ ظَرِيفٍ جَمَعَتْهُ
على قدم الأيام للعرب والعجم
ولو أنني أنصفتُهُ في محبتي
لجلدتهُ جلدي وصندقتَه عظمي
عَزِيزِ عَلِي فَضْلِي بَأَنْ لَا أُضِيعَهُ
على بذله للطائفين على العلم
ولو أنني أسطيعُ مِنْ فَرَطٍ حَبِيهِ
لما زالَ مِنْ كَفِيٍّ وَلَا غَابَ عَنْ كُمِّيٍّ

الخمريات:

يمثل شعر الخمريات موضوعاً تقليدياً من موضوعات الشعر مثل المديح والهجاء والثناء، اذ لا بد لكل شاعر ان يدلي بدلوه فيه كي يثبت شاعريته في ميدان الأدب. وقد شاع في هذه الحقبة من حكم الامارة، موقف من الحياة على انها قصيرة وعابرة، وهو يمثل "فلسفة تمتد جذورها إلى عصرابي نواس. وكان اربابها يعتقدون ان الحياة قصيرة المدى، فيجب ان لا يضيعها الانسان سدى، وانما علينا ان نذهب منها كؤوس اللذات"^(٣٩٦) واستناداً إلى هذا الكلام فإن هذا الفن يعد تجسيدا للجانب العايب واللاهي من حياة الناس. ويعد الحاجري في مقدمة الشعراء الذين عبروا عن هذا الموقف بواقعية ملموسة، واستند في وصفه للخمرة إلى مبدأ اقتناص اللذة، فالعمر قصير وان طال، فهو ليس اكثر من لمعة سراب، فقال^(٣٩٧): (من الخفيف).

فاذا امكنتك فرصة لهوٍ
فاقتدحُ مِنْ زنادها بشهاب
وتغنم صفو الزمان قان الـ
عمر إن طال لمعة مِنْ سرابٍ

وبشاطره النشابي في الموقف نفسه، بقوله^(٣٩٨): (من البسيط)

يا راقداً من زمان اللذة انتبه
فالوقتُ سمحٌ وهذا العيشُ أنتَ بهُ

والحقيقة ان هناك عوامل عديدة تؤدي إلى شيوع شعر الخمرة منها عوامل اقتصادية واجتماعية وأخلاقية، ونحن نرى فقدان هذه العوامل في حياة هذه الامارة الهادئة، فالجميع ينعمون في ظل أميرها العادل مظفر الدين كوكبرى، ولا شيء يدعو إلى تعكير صفو الحياة ويثير القلق واليأس في النفوس لكي ينصرف بعضهم إلى شرب الخمرة والتهافت عليها.

وهكذا يدرك دارس هذا الفن أن الذي نظم فيه ما هو الأ تقليد لايمثل الواقع باستثناء بعض مقطوعات الحاجري الذي يعد رائد هذا الفن في مجتمع اربل، فعشقه للخمرة لاحدود له، وهي منتهى طلبه، وغاية مراده، وهو القائل^(٣٩٩): (من الدوبيت)

ما أطيبَ ماأبيتُ سكران طريحُ
لا أفرقُ ما بين جميلٍ وقبيحُ
والديكُ إلى الصبح يدعو ويصيح
مافاز بما يأملهُ قط شحيحُ

ثم أليس هو القائل ايضاً^(٤٠٠): (من الدوبيت)

من شاء له السؤالُ عن أخباري
فليسأل عني حانة الخمارِ
كأسُ بيدِ الساقِي وكأسُ بيدي
والعودُ منادي إلى الأسحارِ

والملاحظ ان شعر الخمرة قليل في الامارة، فالنشابي يمرّبه مروراً سريعاً، ويمزجه بوصفه للطبيعة. كما في قوله^(٤٠١): (من الخفيف)

نبه الظبي من كناسِ النعاسِ
ان داعي الصبوحِ قد حث كاسي
أوما تنظر الثريا وقد ولـ
ت إلى السغربِ رخوة الأمراسِ
ولقوصِ السماءِ من بندقِ الشهرِ
ب مرامُ والبدرُ كالبرجاسِ

أما الحاجري فإن شعره الخمرى يمتزج مع غزله حتى ليصعب فصلهما أحياناً، ومنه قوله (٤٠٢): (الكامل)

قسماً بمرشفه الشهيّ السكري

فبغير خمرة ريقه لم أسكر

ويجمع ابن الظهير شعره الخمرى مع وصف الطبيعة في أبيات معدودة قليلة وأحياناً نجده يمزجه بشعره الغزلي، مثل قوله (٤٠٣): (الطويل)

حوى الغاية القصوى من الحُسن وجهه

وها أنا في وجدي به الغاية القصوى

وفضلة كأسى أسكرت كلّ عاشقٍ

فكيف بهم لو أنهم شربوا الصفوا

ويبدو أنه هناك شبه أجماع شعراء هذه الحقبة على السير في اتجاه واحد وهو الدعوة إلى معاقرة الخمرة في احضان طبيعة اربل الساحرة ولاسيما في أيام الربيع، فهذه دعوة ابن الظهير الاربلي المعبر عنها بقوله (٤٠٤): (الكامل)

فأشرب على وجه الربيع مداماً

قد قلدت في كأسها بجواهر

ويمثل دعوة الحاجري قوله (٤٠٥): (الكامل)

اللّه اكبر ما ألد لشاربٍ

زمن الربيع وصحبة الإخوان

وقد نحا الشعراء الآخرون هذا المنحى نفسه، فهذا ابو العزّ الاربلي الضرير يطلب من نديمه أن يسقيه حتى يسكر، ويغني له حتى يطرب، فأن ذلك عنده خير من تسبيحات النساك (٤٠٦): (من البسيط)

قُم يانديم إلى الإبريق والقَدَح

هات الثلاثة وسل ما ثبت واقترح

وغنّ إن غادرتني الكأس مطرحاً

وأنت يا صاح صاح غير مُطرح

إنني لافهم في الاوتار ترجمه

ما ليس تفهمه النساك في السبح

وكذلك يدعو ابو الربيع الاربلي نديمه إلى الشرب، وطرح الهموم لأن الجو طاب بمجيء
أيلول، والكأس المترعة تحاكي الشمس في بريقها، بقوله^(٤٠٧): (من البسيط)

إشربُ فشريك هذا اليوم تحليلُ

وانف الهموم فقد وافاك أيلولُ

أما ترى الشمس وسط الكأس طالعةً

مُنيرةً ونطاقُ البدر محلولُ

وظل الشعراء في الامارة عيالا على ابي نواس في تجسيد معاني الخمرة وصفاتها التي
وردت في شعره الخمرى، فقد وصف النشابى خمرته بالقدم فقال^(٤٠٨): (رجز)

وقهوة شعاعها

كالشمس من تحت الشفقُ

تخبـرنا عن آدم

قديماً ومن خصف الورقُ

والحاجرى ينعثها بالبريق واللمعان في قوله^(٤٠٩): (بسيط)

قُم فانتتهز فرصة اللذات والطربِ

وأشرب معتقةً صفراء كالذهبِ

ولقد أعاد الشعراء هذه الأوصاف والمعاني عشرات المرات^(٤١٠) وظهرنا من خلال دراسة
هذا الفن أن ليس ثمة وصف دقيق للندامى فنصيب الشعراء من هذا الوصف قليل، ولا غرو
أن شعراء تلك الحقبة قد وصفوا نداماهم بأوصاف عديدة من كرم الأصل وحسن الخلق^(٤١١)
وهذا ما لم نلاحظه عند شعراء اربل.

ومع هذا الاهمال لوصف الندامى، بيد أن الشعراء منحوا لوصف السقاة قليلا من
الاهتمام، فهذا ابن الظهير يتسلم كأسه من كف ساقية حسناء، قال فيها^(٤١٢): (مجزؤ الرجز)

من كف معشوق الدلا

ل ذي رضاب يسكرُ

يصونُ زهر الحُسن أنُ

تجنى بغير النظرُ

ومنهم من خرج عن وصف السقاة إلى التغزل بهم، فالحاجري نشد الجمال اياكان
مصدره، وها هو ذا يتغزل بقساة الأديرة من الغلمان، فيقول في غزله بالملوك^(٤١٣): (خفيف)

وغلامٍ حُلُو الشمائل قد الـ
قى على خدّه المدام شعاعه
يتثنى كالخيزرانة بالراً
ح فيحيي بمقلتيه الجماعه
والطريف أن شعراء اربل وهم يسعون إلى العثور على معاني غير مطروقة لم يتورعوا من
أن يفيدوا من المعاني الدينية في هذا الغرض جميعاً لأمرين هما على طرفي نقيص تماماً
ويبدو ان بعضهم لم يضع لقيم الدين أي اعتبار. كما في قول الحاجري^(٤١٤): (خفيف)
يانديمي عرجا بي جميعاً
نشرب الرّاح كالصلاة جماعه
خمرةً لو رأى العزيز بمصر
لونها في الكؤوس أرهن صاعه

ولتحقيق الغاية من دراسة هذا اللون من الشعر، ينبغي ان نوجه بعض الاهتمام إلى
الديارات، ونحن من جانبنا نظن أن هذا النوع من الشعر كان موجوداً، لأن من سماته توفر
ثلاثة عناصر فيه وهي الغزل بالذكر، ووصف الخمرة، ووصف الطبيعة المحيطة بالدير^(٤١٥)
ولعل الحاجري هو الشاعر الوحيد الذي انفرد بزياراته للأديرة لمعاقرة الخمر، ولا سيما
ارتياده لدير باقوقا^(٤١٦) الذي أكثر من ذكره، وتغنى بلياليه ووصف خمرة وأجوائه الالهية،
بقوله^(٤١٧): (المنسرح)

يادير باقوقٍ بالرهابين
بفضلٍ ماجاء في الشّعانين
بكلّ تقديسة ترددها
فيك النصارى على البراشين
بحقّ منّ جاء من جثالقة
اليك تسعى ومن مطارين
بدين عيسى هل عائدُ زمن
مض مقلية ابن شمعون
حيث كؤوس المدام دائرة
والبدر في الافق شبه عرجون

والراحُ في كأسها مشعشعةُ
كالشمس في بهجةٍ وتلوينِ
يُدِيرها أهيفُ شمائلُهُ
بلا أرتيابِ أرقُ من ديني
كالبدرِ في الحُسنِ والغزاةِ في اللح
ظ وغصنِ الأراكِ في اللينِ
ونحنُ في عصابةِ شمامسةٍ
تجري من اللهو في ميادينِ

وعندما ننعم النظر في دراسة هذا الفن نقف على لونين منه، فقد جاء قسم منه في مقدمات قصائد المديح وانفرد النشابي في هذا اللون، مع مروره عليه مرّ الكرام، وفيه يمزج بين خمرياته ووصف الطبيعة، بقوله^(٤١٨): (بسيط)

إذا الرياض سماءً والمجرة كالد
نهر الذي زهره زهرٌ بمسربه
ان فاتك الوقتُ في شهرِ الصيام فخذ
من شهرِ شوالِ ثأراً في تطلبه
ثم يضيف واصفاً خمريته:

واغنم من الورد وقتاً لابقاء له
وفز بأطيب ريان وأعذبه
يُشابهُ الورد راحاً في زجاجتها
فادراً حدودك في اللذات بالشبه
ان أشرف الكأس من كف النديم فلا
تجعل سوى فمك المدني لمغربه

واللون الآخر يأتي - غالباً - في مقطوعات خمرية مستقلة مزجت بالغزل، وقد التفت ابن الظهير إلى هذا الجانب وبرع فيه، من ذلك قوله^(٤١٩): (الكامل)

ومهفهفٍ مذ عاينته مُقلتي
لم يُلِفِ قلبي في هواهُ معرجا

مَنَحَ الأَراكَةَ والغَزَالَةَ والطلا
لِيناً وإِشراقاً وطرفاً أَدعجا
أحوى أباح الكأس منه مُقبلاً
عَذباً وكنت إليه منه أَحوجا
فأعادها سكرى بخمرة ريقه
وأعارها من وجنتيه تَأَجَّبا
وكأنما كأسُ المدام يكفه
شمسُ النهار يقلها بدر الدجى

فالأمر الذي يستدعي الانتباه هو فقدان المقدمات الخمرية المستقلة في شعر الأربليين، فضلاً عن القصيدة الخمرية المستقلة، ونحن من جانبنا نعتقد أن طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية كان لها تأثير واضح في انحسار الخمرات بصورة عامة، وقد أشارت المصادر إلى كثرة المجالس العلمية والأدبية^(٤٢٠) ولم تشر إلى جلسة شرب خمر واحدة، ويتبارى فيها الشعراء في وصف النبيذ، فكل ماقاله الشعراء لا يتعدى مجرد وصف تقليدي له. وبعد فهذا هو الواقع الذي كان فيه شعر الخمرة في أربل، وأغلب الظن أن ما ذهب إليه أحد الدارسين المعاصرين من أن هذا الشعر قد تراجع في هذه الحقبة عما كانت عليه في القرون السابقة صحيح سواء من حيث كثرة النصوص أو تنوعها واتساعها^(٤٢١)

التصوف والزهد والحكمة:

لاشك في أن الأيوبيين اهتموا بحركة التصوف^(٤٢٢) فضلاً عن ذلك فإن الحياة في القرنين السادس والسابع الهجريين تتسم بشيء من التوجه إلى الله سبحانه، والاستسلام للمقادير، والزهد في الدنيا.

والجدير بالذكر أن عدداً من حكام تلك المدة أقاموا لفقراء الصوفية الزوايا والخوانق. وخصصوا لها الأموال اللازمة للصرف عليها^(٤٢٣) وفي مقدمتهم أمير أربل مظفر الدين، ولا نستبعد أن يكون هدف صاحب أربل هو حشد قوة مؤمنة مستعدة للقتال لمقارعة الصليبيين في أي وقت يشاء وهو القائد للجيش الشرقية في معركة حطين المشهورة.

فالمعروف أن دور هؤلاء الصوفية كان بارزاً في الحروب الصليبية "فقد كانوا دائماً في مقدمة الصفوف المحاربة"^(٣)، فضلاً عن دورهم في أن تظل للعالم الإسلامي وحدته على الرغم من توزيعه بين دول شتى^(٤٢٤) ويعد شعر التصوف من الموضوعات التي زهت وراجت في تلك الحقبة، إذ كان له صدى في نفوس الزهاد، يرددونه في أنكارهم^(٤٢٥) ولسوء الحظ لم

نتمكن من الوقوف على شئٍ كثير من نتاج هذا الفن الشعري على الرغم من رواجه في تلك الحقبة، وان ماوصل إلينا منه قليل، ويعود السبب في هذا- حسب اعتقادنا - إلى عدم وجود شعراء متصوفين يوظفون شعرهم لتجسيد أفكار الزاهد وللتصوف، إضافة إلى ذلك فإن السمة البارزة لبيئة أربل كانت الاهتمام بالعلم والثقافة إذ انصبت اهتمامات العلماء والأدباء في دراسة القرآن الكريم والحديث واللغة، وقد انجبت أربل علماء وشعراء ومؤرخين، ولكن لم تنجب شاعراً متصوفاً يوظف شعره في تصوير معاني الزهد والحكمة.

فالحاجري والنشابي لم يميلوا إلى هذا الفن، ومعظم ما في ديوانيهما من هذا الشعر حالة طارئة فرضتها عليهم محنة السجن الأليمة التي حفّزت في وجدانيهما مشاعر وأحاسيس توضح موقف الإنسان في الحياة حيث لاسعادة دائمة ولا شقاء دائم، وقد اقترنت أشعارهما بالحكمة التي تذكر الناس بالموت والفناء. وقد يقع نظر الباحث على أبيات متناثرة في شعر الحكمة عند النشابي أو عدد من مفردات الزهد عند الحاجري وابن الظهير وغيرهم. وهكذا لم يوجه الشعراء اهتمامهم الخاص إلى هذا اللون، ولم يأت فنهم تعبيراً عن موقف فلسفي ثابت، وإنما جاء - أغلب - شعرهم تعبيراً عن خطرات ذهنية أملتها عليهم تجاربهم الشخصية باستثناء قصيدة ابن الظهير المشهورة التي سوف يأتي ذكرها لاحقاً.

ويلاحظ ان اشعارهم تناولت معاني معدودة منها تطرقهم إلى حتمية الموت والفناء، فالدنيا عمرها قصير وهي زائلة وكل شيء له أجل، وفي هذا المعنى قال الحاجري بعد محنة السجن^(٤٢٦): (بسيط)

من شيمةِ الدهرِ إعراضٌ واقبالُ
فما يدومُ على حالاته الحالُ
وكلُّ شيءٍ - وان أعياء - لهُ أجلُ
يَقْضِي عليه كما للناسِ أجالُ

وعبر الشاعر ابن الظهير عن المعنى نفسه، فالإنسان عنده ضيف في الدنيا وانه راحل بلا شك-، فقال^(٤٢٧): (خفيف)

أنتَ ضيفٌ في الأهلِ فارتقبِ الرحد
للةِ والصيفُ لا يدومُ سحابه

ويمضي معظم شعراء أربل في التعبير عن هذا الموقف من الحياة، بحيث يبدو وكأنهم مستسلمون جميعاً لنوائب الدهر وما يخبئه القدر، ولم نجد شاعراً ما سعى إلى منازلة الدهر نظماً، والوقوف بوجه نوائبه.

وعند امعان النظر في شعر النشابي، يلاحظ تمسكه باطلاق الحكم والأقوال المأثورة، ويبدو أنه كان يحاول تخفيف وطأة السجن الشديدة عليه، حيث يقول^(٤٢٨): (مخلع البسيط)

والدهرُ يومانُ ذا يُهنى

بما أتاهُ وذا يعنى

فلا المعنى يدوم فيما

عُنِي بهِ ولا المهني

ويؤكد الحاجري هذا المعنى نفسه بزخرفة شعره ببعض الحكم والمواعظ بقوله^(٤٢٩):

(المجتث)

سـينـجلي كلِّ همٍّ

ولوأتى بعد حينٍ

أين الملوكُ وقومُ

تحصنوا بالحصونِ

وعلى الرغم من تمسك عدد من الشعراء بالحكمة والصبر على الشدائد التي تعكس جانبا من حياتهم الحقيقية، نجد ان ثمة ظاهرة أخرى تلفت انتباه القارئ، وهي تلك الدعوات إلى الزهد والتصوف بمجاهدة النفس، وتنزيهها من أدران الدنيا كي تنال رضا الله سبحانه وتعالى وغفوه، كما جاء على لسان عرش الدين الاربلي. في قوله^(٤٣٠): (من البسيط)

الحمدُ اللهُ إني في مجاهدةٍ

مما أقاسي وحسبي ذاك يكفاني

ولستُ أبغي سوى عفو ومغفرةٍ

من الآلهِ مالموتُ فاجاني

فإن بلغت الذي أرجو وأملُهُ

زالتُ همومي وأوجاعي وأحزاني

ونلمس دعوات أخرى إلى الزهد ونيل الشهرة، وهذا مالا يمكن تحقيقه إلا بقطع الفياقي والقفار، والسيف لا جدوى فيه إذا بقي كامنا في غمده، وهذا ما ذهب إليه جعفر بن محمد الاربلي في قوله^(٤٣١): (من الكامل)

وَجِبِ الفياقي وأشتهر تنلِ المُنَى

لايقطعُ الهندي حتى يشهرا

ومما يكن من أمر فان الدعوات إلى الزهد والتصوف. كانت ترافقها - غالباً - دعوات أخرى إلى الحكمة والتعقل، فقد استأثرت الحكمة باهتمام الشعراء، وظهرت ألسنة كثيرين منهم، وهي في حقيقتها نظرات في احوال الدنيا وأحداثها، فهذا علي بن عثمان الصوفي الاربلي يعظ الانسان بالكف عن تعقب عيوب الآخرين لأنهم سوف يردون عليه بأشنع مما فعل، فيقول^(٤٣٢): (من السريع)

كُفَّ عَنِ النَّاسِ إِذَا شِئْتَ أَنْ
تَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ جَهْلٍ سَفِيهِ
مَنْ قَذَفَ النَّاسَ بِمَا فِيهِمْ
يَقْذِفُهُ النَّاسُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ

وعلى هذا المنوال، نجد بعض الشعراء قد تجاوزوا حدود الحكمة وأكثروا من الوعظ والارشاد على طريقة الشاعر ابي العتاهية، وهذا مثال من شعر عز الدين الحسن بن محمد الاربلي^(٤٣٣) وفيه يقول (٤٣٤): (مجزؤ الكامل المذيل)

هذا الوجـودُ مكدراً
فانهضُ إلى أصفى وجودٍ
وأطلب مقرك في العلى
إن كنت من أهل السعودِ
قُرب الرحيل اليهم
فمزارهم غير بعيدٍ

ومنهم من ذم الدنيا الفانية، وهو يسأل أولئك الذين جمعوا الأموال ماذا فعلوا بها، كالشاعر محمد بن عبد العزيز الاربلي^(٤٣٥) القائل^(٤٣٦): (من الطويل)

رويدك فالدنيا الدنية كم دنتُ
بمكروهما من أهلها وصحابها
لقد فاق في الأفاق كل موفقٍ
أفاق بها من شكرها وصحابها
فسل جامع الأموال فيها بحرصه
أخلفها من بعده أم سرى بها

وإذا اردنا توجيه العناية بالكلام إلى هذا اللون من الشعر في الأدب العربي فإن علينا أن

ننوه بشعراء بارزين نظموا قصائد طويلة في الحكمة وفلسفة الحياة وهي من ثمار الخبرة والتجربة، وتلاحظ هذه الظاهرة بوضوح في لاميات الطغرائي، والصفدي، وابن الوردى، وبائية ابن عبدالقدوس، ونونية ابي الفتح البستي.

ولم يتخلف شعراء اربل عن الادلاء بدلوهم في هذا الشأن، فقد انفرد ابن الظهير بقصيدة فاقت في طولها القصائد المشابهة لها وجسد فيها فلسفته ورؤيته عن الحياة والموت، والبقاء والفناء، والقصيدة مليئة بالعظات والعبرات في مختلف شؤون الحياة الانسانية، مطلعها(٤٣٧):
(خفيف)

كُلُّ حَيٍّ رَلَى الْمَمَاتِ مَأْبَهُ
وَمَدَى عُمُرِهِ سَرِيعٌ ذَهَابُهُ
ثُمَّ مِنْ قَبْرِهِ سَيُحْشَرُ فَرْدًا
وَاقْفًا وَحَدُهُ يُوْفَى حِسَابُهُ

قال ابن كثير في هذه القصيدة: "وهي طويلة جدا قريبة من مائة وخمسين بيتاً" (٤٣٨) في حين ان القصيدة التي وصلت الينا في ديوانه مائة واحد وعشرون بيتاً، وهذا دليل على ان شعر الحكمة لم يكن عند ابن الظهير خطرات ذهنية كما ألمعنا اليها من قبل وانما كان اتجاها صميميا، ونهجا عميقاً سار عليه الشاعر ومارسه وتأثر به في حياته، وهذا ما تؤكد سيرته الشخصية، وميله إلى التدنن، وأغلب الظن ان الشاعر يعد بهذه القصيدة الرائد في هذا اللون من الشعر بين شعراء القرنين السادس والسابع الهجريين. وثمة قصيدة أخرى بديعة مزج فيها الشاعر جعفر بن محمد الاربلي الحكمة بالعتاب، مطلعها(٤٣٩): (من البسيط)

لا يَدْفَعُ الْمَرْءُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدْرُ
وَفِي الْخُطُوبِ إِذَا فَكَّرْتُ مُعْتَبِرٌ

ويلاحظ ان عددا من الشعراء جنحوا إلى الغزل الصوفي، في هذا المجال تطالعنا ابيات لأبي النجيب السهروردي(٤٤٠) الذي ورد اربل مرات متعددة، وأرسل إلى جهات عديدة مندوبا من ديوان أمير اربل، وكان يحضر مجالس وعظه امير اربل نفسه، قال السهروردي(٤٤١):
(من مخلص البسيط)

تَصَرَّفْتُ وَحَشَّةُ اللَّيَالِي
وَأَقْبَلْتُ دَوْلَةَ الْوَصَالِ

وصار بالوصل لي حسوداً
مَنْ كان في هجركم رثى لي
وحقكم بعد أن حصلتم
بكل مافات لا أبالي
وما على عادمٍ أجاجاً
وعندكم أعين الزُّلالِ
ونظرةً منكم بروحي
لو بعتم لم يكن بغالي

وأخيراً فإن هذا اللون من الشعر قد تطور بفضل ترجمة الكتب الخاصة بهذا الموضوع، وأصبح - أحياناً - غرضاً ثابتاً لقصائد مستقلة، أما قيمته الفنية فهي ضئيلة، لأنه يجنح إلى اتجاه عقلي، وتقل فيه العاطفة والشعور وفي هذا الصدد قال ابن رشيق القيرواني: "فلا يجب للشعر ان يكون مثلاً كلّه وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس" (٤٤٢) وقد جاءت الالفاظ فيه سهلة والمعاني واضحة، وندرت فيه الالفاظ والمصطلحات التي صارت لها مدلولات خاصة بشعراء الزهد والتصوف في هذه الحقبة.

الرتاء:

ان الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء نهاية وما البقاء الا لوجهه الكريم * (كل شيء هالكٌ وجهه) * (٤٤٢) وهو الذي قهر عباده بالموت والفناء، ومن هنا جاء الرتاء مواساة للأهل والاقارب والآخرين. ومن الظواهر الأدبية التي تستوقف الباحث في شعر امارة اربل قلّة المراثي قياساً إلى الموضوعات الأخرى من جانب، ورداءة هذه المراثي وضعفها من جانب آخر.

وعند النظر في شعر الاربليين، يشعر القارئ بندرة هذا اللون من الشعر ففي دواوين الشعراء، يبدو أن هذا الفن لم يثبت وجوده بالمعنى الحقيقي باستثناء ديوان ابن الظهير الذي يضم بين دفتيه قصيدة يتيمة واحدة في رتاء شيخ الاسلام محيي الدين ابي زكريا النووي الحافظ (٤٤٤) وهي في حقيقته من رتاء العلماء، يقول فيها (٤٤٥): (من البسيط)

عَزَّ العِزَاءُ وعم الحادِثُ الجِلُّ
وخاب بالموتِ في تعميرك الأملُ
وأستوحشتُ بعد ما كنت الأنيس لها
وساعها فقدك الاسحارُ والأصلُ

وكنْتَ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ مُعْتَبِرًا
لَا يَعْتَبِرُكَ عَلَى تَكَرُّرِهِ مَلَلٌ
قَدْ كُنْتَ لِلدِّينِ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُسَدِّدًا فِيهِ مِنْكَ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ

ويلاحظ ان رثاء الأربليين لايزيد عن بعض النتف المتناثرة في كتب الأدب قيلت في بعض الملوك والأمراء والأهل والأصدقاء، فضلاً عن أبيات معدودة في رثاء الأطباء والمدن، وهذا مما لايشفي غليل الباحث للاحاطة الشاملة بهذا الفن الشعري.

وقد لايتجاوز الشاعر في رثاء الملوك الجمع بين المديح والرثاء وذكر مناقب الفقيد وتأبينه بتعداد فضائله ومحامده، فهذا ابن خلكان يرثي الملك العزيز محمد بن غازي^(٤٤٦) صاحب حلب بقوله^(٤٤٧): (من الطويل)

هُوَ مِنْ نِظَامِ الْمَلِكِ وَأَسْطَةِ الْعَقْدِ
وَلَمْ يَكْ عَنْ صَرْفِ الْمَنِيَةِ مِنْ بَدِّ
فَمَا لِلرَّمَاكِ السَّخْرِ مَشْرَعَةُ الْقَنَا
وَمَا لِلصَّفَاحِ الْبَيْضِ مُوهَفَةُ الْحَدِّ
أَمْ مِنْ بَعْدِ فَقَدِ ابْنِ الْعَزِيزِ مُحَمَّدٍ
تَدُورُ رَحَى الْحَرْبِ عَلَى صَافِنِ نَهْدِ
إِذَا عَطَلَتْ مِنْ هَذِهِ حَوْمَةُ الْوَعَى
فَمَا تَصْنَعُ الْفَرَسَانُ بِالْقَضِيبِ وَالْمَلْدِ

ومما لا يخفى ان الدافع إلى هذا الضرب من الرثاء هو الرغبة في ارضاء المرثي، لذا نرى الشاعر يميل إلى الوقوف على صولاته وشجاعته عند ما تدور رحى الحرب، فهو لا يعبر في رثائه عن مشاعره الحقيقية وخلجات نفسه، وأفكاره سطحية لا تتعدى صفات المرثي وفضائله.

وفي ميدان رثاء الوزراء يسترسل شيطان الشام في الحديث عن فضائل الوزير الفقيد ابن المستوفي والاشادة به ويعدّه نابغة عصره، بقوله^(٤٤٨): (من الوافر)

أَبَا الْبَرَكَاتِ لَوْ دَرَّتِ الْمَنَايَا
بَانَكَ فَرْدَ عَصْرِكَ لَمْ تَصْبِكَا
كَفَى الْإِسْلَامَ رِزَاءً فَقَدَ شَخْصِ
عَلَيْهِ بِأَعْيُنِ الثَّقَلَيْنِ يَبْكِي

وقد يجمع الشاعر في رثائه بين فقيدين كبيرين في مرثية واحدة، وهذا ما فعله بهاء الدين

علي الاربلي في رثائه للملك عزالدين عبدالعزيز بن جعفر^(٤٤٩) والخواجة نصير الدين الطوسي^(٤٥٠) حيث قال^(٤٥١): (من الطويل)

ولما قضى عبدُ العزيز بن جعفر

واردفة رِزءِ النصيرِ مُحمّدٍ

جزعتُ لفقدانِ الاِخلاءِ وانبرتُ

شؤوني كَمرفصِ الجمانِ المبددِ

وجاشتُ إلى النفسِ حُزناً ولوعةً

فقلتُ تعزيّ واصبري فكانُ قدِ

ومن ضروب الرثاء الأخرى مرثية للشاعر عزالدين محمد الاربلي الضرير في الطبيب شمس الدين عبدالحميد الخسرو شاهي^(٤٥٢) في قصيدة مطلعها^(٤٥٣): (من الطويل)

بموتك شمسَ الدين ماتتِ الفضائلُ

وأردى بيدِ الفضلِ والبدرِ كاملُ

فتى عالمٌ بالحقِّ بالخيرِ عاملُ

وما كلُّ ذي علمٍ منَ الناسِ عاملُ

ومن أظهر الوان الرثاء في قصائد الشعراء رثاء الأهل والاصدقاء من ذلك، رثاء سليمان بن جبرائيل بن منعة الاربلي^(٤٥٤) لصديق له في قوله^(٤٥٥): (من الكامل)

ولكل بيتٍ ماتمُّ منْ فقدهِ

فكأنه للعالمين نسيبُ

يا أوحداً فُجعتُ بهِ مُهجُ الوري

فبكتُ عليه نواظرُ وقلوبُ

روى ثراكَ وأنستك تحيةً

تغدُ وعلى طولِ المدى وتؤوبُ

وهناك ضرب آخر ظهر في تلك الحقبة وهو رثاء المدن، وقد تأثر النشابي بنكبة مدينة اربل القاسية حين توالى عليها موجات المغول وانحدرت امامهم سنة ٦٣٤ للهجرة ولحقها الخراب والدمار، فقال^(٤٥٦): (من الطويل)

ولم أبكِ الاَ الدارَ أقفرَ ربعها

وألقتُ عليها رحلها أم قشعم

مواطنٌ كانت قَبْلَ وقعةِ اربلٍ
تتأفرُّ فيها الغيدُ من كلِّ مجتمٍ

وما دمنا نتحدث عن الرثاء نرى من المناسب الإشارة إلى أهم سماته بالاستناد إلى ما وصلنا من الشعر في هذا الفن، فالملاحظ في هذه المراثي خلوها من العاطفة الصادقة. والحزن العميق، وتضمنها لكثير من المبالغات وتهويل شأن الميت، فالتكلف وافتعال الحزن باديان على المراثي، وهكذا كانت مراثي بعض شعرائنا مبنية على هذا الأساس، كما في قول ابن الظهير^(٤٥٧) (من البسيط)

يالهِفَ حَفْلٍ عَظِيمٍ كُنْتُ بِهَجْتِهِ
وَحَلِيَّةَ فَعْرَاهُ بَعْدَكَ الْعَطْلُ
وِطَالِبُو الْعِلْمِ مِنْ دَانٍ وَمُقْتَرَبِ
نَالُوا بِيَمْنِكَ فِيهِ فَوْقَ مَا أَمَلُوا
حَارُوا لِهَيْبَةِ هَادِيهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
لِفِرْطِ حَزْنٍ عَلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبْلُ
وقد نحا ابن خلكان المنحى نفسه في مرثية له حيث قال^(٤٥٨): (من الطويل)

لئن أظلمت دنيا العُفاة لفقدته
فقد أشرق من وجهه جنة الخلد
عليك سلامُ الله يا خيرَ مالكٍ
مضى غيرَ مصحوبٍ سوى حلةِ الحمدِ

أما في رثاء الأهل والأصدقاء فقد كان الشاعر- في الغالب - صادق المشاعر والأحاسيس لتأثير المصاب في نفسه وقلبه، فالشاعراً أجاد لأنه عبّر عن تجربة صادقة ومن أمثلة ذلك قول احمد بن عبدالرحمن بن خلكان بن شاكل الاربلي^(٤٥٩)

عَظُمَ الْمُصَابُ فَعَزَّ فِيهِ عَزَائِي
وَتَدَلَّتْ عِبْرَاتُنَا بِدِمَائِي
وَتَضَرَّمْتُ لِفِرَاقِهِ نَارَ الْجَوِي
وَتَأَجَّجْتُ الْقَلْبَ وَالْأَحْشَاءِ

فالقارئ يحس من ألفاظ الشاعر المختارة ومعانيها مدى خزنه وحرقته على فقدان أحد أفراد عائلته.

الشكوى:

تعد الشكوى فناً من فنون الشعر الوجداني العميق يجسد معاناة الشعراء وشكواهم من الفقر، والزمان، وسوء الحال، ومن الطبيعة، والأصحاب، لقد قيل قديماً "الشكوى تخفف الهم وتزيل الالام"^(٤٦٠) وبعد أن كانت الشكوى ذات طابع فردي، أصبحت في هذه الحقبة موجة عامة، لذا جاءت على كل لسان^(٤٦١) وقد قاسى المجتمع الاسلامي والعربي مآسي وويلات بسبب الحروب التي أنهكت الناس في القرن السادس وخاصة الحروب الصليبية، وفي العصر الأيوبي أصبحت الشكوى ظاهرة أخذت دورها في الشعر العربي^(٤٦٢).

والملاحظ في هذا الضرب من الشعر في اربل أنه لم يكن شائعاً، وتبدو عليه القلة إذ إن معظمه جاء في مواقف طارئة غير ثابتة، وحسب متطلبات الحياة اليومية للشاعر، فهو أشبه ما يكون بشعر المناسبات، ويعود السبب - حسب اعتقادنا- إلى استقرار الحياة الاقتصادية في هذه الامارة الصغيرة وكثرة خيراتها التي كانت تكفي الجميع من جانب، والاهتمام الشديد من لدن أميرها بالفقراء والمساكين من جانب آخر^(٤٦٣) بحيث لم يعد هناك ما يستوجب القلق والشكوى من ضيق وذنك في المعيشة، والدليل على ما نقول ندرة شعر الشكوى من الفقر وسوء الحال باستثناء مثال شعري - حسب ظننا- لشاعر وجه شكواه إلى اولئك الذين لا يؤازرونه في فقره، وأضحى الكرم عندهم معدوماً، وأصبح هو يسحب ذيل الذل والهوان وهو ابو الربيع سليمان بن بليمان الاربلي القائل^(٤٦٤): (من الطويل)

خليلي كم أشكو إلى غير راحم
وأجعلُ عرضي عرضةً للوائم
وأسحبُ ذيل الذلِّ بين بيوتكم
وأقرعُ في ناديكُم سن نادم
هبوني ما استوجبت حقاً عليكمُ
أما تعتريكم هزةً للمكارم

ولعلنا لانجانب الحقيقة اذا قلنا إنه كان هناك ضرب من الشكوى في هذه الحقبة لا يدخل ضمن الوانها المعروفة منها الشكوى إلى الملوك والأمراء في مواقف خاصة يصادفها الشاعر في حياته، وهذا ما حصل للوزير ابن المستوفي حين خرج من المسجد ليلا حيث وثب عليه مجهول وضربه بسكين قاصداً فؤاده، فالتقت الضربة بعضده فجرحته، فاحضر المزين وخاطه، وكتب بهذه المناسبة شكواه مما ألم به إلى مظفرالدين كوكبيري، بقوله^(٤٦٥): (من الكامل)

ياأيها الملك الذي سطواته
من فعلها يتعجب المريح
آياتُ جودك محكم تنزيلها
لا ناسخُ فيها ولا منسوخُ
أشكو اليك وما بليتُ بمثلها
شنعاء ذكرُ حديثها تأريخُ
هي ليلةٌ فيها ولدتُ وشاهدي
فيما أَدعيتُ القمطَ والتمريخُ

وقد نحا الحاجري المنحى نفسه، حين مضى إلى الأمير شمس الدين ابي الفضائل باتكين
المستنصري ممثل الخليفة العباسي في اربل. رافعا شكواه، لعله يستطيع أن يحميه من
أعدائه المتربصين به، فقال^(٤٦٦): (الكامل)

أشكوك يا ملك البسيطة حالةً
لم تبق رعباً في عضواً ساكنا
إن تستبح إبلي لقيطةً معشرٍ
ممن أ أمل غير جأشك ما زنا
يا للعجائب كيف يصبحُ خائفاً
من بات في حرم الخلالة قاطنا

ويبدو أن الأمير لم يفعل له شيئاً لحمايته حتى قتل^(٤٦٧) وقد وَّجه عدد من الشعراء عنايتهم
إلى الشكوى من الدهر أو الزمان، فقد حملوه مسؤولية ما أصابهم من نوائب، وقد يأتي هذا
اللون أثر من آثار الضغط السياسي، فلما أرادوا أن يعبروا عن آلامهم وسخطهم " لم
يستطيعوا أن يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين والطغاة خوفاً من البطش والتنكيل، لهذا
تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقي وكنوا عنه بالزمان أو الدهر"^(٤٦٨).

ويكاد ينحصر الشكوى من السجن حسب رؤيتنا ضمن هذا الاطار في المنحى والاتجاه
حيث لا يكون بمقدور الشاعر الاشارة إلى هؤلاء الملوك والأمراء الذين ظلموه غدرا فيتجه إلى
الدهر ونوائبه، وأما الشكوى من الدهر كرمز لمعاناة السياسيين في اربل. فهذا ما لم نجد له
أثرا في شعرهم.

ويبدو من شعر النشابي أنه ربط شكواه بالزمان بذكر الملوك والأمراء الذين شيّدوا القصور
وتحصنوا بالحصون، ثم تراهم جميعاً في ضيق اللحود، وقد يكون هذا اشارة رمزية لمصير

أميره الذي حبسه، كما في قوله^(٤٦٩): (مخلع البسيط)
وفي الزمان الذي وجدنا
كم قد رأينا وكم سمعنا
وكم رزينا وكم نعينا
وكم ألفنا وكم فقدنا
أين الملوك الذين شادوا
وحصنوا بالحصون مدنا
وقد أعاد الحاجري المعاني نفسها في سجنه بقوله^(٤٧٠): (المبحث)
أين الملوك وقوم
تحصنوا بالحصون
ما إن هم غير ناء
تحت التراب دفين

ومما لا يخفى ان الشاعر اشتكى من الدهر، ووصفه بأن حكمه عليه بالحبس كان سريعا،
وكان من الأولى أن يكون فيه صبروترو، وأغلب الظن أنه اراد به امير اربيل، نحو قوله^(٤٧١):
(المبحث)

يا دهر كنت علينا
بما قضيت عجولا
ويظهر أنه كان هناك من يصرح بشكواه وهو في السجن بذكر أولئك الذين كانوا السبب
في سجنه، لأننا وجدنا الشاعر جمال الدين طه الاربلي في قصيدته يأسا ينتظر الفرج
القريب من الملك، بقوله^(٤٧٢): (من الوافر)

فقد آيست فيه وفي زمني
بحبس الملك من فرج قريب
ويمضي الشاعر في شكواه بدم أهل اربيل متصورا أنهم السبب في محنته فيقول^(٤٧٣):
ألا أخزى الإله بليد سوء
تحكم فيه عباد الصليب

فالحقيقة أن السجن أو الأسر يحفز الشعراء ويوقظ ملكاتهم الشعرية التي تصور ما
يقاسونه من آلام ومعاناة بشعور صادق فياض، فالحاجري حين طال حبسه وبدأت الآلام

تنخر في عظامه، بدا ضعيفا منهارا، يطلب الرحمة والشفقة، ويمثل ذلك قوله^(٤٧٤): (المجتث)

وارحمتا لعزير

في السجن أضحى ذليلا

حليفٍ وجيدٍ يعاني

أسراً وقيداً ثقيلا

ووصف نفسه بالعبد المطيع لأمير اربل بقوله^(٤٧٥): (البيسط)

فإن قتلتَ فعبيداً أنتَ مالكةُ

وإن عفوتَ فتلكَ ألعادُ والشيمُ

أما النشابي فخطب نفسه أمرا اياها بالصبر، وامتلاك الجلد قائلا^(٤٧٦): (مخلع البسيط)

يا قلبُ خفضْ عليكِ حزننا

وأصبرِ فللصبرِ طيبٌ مجنى

ويمكننا ان نشير هنا إلى الشاعر الذي مثل الابهاء في شكوى السجن في العصر العباسي، وربما هو فراس الحمداني (ت ٣٥٧هـ) الذي جنح إلى الصبر في سجنه، وهو يقول^(٤٧٧): (من

الطويل)

مُصابي جليلٌ والعزاءُ جميلٌ

وَظني بأنَّ اللهَ سوفُ يدُّيلُ

جراحُ وأسرٌ واشتياقٌ وغربةُ

احمل وأني بعدها محمولُ

وفي ما عدا ما ذكرناه في هذا الضرب من الشكوى فإن معظم شكوى الدهر الذي وصل إلينا - مما يلاحظ - ذاتي وهو عبارة عن أبيات مزوجة بالحكمة، كما جاء في شكوى عرش الدين الاربلي حيث قال^(٤٧٨): (من الكامل)

والدهرُ يرفعُ الفتى ويحطهُ

والعمرُ فيه صحَّةٌ وسقامُ

والبدرُ يكملُ بعد نقصانِ بهِ

ويحلُّ فيه النقصُ وهو تمامُ

ومن ضمن ما عبر عنه الشعراء في شكوى الدهر ظلم الزمان وغدره، وراحوا ينعتهونه بالزمن الخؤون وهذا ما صرح به بهاء الدين علي الاربلي في قوله^(٤٧٩): (من الكامل)

يا دهركم لك مثؤها من غدرة
ولأنت أجدر أن تخون وتغدر
حار الأجابة في قضايا حُبهم
فغدوت أظلم في القضاء وأجورا
وسلك الحاجري في احدى شكاويه من الزمان مسلك العتابه كما في قوله^(٤٨٠): (المجتث)
مَنْ مُسْعِدِي وَمَعِينِي
عَلَى الزَّمانِ الخَوُونِ
أذْلَنِي وَأَرَانِي
فوقِي الَّذِي هُوَ دُونِي
وَكُلُّ أَهْلِ وِدادِي
وَصُحْبَتِي هَجْرُونِي

ومن جميل الشكوى الممزوجة بالعتاب قول خطيب اربل القاضي جعفر ابن هبة الله بن احمد الاربلي^(٤٨١): (من البسيط)

يا اربليين لو أنصفتُم أدبي
أحلتُموني حيث الانجمُ الرَّهُرُ
فبي فخار لمن يبغي الفخار إذا
جاءتُ بنو الفضلِ بالأداب تفتخُرُ

وإضافة إلى ما ذكرناه من ضروب الشكاوي فقد كان للشكوى من الأصدقاء صدى في شعر الاربليين، ويمكننا التمثيل بمثال من شعر الوزير ابن المستوفي الاربلي الذي كان يبحث عن صديق ودود ويشكو من صديق خائن، ثم يظهر تدمره من أناس اعمالهم قذى في العيون وهو القائل^(٤٨٢): (من الطويل)

إلى الله أشكو من همومٍ تواصلتُ
أما تغلط الدنيا لنا بصديقٍ
لقد خانني لما هجرتم مواصلي
وقد صدّ عني معشري وفريقي
فوا حرباكم تضرمون بصدكم
وإعرضكم في القلب نار حريقٍ

أَقاسي هموماً من أناسٍ فعالهم

قذى لعيونٍ أو شجى لحوقٍ

ومن ضروب الشكاوى الأخرى، الشكوى من الشيب الذي يعد من العوامل المثيرة للشجن لأن الانسان فيه يحس بالهرم والشيخوخة، فالنشابي يشكو من سرعة شيب مفارقة، بقوله (٤٨٣): (كامل)

زمن الصبا ماكنت إلا زائراً

كانت زيارته كلمحة بارقٍ

غمضتُ جفني والتصابي ساعةً

وفتحتهُ فرأيت شيب مفارقي

فكأن شيبني لم يزل وكأنما

كان الشبابُ خيال طيفٍ بارقٍ

أما عرش الدين الاربلي فانه يشكو من الشيخوخة ومن معدته التي لا تهضم الطعام، ويسمى جسمه ببيت السقام، بقوله (٤٨٤): (المنسرح)

شبتُ وجزتُ السبعين وأرتحل

الصبا فصبحي من بعده علسُ

لا معدتي تقطع الطعام ولا

الوسيطُ فيه روح ولا نفسُ

فكيف يرجو طيب الحياة أخو

شيب بيوت السقام يلتمسُ

وفي هذا الصدد نقول ان شعر الشكوى في الامارة قلماً أتى متكلفاً، وهو يعبر عن صدق العاطفة وحرارة الوجدان، ويترجم أوجاع النفس وأشجانها، ويدل على تجربة حقيقة وجدانية. ومهما يكن فان الذي يلفت النظر في العصر العباسي كثرة الشعراء المكدين، قال آدم منز: "ومما هو عظيم الدلالة اننا لانجد في الشعر العربي مكانا للمكدين الطوافين قبل القرن الرابع" (٤٨٥) ونحن نذهب إلى القول بأن أمثال هؤلاء الشعراء المكدين لم يكن لهم أثر في حياة هذه الامارة، ويعود السبب في هذا - حسب تصورنا - إلى أميرها الذي أجاد سياسة الرعية، وعرف كيف يكون الحاكم العادل، وإلى الهدوء الذي ساد الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل حكمه.

الاخوانيات:

وهي من الفنون الجامعة للعتاب والإعتذار والتهنئة والشكر والمداعبة والظرف المراسلة. والجدير بالذكر ان أشعار الاربليين لا تخلو من هذا الفن الشعري فالشاعر هو أبن هذا المجتمع ومن حقه ان يصادق ويحب ويعتب ويهنئ ويشكر ويعتذر ... الخ، وذلك لادامة العلاقة التي تربط ابناء المجتمع الواحد او الأسرة الواحدة، ولخلق جو من المحبة والتفاهم وعقد الصداقات. وقد جاء شعر الاخونيات عند الاربليين تعبيراً من مشاعرهم وعواطفهم، وهو يعد من الظواهر البارزة، فالملاحظ في أدب هذه الحقبة كثرة الرسائل الشعرية المتبادلة بين الشعراء، ولعلّ مرد ذلك إلى اهتمام الوزير ابن المستوفي بالرسائل التي كان يجيدها ويحبذها والى متانة العلاقة الاجتماعية بين الأدباء.

وقد وقفنا على رسالتي عتاب شعريتين متبادلتين بين الشاعر النشابي والشاعر هاشم بن السلام الاربلي^(٤٨٦) اثر جفوة حصلت بينهما، ويفهم من رسالة النشابي أنه خدع زميله وأطال لسانه عليه، كما في قوله: (٤٨٧) (من الطويل)

وكيفَ أحتيالي فيك إذ لم يكنُ
إلى وداك الأ بالخداع طَريقُ
ولستُ بخداعٍ وما إن جرى على
لساني قولُ كان فيه خُلقُ
فأجابه صاحبه هاشم عبدالسلام على الروى والوزن نفسيهما، بقوله:
لعمري ماساد الكرام أولو النهى
بهجو ولا سب الرجال يليقُ
ولا أنا ممن يجهلُ الناسُ حالتي
ولا أنا ممن لا يُقالُ صديقُ

ويظهر من هذه الرسالة الشعرية وعند دراسة مضمونها ان النشابي ذم أو سب صاحبه في غيبته.

ومن شعر الاعتذار رسالة شعرية من عبدالرحمن بن منصور القنطري الاربلي^(٤٨٨) يعتذر فيها إلى الوزير ابن المستوفي من شيء بلغه عنه، فيقول^(٤٨٩): (من البسيط)

مولاي يا شرفَ الدينِ الذي شرفتُ
به الأماجد من عربٍ ومن عجمٍ

يا معدنَ الجودِ قَدْ وافاك عبدٌ وفًا
مقودُ منك بالإحسانِ والكرمِ
مغفرا فوقَ تَرْبِ الأرضِ وجنته
خزيانَ يقرعُ أسناناً منَ الندمِ
ومنشداً بيتَ شعرٍ كانَ فاهِ بهِ
نحلُ النميري في أيامه القَدُمِ
(إقبل معاذير عبدٍ جاءَ مُعتذراً
يثنى عليك بما أوليتَ منَ نعمِ)

وبين أيدينا رسالة اعتذار شعرية طويلة موجهة إلى النقيب محيي الدين أبي ظاهر
الموصلية (٤٩٠) من الشاعر أبي عبدالله الأربلي (٤٩١) مطلعها (٤٩٢): (من السريع)

مولاي محيي الدين ياما جاداً
فأقَ جميعَ الخلقِ إحسانا
ومَن إذا ما فاهَ منَ نطقه
يعجز بالبيانِ سحبانا

ومن ضروب الاخوانيات التماس الكتب شعراً وهو من العادات المألوفة بين الشعراء والأدباء
والعلماء. فقد التمس ابن الظهير من بعض أصدقائه كتاب البديع (٤٩٣) الذي صنّفه أبو
السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري (٤٩٤) وقال في طلبه (٤٩٥): (من السريع).

مولاي عزالدين يا من له
مالٌ مزالٌ وجنابٌ منيعُ
ومَن أياديه وأخلاقُه
يخجلُ منهل جعفرُ والربيعُ
قاسمَ ما تملكه كفه
وللندی بين البرايا مشيعُ
عبدك مولاي له حاجةُ
دعتُ إلى نسخِ كتابِ البديعِ
فجد به عاريةً واغتتمُ
ثناء عبد شاكر للصنيعِ

والتمس أيضاً أبو الفضل الأربلي كتاب تفسير الثعلبي من أحد أصدقائه ملقب بـ(مهذب الدين) إبان عيد النصار، فانقض العيد ولم يتسلم الكتاب المذكور فكتب إليه يطلبه، بقوله^(٤٩٦): (من البسيط)

مُهَذَّبَ الدِّينِ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالنَّسَبِ
وَالْعِلْمِ وَالشَّرْفِ السَّامِيِّ مَعَ النَّشَبِ
عِيدِ النَّصَارِيِّ أَنْقَضَى وَالدِّينُ حُلٌّ بِهِ
لَا صَبْرَ لَصَبْرٍ لِي عَنْ سَيِّدِ الْكُتُبِ
فَانْعَمَ بِهِ كَأَيَادِكَ الَّتِي سَبَقَتْ
فَالْمَنْ بِالْكَتَبِ فَوْقَ الْمَنِّ بِالذَّهَبِ

أما رسائل التهنئة فهي - غالباً - ما تكون في الأعياد الدينية إذ الناس يهنئ بعضهم بعضاً ويشترك في ذلك الشعراء أيضاً، ومن ذلك مقاله أبو الفضل بن الخير الأربلي^(٤٩٧)

مهنئاً الوزير ابن المستوفي بمناسبة العيد^(٤٩٨): (من الوافر)
بَأَعْيُنٍ طَالَعَتْ عِيدَتَ يَا مَنْ
بَطَّلَعْتَهُ يَهْنَأُ كُلَّ عِيدِ
وَلَا زَالَتْ لَكَ الْآيَامُ عَوْنَا
مُسَاعِفَةً عَلَى رِغْمِ الْحَسُودِ

كما وردت رسائل في الشكر وهو الآخر من المصطلحات التي يتبادلها الناس للتعبير عن امتنانهم للشخص الذي قدم لهم خدمة معينة، ومنها رسالة شكر من أمين الدين علي بن عثمان الأربلي إلى الوزير ابن المستوفي يشكره فيها إذ وسد إليه ولاية البيمارستان، قال فيها^(٤٩٩): (مجزؤ الكامل المرقل)

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ
وَذَا الرَّعَايَةِ وَالْعِنَايَةِ
إِنْ الْعِلَاءُ أَضَلَّنِي
بِالْقَوْلِ عَنْ طَرِيقِ الْهَدَايَةِ
لَأَلِي بِمَارَسَتَانِكُمْ
وَأَقُومَ فِيهِ بِالْكَفَايَةِ
إِنِّي لِمَحْتَاجٌ إِلَيْهِ
مَتَى أُجْتُ إِلَى الْوِلَايَةِ

ومنها أيضاً رسالة شكر من أبي العباس بن شجاع^(٥٠٠) إلى أبي الحسن علي بن شماس
كاتب ديوان الأنشاء بابل، نقنطف منها هذين البيتين^(٥٠١): (من الطويل)

فشكري لما أوليتي من صنعةٍ
مُتممةٍ بالشكرِ أثقل كاهلي
وقد كنتُ أشكو الحبس والجوع هاجعُ
فما زادني الإظلافُ غير البلايلِ

يفهم منها أن كاتب الديوان بذل جهوده لإخراجه من الحبس والجوع وإعادته إلى اولاده
وعائلته. ومن الأمور التي نسترعي الانتباه وجود رسالة تعزية واحدة وصلت إلينا من شعر
الاخوانيات من حماد بن محمد البوازيجي^(٥٠٢):

أرسلها إلى ابن المستوفي يعزيه بوفاة أخيه قائلاً^(٥٠٣): (من المتقارب)

تعزوني أم أعزكم
بمن كان عضوين لي في الجسد
أنته المنية مقتالة
فنقص ممن أحب العدد
فابكت عليه وعم البكا
فكل حزين على من فقد
فأصبحت لما أتاني النعي
أذيب من الدمع ما قد جحد

والتفت الشعراء إلى ضرب آخر من هذا الفن هو المداعبة التي هي من باب المزاح والتسلي
وملء الفراغ، ويبدو أن ابن المستوفي أحب يوماً أن يداعب بعض الشعراء، فجرى له حديث
في ذلك مع الشاعر أبي الحجاج الحواري^(٥٠٤) بعد استماعه لقوله^(٥٠٥): (من الطويل)

بنفسي لييلات مزين وكان لي
نديماً بها شاد أغن ربيب
تدير على الراح بالراح كلما
تروق راووق وراق طروب

قال الوزير ابن المستوفي: وعيشت به يوماً وقلت له: ما أظن هذا شعرك، فحلف أنه له، فقال:
(اقترح علي وزنا أعمل فيه وأنت تشاهدني، فقلت له: قول أبي الفضل البغدادي^(٥٠٦)): (من
الدوبيت)

طلقتُ تجلدي ثلاثاً
والصبوة بعدُ في حبالي

فأخذ ورقة وفكر يسيراً وكتب:

أبكي أسفاً بدمعِ عينِ
قد أخبر عنكم بحالي
أبقي جلدي وريح صبري
ما نسّم نشرها ببالي

وفي موضع آخر نجد الوزير ابن المستوفي يحاور شاعر آخر بعد أن وصلت منه رسالة، فيصف رسالة الشاعر بأنها حديقة غناء تنشر ازهارها عطرا فوّاحا وهي أسحر من ظبي غرير، وانها بلسم شاف لما تضمنت جوانحه من هموم بقوله^(٥٠٧): (من البسيط)

وافي كتابك يامولاي مشتملاً
على رياض معان نشرها أرجُ
فكان أحسن من سحرٍ تقلبهُ
أجفان ظبي مراض حشوها غنجُ
إذا بدا قيد الأبصار منظرهُ
فما لإنسان عين عنه منعرجُ
فبت أشفي به داءً تضمّنهُ
جوانحُ باتَ فيها الهم يعتلجُ

وهناك ثمة رسائل شعرية أخرى يمكننا ادراجها في باب الظرف، فهذا ابو احمد الفزاري الاربلي، يأتيه ولد فيشبهه بدره رصعت تاج قبيلته فزاره التي ادعى الانتماء اليها، ويطلب من أحد اصدقائه اختيار أسم له قائلاً^(٥٠٨): (من الكامل)

وأتى يبشرني البشيرُ بدره
في غير تاج فزاره لاترصعُ
بدرُ، تكامل نوره في ليله
وتريده عششُرُ تمر وأربعُ
فاختر له أسماً يبق فوق جبينه

(٥٠٩) _ _ _ _ _

وقد عبر الشعراء عن معاني الود والوفاء بطرائق لاتخلو من غلو ومبالغة كما فعل الحاجري في رسالة رفعها إلى رفيق صباح ضياء الدين عيسى، أخي ابن خلكان، بقوله^(٥١٠): (من البسيط)

الله يعلم ما أبقي سوى رمق
مني فراقك يا من قربه الأمل
فابعث كتابك وأستودعه تعزيةً
فربما متُ شوقاً قبل ما يصل
ويشتاق ابن أبي عبد الله الفرضي الاربلي^(٥١١) إلى لقاء أحبته، وتسيل العبرات من عينيه كلما ذكر لقاءهم، فيصور حاله، قائلاً^(٥١٢): (من الكامل)
أشتاقكم فإذا ذكرت لقاءكم
أجرت دموعي لوعةً وتفرق
خوفاً على أني إذا لاقيتكم
يبقى القليلُ ويعدده نتفرقُ

وخلال استعراضنا للرسائل الشعرية في الامارة نقع على عدد من القصائد الطريفة في باب الاخوانيات، منها رسالة كتبها ابو العباس الاربلي إلى القاضي جعفر بن الكفر عزي الحاكم باربل بدأها ببيت من الشعر تؤلف الفاظه الحروف الأولى من ابيات القصيدة جميعها. وهذا مطلع الرسالة^(٥١٣): (من والمجتث)

قأض به صح يسري
ومات ضري وعسري
أما أبيات الرسالة الأخرى فهي تتألف من عدد حروف البيت المذكور، ونحن نختر الأبيات التي تجمع حروف الكلمة الأولى (قأض) فقط بسبب طول الرسالة.

قُل للذي لام تدري
بأن لومك يغري
اللّه ينصفني منك
إذا ولعت بهجري
ضيري قصدت منهالاً
قصدت إصلاح أمري

يامنيّتي في حياتي

وبُغيّتي يوم حشري

وفضلاً عما ذكرنا وجدنا في موضع آخر رسالة شعرية أخرى من النمط نفسه للشاعر ابن الجارود أبي عبدالله الماراني الأربلي^(٥١٤) نظمها جواباً إلى الصلاح أحمد بن عبد السيد أبو العباس الأربلي مطلعها^(٥١٥): (من المجتث)

إن الصلاحَ مجيرى

من نكبةِ الحَدَثانِ

إني أحبُّ فتاةً

كأنها غصنُ بانٍ

نمتُ بوجدي عليها

سحائبِ الأَجْفانِ

..... الخ.

ووقفنا بين نتاجات هذا الفن على رسالة غريبة، تلفت نظر الباحث للشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن حسن^(٥١٦) الذي ورد أربل ونشرها بها وكرر فيها حرف (السين) نثراً وشعراً حيث قال في منثورهِ^(٥١٧):

" بالأسماء الحسنى استفتح سحابٌ سيبكُ ساحَ بساحةِ المسترفدين والسلامةُ بالاستسلام لمراسمك سراويل المستسلمين، وأشداء الفرسان فرائسُ فراستك، وأنفس الحاسدين مستشعرةٌ بأس سطوتك، فسنابكُ أفراسك يرؤوس رؤسائهم واسمه، وسيوف سخطك باستتصال ساداتهم باسمه، والمسلمون بأسرهم مستعدون بسعود سعادتك، نفوسهم مسرورةٌ باستدامة سلامتك، وأساريرهم مستنيرةٌ لاستعلان مسرتك، وسرائرهم مستيسرةٌ سلوك سبيل سيرتك، والمشيرُ بسطر محاسنك يستوجب الاحسان ومستحقُّ الانفسِ يستدخره الانسان".

وقال في منظومه: (من السريع)

سامقٌ وسس واسم وسر سالما

واستأسر الاسد وسد وأسعد

وسل سيف البأس مستهلكا

لأنفس الحسادِ واستحصد

وأستقرسِ الفرسانَ مستظهِياً
بالسمهري الأسمرِ بالمُسعدِ
وساجبلِ السجِبِ وتسكابها
فَسِيكَ السَماحُ بالعسجدِ
وسامِ وأستعلِ سنامَ السطا
مستخدماً للسعدِ والسؤددِ
" قُدسِ القدوسِ نفسِ الرسولِ، وأسكنه الفردوسِ، فسكناهِ السؤلِ".

وتتم هذه الرسالة عن براعة فائقة في جمع الألفاظ المتشابهة، وهي من نتاجات الكدِّ العقلي والمرانِ الفكرى ونحسب أنها في المديح ووصف البطولة والشجاعة، وليس في وسع هذا الفصل تفسير ألفاظها الكثيرة.

وأستناداً إلى الرسائل المذكورة آنفاً، يبدو أن تداول الشعر كان جارياً باستمرار بين الأدباء والعلماء ومحبي الشعر، وهذا دليل ملموس على الاهتمام الجاد بالشعر العربي في تلك المدة، وولع الأربليين بنظمه وإنشاده.

وقد أدى هذا الاهتمام بالشعر إلى استخدامه في مناسبات عديدة، فهذه رسالة من أبي محمد الأربلي الكردي الهذباني وهو في بلاد الشام إلى الوزير ابن المستوفي بعد حبسه من قبل أمير أربل يبيث فيها حزنه وحنينه إلى أربل ويتسال كيف يمكنه أن يعود إلى مراتبها وماجدها محبوساً بقوله^(٥١٨): (من الكامل)

الأربلُ الغراءُ تطلبُ أوبتي
هيهات فارتقتُ الجسومَ الرؤسا
كيف الرجوعُ إلى مغاني بلدةٍ
فارتقت ماجدها بها محبوسا
كبرت عزائم أهلها من بره
فَوَشَوْا بهِ للظالمينِ رُئِيسا
باعوا بدنياً دينهم وتخيروا
جَهلاً على صدر الهدى قسيسا

وقد سار عبد الرحمن بن عثمان الأربلي على النهج نفسه في رسالة كتبها إلى صديق له مسجون منع الناس من زيارته^(٥١٩) ويظهر أن هذا اللون من الشعر قد ساد كل البلاد

الاسلامية في هذه الحقبة من الزمن وقد عبّر فيه الاربلييون عن المعاني الاجتماعية أبلغ تعبير وبذلك كشفوا النقاب عن قسم من جوانب الحياة الاجتماعية في اربل في القرنين السادس والسابع الهجريين.

ولم تقتصر الاخوانيات على الألوان التي ذكرناها فحسب بل تعدتها إلى لون آخر وهو الأحاجي والألغاز التي تدرج ضمن هذا الفن والذي قال فيه ابن رشيف القيرواني: " وهو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن وباطن ممكن غير عجب" (٥٢٠) فقد ألع شعراء اربل بهذا الفن لأنه يشحذ القريحة ويثير التفكير الجاد كما ان فيه معاني دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن (٥٢١) فهو مظهر من مظاهر ثقافة العصر.

ويبدو ان مجاهدين قايماز نائب أمير اربل كان محبا له، ويستظرفه في مجالسه. حتى الف له سعد بن علي الحظيري كتابا فيه بعنوان " الاعجاز في حل الأحاجي والألغاز" فيه نحو الف لغز مع شرح وتوضيح (٥٢٢) ولا ننسى الاشادة بالوزير ابن المستوفي في تشجيعه للألغاز من باب التسلية، وقد استظرف بعض الألغاز منها لغز لأبي نصر بن وهبان (٥٢٣) في اسم " شهرزور" ضمنه قوله (٥٢٤): (مجزؤ الرجن)

مابلدُ نصفُ اسمه

جزءٌ من الزمانِ

ونصفه الآخر لا

يخلو من البهتانِ

بينه للسائلِ يا

ذا الفهم والبيانِ

ومن الشعراء الذين عرفوا بالظرافة مع أصحابهم، ابن الظهير الذي كان له معهم مطارحات في الألغاز والأحاجي التي أصبحت وسيلة للهو والرياضة الفكرية، قال ابن الظهير ملغزا في " قراقوش" (٥٢٥): (من مجزؤ الخفيف)

اسمٌ من قد هويته

ظاهرٌ غير ظاهرِ

قسم البعد قلبه

بين قلبي وناظري

وكتب إلى أصدقائه لغزا شعريا في لفظة "نعم" (٥٢٦): (من الخفيف)

أيها العالمُ الذي بهرا لعا
لَمْ فضلاً وفاق طبعاً وذهنا
أبن آسماً مؤنثاً مفرداً وض
عاً ويعد ومذكراً إذ يثنى
وإذا شئت حال فعلاً وحرفاً
وعن الجملتين في اللفظ أغنى
وإذا ما تركته كان لفظاً
وإذا ما عكسته صار معنى
وكذلك جاءت الغاز ابن خلكان من باب الظرافة ايضاً، وهذا لغزله في " التاريخ" (٥٢٧): (من
الكامل)

ما اسمُ إذا صحفته ألفتُهُ
من بعدِ ذاك ولفظةُ تاريخُ
مِنْ ضمنه نارُ إذا خفضتها
لاجمرها وأرٍ ولا منفوخُ
يا ريحُ بلغْ مَنْ أحبُّ تحيتي
إن الحبيب لما يقولُ مصيخُ

موضوعات أخرى:

الحنين والشوق:

يلاحظ ان روح الغربة قد سرت في شعر هذه الحقة، فقد استمد الشاعر معاني شعره من
هذه الروح التي أحس بعض من اصحابها الشعراء بأنهم غرباؤهم في بلادهم وبين ابناء
قومهم، وكانت هذه الروح تزداد شدة كلما ابتعد الشاعر وتغرب عن بلده، حيث ملعب صباه
ومسقط رأسه و "من لطف النفس أن تكون إلى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها
تواقة" (٥٢٨) وقد رأينا الوزير ابن المستوفي يودع مدينته اربل متألماً ومتحسراً بعد خرابها بيد
المغول حاملاً كتبه ومتاعه متوجها إلى الموصل، ولسان حاله يردد قائلاً (٥٢٩): (من البسيط)

فارقتم مكرهاً لاكارهاً ويدي
أعضها ندماً إذ لم أمت كمدا

والله لو أن أيامي تطاوعني

على اختياري ما فارقتكم أبدا

ومن الشعراء من حنَّ إلى بلاد أخرى وذكرها في قصائده منهم ابن الظهير الأربلي الذي اشتاق إلى مدينة دمشق بمشاعر صادقة واضحة خالية من الافتعال، فحنينه إلى دمشق يظل مدى الحياة وقلبه أسير هذا الحنين ويصور ذلك كله قوله^(٥٢٠): (الطويل)

حنيني إليها ما حييت مُرجعُ

وقلبي أسير الشوق والدمعُ مطلقُ

عليها تحياتي غوادٍ روائعُ

بها الريحُ تجري والركائبُ تخفقُ

ونراه يحن إلى الديار الحجازية من جانب آخر، لاسيما بعد عودته منها، وقد تجاوز عمره السبعين عاماً بقوله^(٥٢١): (الطويل)

أحن إلى نجدٍ رعى الله أهلهُ

وأين من المشتام بالشام نجدُهُ

وأسأل ركبَ الريح حملَ تحيتي

إذا ما سرى نحو الأحبةِ وفدُهُ

أيا قاصدي أرض الحجاز تحملوا

تحية صب طال بالآلفِ عهدُهُ

ولم يكن حنين الشاعر إلى المنازل التي يحل بها فحسب، بل إلى قاطنيتها أيضاً الذين أخلصوا له الودَّ وفتحوا له قلوبهم، فكان يتفقدهم ويسأل عنهم.

ويتجلى في شعر النشابي انصرافه إلى النهج نفسه في حنينه إلى العراق ولا سيما مدينة بغداد حينما كان في خوزستان، وقد بان عليه أنه فاقد الصبر، شديد الشوق إليها كما في قوله^(٥٢٢): (من الطويل)

ألا هل إلى دار السلام لمغرم

سبيلٌ ولو في ضمن تسويق موعِدِ

عَدِمْتُ بخوزستان صبراً أضاعه

نزاعٌ إلى بغداد غير مفندِ

وقد أكثر الحاجري من حنينه إلى الديار الحجازية - وفي الأغلب - يأتي حنينه إلى الأيام

الخالوي، واجترار الذكريات السعيدة، وفي الأبيات الآتية يبعث بسلامه إلى أحبته من ساكني تلك الديار، فيقول^(٥٣٣): (الطويل)

سلامٌ على الوادي الذي يسكنونهُ
وإن كنتُ لا أحظى بساكنٍ شعبه
كأن وميضَ البرقِ من هضباته
يُعمدُ قلبي فاستطار بلبه
إذا خطرَ للقلبِ خطرةٌ ذكره
إبي الدمعُ إلا أن يجودَ بغربه

ومن المفيد أن اشير هنا أيام السجن الثقيلة التي لها تأثير كبير في احساس الشعراء الرقيقة، فكان السجن باعثاً في تحفيزهم على الحنين والتشوق إلى الأصحاب والأهل، وهو يأتي استجابة لاحساس داخلي منبعث من الشعور بالغبرة، لذلك وجدناه صادقاً ورفيقاً، كما في قول الحاجري^(٥٣٤): (من الكامل)

يا برقُ إن جزتَ الديارَ بإربلٍ
وعلا عليكِ من التداني رونقُ
بلغ تحيةً نازحِ حسراته
أبدأً بأذيالِ الصبا تتعلقُ
قل يا جعلتُ لكَ الفداءَ أسيركمُ
من كلِّ مشتاقٍ اليكمُ أشوقُ

ولا بأس ان نذكر في هذا الموضع بعض مظاهر الشوق، وقد عدّ البرق رمزا من رموز الشوق، ويبدو لنا أن قلب ابن الظهير رق حين شاهد البرق فتخيل أنه أقبل من ديار الأحبة، ويلمس ذلك من قوله^(٥٣٥): (الطويل)

أرقتُ لبرقٍ من دياركمُ عنا
ألم فكم أصبى فؤاداً وكم عنى
بدا حاكياً تلك الثغور أبتسامه
وعادَ نحيلاً حاكياً جسمي المضى

أما الحاجري فإنه كان يتلقف أخبار الأحبة البعيدين من البرق حين يناجيه ويطلبه أن يبث في سمعه بعض الأخبار، كما جاء في قوله^(٥٣٦): (البيسط)

يا برقُ أنت قريبُ العهدِ مِنْ سلمٍ
قفُ بث لي خبراً حَيَّيتَ مِنْ أَتِ

ويلاحظ في هذا الفن ان الشعراء قد تنوعت لديهم بواعث الشوق والحنين، وهذا صفي
الدين منصور الاربلي تعود به ذاكرته إلى ايام الشباب متشوقا لها، فيقول(٥٣٧): (من
الكامل)

أشتاقُ أيامَ الشبابِ وحسن ما
فعلت وحق لملها يُشتاقُ
رُدوا علي مِنْ الشبابِ بقدر ما
كَسَدَ المشيبُ فللسبابِ نفاقُ

ويظهر أن لشجو الحمام تأثيرا بليغا في نفوس شعراء اربل، وقد أثار هذا الأمر فيهم
احساساً غريباً بالحنين الممزوج بالحزن والألم، وارتبط - غالباً - بفراق الأحبة وهجرانهم،
وفي ذلك قال الحاجري(٥٣٨): (الخفيف)

لحمام الأراكِ شجُو ولكنُ
اين شجوي والطائرُ الغريدُ
عللوني ولو بلمع سَرابٍ
يَتَسلى بِهِ فؤادي العميدُ

وقد سعى الحاجري في ابياته إلى التميز بين شجوه الحزين وشجو الطائر المغرد الذي
سرعان ما يزول بقاء الفه، بعكس الف الشاعر الذي هجره.

وقد يرتبط الشوق بالمحبة - أحيانا- وفي هذا تتمثل بقول ابي محمد عبد الله
الأنصاري(٥٣٩) الذي ورد اربل، وفيه يعبر عن معنى طريف في شوقه وحببه مخاطباً
أحبابه(٥٤٠): (من الطويل)

أَحبابَ قلبي هل سبيلُ إليكمُ
فجسمي عندي والفؤادُ لديكمُ
وان لم يكنْ ذنبُ فردوا تحيتي
فقد طال ما قلتُ السلامُ عليكمُ

وفي المعنى نفسه قال ابن وهسوزان(٥٤١) حيث مزج بين الشوق والألم(٥٤٢): (من البسيط)

أخفتُ عن القوم ما أبدتُ عزيمتهمُ
وأظهرتُ للنوى والبينِ ما كُتِما
بأئوا فـألمَ قلبي يومَ بينهمُ
فلستُ أحملهُ منْ بعدهمُ ألما

وهكذا فلا نظن أن ثمة من يختلف معنا عند استقراء شعر الحنين والشوق في أن الشعراء قد بالغوا وتكلفوا في التعبير عن مشاعرهم، وهو في الواقع سمة من سمات هذا الفن نفسه، وتشبيبت ما ذهبنا إليه، نستمع إلى الوزير ابن المستوفي وشوقه القاتل في قوله^(٥٤٣): (من المتقارب)

أراكمُ فأعرضُ عنكمُ وبي
منَ الشوقِ ما بعضهُ قاتلُ
وما بي ملالٌ ولا جفوةٌ
ولكنني عاشقٌ عاقلُ

ولنقرأ قول احمد بن بهرام ابي العباس الذي لم يغض له جفن بعد فراق أحبته^(٥٤٤): (من الكامل)

واللهِ ما ألفتُ جُفوني بعدكمُ
طيبَ الرقادِ ولا هناني مضجعي
ولقد بليتكم جوى وصبايةً
حتى تزود ركبكمُ منْ أدمعي

الفخر والحماسة:

يرى أحد الدارسين المعاصرين أن الشيء الوحيد الذي يلفت الانتباه في أمارة اربل هو خلوّ ساحة الأدب فيها من الشعر الحماسي الذي برز فنا ظاهراً وبغزارة في القرنين السادس والسابع الهجريين^(٥٤٥) ويبدو ان الأيام قد عدت عليه وضاع مع ماضع من تراث اربل الخالد في هذه الحقبة المهمة من تأريخها.

وإذا ذهبنا نبحث في دواوين الشعراء ونجيل النظر في كتب الأدب لانجد مبتغانا من هذا اللون، وكأن شعراء اربل لم يسمعوا بهذه البطولات والأمجاد التي حققتها جيوش المسلمين على موجة الغدر التي أرادت ان تسيطر على اجزاء من العالم الاسلامي، وقد علا اسم صلاح الدين الأيوبي وملاً صدى شهرته الآفاق ومدحه الشعراء بأبلغ الكلام وأجزله^(٥٤٦) وهذا ما

يثير الاستغراب حقا إذا ألقينا نظرة على جهاد امير اربل مظفراالدين، ومن قبله أخيه وأبيه، في معارك التحرير التي دارت رحاها آنذاك في ديار الشام مع الافرنج، ولاسيما معركة تحرير القدس.

ونحن من جانبنا نرى أن شعراء اربل كانوا مقلين ولم يدلوا بدلوههم في هذا الميدان، والسبب يعود إلى طبيعة مجتمع اربل المتحضرة من جانب، ولكون باعث الفخر المتمثل بالقبيلة أو الفرد عند القدماء والذي كان يحفز الشاعر على الافتخار بقبيلة أو بنفسه معدوما من جانب آخر.

ومما تجدر الاشارة إليه في هذه الحقبة، أن موضوع الفخر كان يرتبط بالفكرة الدينية، لذا كان الشعراء يرون ان الدفاع عن البلاد الاسلامية يعد دفاعا عن العقيدة الدينية بعيدا عن التعصب القبلي أو القومي، وهو واجب ديني يتطلب من الجميع الاسهام فيه.

وهكذا اكتفى شعراء هذه الحقبة بنظم قصيدة في مدح صلاح الدين وبطولاته او تمجيد جيوشه، وشجاعة افرادها، وسرعة حركتهم، كما فعل الشاعر النشابي حين نظم قصيدة في مدح جيش الخليفة المستنصر بالله فوصفه بأنه عرمرم كالطوفان يثير الرعب والخوف في قلوب الأعداء بقوله^(٥٤٧): (من الكامل)

ويسيرُ جيشُ الرعبِ دونَ مسيرهِ

شهرًا فيبعثُ للعدى إرغامًا

فكأنه الطوفانُ ألقى موجه

فتعمدُ الأوهادَ والأكاما

ويمضي الشاعر في وصفه ويقول بأن الكواسر تتابع ناحيته لالتهام جثث الأعداء، وسنابك خليه تثير غبار الأرض الذي يغشى سماء المعركة كغيوم سوداء: (كامل)

والوحش يتبع سيره وَقَدْ أَلْف الـ

مطعانَ منهُ وصاحبَ المطعاما

عُقدتُ سنابكُ خبله في وقعها

مِنْ قسطلٍ مثل السماءِ قتامًا

ويستمر في مبالغاته جاريا على خطى شعراء هذه الحقبة في مدح ووصف الجيوش اثناء خوضها الحروب^(٥٤٨)

وَعَسَاكِرُ مَنْصُورَةٍ لَوْ حَارِبَتْ

شُهِبَ السَّمَاءُ لَحَلَّتِ الإِحْرَامَا

جيشٌ تضيقُ الأرضُ عنه فلا ترى
الآ أسود تحملُ الآ جاما
أوضارياً أو طاعناً أو نابلاً
أو أروعاً أو محرباً قمقاما

أما الفخر والاعتداد بالنفس، فهو نادر، ولا سيما أن "مدح النفس في الشعر كثير، وهو فيه أسهل منه في الكلام المنثور" (٥٤٩) باستثناء قصيدة واحدة لأبي البر الإربلي مطلعها (٥٥٠):
(مجزؤ الرمل)

لا ذيقنكَ فقدي
راغباً عنكَ بجهدي
عُد إلى غيري فاني
رجلٌ لستُ بجندي

ويظهر أن الشاعر طرد من عمله من قبل سيده. المدعو ضياء الدين بسبب سوء الظن به، لذا فإنه يدافع عن نفسه ويفخر بها في آن واحد بقوله:

ياضياء الدين هيتها
ت ترى مثلي بعدي
في تصاريفي وأعما
لي وفي حلي وعقدي
ذا احتياطٍ واحتفاظٍ
للأمـاناتِ يُؤدي
أه لولا سُـؤ ظن
في قد أوجبَ طردي

وينفي عن نفسه الخيانة، ويؤكد وفاه بالعهد، وان وجد بخلاف ذلك فإنه يعدّ زنديقا كافرا:

أنا إن خنتك في
شيءٍ ولم أوف بعهدي
كافرٌ أشنا عاليا
وأولي لأبنِ هندِ

ويمضى ويقول أن مردّ عذابه إلى فقره، وهو رغيف خبز يسد جوعه وقميص يستتر جلده،

وهنا يقترب شعره من قصائد الكدية:

عيلتي بطني وإني
جملة التكميل وحدي
برغيفٍ وقميصٍ
متعش متردي
فبذا أشبعُ بطني
وبذا أستترُ جلدي

ويتهيئ الشاعر قصيدته بالفخر بالنفس، ويدعي أن طينته جبلت بماء الورد والكافور، وينعت نفسه بأنه السيف البتار:

لي نفسُ جبلتُ طيد
نتها بالماء وردٍ
بعدهما شيبتُ بمسكٍ
وبكافورٍ وندٍ
أنا سيفٌ غريبه أم
ضى شباً من غرب هندی

وفي كل الأحوال فإن الشاعر يعرض مشكلته مع صاحب العمل، فضلا عن الافتخار بنفسه، وهو يصور ويجسد جانبا من أوضاع عمال هذه الحقبة ومشاكلهم في امارة اربل.

الصيد والطرود:

من المعلوم ان وصف الصيد جاء غرضاً مستقلاً في هذا العصر، وعلى الرغم من ذلك فإن شعر الطرد والصيد نادر في الامارة، ويعود السبب- حسب إعتقادنا- إلى ان بيئة اربل كانت بيئة حضرية، وقد ذهب أحد الدارسين إلى ان هذا النوع من الشعر كان أصله بدويا، ومضمونه أقرب إلى احوال أهل الوبر منه إلى عيشه سكان المدن وأهل الحضر^(٥٥١) ويذكر ان أمير اربل كان مولعا بالصيد في ايام محددة من كل اسبوع^(٥٥٢) وأن ممارسة هذا الهوي كانت لها وجود، وهذا ما يدعو إلى الاستغراب، ناهيك عما ذكرناه من عوامل فقد أنه، إلا انه من المرجح ان تكون النتف التي قيلت فيه لم تدون اوضاع مع الأيام.

الدراسة الفنية

من المعروف ان أبرز تحول حصل في العصر العباسي تمثل في انتقال المجتمع من البداوة إلى المدنية، وما صاحبه من تبدلات في نمط الحياة على المستويين الفكري والأدبي ولاسيما الشعر، حتى إذا أطل القرن الرابع هبت رياح التغيير في بنية القصيدة العربية.

وفي هذا العصر تحكمت الأقليمية، وأخضعت الأدب لمؤثرات البيئة^(٥٥٣) فاتخذت لغة الشعر وجهتين عامتين، وجهة شعبية بأسلوبها وألفاظها التي اقتربت من لغة الحياة اليومية، ووجهة تمسكت بالقديم وتمثلت المستوى الأدبي الرفيع في الفخامة والمتانة.

فالإتجاه الفني العام للشعر كان تقليداً وهو يمثل امتداداً طبيعياً لمستوى الشعر الذي قيل بعد المتنبي، وكانت لغته - في الغالب - فصيمة^(٥٥٤) اما اطاره العام فقد كان قابلاً لاستيعاب شتى الأغراض الشعرية، فالشاعر يلجأ إلى استخدام الألفاظ الفصيحة في موضوعات المدح والثناء. وحين ينتقل إلى الموضوعات الأخرى كالغزل والوصف ... الخ فإنه يصطنع لغة سهلة تعتمد على معجم من الألفاظ الجارية على الألسن في الحياة اليومية، وقد يستخدم لغة ركيكة في غرض معين كالهجاء، وفي ثنايا هذا الفصل شواهد عديدة تؤكد صحة ماذهبنا إليه.

ومن مظاهر هذا الإتجاه في الشعر الدعوة إلى مانسميه اليوم بواقعية التجربة الشعرية، واختيار الموضوعات من البيئة المادية والاجتماعية^(٥٥٥) التي كان لها تأثير واضح في استخدام اللغة الدراجة للتعبير عن هذه الواقعية.

وجاء العصر الأيوبي فاستخدم معظم شعرائه الألفاظ اللينة الواضحة، وفي مقدمتهم الشعراء الغزليون الذين ساروا على النهج المعروف بالطريقة الغرامية^(٥٥٦) ولم يكن شعراء اربل يختلفون عن شعراء العصر من ناحية وضوح اللغة الشعرية، لذلك نلاحظ ان السهولة أصبحت الطابع الغالب على لغة جمهرة كبيرة منهم.

ويعسر علينا ان نحكم على هذا الإتجاه بالضعف، بسبب غياب الدراسات النقدية التي تقومه وتعطي حقه من التقدير.

الخصائص الفنية

الأسلوب:

من خلال دراستنا للامثلة الشعرية المتنوعة في الفصل السابق، وفي الأغراض الشعرية السائدة في الامارة، ظهر لنا أن السمة الغالبة على مفردات الشعر ومعانيه هي الوضوح الشديد، والابتعاد عن التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي.

ومع هذا التعميم الذي أصدرناه على شعر إمارة اربل، فإن هناك تباينا جليا بين أساليب الشعراء من جهة، وتباين أساليبهم بين غرض وآخر من جهة ثانية.

فالشاعر النشابي يقوده اختياره الألفاظ والمعاني التي تليق بمكانة الخليفة طمعا لنيل الجائزة إلى استخدام الألفاظ الجزلة الفخمة كقوله^(٥٥٧): (رجز)

لولا أمام العصر ملاح هدى الـ

إنعام من بعد أنسدال السدفِ

ولا رعت أمـالنا في أنفِ

من بره من بعد جوبِ نفنـفِ

ومن شعره في مدح الوزير^(٥٥٨): (كامل)

ولرب حالكة الإهاب ونبله الـ

أزمات، غائلة الرزايا الغولِ

أضحى نصيرُ الدين فارح أزلها

عزماً بمضي الشفترين صقيلِ

ويلاحظ تغير أسلوب في مدح من هم أدنى كما في قوله^(٥٥٩): (مجزؤ الكامل المرفل)

قَدِمَ الأمير فقد غدا

ربعي بمقدمه أنيسا

ولبستُ بالأخراج عند

د لقاء خدمته لبوسا

ورأيتُ للإقبال عند

د رواءِ طلعتِه شموسا

وقد غير لغته وأسلوبه تبعا لتغير درجات ممدوحيه السياسة والاجتماعية.

وهذا مثال آخر من شعره في الغزل الذي يتقدم قصائده المدحية^(٥٦٠): (البيسط)

هيفاء أعطت قُدودَ البانِ قامتها

ليناً، وأسعفت الأغصانَ بالحيدِ

يريك تفتير عينها إذا نظرتُ

سحراً ترى عنده نفاثة العقدِ

وقوله في غزله المستقل الذي ظهرت لنا فيه جرأته وصراعته^(٥٦١): (طويل)

يقولُ - وقد قبلته ورشفته -

أراك أبحث الخمر والخمر في فمي

فقلتُ: طبختُ الخمر حين لثمتُهُ

بأنفاسٍ وجددي، فهو غير محرمٍ

وهكذا فقد الشاعر وقاره، وانطلق في غزله، حين غابت عنه عين الرقيب وهو بعيد من بلاط الخليفة وأنظار حشمه وبطانتته.

ويظهر هذا التباين في الأسلوب بوضوح عند الحاجري، ففي مقدمته الغزلية نراه يتشبث بالألفاظ والمعاني التي يطرب لها الممدوح، ويرضى عنها نحو قوله^(٥٦٢): (من الكامل)

ومرنحِ الأعطاف تحسده القنا

عند أهتران قوامه الميادِ

صنم أباح لي الضلال وجهه

ومِن العجائب أن يظل الهادي

إما غزله المستقل فإنه يأتي به ساذجا من غير قيود مهملا النظر في اختيار الألفاظ والمعاني المؤثرة كما جاء في قوله^(٥٦٣): (من مجزؤ الرجز)

يا صاحبَ الوجهِ المليدِ

ح والقوامِ الحسنِ

مَن ذا الذي أفتاك يا

مولاي أن تقتلني

والواقع أن اختلاف اساليب التعبير في الغرض الواحد كالمدح أو الغزل ليس ظاهرة غريبة، بل أن الشاعر كان يعبر به عن ذاته خير تعبير، وهذا التباين في الأسلوب جاء أكثر وضوحا في الأغراض المختلفة حيث كانوا يقسمون مدائحهم بحسب أقدار الممدوحين ومكانتهم

الاجتماعية، فلا يصح ان يكون الأسلوب المتبع في مدح الخليفة هو نفسه الذي يحتدى في مدح الآخرين^(٥٦٤) فقد اجاد الشعراء في تخير اللغة والأسلوب المناسبين لكل ممدوح كما أجادوا في غزلهم في مقدمات القصائد اوفي غزلهم المستقل.

ومن خلال دراسة أساليب الشعراء في الغزل في تلك الحقبة، يظهر أن السمة البارزة لطريقة نظم الشعر الغزلي هي الطريقة التي عرفت في حينها بـ"الطريقة الغرامية" أو "الانسجام" والتي اطلق عليها بعض الباحثين المحدثين على أصحابها تسمية "مدرسة الرقة والسهولة"^(٥٦٥) وقد عرض ابن حجة الحموى في خزانته لهذه الطريقة بشيء من التفصيل فقال " المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوية ألفاظه أن يسيل رقة، ولعمري أن طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعة، وبمحاسنه الغضة بين الأوراق ساجعة، وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه، وسكان مرابعه، فانهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع اللهم إلا أن يأتي عفوا من غير قصد"^(٥٦٦) ونحن نرى ان الشاعر الحاجرى قد تأثر في اسلوبه بهذه المدرسة، ويعد الرائد الأول لهذه الطريقة بين شعراء هذه الحقبة، ويتجلى تأثره في قوله^(٥٦٧):
(من الكامل)

لَكَ أَنْ تَشْوِقْنِي إِلَى الْأَوْطَانِ

وعلي أن أبكي بدمعٍ قاني

إن الأولى رحلوا غداة محجرٍ

ملاعوا القلوب لواعج الأحرانِ

وتسرب تأثير هذه الطريقة إلى الشعراء الآخرين ومنهم ابن خلكان كما في قوله^(٥٦٨): (من

الخفيف)

أي ليل على المحب أطاله

سائقُ الظعن يوم زم جماله

يزجرُ العيس طاوياً يقطعُ المهـ

مة عسفاً سهوله ورماله

ويعزى سبب انحياز الشعراء إلى هذه الطريقة في نظم الشعر إلى ميلهم الشديد إلى السهولة والرقة التي هي أهم سماته، وأساس بنائها.

ومن الأساليب الأخرى التي سلكها بعض الشعراء تأثرهم بالأسلوب البدوي القديم أو ما سمي بـ(المدرسة البدوية)^(٥٦٩) حيث يكثر الشاعر من وصف الصحراء ورمالها وجمالها، وقد

برز معظم شعراء اربل في هذا الاتجاه ولاسيما في مدح الخلفاء.
ويعتمد هذا الاتجاه على البحور الهادئة، وفيه نطلع إلى موسيقى الشعر، فالشاعر حين يبدأ بمدح الخليفة لابد له من أن يلجأ إلى اختيار الألفاظ ذات الجرس القوي ووزن موسيقي فيه وقار وهيبة، لأنه يدرك بعين عقله وأنه سوف يتعرض لنقد ومحاسبة كبار المثقفين المحيطين بالخليفة عادة، ومن أمثلة هذا الباب قول النشابي في مدح الخليفة المستنصر بالله^(٥٧٠):
(كامل)

خيرُ الخلائقِ منْ ذُوابةِ هاشمِ الـ
مستنصرِ البانيِ ذريِ عيوقةِها
وخليفةِ اللهِ الذي طاعاتهُ
مفروضةٌ لوجوبِها وحقوقِها
جمعتُ لهُ كفِ النوالِ مدائِحاً
ضجتُ بيوتُ المالِ منْ تفريقِها
منْ نبعَةٍ غدتِ السماءُ وما حوتُ
والأرضُ بينِ أثيلِها وعريقِها

استخدم الشاعر البحر الكامل مع التأكيد على القافية، فالهاء تليها الألف، وبها يستطيع الشاعر تفخيم صوته واعطاء شعره قوة وضخامة.

فلأسلوب واللغة مختلفان في ما يسمى بالمدرسة البدوية عما وجدناه عند غير أنصار هذه المدرسة ولاسيما في مدح من هم دون مستوى الخليفة أو الوزير.

ويبدو ان شعراء الامارة ومعهم شعراء العصر أرادوا عن طريق العناية باللفظ ان يطوروا أساليبهم في العمل الفني^(٥٧١) فالشعراء حاولوا تقوية لغتهم الشعرية واتباع المنهج المسمى بـ "تيار القصيدة المحكمة البناء"^(٥٧٢) ولكنهم لم يفلحوا في الالتزام بهذا المنهج والعودة إلى الألفاظ القوية والفخمة لأن معظم شعراء العصر قد هجروها منذ زمن.

وكان لطبيعة التركيب السكاني لمجتمع اربل في اشاعة بعض الألفاظ بين الشعراء والاكتثار من تداولها، كما في قول الحاجري^(٥٧٣): (الطويل)

منَ التركِ أبهى منْ رأيتُ معمما
وأحسنُ وجهاً منْ لقيتُ مشريشا

وقد تأثر الشعراء بالثقافة الفارسية، فثمة الفاظ فارسية معربة، استخدمها الشعراء، كما في قول النشابي^(٥٧٤): (خفيف)

وأقتبالُ النوروزِ عامٌ جديدٌ
وانتظارُ الشرورِ بالتععيدِ

وقوله أيضاً^(٥٧٥): (خفيف)

وأخو، حاجةٌ يُمشي أحوا
لأُ لديه إن جاءهُ البرطيلُ

ومن الجدير بالذكر ان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) أورد قصيدة للشاعر الضرير أنو شروان البغدادي المعروف بشيطان العراق الذي زار اربل، وفيها سلك الشاعر طريق الهزل والفكاهة مورداً ألفاظ البغداديين والأكراد، والقصيدة طويلة نقتطف منها هذين البيتين المتضمنين ألفاظ البغداديين^(٥٧٦): (من السريع)

أما العراقيون الفاظهم

جب لي جفاني جفَّ جال الحلا

جمالك أي جعجع جبه تجي

تجب جماله، قبل ان ترجلا

وأخرين متضمنين ألفاظ الاكراد وهما قوله:

كلّا، وبوبو علّكو خشتري

خليو وكيلو، وموسكا منكلا

قمو ومقو محكي ثم ان

قالوا: بويركي تجي قلت لا

وهذه الألفاظ الكردية كتبت بالحروف العربية، ولم تنتج من التحريف بسبب اختلاف اسلوب الكتابة بين اللغتين، ولا يتسع هذا المقام لتحليلها وتفسيرها.

ومن الأمور التي لا يمكن اغفالها في دراستنا لشعر الاربيليين ظاهرة تكرار بعض الألفاظ والصيغ والمعاني، وهو أمر طبيعي عند بعض الشعراء المعروفين كأبي العتاهية^(٥٧٧) وأبي الطيب المتنبي^(٥٧٨) والسرى الرفاء^(٥٧٩) وقد استحسّن القدماء هذا التكرار لاتصاله بالحالة الانفعالية للشاعر وأخيلته وعباراته الخاصة^(٥٨٠).

ومن ألفاظ الحاجري المكررة قوله^(٥٨١): (السريع)

كُمُ التاسي في ربوع الحمى

ياسعدُ عرج بالديار الديارُ

ويلاحظ عند النشابي- في المجال نفسه - تكرار بعض الصبغ السابقة وترديدها لفظاً ومعنى في أكثر من موضع مقارنة ومطابقة، فهو يبالغ كثيراً في اعادةها كما هو الحال في قصائده في المديح^(٥٨٢): (من الخفيف)
اقرأ ان شئت قوله^(٥٨٣)

صاحب النصر والزمان أبي جع
فر رب النوالِ والباسِ
نجد انه يكاد يطابق ماجاء في قوله^(٥٨٤): (خفيف)
صاحبُ العصرِ والزمانِ أبي جع
فر خيرِ الأنامِ من عدنانِ
ومن ألفاظه المكررة في مدح الخليفة قوله^(٥٨٥): (خفيف)
وترى مالكاً وأحمدَ والنعم
مانَ والشافعيَ والمسطورا
وقد أعادها في مدح الوزير حيث قال^(٥٨٦): (كامل)
وعلمتَ علمَ الشافعيِ ومالكِ
وأبي حنيفةَ في القياسِ وأحمدا

وتفسير ذلك ان الشعراء يستهلكون الكثير من الألفاظ والمعاني في الغرض الواحد، ويقودهم ذلك إلى هذا التكرار المعيب، وهو مسلك سلبي لا يقبل من الشعراء المقتدرين^(٥٨٧) لأن الأسلوب الأدبي يأخذ المعنى الواحد ويعرضه علينا في عدة صور بيانية متعددة فلا يكرر الألفاظ في التعبير عن المعاني نفسها، فالأسلوب يختلف في الفن الواحد باختلاف هؤلاء الأدباء، إذ نرى لكل منهم طابعا خاصاً في تفكيره، وتعبيره، وتصويره، وقد يصح لنا بعد ذلك أن نقول مع القائلين: "الأسلوب هو الأديب" او هو الرجل إلى نحو ذلك من العبارات^(٥٨٨) إذا في الأسلوب تكمن نفس الشاعر وتظهر براعته الفنية، وبهذا فاننا نقف على ظاهرة التكرار المعيبة في اسلوب بعض شعراء اربل البارزين.

وعند دراسة البيئية العامة في اربل، يجد الباحث ان هذه البيئية اتسمت بالطابع الاسلامي في توجهاتها العامة^(٥٨٩) وملامح تآثر الشعراء بها بيئية، وقد استفادوا من مكوناتها، ولا سيما من مفردات القرآن الكريم بالاشارة إلى سورة وآياته، ومن احاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم -.

وهذا ابن الظهير الاربلي يصور لنا موقف الانسان أمام الله سبحانه وتعالى يوم الحشر

العظيم متأثراً بآيات من الذكر الحكيم اذ يقول^(٥٩٠): (خفيف)

ثم من قبره سيحشر فرداً
واقفاً وحده يوفى حسابه
معه سائق له وشهيد
وعلى الحرص -ويح- إكبابه

وذكر الشعراء الكتب السماوية المشهورة، وأفادوا من التأريخ، وقصص الانبياء واكثروا
من اسماء الفقهاء الكبار كالائمة الأربعة المجتهدين واليهم أشار النشابي بقوله^(٥٩١): (خفيف)

وترى مالكاً وأحمد والنعم

مان والشافعيّ والمسطورا

وتأثر الشعراء بالبيئة الدينية وصوروا مظاهرها في شعرهم، حتى أوصلهم ذلك إلى التأثر
بالنصارى المنتشرين في أطراف أربل^(٥٩٢) الذين خالطوهم وترددوا اليهم، واستعملوا
مفرداتهم التي ساهمت في اغناء شعرهم، ويمر الحاجرى بمسجد مهجور، فيكتب إلى عماد
الدين والي الموفق^(٥٩٣) شعراً، ولما قرأه أتى المسجد وكساه، وفيه يقارن الشاعر بين المسجد
المهمل المهجور وكنيسة النصارى المضاءة بالشموع المشتعلة ليلا مما يدل على اقامة الصلاة
فيها وامتلائها بالعباد، وفيه يشير إلى القس والساعور بقوله^(٥٩٤): (الكامل)

أنا مسجدُ الله بيتُ عباده
عاري الملابس ليس في حصير
هجر المؤذن والجماعة جانبي
وجفاني التهليل والتكبير
الشمع في خلل الكنائس نير
وفناء ربي مظلم ديجور

وأخجلتي والذل حين يمر بي
فيقال هذا مسجد مهجور
لو كنت في أيدي النصارى بيعة
لبكى علي القس والساعور

أما الثقافة الفلكية فقد عبر عنها النشابي بقصيدة طويلة أودع فيها أسماء الكواكب
الخمسة، والنييرين، ومنازل القمر، والتي مطلعها^(٥٩٥) (خفيف)
للتهاني في كل شهر جديد
كل مدح يُتلى، وكل قصيد

اللغة:

بعد أن جرى الحديث عن أسلوب الشعراء وظاهرة تكرار بعض الألفاظ عند شعراء اربل
بصورة عامة، وتم التركيز فيه على موضوع الأسلوبية التي تباينت في الأغراض الشعرية
المختلفة، نعود مرة أخرى إلى الكلام على لغة الشعراء لنسلط الضوء هذه المرة على أهم
عيوبها التي هي الضعف والركاكة، وشيوع العامية فيها مع ايراد أمثلة لذلك.

فاللغة حاجة اجتماعية، ترقى مجتمعا، وتتدهور بتدهوره^(٥٩٦) وعليه فلا غرابة إذا وجدنا
أن لغة الشعراء في العصر العباسي الأخير لم تعد هي ذاتها التي عرفناها عند شعراء
العربية الأوائل وما تميزت به ألفاظهم من جزالة ومتانة وقوة، فالضعف أصاب الدولة
العباسية، وقد كانت من أبرز نتائجه سيطرة الأجانب في كثير من جوانب الحياة فيها ترك
آثره على اللغة، فلم يعد الاهتمام بها كما كان ابان نفوذ العباسيين.

وفي ضوء ماتقدم، فإن شعراء العصر ومنهم شعراء اربل جنحوا إلى تبسيط لغتهم
الشعرية لتكون في متناول أيدي الناس جميعاً، وكتبوا لهم باللغة التي يفهمونها^(٥٩٧) وفي هذا
الصدد قال ابو هلال العسكري: "وإذا كان موضوع الكلام على الافهام فالواجب أن تقسم
طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السوقي بكلام السوق، والبدوي بكلام البدو ولا
يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتعدم الخطاب"^(٥٩٨).

وظف الشعراء يميلون إلى استعمال اللغة الرقيقة السهلة، وقد عزا يوهان فك هذا التغيير
في لغة الشعر إلى انتقال المجتمع من حياة البداوة إلى حضارة المدن، وتغلغل غير العرب في
مناطق الأدب^(٥٩٩).

ومن عيوب اللغة عند الاربليين:

١- الركاكة:

ومردها شيوع الأسلوب السالف الذكر في استخدام الألفاظ الرقيقة والمعاني الواضحة بين
الشعراء، واكتسابهم لكثير من المفردات اللغوية السهلة التي أصبحت جزءاً من ثقافتهم، حتى
غدت طائفة من شعرهم رديئة وانحدرت إلى الركاكة والضعف، ويبدو أن مؤرخي الأدب قد

اسقطو- غالباً - هذا النوع من الشعر الذي لا لون له ولا طعم من نظم شعراء اربيل، واعتمدنا نحن في تقويم هذا الشعر على النصوص التي جمعها محققو دواوين الشعراء بصورة أساسية. ومن أمثلة شيوع الركابة في شعر تلك المدّة. ماجاء على لسان ابن خلكان إذ يصور حنينه إلى موطنه اربيل من قوله^(٦٠٠)

تمثلتم لي والبلادُ بعيدةً

فخيل لي أن الفؤاد بكم معنى

وناجاكم قلبي على البعدِ

فأوحشتم لفظاً وانستم معنى

أنها الفاظ مرصوصة ذات قافية واحدة ووزن واحد لاتجد فيها روحاً او حياة.

ومن الشعر الرديء لفظاً ومعنى ساق ابن المستوفي الوزير في كتابه ابيانا متعددة للشاعر مسعود البوازيجي (ت ٦٢٥هـ) الذي ورد اربيل^(٦٠١) ومن شعر الوافدين على اربيل من هذا الباب ابيات نظمها ياقوت الحموي في الغزل بطلب من الوزير ابن المستوفي، فقال^(٦٠٢): (من الطويل)

وَقَدْ غَبْتُ عَنْكُمْ شَهْرًا لَمْ أَرَكُمْ

فَمَا ضَرَكُمُ لَوْ زَرْتُمُونِي كَلِمًا

أَهَيْمُ بِكُمْ مَهْمًا حَيَّيْتُ فَاَنْ أُمَّتُ

أَهَيْمُ بِكُمْ بِالْقَبْرِ وَالْحَشْرِ مِثْلَمَا

يَقُولُونَ زُرْنَا قُلْتُ مَنْ لِي بِزُورَةٍ

يَعِيشُ بِهَا رُوحَ الْمَعْنَى وَإِنَّمَا

أَقُولُ لِقَلْبِي حِينَ هُمْ بِفَجْعَةٍ

عَسَى وَلَعَلَّ اللَّهَ يَوْمًا وَرَبَّمَا

ومن ركة التعابير عدم التمكن في لغة الضاد، فالنشابي يفصل بين (لو) و (جوابها) بأجنبي عنهما مع أن معظم شعره سليم من الخطأ، فيقول^(٦٠٣): (كامل)

لو كنت شاهداً-وقد رفع الأسي

مني ظلامته إلى ظلامه

لرأيت برقاً من ثنايا باسمٍ

ولم معي رعدٌ بفيضِ غمامه

وبعض شعر الحاجرى أقرب إلى النثر منه إلى النظم، نحو قوله في المدح^(٦٠٤): (من الكامل)

هذا الذي غدت الليالي منه كالأ

يام والأيام كالأعياد

والبيت ليس من الشعر في شيء، فهو مجرد ألفاظ جاءت ثقيلة الوقع، ساذجة التشبيه.

وإذا عدنا إلى ديوان النشابي. نجد أنه في بعض أقواله يقترب من النثر ولا سيما في أهاجيه، نحو قوله^(٦٠٥): (مخلع البسيط)

حج سعيد الطبيب عاماً

وهو من الآثم غير ناجي

ما حجّ إلا يتوب مما

وقد قتل الناس بالعلاج

أما منشأ الركاكة فانه يأتي - أحياناً - بسبب عجز الشاعر عن التصرف في اللغة، وهذا ابن ملاعب الاربلي يفقد السيطرة على لغته في الغزل إذ يقول^(٦٠٦): (من الرمل)

عللاني بالأمانى فلعلي

واعذراني وأغدلا من رام قتلي

وارحما من ظل يحسو دمعهُ

كلما غني حماماً فوق أثل

اذن الركاكة تنشأ - حسب رأينا - من عدم تمكن الأديب في اللغة التي يكتب بها لافتقاره إلى معرفة أسرارها.

٢- العامية:

لعل أول كتاب في لحن العامية كان من تأليف علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) ^(٦٠٧) وهو اشارة واضحة للدراسين إلى أن العامية قد تسلت إلى اللغة العربية الفصيحة منذ القرن الثاني للهجرة وربما قبله.

والمظنون ان العامية في هذا العصر قد سيطرت على معظم النتاجات الشعرية، ولاسيما في غرض الهجاء، وهذا ما يلاحظ في شعر الاربليين.

وحين نتصفح دواوين الشعر في اربل، نجد ان الشعراء قد بذلوا جهودا كبيرة في سبيل رفع مستوى شعرهم إلى درجة من النضج والتكامل مجارة للمتقدمين من شعراء العصر

حتى وقف بعضهم في مصاف البارزين، وفي مقدمتهم الشاعر النشابي الذي تميز أغلب شعره بالرصانة والجودة ولاسيما في مدحه، وبرز الحاجر في غزله، وابن الظهير في وصفه. ومع ذلك فان لغتهم – في بعض الأحيان – كانت تفقد هيبتها، وتتسلل العامية إلى كيانهما، وهو ما سوف نشير إليه لاحقا.

فالنشابي يقدم لنا لغتين مختلفتين، الأولى جادة حين يقف بين يدي الخليفة او الوزير، والثانية لا تشبه الأولى حينما يخاطب رجلا يستهجنه، ويحاول الحط من قيمته، وبهذا فهو يختار لكل موقف لغته، لكن لغته لا تخلو من بعض الألفاظ العامية الشائعة، حتى وان كانت جادة كما في قوله في مدح الخليفة (٦٠٨) (خفيف)

ولو أن النبي أدركه قسا

ل: أبو جعفر مكان مكاني

فالفظتان "مكان مكاني" عاميتان لا نعلم ماذا يقصد الشاعر بهما؟

وعندما نلتفت إلى لغته الأخرى في سخريته واستهزائه، نرى التغيير باديا عليها حيث تقترب من الليونة والعامية، وكأنه يريد أن يستهجن المهجو بألفاظه قبل الاستهجان بمعانيه، نحو قوله في هجاء صدرالدين ابن نبهان (٦٠٩):

رجل ابن نبهان الأعيرج شؤمها معلوم

مادار قَطُّ بأحد الألقى المحتوم

فانظر إلى الألفاظ "الأعيرج، معلوم، قَطُّ" وهي كلمات عامية دارجة على الألسن.

وهكذا تسربت العامية رويدا إلى لغة الشعراء في مدحهم كبار شخصيات العصر يدل على ذلك النماذج التي مر ذكرها.

أما الغرض الذي لم تكن العامية تخلو منه عند الاربيليين وشعراء العصر فهو الهجاء ومرد ذلك – حسب ظننا – إلى ان الشاعر كان يريد ان ينتشر هجاؤه بين أوساط الناس جميعا، لذلك كان لابد له من التعبير عن معانيه بلغة تناسبها وتلائم ذوق العامة والخاصة.

فالحاجر يندر في بعض أهاجيه من المعاني العامة إلى المعاني التي ينبو عن سماعها الذوق (٦١٠) وتطغي العامية بصورة مباشرة على سمطاته نحو قوله (٦١١): (من المسقط)

أي قلبي مـالكُ

تشكوخيـالكُ

لا أرتاح بـالكُ

خـالفت رائي

ولم تختص العامية بالهجاء وحده، بل وجدت آثارها في بقية الأغراض الأخرى كالغزل مثلاً.

وقال الحاجري في الغزل^(٦١٢): (السريع)

ان شئتَ قاطِئني وإن شئتَ صلِّ

لأبد لي منك على كل حال

وإذا تجاوزنا صدر البيت، على ما فيه من تكرار ثقيل فالعجز من الكلام الدارج . وهكذا زحفت العامية إلى شعر الاريليين، ومن جميع الأغراض الشعرية ولا سيما الهجاء، فالتعبير العامية شكلت قسطاً جيداً من لغة العصر بسبب هبوط المستوى الثقافي واللغوي لجمهور الناس، وأن أكثر الألفاظ التي استخدمت في الشعر لم تكن تحتاج إلى ان يراجع من أجلها المعجمات، بل كانت مفهومة عند السامع والقارئ العادي، بدون بذل جهد وعمل فكر.

وجوه البلاغة العربية:

تكاد دواوين شعراء اربيل لا تخلو من وجوه البلاغة العربية ومحسناتها ولا بد أن نجد فيها أحد وجوهها.

ويلاحظ أن الجري وراءها كان الشغل الشاغل لمعظم شعراء العصر، فلم يعد المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه أهم ما يجب أن يشتمل عليه شعر العصر، لأن مفهوم الشعر البليغ قد تغير في اواخر ايام العصر العباسي.

وهنا يلاحظ بروز اتجاهين عند الشعراء الاريليين، فالأول ما يلمسه الباحث من انجراف معظم الشعراء مع تيار " مدرسة الرقة والسهولة"، وأصحاب هذا التيار نزعوا نحو السهولة والوضوح وابتعدوا عن التكلف وما جاء بخلاف ذلك كان أمراً عارضاً من غير قصد، وهم لم يتعقبوا الألفاظ العصبية والمعاني المبهمة، وخير من مثل هذا الاتجاه الحاجري وابن الظهير الاربلي وغيرهما، وهؤلاء لم يتقصدوا في ايراد المحسنات اللفظية، حتى بدت قصائدهم خالية منها.

أما الاتجاه الثاني فقد مثله مجد الدين النشابى وأمين الدين السليمانى الاربلي وغيرهما من الذين حرصوا على ان يجمعوا اكبر قدر مستطاع من المحسنات اللفظية والمعنوية، وكانما حسبوا أن اعجاب الناس بشعرهم مرده إلى صبّ الفاظهم في اطار جاهز من المحسنات اللفظية.

ولدى استقراء شعر النشابى يلاحظ ان الصنعة البديعية باقية عليه وليس أدل على هذا من تصريحه بذلك في قوله مخاطباً الخليفة المستنصر بالله في أحد مدائحه^(٦١٣): (خفيف)

يا إمام الهدى أتتكَ قوافٍ
من طباقٍ في نظمها وجناسٍ
ثم يعود ليؤكد هذا الجهر في قصيدة أخرى^(٦١٤):
ولئن أرسلتها قافيةً

تتهادى في جناسٍ وطباقٍ

ودعما لما ذهبنا إليه من استغراق بعض الشعراء في بحر من المحسنات نستشهد في هذا
الموضع بقصيدة النشابي القافية من ديوان، وهي في مدح الخليفة المستنصر بالله، وفيها من
الجناس سبعة عشر ومن الطباق اثنان، مطلعها^(٦١٥):

بين جفوني والأرق

مات رُقادي بالغرَق

ولعل ما يدل على اتساع موجة البديع هو انجراف الشعراء من تيارها، وظنهم أنها الضالة
التي ينشدونها ويسعون وراءها، فالشاعر أمين الدين السليمانى الاربلي نظم قصيدة طويلة
في كل بيت منها نوع من البديع، وبهذا جمع معظم الوان المحسنات البديعية في قصيدة
واحدة، وهي من القصائد النادرة التي قلَّ نظيرها في هذا العصر.

قال أمين الدين في مطلع قصيدته^(٦١٦): (من الخفيف)

بعضُ هذا الدلالِ والا دلالٍ

حالٌ بالهجرِ والتجنبِ حالي

حرتُ أذْ حُرَّتْ ربيعِ قلبي وإذْ

لالِي صبرِ أكثرت من اذ لالي

.....الخ.

ففي البيت الأول جناس بين "الدلال والا دلال" وهو جناس لفظي وفي البيت الثاني جناس
خطي بين "اذلالي واذلالي" ولكون القصيدة تحتوى على ستة وثلاثين بيتا، وفي كل بيت نوع
من المحسنات يختلف عن الآخر لذلك فان المقام يضيق بشرحها وشرح ما فيها من الوان
البديع الكثيرة.

وفي امثال هذه القصائد قال العماد الأصفهاني "هذه القصيدة من حقها ان تكتب بسويداء
القلوب على بياض الأحداق، وقد أهدقت بها حدائق من التجنيس التطبيق والترصيع"^(٦١٧):

وقاد هذا الافراط في استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية إلى طغيان الصناعة والتكلف

على الشعر، ومن ثم إلى فقد ان الشعر لركن مهم من اركانه، ألا وهو العاطفة، وبذلك غد الشعر عبدا للبديع وألوانه، فهزلت الأفكار، وتكررت الصور التي لاتعبر عن شعور ووجدان عميقين.

ومن هذه الامثلة الشعرية قول النشابي^(٦١٨): (رجز)

كأنما شاربها
يمُجُّ برقاً قد خفقُ
وشادنٍ يحيي الموا
ت صوته إذا نطقُ
رشيقٌ قد إن بدا
وأن رنا فقد رشقُ
عنا ففاح مندلُ
لنا شق إذا نشقُ

وهي أبيات مجردة من العاطفة، ومنتزعة الخيال، وهي لاتجذب الانتباه، ولا توظف الاحساس، وذلك لأن العقل قد تحكم في شعر هؤلاء الشعراء، وأدى إلى ندرة الصور الشعرية الرائعة، والخيال المبدع، وفقد ان القدرة على تصوير الانفعال والأحاسيس، وبذا فقد خلا الشعر من كثير من المذاق ورهافة الحس.

أما الشعراء الآخرون الذين انتهجوا الاتجاه المعاكس لهؤلاء ولم يسعوا وراء صيد المحسنات اللفظية، ونزعو إلى الرقة والوضوح، واعتمدوا في نظمهم على الطبع وعلى مهارة شعرية صقلتها الموهبة والخيال والواسع لاستحضار الصور البديعة، والألوان الزاهية^(٦١٩) فقد برعوا وأبدعوا في مجال الشعر، ومن يطالع قصائدهم يتمتع بعذوبة الفاظهم وجمال صورهم.

فالحاجري صورنا البيئة البدوية في غزله أحسن تصوير، وقال^(٦٢٠): (الكامل)

يا سائقَ الوجناء - غير مقصرٍ -
يطوي المفاوز من ربيّ ووهادٍ
مالي اليك سوى التحية حاجةُ
تلقى سعاعداً بها ودار سعادٍ
عرجُ برامة ان راممة منتهى
ألمي وغاية بغيتي ومرادي

لله صبَّ بالعراقٍ متيماً
ظامٍ إلى ماءِ المحصبِ صادي
وهذه صورة للخمرة يرسمها ابن الظهير الاربلي بقوله^(٦٢١): (الكامل)
ومدامةً مثلَ العقيقِ شربتها
والنجمُ في كبدِ السماءِ مُعلقُ
عاطيتها بدرَ الدجى والليلُ منُ
وَجِهَ المديرِ ومنُ سناهاُ يشرقُ
في روضةِ حسنتُ ، وطابَ نسيمها
فكانَ مسكاً في ثراها يعبقُ

وفي هذه الأبيات يصف الشاعر الخمرة التي يشبه لونها بالذهب في صفرته، والنجم يسامرهم متلألئاً في كبد السماء، ويشرق الوجه الجميل للساقى كأنه البدر في رياض طاب نسيمها. وفي النماذج السابقة لانجد أثراً للمحسنات اللفظية، فجاحت الفاظها عذبة سلسة، ومن يطالع شعر أصحاب هذا الاتجاه يلتبس ذلك بوضوح.

ويلاحظ من شعر الحاجري وابن الظهير الاربلي أنهما قد ثارا على تيار البديع في معظم قصائدهما حيث كانت خالية من آثاره أو ألوانه في أغلب الأعراس التي تناولاها، فضلاً عن امتلائها بالمشاعر الصادقة والعواطف الحارة.

وبعد أن تبين لنا موقف شعراء اربل من موجة البديع السائدة في العصر، وبروز اتجاهين متضادين، نعود إلى وجوه البلاغة العربية التي أشرنا إليها آنفاً، ومن تلك الوجوه نستهل بعلم المعاني.

وقد بدالنا من دراسة قصائد الشعراء، شيوع أسلوب الاستفهام، وقد يستخدم الشاعر هذا الأسلوب في مطلع قصيدته، كما فعل ذلك ابو الربيع الاربلي في مدحه للوزير ابن المستوفي بقوله^(٦٢٢): (من الكامل)

هَلْ عِنْدَ مَكَانِ اللوى والأجرع
علمُ بما تطوى عليه أضلعي؟
ام هل درى ذاك الغزالُ بأُنني
باكِ على آثارِ تلكِ الأربيع؟

وكذلك استهل بهاء الدين الاربلي قصيدته بأداة الاستفهام "كيف" قائلاً^(٦٢٣): (من السريع)

كيفَ خلاصي مِنْ هَوَى شادينِ
حكْمهُ الحسنُ على مهجتي؟
بعادهُ نارى التي تتقى
وقـربهُ لوزارني جنتي

وقد يستعمل الشاعر أداة الاستفهام بين القصيدة، نحو قول النشابي في البيت الرابع عشر من قصيدته المدحية^(٦٢٤): (كامل)

هلْ لي إلى دارِ السَّلامِ زيارةٌ
يشفي بها القلبَ القريحَ مِنَ الصدى؟
واستخدم الشعراء أساليب أخرى منها أسلوب النداء وخاصة في غرضي المدح والغزل، وهذا شيطان الشام ينادي بمدوحه بـ "يا" النداء قائلاً^(٦٢٥): (من الكامل)

يا أيها الملكُ الذي في وجهه
مِنْ بشْـرِهِ وسماحهِ نورانِ
والحاجرى في غزله ينادي محبوبه بـ(يا) النداء بقوله^(٦٢٦): (السريع)
ياقمرأ في القلبِ أضحتْ لهُ
دقائقُ دقتْ على كوسيارُ

وعند التمعن في شعر اربل نجد ان هذه الأساليب مستخدمة بكثرة وعند معظم الشعراء. والحديث الآن عن الوجوه والصور البيانية التي اشتمل عليها شعر الاربليين التي من أهم الوانها التشبيه والاستعارة، وفيما يخص التشبيه، لقد وقفنا على تكرار المعاني والأفكار التي طرقتها السابقون بصورة بيّنة، كتشبيه الكريم بالبحر، والفارس الشجاع بالأسد، والملك أو الأمير العظيم بالنجم في العلو أو بالشمس.

وقد شبه ابو الربيع الاربلي بمدوحه بالبحر في الكرم وليث الوغى في النوائب، بقوله^(٦٢٧):
(من الطويل)

وبحرُ نوالٍ لا يفيضُ قرارهُ
وليثُ وغيٌّ يعدي على نوب الدهرِ
وكذلك المدوح عند الحاجري كالبحر وكالجوزاء وكالأسد في قوله^(٦٢٨): (من الكامل)
كالبحرِ يوم ندى وكالجوزاء يوُ

مَ عَلا وكالضـرغامِ يومَ طرادِ

وفي الغزل أعاد الشعراء المعاني المطروقة نفسها كتشبيه الوجه الجميل بالبدن، نحو قوله
بهاء الدين بن نجا الاربلي^(٦٢٩): (من الخفيف)

وجهه والقوامُ والشعرُ الأسودُ

في بهجةِ الجبينِ النضيرِ

بدرتُم على قضيبي عليه

ليلُ دجنٍ من فوقِ صُبحٍ مُنيرِ

وفي المعنى نفسه قال ابو علي عزالدين الاربلي^(٦٣٠): (من الكامل)

رَشَاءً، لَهُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَرْتَعٌ

بُدْرٌ لَهُ قَلْبِي وَطَرْفِي مَنْزِلُهُ

وكذلك ظلت العيون تشبه بالسيوف في الغزل بالمؤنث، أما اذا كان المتغزل به ذكرا قيل فيه
انه شاهر سيفين، أي سيفه وعينه، نحو قول أبي علي عتيق بن علي الاربلي^(٦٣١): (من السريع)

ناطقني من طرفه الوحيا

وهم أن ينطق فاستحيا

جرد لي سيفين من لحظه

أموت من ذا وبذا أحيا

وقد ذكرنا ان سمه الشعر البارزة في العصر هي الوضوح في الألفاظ والمعاني، وأدى ذلك
إلى إيراد التشبيهات الواضحة التي لا تحتاج إلى تفكير عميق في ادراكها.

ومن التشبيهات الواضحة قول ابن الشعار الموصلي صاحب كتاب "قلائد الجمان في فرائد
شعراء هذا الزمان" الذي أقام في اربل سنين عديدة، وهو يشبه قامة محبوبه بالغصن الذي
يرنحه كالنسيم الهاب^(٦٣٢): (من الكامل)

وَمُورِدِ الْإِجْفَانِ تَحْسَبُ قَدَهُ

غصناً يرنحه النيمُ إذا سرى

ويشبه بهاء الدين الاربلي دموعه بالسحاب المطر في قوله^(٦٣٣): (من الطويل)

أَظْمَأَ غَرَاماً فِي هَوَاكَ وَلَوْعَةً

ولي دمعُ عينٍ كالسحابِ بكيته

أما ابن خلكان فانه يبالغ في تشبيه وجه محبوبه، وهو يراه أجمل من البدن، في قوله^(٦٣٤):
(من الدوبيت)

قاسوكَ بيدر التّم قومُ ظلموا
لا ذنب لهم لأنهم ما علموا
ونختم التشبيهات الواضحة ببيت من شعر أن الظهير، وهو قوله (٦٣٥): (من الكامل)

وأن طرتهُ ونور جبينه
ليلٌ تالِقٌ فيه بارقٌ صبحه
ويلاحظ ان شعراء الامارة يكررون تشابيه الشعراء المتقدمين، وكل يتصرف فيها بحسب شاعريته وقدرته، ومن التشابيه المألوفة التي أعادها معظم الشعراء تشبيه المرأة بالظبية، وكما في قول الحاجري (٦٣٦): (طويل)

لوى جیده كالظبي عن لسر به
وأقسم تيهاً لا يرقّ لصبه
فهذه التشبيهات وغيرها كثيرة عند الشعراء ولا تتعدى حدود وصف الشيء بما يقاربه لزيادة الوضوح، بيد ان هذا لا يعني ان الشعراء لم يوظفوا هذا الفن توظيفاً يصلون به إلى مستوى يبعث النشوة في نفس السامع من خلال الصياغة والتصوير باعتبار "ان التشبيه من أهم أدوات التعبير الجمالي عند الشاعر ومظهر براعته واقتداره" (٦٣٧) بل ان بعض الشعراء صاغوا تشابيه رائعة من حيث الدقة والتعبير، ومنهم النشابي الذي ربط بين طرفي التشبيه البرق الخافق والقلب الخافق، بصورة حسية جمالية دقيقة في قوله (٦٣٨): (كامل)

والبرقُ يخفقُ منْ خاللِ سحابةٍ
خفقَ الفؤادِ لموعدٍ منْ زائرٍ
وكذلك يشبه وميض البرق بالسلاسل الذهبية والسيوف البراقة القاطمة نحو قوله (٦٣٩): (طويل)
كأنَّ أئتلافَ البرقِ منْ جنباتها
سلاسلُ تبر أو سيوفُ قواضبُ

وقد يرسم لنا الشاعر صوراً تفصيلية متلاحقة الأجزاء حيث تتابع التشبيهات في عدة أبيات من القصيدة (٦٤٠): (بسيط)

وأنهض إلى قهوة تبدي أشعتها
في الكأسِ مثل ضياءِ الشمسِ في الأفقِ
فتلكَ بدري، وبدر الليلِ في حُجبِ
وتلكَ شمسٌ، وشمسُ الناسِ في الشفقِ

ومن تشبيهات الحاجري الرائعة، قوله في الغزل، ويظهر أنه سباق إليها^(٦٤١): (المتقارب)
فقد شبه كف المحبوب بالشمس في البريق واللمعان من جهة، وانفراد كفه برائحة عبقة
سحرية، وقد أبدع في تشبيه الحسوس بالمعقول.

ويبدولنا أن الشعراء لم يكتفوا بترديد معاني التشبيهات المألوفة والشائعة، بل سعو إلى
اختراع معانٍ جديدة لم يطرقها السلف في عصر طغى عليه التقليد وعزّ فيه الابداع، منها قول
الحاجري^(٦٤٢): (الطويل)

وما أخضَرَ ذاك الخد نبتاً وإنما

لكثرة ما شقت عليه المرائرُ

وهو تشبيه لم ينل به استحسان بعض أهل البيان، ومنهم ابن حجة الحموي "وقالوا ما زاد
الحاجري على أن جعل خدَّ محبوبه مسلخاً. فأُن فيه بشاعة شق المرائر على خدَّ المحبوب
"^(٦٤٣)، إلا أن هذا النقد لم يمنع هذا التشبيه من الانتشار حتى لنجد شاعر الأندلس ووزيرها
لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٦٦هـ) يقول^(٦٤٤): (الطويل)

تذكرتُ بيتاً في العذارِ لبعضهم

له مثلُ بالحسنِ في الأرضِ سائرُ

" وما أخضَرَ ذاك الخد نبتاً وإنما

لكثرة ما شقت عليه المرائرُ

وللحاجري معانٍ أخرى غير مطروقة، نحو قوله^(٦٤٥): (الكامل)

أومى بوجنتيه إلى كأنها

في شكلها عينُ الغزالِ الأغيدي

فقد شبه وجنة الحبيب بعين الغزال.

أن الشائع الملاحظ في هذه الحقبة هو إجراء التشبيه بين الأطراف المادية المشاهدة، أما
التعبير عن أفكار دقيقة أو اختيار تشبيهات يكون الشبه فيها خافياً غامضاً ويجيء المشبه به
مشهور الصفة فيزيل بذلك غرض المشبه ويحدد صفته، فإن هذا الضرب من التشبيهات قليل
بصورة عامة.

ومن تلك التشابيه قول النشابي^(٦٤٦): (كامل)

تتنفسُ الصهباءُ في لهواته

كتتنفسِ الريحانِ في الأصالِ

وكأنما الخيلانُ في وجناتهِ
ساعاتُ هجرٍ في زَمانِ وصالِ
فوجه الحسن في البيتين هو ان المشبه محسوس والمشبه به معقول. ومنها ايضاً قول عمر
الدينسرى^(٦٤٧): (من الكامل)

فالبدرُ مفتقرٌ إلى أنوارهِ
والغصنُ مضطربٌ إلى حركاته
والسرُّ من الحاظه والدرُّ من
ألفاظه والوردُ من وجناته

فالتشابه "السرُّ من الحاظه والدرُّ من الفاظه والورد من وجناته" من التشابه المقلوبة التي
جعل الشاعر فيها المشبه مشبها به بادعاء ان وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، وقصد بذلك
المبالغة، وهذا مظهر من مظاهر الافتتان والابداع.

ولعل من اللافت للنظر أن شعراء الامارة قد تأثروا بنصوص القرآن الكريم وأفادوا من
المعاني الدينية في خلق مجموعة من التشابه التي يظهر فيها تأثر الشعراء واضحا بالبيئة
الدينية التي اهتم بها أمير البلاد، فاختر الشعراء من مفردات القرآن الكريم ومضامينه
وقصصه وحكمه ماشاؤوا، وليطرزوا بها أشعارهم ويزيدوا من قوة تأثيرها في نفوس
السامعين.

ان المتأمل لديوان النشابي، يلمس صدى القرآن الكريم في كل قصيدة من قصائده، من
ذلك قوله^(٦٤٨): (كامل)

فكأنه فينا المسيحُ وقدُ غدتُ
صدقاته تحيي الغداة رميما

شبه الشاعر الخليفة بالسيد المسيح - عليه السلام- في أنه أحيا الناس بالصدقات كما
كان السيد المسيح يحبس الناس بمعجزاته بأذن الله تعالى، وقد أفاد من قوله تعالى على
لسان السيد المسيح: * (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بأذن الله)*^(٦٤٩)، وقال
ايضاً^(٦٥٠): (خفيف)

وأرانا صرحاً، كأن قواريد

رَ لديه قد قدرتُ تقديرا

وهنا يشبه قصر الخليفة في جماله بالأواني الزجاجية الملونة، وقد أفاد من قوله تعالى:

* (... قال انه صرح ممرد من قوارير)*^(٦٥١) وقوله تعالى: * (قوارير من فضة قدروها تقديرا)*^(٦٥٢) وفي هذا البيت أفاد الشاعر من النص القرآني بتمامه في صوغ او ايجاد التشبيه المطلوب.

وقد يستفيد الشاعر من المعنى او الفكرة القرآنية في صياغة التشبيه الذي يريده، دون أن يتقيد بالنص القرآني، وهذا الضرب من التشبيهات هو الذي يجذب الانتباه لكثرتة في شعر الامارة.

ومن هذا القبيل قول الحاجري^(٦٥٣): (الخفيف)

أنتَ منا كَثُوبِ يوسُفَ لما

حَمَلْتَهُ البَشْرَى إلى يعقوبه

وأفاد الشاعر من قوله تعالى: * (فلما أن جاءَ البَشِيرُ ألقاهُ على وجهه فارتدَّ بصيرا)*^(٦٥٤) فقد استلهم المعنى من قصص الانبياء، حين شبه هبوب نسيم الديار الحجازية الذي حمل له أخبار الحبيبة بثوب يوسف الذي حمل البشرى إلى نفس يعقوب ببقائه على قيد الحياة وجعله بصيرا.

وقال أيضاً^(٦٥٥): (الوافر)

كأني يونسُ والريحُ حوتُ

ومن حولي - وقُيت الشر - بحرُ

وقد أفاد من قوله تعالى: * (وإن يونسَ لمن المرسلين)*^(٦٥٦)

ويقوله تعالى:

* (فالتقمه الحوت وهو مليم)*^(٦٥٧)

أما ابن الظهير الاربلي فقد صاغ بعض تشبيهاته من أفكار ومعاني دينية، ولوحظت هذه المعاني عند معظم الشعراء، قال ابن الظهير^(٦٥٨): (البسيط)

صلى إلى حبكمُ قلبي وطافَ به

فأنتم كعبةُ المُشْتاقِ والحرمُ

فالألفاظ "صلى، وطاف، وكعبة، والحرم" جميعا ألفاظ إسلامية جاء ذكرها كثيرا في القران الكريم.

ومن الألوان البيانية الأخرى الاستعارة، وفي هذا الصدد نقول أن الفاظ اللغة كثيرا ما تعجز عن أداء المعاني أداء حقيقيا معبرا، فيضطر الشاعر إلى اللجوء إلى الاستعارة وغيرها

من الوسائل للتعبير عن افكاره وأحاسيسه في شكل صور فنية، فقد "تفعل الاستعارة في نفس السامع مالا تفعل الحقيقة"^(٦٥٩). والاستعارة ضرب من التشبيه، وأنها من الوسائل المهمة في أداء الصورة الشعرية، وتتطلب رسوخ قدم الشاعر في الفن الشعري، وبذلك فقد قلت الاستعارات الجيدة عند شعراء الامارة.

ومن لطيف كلام النشابي الذي جمع فيه الاستعارة المكنية مع الاستعارة التصريحية، قوله^(٦٦٠): (كامل)

حَلَّ العزائمَ عند حلِّ لثامِهِ

بدرٌ يفوقُ البدرَ عند تمامِهِ

ففي صدر البيت استعارة مكنية، اذ استعار للعزائم صفة من صفات شيء معقود كالحبل أو اللثام، كما ورد في الشطر نفسه على وجه الحقيقة "حل لثامه" وفي العجز استعارة تصريحية، اذ استعار للممدوح لفظة "البدر" بعد حذف المشبه، وجانس بين "بدر" و "البدر" في الوقت نفسه

ومن الاستعارات المتتابعة قوله ايضاً^(٦٦١): (خفيف)

أقبلَ العامُ مفصحاَ بالهناءِ

رافعاَ بالثناءِ كَفَّ الدعاءِ

مُقَسماً - غيرَ آثمٍ - أن أياً

م أبي جعفر كنوزُ البقاءِ

كلما جاء عامهُ بشرِ القا

دم من بعده بحسنِ اللقاءِ

ففي الأبيات السابقة استعارات مكنية، لأن الافصاح ورفع الكف بالدعاء والقسم البشري، كل هذه من صفات الانسان، وهو الذي ما يسمى بظاهرة التشخيص التي لمحناها كثيرا في شعره.

وقد جنح بعض الشعراء في استعاراتهم إلى التشخيص حيث استعاروا من الصفات ما يبيث روح الحياة والحركة في الجوامد، ولم يقتصر هؤلاء في استعاراتهم على تشخيص المعنويات وتجسيدها كما فعل النشابي في الأبيات المذكورة آنفا فحسب، بل تعدت استعاراتهم إلى تشخيص المحسوسات وتجسيدها ايضاً من ذلك قول الحاجري^(٦٦٢): (الكامل)

حَلَفَ الرَّبِيعُ بِقَدِهِ الْفَتَانَ
وَتَحْرَشُ الْأَغْصَانُ بِالْأَغْصَانِ
وَبِهَجَّةِ الزَّهْرِ الْأَنْيْفِ إِذَا سَرَتْ
أَنْفَاسُهُ مَسْكِيَّةَ الْأُرْدَانِ

ففي البيت الأول استعارة مكنية لأنها شُبّهت الأغصان بالصفات الانسانية وحذف المشبه به، وأشار إليه بشيء من لوازمه وفي البيت الثاني شبه الزهر بالصفة الانسانية نفسها، ورمز للمشبه به بأنفاسه. وكما استعان الشعراء بالتشبيه والاستعارة في ابراز المعاني وتجسيد صورها فقد استخدموا الكناية ايضاً، وهي " ان تكنى عن الشيء وتعرض به ولا تصرح"^(٦٦٣) ومن ابرز ميزاتها انها توضح المعنى الكثير باللفظ القليل.

ومن تعريف كنايات الحاجري^(٦٦٤): (السريع)

يمشي وعزرائيلُ مِنْ خَلْفِهِ
مُشْمَرُ الْأُرْدَانِ لِلْقَبْضِ

وفي البيت يهجو الشاعر طبيباً يعرف بابن شمعون، ويقصد بعزرائيل الموت، فعدل عن التصريح بالإشارة إليه والكناية عنه. ومن كناية الاربليين قول امين الدين الاربلي^(٦٦٥): (من الخفيف)

أنا أخفي هواك صوتاً وإن بـ

ت طعينَ القنا جريح النبالِ

استخدم الشاعر الرمح والنبال كناية عن الحاظ محبوبه الفتاة.

والكناية أقل شيوعاً في شعر النشابي قياساً مع التشبيه والاستعارة ومن كناياته في مدح الخليفة قوله^(٦٦٦): (الطويل)

أبي جعفر المنصور أكرم من مش

على الأرض هوناً، أو على متن أجرد

استعمل الشاعر "مشي الهوينا" كناية عن التواضع، و" علو متن أجرد" كناية عن الفروسية والبطولة والاقدام.

وقوله^(٦٦٧): (مجزؤ الكامل المرفل)

القاتلُ الأموالِ كالـ

أبطالٍ في ليلِ الهريرِ

وقال أيضاً^(٦٦٨):

مِنْ مَعْشَرِ أَيْدِيهِمْ
خُلِقَتْ مِنَ الْغَيْثِ الْمُطِيرِ

فاستخدم "القاتل الأموال، وأيديهم خلقت من الغيث المطير" كناية عن الكرم والجود والعتاء.

ومن كنايات ابن الظهير قوله في الرثاء^(٦٦٩): (بسيط)

كسَاكَ رَبِّكَ أَثْوَابًا مَجْمَلَةً

يَضِيقُ عَنْ حَصْرِهَا التَّفْصِيلُ وَالْجَمْلُ

فأراد ان يثبت للمرثي فوزه بالجنات النعيم وترك التصريح وانصرف إلى التعبير عنها بالأثواب كناية.

وفي موضع سابق كنا أشرنا إلى بروز اتجاهين متضادين، وموقفين مختلفين في استخدام الوان البديع، فمنهم من أغرق نفسه في الجرى وراء المحسنات البديعية، ومنهم من لم يقصد اليها دائماً وإنما أتت في شعره دون تكلف او تصنع.

ونعود الآن إلى البديع نفسه، حيث غدا سمة تعبر عن ذوق العصر في الميل إلى هذا الفن، يتسابق إليه الشعراء لظهار مهارتهم في النظم وقدرتهم عليه، لأن الاجادة فيه أصبح معيارا لجودة الشعر، وأصبحت براعة الشاعر في استعمال المحسنات البديعية دليلاً على سعة ثقافته وثراء لغته.

وقد اصبحت الوان البديع مجرد زينة لا تحوى عقلا ولا فكرا، وليست لها هذه الطرافة التي كنا نجدها في شعر ابي تمام^(٦٧٠) وبدأت تسيء إلى القصيدة العربية، لأنها كثرت وصارت تدل على التكلف والبعد عن الطبع والصدق، وتحولت إلى زخارف افظية لاحياة فيها^(٦٧١).

والملاحظ ان فئة من شعراء اربل أسرفت في استخدام البديع اسرافا بالغا، فهذا امين الدين السليمانى الاربلي، نظم قصيدة طويلة التزم في كل بيت منها ضربا معيناً من البديع^(٦٧٢) وهؤلاء لم يعتمدوا على التقاليد الموروثة لهذا الفن بل اعتمدوا على رأيهم الشخصي في ابتداعه^(٦٧٣). والملاحظ على شعراء القرن السادس بشكل عام جنوحهم إلى استخدام الجناس والطباق بكثرة، نتيجة لاهتمامهم بموسيقى الشعر، لذا تجدهم قد مالوا إلى الفنون البديعية أكثر من ميلهم إلى بعض الفنون البيانية^(٦٧٤) ولدى استقراء ديوان النشابى نجد ان الجناس والطباق من أكثر الوان الصنعة البديعية شيوعاً فيه، ومن امثلة الجناس التام ماجاء في قوله^(٦٧٥): (كامل)

أو أشكل الأمر العظيم بدا له
عزمٌ يحل عقائدًا بعقائد
فالعقائد الأولى بمعنى الأمور المعقدة والثانية بمعنى التصميم والثبات.
ومنه أيضاً قول ابن الظهير الأربلي^(٦٧٦): (الخفيف)
أنا مستعذبٌ عذابي ومختا
رُعلى العز في هواكم هواني
فالهوى الأول بمعنى الحب الصادق والثاني بمعنى الدُل.
ومن جناس الحاجرى التام قوله^(٦٧٧): (الخفيف)
قلتُ لما بدا وأعرضَ عني
هكذا من يهواك يلقي الهوانا
قال أنت العزيز بل ذاك كي لا
يفهم الكاشحون منّا هوانا
فالهوان الأول يعني الصدّ والهجر، والثاني يعني المودة والمحبة.
ولهذا اللون من البديع الذي هوما اتفق ركناه لفظا واختلفا معنى نماذج قليلة في شعر
الأربليين بسبب عدم اكتراث الشعراء به. أما الجناس الناقص الذي هو تجانس اللفظين في
الحروف والحركات مع الاختلاف في عدد الحروف، فله نماذج كثيرة بسبب اهتمام الشعراء
به، واقبالهم عليه.
فمن الجناس الناقص قوله امين الدين الأربلية^(٦٧٨): (من الخفيف)
بعضُ هذا الدلالِ والإدلالِ
حالٌ بالهجر والتجنبِ حالي
فقد جانس الشاعر بين الدلال الذي يعني التدلل والا دلال الذي يعني الوصل بعد الصدّ.
ومنه أيضاً قول النشابى^(٦٧٩): (رجز)
لو كنتُ فيهم حاضراً
سابتُ في أخذ السبقِ
فالسابق والسبق كلمتان متجانستان لاتفاوت بينهما الأ بحرف واحد.
وبسبب تنوع الجناس وكثرة مسمياته نذكر نموذجين آخرين فقط للحاجرى احدهما جناس
الترجيع كما في قوله^(٦٨٠): (السريع)

والراحُ في راحةٍ مستعربٍ
كالبدر يبدو منُ محياهُ نورُ
فقد جانس بين الراح وهي الخمرة مع الراحة التي هي كف الساقى الأبيض.
ومن جناس التصحيف قوله^(٦٨١): (الكامل)

بُعَثَ الغرامُ منُ الخيامِ فيا لها
تحفٌ تحفٌ لحملها الأعناقُ

فالغرام والخيام متماثلان خطأ ومختلفان في النطق وفي النقط.
وهكذا بيد واضحا من النصوص المتقدمة أن شغف بعض الشعراء بالجناس كان كبيرا
وحرصوا على الاتيان به وتكديسه على حساب المعنى وجودة النص.
وهكذا لم يمنع الشعراء الآخرين من السير في الطريق المضاد إذ سبق أن ذكرنا عدم
اكثراتهم بفن البديع.

ويأتي الطابق والمطابقة في المرتبة الثانية بعد الجناس، فالطابق هو " ذكر الشيء
وضده"^(٦٨٢): وهو كثير الورد في شعر الاربليين ولا سيما في ديوان الحاجري قياسا مع
غيره من الدواوين، واختيارات الحاجري لاتخلو من حسن صياغة، نحو قوله^(٦٨٣): (الطويل)

أعاتبهُ والطرفُ يفتكُ في دَمي

مُذيتَ حبيباً سلمهُ مثلَ حربهِ

فقد طابق بين لفظتي السلم والحرب، فالعتاب لايفيد في محبويه لأن عواطفه متضادة
لايعرف لها استقرار وهو طباق بين اسمين.

ويذهب الحاجري إلى المقابلة - في بعض الأحيان - حتى يتسع في الطباق ليضم شعره
اكثر من طباق واحد، كما في قوله متغزلا^(٦٨٤): (الطويل)

فليتكم عدلُ، ودهري جائرُ

وليتكم سلمُ وكل الورى حربُ

وفيه مطابقة بين عدل وجائر، وسلم وحرب.

فالطباق اذا جاء ضدين كان مقابلة^(٦٨٥):

ومن ذلك قول النشابي في المدح^(٦٨٦): (رجز)

وهِمَّةٌ كَم رتقتُ

في الدينِ كلما أنفتقُ

لكَ السرورُ دائماً

مُصطبِحٌ ومغتَبِقٌ

فقد أتى بازاء (رتق) (انفتق)، وبازاء (مصطبج) (مغتبق) وهي مقابلة اثنين باثنين. وبهذا اللون من البديع، يعبر النشابي عن ثقافة عربية اسلامية واسعة، استغلها في قصيدة دالية في مدح نصير الدين احمد بن الناقد، وقد أفرغ فيها فنه الشعري وبراعته في اختيار الفاظ القصيدة جميعها، نحو قوله^(٦٨٧): (كامل)

لولا أنسكابُ الدمعِ ما ظهرَ الهوى

مني لعادي لوعتي أو عائدي

وَمِنَ العجائبِ أن قلباً موثقاً

بيدِ الغرامِ رفيقِ دمعِ شاردٍ

أبكي فيبدي ثغره كمدامعي

مُتبسماً عن سلسبيلٍ باردٍ

فأصد عنه بشوقِ قلبٍ وامقٍ

وأغيبُ فيه بلحظ صبِّ ساهدٍ

ونجد في الأبيات طباقاً بين "عادي وعائدي" والموثق والشارد، وأبكي ومبتسم، وهي أسماء، وفي الأبيات طباق بين فعلين وهما "أصد عنه وأغيب فيه".

وعلى الرغم من انحسار البديع- ومنه الطباق - في شعر ابن الظهير الاربلي فان دراسة شعره وقراءة ما بين ابياته تثبت أن البديع قد تسلسل إليها، وبدت مظاهره طبيعية غير متكلفة، فمن طباقه قوله^(٦٨٨): (طويل)

ودعوى المحب السكر آية صحوه

وهل عاشقٌ من يعرفُ السكر والصحوا

وفيه طابق بين "السكر والصحو" وهما ضدان.

ومن ألوان البديع الأخرى الترصيع، حيث أنه يستملح ويستحسن في النظم اذا أحسن الشاعر استخدامه في شعره ولم يصل به حد الاسفاف والتصنع، لأنه اذا كثر وتوالي دل ذلك على التكلف^(٦٨٩).

ويظهر من شعر النشابي أنه استخدم هذا الفن الشعري وأجاد فيه، ولا سيم في مدحه حين ذهب فيه إلى تعداد مناقب ممدوحه بقوله^(٦٩٠): (كامل)

بحر الندى، داني المدى، نور الهدى
مُغني العدا، دامي المدى، ليثُ الشرى
رَحْبُ الذرى، جم القرى، عذبُ الثرى
كاسي العرى، وثيقُ أسبابِ العرى

فقد جزءاً الأبيات بفواصل متوازنة من جانب وبجمع منسجم بين الألفاظ والصيغ من جانب
آخر، واستطاع أن يتحفنا بفن بديعي مستساغ قلَّ نظيره عند شعراء اربل.

ومن شعر امين الدين الاربلي نختار هذا الترصيع^(٦٩١): (من الخفيف)

خنْتُ عَهْدِي فِدَامَ وَجْدِي فَهَلْ يَكُ

بِتُ ضِدِّي يَوْمًا بِطَيْبِ الْوَصَالِ

فالترصيع واضح في خنت عهدي، ودام وجدى، ويكبت ضدى، وطيب الوصال.

ومن ضروب البديع الاقتباس والتضمين، وقد سبقت الاشارة اليهما بصورة مقتضبة لدى
حديثنا عن فن التشبيه وتأثر الشعراء بالتشابه الواردة في القرآن الكريم، ولا ضير هنا ان
نذكر بعض الأمثلة الأخرى لغرض اعطاء الموضوع حقّه.

ويظهر أن تأثر الشعراء بهذا الفن كان واسعاً جداً في هذا القرن وخاصة بأى الذكر
الحكيم الذي "أصبح في هذا العصر نوعاً من الضرورة في الشعر"^(٦٩٢)، حتى ان بعض
الشعراء، استخدموا بعض معاني القرآن في وصف الخمرة، كما جاء عند الحاجرى^(٦٩٣):
(المنسرح)

حَيْثُ كَوَّسُ الْمُدَامِ دَائِرَةٌ

وَالْبَدْرُ فِي الْأَفْقِ شَبَهُ عُرْجُونِ

وقد أخذ المعنى من الآية الكريمة: * (والقمرَ قدرناه منازلَ حتى عادَ كالْعُرْجُونِ
القديم)*^(٦٩٤):

اما في الغزل فقد اقتبس ابن خلكان بعض الفاظ القرآن الكريم بقوله^(٦٩٥): (من الطويل)

يَقُولُ عَذُولِي وَالْغَرَامُ مُصَاحِبِي

أَمَّا لِكَ عَنْ هَذِي الصَّبَابَةِ مَذْهَبُ

وَفِي دَمِكِ الْمَطْلُولِ خَاضُوا كَمَا تَرَى

فَقَلْتُ لَهُمْ: ذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا

وهي مأخوذة من قوله تعالى: * (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي

يوعُونَ)*^(٦٩٦) فالتضمين القرآني - على ما هو معروف - يشدّ قوى الكلام، ويثبت صحته في الافهام ^(٦٩٧):

ويبدو أن النشابي وظّف هذا المفهوم في شعره اذ يعد من ابرز الشعراء في هذا الفن. ومن اقتباس النشابي قوله ^(٦٩٨): التقارب

فَصَلِّ لِرَبِّكَ ثُمَّ انْحَرُ

وَضِحْ بِشَانَتِكَ الْاَبْتَرُ

في البيت اقتباس من قوله تعالى:*(فصل لربك وانحر، إن شانتك هو الابتتر)*^(٦٩٩):

كما اقتبسوا من الحديث الشريف ومنه قول النشابي ^(٧٠٠): (بسيط)

يُشَابِهُ الْوَرْدُ رَأْسًا فِي زَجَاجَتِهَا

فَادْرَأْ حُدُودَكَ فِي اللَّذَاتِ بِالشَّبِهِ

وهو تضمين لقوله - صلى الله عليه وسلم - : (ادرؤوا الحدود بالشبهات)^(٧٠١):

وقد اكثر شعراء اربل من التضمين ايضاً فضلاً عن الاقتباس، فالتضمين من محاسن البديع عند ابن المعتز وسماه حسن التضمين ^(٧٠٢) وعرف التضمين في عصر الامارة بشكل واسع بحيث اتخذ عند البعض مذهباً خاصاً بهم ^(٧٠٣).

ومن طريف التضمين قصيدة للنشابي، ضمن فيها ألقاب الخلفاء العباسيين حسب التسلسل التاريخي لحكمهم، وهي في مدح الخليفة المستنصر بالله مطلعها ^(٧٠٤): (كامل)

بشرى كمهل السحابِ الممطرِ

تنجابُ عن فلقِ الصباحِ المسفرِ

أو بفرحةِ العاني، وإدراكِ المنى

أو فرحةِ الساري بليلِ مقمرِ

اللهُ خص العالمين بنائبِ

مُستبصرِ، وخليفةٍ مُستنصرِ

ومن ضروب البديع التورية.

وقد تحدث عن أهميتها ابن حجة الحموى واعتبرها من أعلى فنون الأدب ^(٧٠٥). وهي " أن تكون الكلمة تحتل معينين، فيستعمل المتكلم احد احتماليهما ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله" ^(٦٧٠). ومن توريات الحاجري الذي يظهر من استقراء ديوانه أنه كان مقلا في هذا الفن، قوله ^(٧٠٧): (الطويل)

سَرَى طيفهُ الي مجددا

عُهودَ الهوى يا حبذا ليلةُ الاسرا

والتورية في ليلة الاسراء، فالشاعر لم يرد معناه الظاهر، بل أراد بها الليلة التي أسرى بها طيف الحبيبة.

أما الشاعر النشابي، فقد كان مكثراً، وسعى إلى تحسين شعره بالتورية من ذلك قوله على سبيل المثال لا الحصر^(٧٠٨): (طويل)

ألا فأروني مَنْ له الحمدُ مسندُ

سوى أحمدٍ أو في الوزارةِ مسندُ

في البيت تورية بمسند الامام احمد بن حنبل، والحمد مسند إلى احمد ابن الناقد الوزير. ومن ضروب البديع حسن التعليل.

وهذا الضرب من البديع يكشف عن طبع الشاعر وقدرته على الابداع "وهو أن يدعى للوصف علةً مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي"^(٧٠٩)

ويظهر بأن الحاجرى قد برز فيه، نحو قوله^(٧١٠) (سريع)

لَوْ لَمْ تَكُنْ وَجنتَهُ جنةً

ما أنبتت ذاك العذارَ الأنيقُ

يرى الشاعر ان وجنته لم تكن جنة إلا بسبب ظهور ذلك العذار الأنيق حيث ينكر السبب الحقيقي يكون وجنته تشبه الجنة بحسنها وبهائها.

ومن حسن تعليل النشابي نذكر له هذا البيت^(٧١١): (كامل)

كَمْ قِيلَ صِفَ صَدَقَاتِهِ، فَأَجَبْتَهُمْ

أما حياتي فهي في إنعامه

فقد بالغ في وصف صدقات ممدوحه التي شملت الناس جميعهم، فهو لذلك يدعى ان حياته السعيدة مستمرة في انعامه، وهي اشارة إلى كثرة صدقاته.

ومن الوان البديع الأخرى رد العجز على الصدر، ويسمى التردد أو التصدير^(٢٧١) وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان هذا اللون البديعي يصبح مهارة فنية من المهارات التي يجب على الشعراء الأخذ بها ان استطاعوا، لأنه يساعد من ناحية على وضوح المعنى ومن ناحية أخرى يزيد الموسيقى اللفظية من خلال التكرار النغمي الذي يراد به تقوية الجرس^(٧١٢).

ويبدو ان الحاجرى قد شغف بهذا اللون البديعي شغفا كبيراً. وأجاد في استعماله، وهذا

لايتأتى إلا للشعراء المجيدين الذين يمتلكون موهبة وملكة لغوية كبيرة، ومن قوله الحاجرى
(٤٧١): (الوافر)

سَلَامُ اللَّهِ مَا لَمَعَتْ بُرُوقُ

على من ليس يسمحُ بالسلام

فقد جاءت لفظة السلام في أول البيت وآخره، واختيارها يدل على ذوق وفن.

ومن جميل امثلة هذا اللون قوله ايضا (٧١٥): (الطويل)

ولو أن ناراً بالمُحْصَبِ أوقدتُ

وليلي بنجدٍ قلتُ هاتيك نارُها

فالمقصود من النار الأولى النار الاعتيادية، أما الثانية فانها تعني شدة الوجد والشوق.

ومن تصدير الاربليين ايضا هذا البيت لاصين الدين الاربلي (٧١٦) (من الخفيف)

ماجدُ بعض فضلُه بذلُه الما

ل وقل الذي يجـودُ بمالٍ

ويدلي النشابى بدلوه في هذا الفن ولكنه دون مستوى الحاجرى في ابداعه، يقول (٧١٧) (وافر)

إذا نحرْتُ مهابتك الأعادي

ترصع مدحُ صنعك في النحورِ

ف(نحرت) الأولى تعني (الذبح) اما الثانية فالمراد بها أعالي الصدور.

ويعد حسن التخلص من ضروب البديع الأخرى والذي سماه ابن رشيق (ت ٤٦٥هـ) بـ"لطفة الخروج" (٧١٨) وقد شغل هذا الفن النقاد قديما لأهميته الفنية في القصيدة، فاذا ما وفق الشاعر في الانتقال من المقدمة التي يقصد بها الاثارة إلى الغرض انتقالا طبيعيا من غير ان يقطع التيار النفسي، كان هذا دليلا على براعته واجادته لفنه (٧١٩) ويكاد يتفق النقاد على ان المحدثين أحسن تخلصا من المتقدمين (٧٢٠) لأن مذهب الأوائل واحدة لا يخرج عن قولهم "دع ذا" و "عد عن ذا" (٧٢١) ولاغرابة ونحن بعد تقويم الشعر أن نجد بعضا من شعراء اربل يسلكون في بعض قصائدهم المنهج القديم في حسن التخلص، وهذا ابو الربيع الاربلي في قصيدة مدح يخاطب الديار الحجازية، ثم ينتقل من الغزل إلى المدح بقوله (٧٢٢): (من الوافر)

ففي أذني وقرُّ عن سَمَاعِ الـ

كلام وفي الهوى عبي كرشدي

أرّخ صاحٍ من ذكر البوادي
وخل عن القباب قباب سَعِدِ
فقد ملكت بنو الأتراك رقي
بهزلٍ من تجنبهم وجدّ

وفيه يطلب من صاحبه أن يدع ذكر البوادي لينتقل مباشرة إلى ذكر ممدوحيه الذين هم من
ابناء الأتراك.

وبالرغم من وجود شعراء محافظين على تقاليد الشعر العربي الموروثة ولكن يبدو أن هناك
من برعوا في التخلص من مقدمات قصائدهم، من ذلك قول النشابي متخلصا من الغزل إلى
المدح^(٧٢٣): (رجز)

وصارَ ذكريَ علماً فيه، فلو
قيلَ سوى وصفي به لم أعرفِ
كما بنو العباس حازوا بأبي
هم جعفر المنصور أقصى الشرفِ

ولا بن الظهير حسن تخلص بديع في مدحه، وفيه يسترسل في وصف رحلته الشاقة ليلا
إلى الممدوح، وحين يصل إليه وقت بزوغ خيوط النهار ينتقل مسرعا فيخلط بين وصفه ومدحه
وبين وجه الصباح النير ووجه الممدوح المشرق بقوله^(٧٢٤) (خفيف)

وثنى النجم عن سُرَاهُ عناناً
مُطلقاً وأنبرى النسيمُ عليلاً
وأجتلينا وجهَ النهارِ كوجهِ آلِ
صاحبِ الصدرِ مُرتجى مأمولاً

ومن ضروب البديع الاكتفاء.

وهوما يسمى بحذف الضرورة، ومنه قول النشابي^(٧٢٥) (طويل)

أهمُ بشيءٍ والأمانى تحيّلني
على أملٍ بالقربِ، حتّى كأنّ قدِ

أي حتى كأن قد حالتني.

ومنها أيضاً الالتفات ويسميه اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) بالانصراف^(٧٢٦) وهو لون آخر
من البديع اعتاد الشعراء على استخدامه في كلامهم" وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى

الاخبار وعن الاخبار وعن الاخبار إلى المخاطبة" (٧٢٧).

ولهذا اللون أمثلة عديدة في شعر الحاجري، ونكتفي هنا بما استشهد به ابن معصوم (٧٢٨) في موضوع الالتفات من الغيبة إلى الحضور (٧٢٩) (وافر)

أهل لك في إعانة مُستهامٍ
يُقَادُ إلى الغرام بلا زمامٍ
تعرض بالخيام على زرودٍ
فراح وقلبه بين الخيام
عُريبَ الحي كيف أبيع قتلي
أليس العُربُ تعرفُ بالذمام

وأخيرا نختم الكلام على فنون البلاغة العربية بالحديث عن خواتم القصائد التي قال عنها ابن رشيق: "قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع" وذكر ان سبيل الانتهاء فيها " أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه" (٧٣٠) فقد اهتم شعراء اربل بخواتم قصائدهم ولكنهم اختلفوا فيها، فمنهم من أورد الأدعية في بعض خواتم قصائده، مثل النشابي في قوله (٧٣١) (بسيط)

فلا برحتَ طويلَ العمر منتصراً
تنال مما ترجى غاية الأمدِ
حتى ترى الف لقمان له لبدٌ
وبعده ألفُ لقمان بلا لبدِ

وهذا ما انتهجه أيضاً ابو الفضل الحيراني في مدحه للوزير ابن المستوفي مختتما قصيدته بهذين البيتين (٧٣٢) (من الطويل)

فَدَمَ لبني الأمالِ - ياخيرَ ماجدٍ -
كَمَا دام فينا يذبلُ وعسيبُ
فلا زلتَ محروسَ الجنابِ مِنَ الأذى
وَعَصْنَكَ في روضِ العلا قشيبُ

ومنهم من سعى إلى جعلها عالقة في الأذهان باستخدام التشبيهات اللطيفة نحو قوله الحاجري (٧٣٣) (الرجز)

يَنُوبُ عَنْ وَرْدِ الرَّبِيعِ خَدَهُ
كَأَنَّمَا شَقِيقَهُ شَقِيقَهُ

وقوله أيضاً^(٧٣٤) (الوافر)

وَقَالُوا كَالهَيْلَالِ، فَقُلْتُ كَلًّا
قَلَامَةً ظَفَرَهُ تَحْكِي الهَيْلَالَ

فهذا تقريبا ابرز ما وجدنا من وجوه البلاغة العربية في شعر الأربليين خلال الحقبة المحددة لهذه الدراسة.

الفنون الشعرية المستحدثة:

وإذ نحن بصدد دراسة الشعر في أربل علينا أن لاننسى الفنون الشعرية المستحدثة، وإن جاء انتشارها على نطاق ضيق بسبب عدم كثرة الشعراء بها، وهي مهما تكن فإنها من الاتجاهات الشعرية السائدة في هذا العصر.

فشعراء أربل لم يقصروا في قرضهم الشعر على الهيكل المؤلف للقصيدة العربية بل كانت لهم مشاركات في الفنون الشعرية المستحدثة، كالموشح، والدوبيت، والموالي، والتسميط، والتخميس.

ولدى لقاء نظرة فاحصة في أشعار هذه الحقبة، نجد أن الشاعر الوحيد الذي نظم في هذه الفنون جميعها هو حسام الدين الحاجري، أما النشابي فقد نظم مواليا واحدة فقط في الهجاء، وأما ابن الظهير فليس في شعره الذي وصل إلينا أي أثر لهذه الفنون، ولا بن خلكان ثلاثين دوبيتا جمعها الدكتور احسان عباس، وللشاعر ابي محمد الأربلي والعز الأربلي دوبيتين اثنتين فقط.

هذا مجمل ما وصل إلينا من هذه الفنون، ونحسب أن الذين جمعوا شعر الأربليين أهموا من شأن هذه الفنون، أو أنها لاتزال في طي المخطوطات التي ما تزال مفقودة إلى وقتنا الحاضر.

الموشح:

يعد الأندلس البلد الذي ولد فيه الموشح في أواخر القرن الثالث الهجري، وفي هذا المجال قال ابن بسام: "وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريققتها فيها بلغني محمود بن حمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعراب الماهلة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه

الموشحة دون تضمين فيها، ولا أغصان" (٧٣٥) ومن الجدير بالذكر ان الباحثين اختلفوا في نشأة الموشح الأولى، وأصوله التي تطور عنها (٧٣٦) ويبدو أنه قد حمل إلى المشرق (٧٣٧) بعد اقبال الناس عليه في الأندلس، فعرف به في مصر القاضي السعيد بن سناء الملك (ت ٦٠٨ هـ) صاحب " دار الطراز في عمل الموشحات"، ثم انتشر في بلاد الشام والبلاد الأخرى (٧٣٨) وكان من رواده في الموصل ابن الدهان الموصلية (ت ٥٨١ هـ) (٧٣٩) ويعد الحاجري رائد الشعراء الاربليين في هذا الفن الوافد (٧٤٠) ويبدو و ذلك من استقراء الشعر العربي في اربل. نحا الحاجري في موشحه منحى غزله البدوي، باستخدام ألفاظ رقيقة عذبة المعاني، نحو قوله (٧٤١)

سلامٌ على أهلِ تلكَ الخيامِ
هُمُّ سؤْلٍ قلبي وأقصى المرامِ
بحقِّ الهوى يانسيمُ الخُزامِ
على رَسْمِ دارهم عـرج

وحي لنا ربة الهـودج

وهذا الموشح هو الوحيد في ديوانه، ونظرا لجودته، لايمكن ان يكون مجرد محاولة أولية بل يدعو إلى الظن بوجود غيره.

الدوبيت:

لم يقف شعراء اربل عند أوزان الخليل وحدها، وانما نظموا في وزن الرباعية، وهو وزن كان معروفا عند الفرس باسم الدوبيت ينظمونه بلغتهم، وقد سمّاه العرب بأسم الرباعي لكونه مؤلفا من أربعة مصاريع، وسموا الواحدة منها رباعية، وأوزانها كثيرة أشهرها "فعلن، متفاعلن، فعولن، فعلن" (٧٤٢) يعد الدوبيت الشكل الجديد الذي يمكن ان يكون ابن القرن السادس الهجري لأنه شاع وذاع فيه بعد أن أخذه العراقيون من الفرس، ومن العراق انتقل إلى البلاد العربية والاسلامية الأخرى (٧٤٣) ويبدو أن معظم دوبيتات الاربليين نظمت في الغزل، اذ يروى ان الشاعر صلاح الدين الاربلي الذي كان حاجبا عند امير اربل ثم خدم الملك الكامل الذي اعتقله، عمل في سجنه دوبيتا، فغناه بعض القيان، فاستحسنه الملك، وسأل من هذا؟ فقالوا: للصلاح، فأمر الملك بالأفراج عنه، والدوبيت المذكور هو (٧٤٤)

ما أمرُ تجنيكَ على الصبِّ خفي
أفنيْتُ زَماني بالأسى والأسفِ

بماذا غضب بقدر ذنبي ولقد

بالغت وما أردت إلا تلفي

وذهب عدد من الدارسين إلى ان الفقهاء والعلماء قد شغفوا بهذا الفن من باب ممارسة
الهواية(٧٤٥)

وهو ما نرجحه لأننا وجدنا ابن خلكان يمتلك مقدرة كبيرة على نظمه، ويعود إليه معظم ما
نظم في هذا الفن، نحو قوله(٧٤٦)

في هامش خدك البديع القاني

أسرار هوى لكل صبب عان

قد خرجها البارى فما أحسنها

من حاشية بالقلم الريحاني

ولدى النظر في دوبيتان الحاجري ظهر لنا بأن أكثرها غنائية، وهذا النمط من الشعر
اعجبت المتصوفة، فنظموا به كثيرا من المعاني التي تصلح للغناء في حلقاتهم، نحو قوله(٧٤٧)

يابدر كمالاً وجمالاً وبها

أنت القمر المنير الصبب سها

أخفى فاذا بداتبينت به

كالشمس إذا بدت بدا البدر بها

المواليا:

المواليا فن شعري يحتمل الاعراب واللحن، واللحن فيه أحسن وأليق، وله وزن واحد واربعة
قواف على روى واحد، ومخترعوه أهل واسط، وينظم على البحر البسيط(٧٤٨)
ومن كبار شعراء أربيل الذين تأثروا بهذا الف هو الحجاجي. ومن مواليا الحجاجي
قوله:(٧٤٩)

بحق من جعل ذاك الحسناً ملبوسك

وقع على قصتي بإطلاق محبوسك

لولا الفضيحة وإحراقى بناموسك

كنت الزمك عندما ألقاك وأبوسك

والمواليا عند الحجاجي تدور جميعاً حول موضوعه الرئيس وهو الغزل، ويبدو ان الحجاجي
ساير تطور أشكال المواليا فالزمه ما لا يلزم بقوافيه الأربعة، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى

الجناس التام، فاللفظة ذاتها ترددت في القوافي الأربعة وبمعاني مختلفة، من ذلك قوله^(٧٥٠)

ما ضرکم لو يطيب الوصلِ حليتم
عيشي وعني وثاقَ الذلِ حليتم
منْ بعدما في صميم القلبِ حليتم
قتلي وسفكِ دمي كيفَ أستحليتم

فحليتم الأولى من الحلاوة، والثانية بمعنى فك الوثاق، والثالثة بمعنى نزلتم، والرابعة بمعنى الحلال، وهذا الضرب شديد الصلة بالغناء، وتداوله يدل على ان شعراء اربل كانوا مبدعين غير مقلدين في تجديد فنون الشعر في القرنين السادس والسابع الهجريين. والملاحظ ان الحاجري نظم في ضرب آخر من المواليا وهو ما يسمى " اثنين اثنين" وهو ترديد اللفظة في القفل الأول والثاني من جناس واحد والثالث والرابع من جناس آخر، على ان تكون المواليا من روى واحد^(٧٥١)، نحو قوله^(٧٥٢)

طرفي الشحيحُ بدمعه صارحاتم طي
وقد طواني هواكم في المحبة طي
بالله أرقبوا لي سلمي يا نساء الحي
لعل قلبي الذي قد مات يرجع حي
وللنشابي مواليا واحدة في الهجاء، كما جاءت في ديوانه^(٧٥٣)
رجل ابن نيهان الأعيرج شؤمها معلوم
مادار قط بأحد الألقى المحتوم
قلع ملك وعزل عارض بهذا الشؤم
وعاد جرر زعيمه بعر أخت اليوم

التسميط والتخميس:

تتألف القصيدة في الشعر المسمط عادة من أدوار وكل دور يتكون من أربعة أشرط او أكثر تتفق كلها في القافية ما عدا الشرط الأخير الذي يجب ان يوافق دائماً قافية العمود ذي القافية الثابتة التي بدأها الشاعر^(٧٥٤) وتسميتها مشتقة من السمط " وهو أن تجمع عدة سلوك في ياقوتة او خرزة ما، ثم تنظم كل سلك فيها على حدته باللؤلؤ يسيرا، ثم تجمع السلوك كلها في زبرجدة أو شبهها أو نحو ذلك، ثم تنظم ايضاً لكل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى ان يتم السمط"^(٧٥٥) فالمسمطة عند الحاجري بسيطة الألفاظ، وسهلة

البناء، ذات جرس موسيقي غنائي، ومن دورها الأول^(٧٥٦)

لولا تجنني مَنْ قَدْ هجرني
ما كُنْتُ أعني إلى قضاء

وأخر دورها:

إي قلبُ مالكُ تشكوُ خيالكَ
لا أرتاحُ بِالكُ خالفتَ رأيي

أما الخمسة فأنها تتألف من أدوار، وكل دور يضم خمسة أشطر، الأربعة الأولى منها ذات قافية موحدة، والخامس بقافية ثابتة دائماً، أي بمثابة اللازمة أو عمود القصيدة، وقد يكون المقطع الأول من الخمسة بأشطره الخمسة ذا قافية واحدة^(٧٥٧) ومن الأخيرة نظم الحاجري إحدى مخمستيه، وهي خمسة غزلية المنحى بدوية المعنى، تفوح برائحة الحنين والوجد لفراق الأحبة، ورسم صورة رائعة لما يعانیه العاشق ١٤٥١٤٥ الهولهان، وهي من أربعة أدوار، ودورها الأول^(٧٥٨) (الكامل)

هاتيك دارهم، رويدك بالسُرى

حتى أعفر وجنتي فوق الثرى

ياحادي الأضعانَ ويكَ أما ترى

كُتبتُ دُموعي فوقَ خدي أسطراً

من بعدُ ما أجزتُ نجيعاً أحمرأ

ويظهر أن هناك ضرباً آخر من هذه الخمسات شاع في عصر الامارة وهو ان يختار الشاعر قصيدة لشاعر معروف ويجعل أبياتها أو بعضها تشترك في سمط القافية الموحدة، أما الأشطار الثلاثة التي تسبق هذه الأبيات، فتكون بقافية موحدة^(٧٥٩)

وقد اعجب الحاجري بشعر الشاعر ابن الخياط^(٧٦٠) وبشكل خاص قصيدته المشهورة التي مطلعها^(٧٦١)

خُذاً من صبا نجدُ أماناً لقلبه

فقد كادَ رياهماً يطيرُ بلبه

أمعن الحاجري في هذه القصيدة، ونسخ على منوالها غزلاً بدوياً، عفيف المضمون، رقيق المعنى، اتسم بحسن الصنعة، وجود المحاكاة، وهي تقع في تسعة أدوار، ونحن نتمثل بالدور الأول من هذه الخمسة^(٧٦٢) (طويل)

خليلي عوجا بالغووير وكتبه
ولا تمنعا المشتاق من لثم تربه
هو الصب يصيبه الهوى دون صحبه
(خذا من صبا نجد أماناً لقلبه)

وبهذا فقد أسهم الأربليون في الفنون الشعرية المستحدثة، حيث بدت آثار اتقانهم وبراعتهم لها واضحة.

الهوامش:

- (١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة أربل ١: ٥٧٠، وبحث عن لواء أربيل لعبد الرزاق الحسني، مجلة (لغة العرب) ٨: ٦٠٩، والعراق قديما وحديثا ٢٣٦.
- (٢) ينظر: المرشد ألي مواطن الآثار، الرحلة الخامسة، ص ٦، وبحث بعنوان (حدياب-أربيل، عشتار-أربيل)، مجلة سومر، مجلد ٢٥ ١٩٦٩، ص ٢٢٠.
- (٣) الموسوعة العربية المسيرة ٨٠٠.
- (٤) مظفرالدين كوكبري أمير أربل ١٨٩.
- (٥) وفيات الأعيان ٢: ١٨٩.
- (٦) ينظر: الروضتين ١: ٣٠، ومفرج الكروب ١: ٩٧، ومرآة الزمان ٨: ١٨٩.
- (٧) أربيل في العهد الأتابكي ٤١.
- (٨) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية. مادة أربل.
- (٩) ينظر: مظفر الدين كوكبري أمير أربل ١٩٥-١٩٦.
- (١٠) وفيات الأعيان ٤: ١١٤.
- (١١) هو الشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين (ت ٥٥٧٤هـ)، وكان من اخبر الناس بأشعار العرب وإختلاف لغاتهم (وفيات الأعيان ٢: ٣٦٢).
- (١٢) الكامل في التاريخ ١١: ٣٣١.
- (١٣) كوكبري: أسم تركي معناه الذئب الأزرق (وفيات الأعيان ٤: ١٢١).
- (١٤) هو مجاهد الدين قايمار بن عبدالله الزيني، أصله من سجستان وأخذ منها وهو طفل، وكان عاقلا دينا (التاريخ ١٩٣).
- (١٥) العبر في خبر من غير ٥: ١٢١.
- (١٦) الفتح القسي في الفتح القدسي ٤٣٨.
- (١٧) ينظر: الروضتين ٢: ١٦٤.
- (١٨) مرآة الزمان ٨: ٦٨.
- (١٩) الشعر في أربل في ظل الأسرة البكتيكية (مجلة) ٩: ٣٨٥.
- (٢٠) مرآة الزمان ٨: ٦٨.

- (٢١) وفيات الأعيان ١٣:٧، وينظر: قلائد الجمان ١:٤، ٥٢١، ٣٧٤:٦، ٢٤٤:٩، ٤٤٧:١، ١٣٤:٤، ١٨٦:٩ .
- (٢٢) آل بكتكين أمارة أربيل في عهدهم (مجلة) ٤١٠ .
- (٢٣) مظفرالدين كوكبري أمير أربيل ٧ .
- (٢٤) الحوادث الجامعة ٤٤-٥٠-٩٨-١٠٩ .
- (٢٥) تنظر التفاصيل التاريخية عن أربيل في:
 - أربيل في أدوارها التاريخية-زبير بلال أسماعيل.
 - وأربيل في العهد الأتابكي-دكتور محسن محمد حسين.
 - ومدينة أربيل دراسة في جغرافية الحضر-دكتور هاشم خضير الجنابي.
 - والتجديدي الحضري لقلعة أربيل-عبدالباقي عبدالجبار أمين الحيدري.
 - وتراث أربيل التاريخي-هادي رشيد الجاوشلي.
 - الحياة العلمية في أربيل-أوميد أبراهيم جوزلي.
- (٢٦) معجم البلدان ١:١٣٧ .
- (٢٧) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربيل ٢٠١ وما بعدها.
- (٢٨) وفيات الأعيان ٤:١١٦ .
- (٢٩) مرآة الزمان ٨:٦٨٠ .
- (٣٠) معجم البلدان ١:١٣٧ .
- (٣١) وفيات الأعيان ٤:١١٦ .
- (٣٢) وفيات الأعيان ٣:٢٧٢، ومرآة الزمان ٨:٦٨٢، والبداية والنهاية ١٣:١٣٧ .
- (٣٣) الأسلام والحضارة ١:٣٢٧ .
- (٣٤) خانقاهات: جمع خانقاه، وهو لفظ فارسي معناه البيت. (السلوك ١:١٨٢).
- (٣٥) ينظر: وفيات الأعيان ٤:١١٦، مرآة الزمان ٨:٦٨١ .
- (٣٦) مرآة الزمان ٨:٦٨٢ .
- (٣٧) وفيات الأعيان ٤:١١٦، ومرآة الزمان ٨:٦٨٣ .
- (٣٨) تأريخ البيمارستانات في الأسلام ٤، والبيمارستان: تعني دار الشفاء.
- (٣٩) نفسه ١٩ .
- (٤٠) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربيل ٢١٠ .
- (٤١) ديوان البهاء زهير ١٠ .
- (٤٢) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربيل ٢٠٣ .
- (٤٣) ينظر: القلائد الجمان ٥:١٥٦، والحضارة الاسلامية، آدم متز ٢:٢١٨، ٢١٩ .
- (٤٤) وفيات الأعيان ٤:١١٧ .
- (٤٥) تنظر تفاصيل الأحتفال في: وفيات الأعيان ٤:١١٧-١١٨، وقلائد الجمان ٨:٦٨١، والبداية والنهاية ١٣:١٣٧ .

- (٤٦) وفيات الأعيان ٣: ٢٧٣ .
- (٤٧) أربيل في العهد الآتابكي ٢٠٢ .
- (٤٨) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن الأندلسي البلنسي الحافظ، من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها (ت ٦٣٣هـ) بالقاهرة (وفيات الأعيان ٣: ٤٤٨، وذيل مرآة الزمان ٢: ٤٢٢).
- (٤٩) ينظر: البداية والنهاية ١٣: ١٣٦ .
- (٥٠) العجسد المسبوك ٤٥٣ .
- (٥١) معجم البلدان ١: ١٣٧ .
- (٥٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مقدمة الجزء الرابع، ص ٩ .
- (٥٣) المختصر في التأريخ البشر ٣: ١٥٣ .
- (٥٤) تنمة المختصر في التأريخ البشر ٢: ٢٢٨ .
- (٥٥) ينظر: أربيل في عهد الآتابكي ٢٠٠ .
- (٥٦) ديوانه ٣٢٩ .
- (٥٧) مازالت هذه القيسارية عامرة وباقية في القلب مدينة أربيل، وهي عبارة عن مجموعة من أسواق متداخلة ذات سقوف خصص كل منها لبضاعة معينة.
- (٥٨) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة أربيل.
- (٥٩) وفيات الأعيان ٥: ١١ .
- (٦٠) تل هفتون: من نواحي أربيل تنزلها القوافل في اليوم الثاني من مسيرها لمن يقصد أذربايجان، وهي في وسط الجبال، وفيها نهر جار (معجم البلدان ٢: ٤٥).
- (٦١) معجم البلدان ٢: ٤٥ .
- (٦٢) نزهة القلوب ١٠٣ .
- (٦٣) شقلا باز: هي شقلاوة حالية، قرية كبيرة مليحة في كَفَّ الجبل المطل على أربيل ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة، يتقل كروم عنبها ال أربيل العام بطوله فيكفيهم (معجم البلدان ٣: ٣٥٥).
- (٦٤) معجم البلدان ٢: ٢٥٦ .
- (٦٥) المنارة المظفرية في أربيل تأريخها وأوصافها (مجلة) ١٦: ١٢٧ .
- (٦٦) ينظر: الشعر في أربيل (مجلة) ٣٨٥ .
- (٦٧) ينظر: آل بكتكين أمانة إربل في عهدهم (مجلة) ١٣٩ .
- (٦٨) كان هذا الكتاب من الكتب المفقودة، وقد عثر أخيراً على الجزء الثاني منه في مكتبة (جستربيني) في دبلن بايرلندا تحت رقم (٤٠٩٨)، كتب سنة ٦٤١ للهجرة، أي بعد أربع سنوات من وفاة المؤلف وعدد أوراقه ٢٣١ ورقة ويسمى تأريخ أربيل. وقد نشره سامي الصقار بقسمين سنة ١٩٨٠ .
- (٦٩) وفيات الأعيان ٤: ١١٩ .
- (٧٠) ينظر: الفنون الإسلامية ٣: ١٠٥٩ .

- (٧١) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ١٥ .
- (٧٢) ينظر: تأريخ أبن خلدون (المقدمة) ٤٠١:١ .
- (٧٣) الأدب في العصر العباسي ١٩٠-١٩٩ .
- (٧٤) وفيات الأعيان ٤: ١٢٠ .
- (٧٥) معالم الحياة العلمية والأدبية في أربل، بحث غير المنشور، د. ناظم رشيد شيخو.
- (٧٦) مبادئ التربية الإسلامية ٢٨ .
- (٧٧) تأريخ التربية الإسلامية ٩٩ .
- (٧٨) وفيان الأعيان ٢: ٢٣٧ .
- (٧٩) نفسه ٣: ٢٤٢ .
- (٨٠) طبقات الشافعية للأسنوي ١: ٤٩٥ .
- (٨١) علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ١٩١-١٩٢ .
- (٨٢) أربيل في العهد الأتابكي ٢٥٠ .
- (٨٣) طبقات الشافعية للأسنوي ١: ٤٩٦ .
- (٨٤) نفسه ٥: ١٣٠ .
- (٨٥) قلائد الأجمان ١: ٨٠ .
- (٨٦) آل بكتكين أمارة أربل في عهدهم (مجلة) ١٤٦ .
- (٨٧) الشعر في أربل (مجلة) ٣٨٩ .
- (٨٨) تنظر: مقدمة في المؤلف وكتابه ٧: ١١ .
- (٨٩) قلائد الجمال ١: ٤٥٤ .
- (٩٠) وفيات الأعيان ٤: ١٤٧ .
- (٩١) قلائد الجمال ٦: ١٤٣، والكتاب من تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٩ .
- (٩٢) شذرات الذهب ٥: ١٨٧ .
- (٩٣) أربيل في العهد الأتابكي ٢٨٢ .
- (٩٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٣٧ .
- (٩٥) وفيات الأعيان ٥: ٣١١ .
- (٩٦) كشف الظنون ١: ٤٨٩ .
- (٩٧) وفيات الأعيان ٢: ٢٣٧ .
- (٩٨) التكملة لوفيات النقلة ١: ٤٢٦ .
- (٩٩) قلائد الجمال ١: ٣٠٩ .
- (١٠٠) الجامع المختصر ٩: ١٦٥ .
- (١٠١) ينظر: جاوان القبيلة الكردية المنسية والمشاهير الجاوانين (مجلة) ٨٤-١٢٢ .
- (١٠٢) بغية الوعاة ١: ١٨٢ .

- (١٠٣) قلائد الجمان ٢٥٥:٥ .
- (١٠٤) نفسه ٢٥٦:٥ .
- (١٠٥) نفسه ٩: ٥٤ .
- (١٠٦) وفيات الأعيان ٢١٥:١ .
- (١٠٧) ذيل مرآت الزمان ٤٠١:٢ .
- (١٠٨) وفيات الأعيان ١٤٣:٣ .
- (١٠٩) بغية الوعاة ٢٧٦:٢-٢٧٧ .
- (١١٠) التعريف بالمؤرخين ٧٥ .
- (١١١) وفيات الأعيان ٣٨٩:٥ .
- (١١٢) أربيل في العهد الأتابكي ٢٥٩ .
- (١١٣) تذكرة الحافظ ١٤١٦:٤ .
- (١١٤) مرآة الزمان ٥٣٧:٨ .
- (١١٥) العبر في خبر من غير ١٥١:٥ .
- (١١٦) التكملة لوفيات النقلة ٨١:٤ .
- (١١٧) بغية الوعاة ٢١٦:٢ .
- (١١٨) وفيات الأعيان ٩٣:٢ .
- (١١٩) بغية الوعاة ١٥٢:٢ .
- (١٢٠) ينظر: وفيات الأعيان ٢٦٤:٥، ودول الأسلام ٢٥٦:١، وذيل مرآة الزمان ٣٨٤:١٤، وعيون التواريخ ٣٢٨:٢١، والبداية والنهاية ١٣:١٣٤ .
- (١٢١) هو أبو المكارم محمد بن عابد بن محمد الكرمانى الصوفى الزرندي، ورد أربيل غير مرة، متقن في العلوم، وله النظم والنثر والترسل (ت٦١٦هـ)، .تأريخ أربيل ١:١٨٨
- (١٢٢) تأريخ أربيل ١: ١٨٨ .
- (١٢٣) هو أبو محمد عبدالحميد بن مرى بن ماضي المقدسي، ورد أربيل غير مرة، مدح مظفرالدين بشعره، أقام بدار الحديث بالموصل، (ت٢٠٦هـ)، (تأريخ أربيل ١:٣١٥).
- (١٢٤) تأريخ أربيل ١: ٤٥٩ .
- (١٢٥) نظرة عابرة في شمال العراق ٥٨٧ .
- (١٢٦) وفيات الأعيان ٢٥:٧، وديوانه ٢٧٥ .
- (١٢٧) هو الأمير ركن الدين أبو الشجاع التركي الأربلي، مولى صاحب أربيل، محدث وله شعر جيد، رحل وإخوانه الى حلب بعد وفاة أمير أربيل مظفرالدين (ت٦٥٥هـ) (الوافي بالوفيات ٧:٢٩٦).
- (١٢٨) قلائد الجمان ١٧٢:١ .
- (١٢٩) وفيات الأعيان ٢٥:٧ .
- (١٣٠) مرآة الزمان ٥٣٧:٨ .
- (١٣١) آل بكتكين أمانة أربيل في عهدهم (مجلة) ١٤٤ .

- (١٣٢) حديث الأربعاء ٢:٣٤، وينظر: الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق ٦٥ .
- (١٣٣) دائرة المعارف الإسلامية ١:٥٧٤، صورة الأرض ١٩٤ .
- (١٣٤) ينظر: تأريخ الموصل ٢:١١١، وتأريخ نصارى العراق ٩٤ .
- (١٣٥) نفسه ٢:١١١، وجاء فيه إن ديوان جيورجيس وردا الأربلي عني بتحقيقه المستشرق الألماني هزيخ وطبع في لايبزك سنة ١٩٠٤ .
- (١٣٦) ترجم الأبيات الى اللغة العربية الأب فرنسيس شير في أربيل.
- (١٣٧) الشعر العراقي في القرن الخامس الهجري ١٥٤، والشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٨٥ .
- (١٣٨) ينظر: أوجهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٥٠٠ .
- (١٣٩) العمدة ٢:١١٧ .
- (١٤٠) ينظر: عصر الدول والأمارات ٣٨٢ .
- (١٤١) نفسه ٣٨٣ .
- (١٤٢) ديوان شريف الرضي، (المقدمة) ١١٥ .
- (١٤٣) ديوان الحجاري ٢٥٩ .
- (١٤٤) نفسه ٢٦٢ .
- (١٤٥) ديوان النشابى ٣٣١، وديوان ابن الظهير ٤٧ .
- (١٤٦) الأدب في ظل الدولة الزنكية ٢٥٧ .
- (١٤٧) ديوانه ١٦٧ .
- (١٤٨) ديوانه ١٨٨ .
- (١٤٩) ديوانه ٦٤ .
- (١٥٠) ديوانه ١٨٥ .
- (١٥١) هو ابن علي أبي العلاء، أبو عبدالله، أنتقل جده الى نواحي أربل وسكن قرية البلهية القريبة من أربل، حيث ولد محمد بها ونشأ، وترا من الى نظم القريض، ومدح بناء ناحية (قلاذد الجمان ١٠٢:٧).
- (١٥٢) هو سليمان بن سليمان بن أبي الجيش، من كتّاب الأنشاء، ذو نوادر، وصاحب أهاج ومدح، له طبع في النظم والأنشاد (ت٦٨٦هـ) (قلاذد الجمان ٣:٥٣، وذيل مرآة الزمان ٤:٣٢١).
- (١٥٣) هو يوسف بن نفيس بن أبي الفضل، من أهل أربل المشهور بشيطان الشام كان شاعرا خليعا ظريفا من ذوي الهزل والمجانة، يتزيا بزى جند الأكراد (ت٦٣٨هـ) (قلاذد الجمان ١٠:٢٦٤)، ووفيات الأعيان (١:١٥٥).
- (١٥٤) قلاذد الجمان ١٠:٢٦٤ أ.
- (١٥٥) هو سليمان بن كيلوك بن عثمان، شاب متفقه على مذهب الإمام الشافعي، له طبع في قول الشعر لا بأس به، ولادته سنة ٦٠٠هـ، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلاذد الجمان ١٠:٢٨٩).
- (١٥٦) وفيات الأعيان ٧:١٧٠ .

- (١٥٧) ديوانه ٢٦٣ .
- (١٥٨) هو جعفر بن محمد بن محمود، عالم متقن لعلوم الفقه والأدب والنحو وعلوم القرآن تولى القضاء بأربيل، وكان يقول الشعر (ت ٤٦٠هـ)، (قلائد الجمان ٨: ١٨٨)، (والغصون اليانعة ٦٨-١١٦).
- (١٥٩) قلائد الجمان ٧: ٤٨ .
- (١٦٠) ينظر: الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ١٣١ .
- (١٦١) ديوانه ٢٩٤ .
- (١٦٢) هو ابن أبي حرب بن حمدان، أبو عبدالله الإربلي، كان شاباً قصيراً يسلك طريق التصوف، وكان ذا خط حسن، وأشعار في المديح و الغزل و الهجو وغير ذلك، لم يذكر المترجم تاريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ١١٠ أ) .
- (١٦٣) قلائد الجمان ١: ١١٢٥ .
- (١٦٤) هو أحمد بن بهرام، أبو العباس الأربلي، ابن بنت الأمير مجاهد بن قيمان جندي لطيف المحاروة، ظاهر الدين، ينشئ من الشعر تأديبا، بارع في الغزل، (ت ٦١٨هـ)، (قلائد الجمان ١: ١٢٤ب).
- (١٦٥) هو صدقة بن القاسم الملحن، أبو البر الإربلي، كان يصنع الالحن ويخترعها، جيد المعرفة بالغناء والأصوات، وله شعر جيد، (قلائد الجمان ٣: ١٠٣).
- (١٦٦) قلائد الجمان ١: ١٢٤ب.
- (١٦٧) ينظر: وفيات الأعيان ١: ٣١٧ .
- (١٦٨) ديوانه ١٤٧، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٣١، ٢٤٧، ٣٠٤، ٣١٨، ٤٧٤ .
- (١٦٩) قلائد الجمان ٣: ١٠٤ .
- (١٧٠) نفسه ١٠: ٢٣٦أ .
- (١٧١) نفسه ١٠: ٢٢١أ .
- (١٧٢) ديوانه ١٧٠ .
- (١٧٣) هو أبو الحسن بهاء الدين بن علي الشيباني الإربلي الهكاري، تولى رئاسة الكتاب في ديوان متولي أربيل، (ت ٦٩٢هـ) في بغداد (قلائد الجمان ٤: ٣٨ب).
- (١٧٤) قلائد الجمان ٤: ٣٨ب.
- (١٧٥) هو سليمان بن المظفر بن موسى بن منصور، أبو الربيع الإربلي المعلم، أستاذ ابن الشعار الموصللي الذي علمه الخط، وكان يقول أشعارا ويخلطها بالهزل، ولادته بقلعة أربيل سنة ٥٦٦هـ، لم يذكر ابن الشعار وفاته (قلائد الجمان ٣: ٦٤ - ٦٥).
- (١٧٦) ديوان ١٨٦ .
- (١٧٧) رامة: موضع بالعقيق الذي هو واد بالحجاز (معجم البلدان ٣: ١٨)، المحصب: واد بمكة (مراصد الأطلاع ٣: ١٢٣٥).
- (١٧٨) الفن ومذاهبه ٣٤٤ .

- (١٧٩) ديوانه ١٥٦. نجد: قلب الجزيرة العربية (معجم البلدان ٥: ٢٦١)،
 محجر: قيل قرية بواد باليمامة (معجم البلدان ٥: ٥٠٦).
- (١٨٠) ينظر: ديوان الحاجري ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٥٠، ١٦١، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٠، وديوان النشابى
 ١٣٥، ١٨٤، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٣٧، وديوان ابن الظهير ٥٩.
- (١٨١) ينظر: الأدب في ظل بني بويه ٢٦٦.
- (١٨٢) العصر العباسي الأول ٧٣.
- (١٨٣) ديوان ١٣٦.
- (٢) ديوانه ٥ - ١٣٩.
- (١٨٥) نفسه ٣١٧.
- (١٨٦) هو أبو بكر بن محمد بن أبراهيم، عرش الدين الأربلي، له معرفة بالنحو و العربية و كان
 شاعراً، عمل الالغاز، ومن نظمه (الألفية في الالغاز المخفية) وهي الف لغز في الف أسم، (ت
 ٦٧٩هـ) بدمشق، (ذيل مرآة الزمان ٤: ٧٩).
- (١٨٧) ذيل مرآة الزمان ٤: ١٠٧٩.
- (١٨٨) ديوانه ٣٣٤.
- (١٨٩) ديوانه ٣١٧.
- (١٩٠) نفسه ٣١٣.
- (١٩١) في أدب الدول المتتابعة ٦٢٢.
- (١٩٢) ديوانه ٤٥٠.
- (١٩٣) نفسه ٤٥٨.
- (١٩٤) ينظر: دراسات في الشعر في عصر الإيوبيين ١٣٩.
- (١٩٥) ديوانه ٤٧.
- (١٩٦) هو بهاءالدين بن الفخر بن عيسى الأربلي، له نظم و نثر و مقامات مليحة، ومن مصنفاته
 رساله الطيف، وكشف الغمة في معرفة الأئمة، بارع في الغزل (ت ٦٨٣ هـ)، (وفيات الأعيان ٤:
 ١٦٢)، وعيون التواريخ ٢١: ٣٥٢.
- (١٩٧) وفيات الأعيان ٤: ١٦٢.
- (١٩٨) ديوانه ٣٣٤.
- (١٩٩) ديوانه ١٥٢ - ٢١٠ - ٢٨٦ - ٤٢٩.
- (٢٠٠) ديوان ابن الظهير ٦٩.
- (٢٠١) هو أبو غالب بن أبي عبدالله، أبو الخير النحوى الأربلي، أشتغل بفن النحو و العربية، حفظ
 شعرا كثيراً من أشعار المحدثين وغيرهم، وكان مقتدرا على النظم، خدم الملوك وهو أحد مشايخ
 الصوفية، (ت ٦٧٠ هـ)، (قلائد الجمان ١: ١٢٤ ب).
- (٢٠٢) ديوان النشابى ٢٤٨، ١٦٧، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠١، ٢٢٢.
- (٢٠٣) ديوان الحاجري ٢١١، ١٦٥، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦١.

- (٢٠٤) نفسه ١٦٥، وديوان النشابى ١٦٣.
- (٢٠٥) ديوان أبى الظهير ٥٠.
- (٢٠٦) الشعر فى أربىل (مجله) ٣٩٧.
- (٢٠٧) الشعر العربى بين الجمود والتطور ١٣٢:٢.
- (٢٠٨) ينظر: الحياه الأدبىة فى الشام ٩٩.
- (٢٠٩) الشعر العراقى فى القرن الخامس الهجرى (رسالة ماجتير) ١٠١.
- (٢١٠) الشعر العربى فى العراق وبلاد العجم ٢: ٢٣١.
- (٢١١) فى الأدب العباسى، الرؤىة و الفن ٣٩٨، ونفسىة أبى نواس ٨٨.
- (٢١٢) دواد بن عيسى الأيوبى ١٥٩.
- (٢١٣) ينظر: الصراع بين الموالى و العرب ٩٤.
- (٢١٤) هو الحسن بن محمد بن أحمد، الفيلسوف عزّالدين الضرير، كان بارعا فى العربىة والأدب، رأسا فى علوم الأوائل، كان قذراً، قبيح المنظر، يتمتع بذكاء وذهن جىد، وشعره خبىث الهجو، (ت ٦٦٠هـ) بدمشق، (فوات الوفاىات ١: ٣٦٢، وشذرات الذهب ٥: ٣٠٨).
- (٢١٥) ينظر: اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ١٩٥.
- (٢١٦) الأدب فى بنى بويه ٢٦٧.
- (٢١٧) ينظر: الشعر العربى فى العراق وبلاد العجم ٢: ١٣٠-١٣٣.
- (٢١٨) الأدب فى العصر الأيوبى ٣٨.
- (٢١٩) الشعر فى إربىل (مجله) ٣٩٨.
- (٢٢٠) نفسه ٣٩٨.
- (٢٢١) ديوان ١٦٢.
- (٢٢) ديوانه ١٢٠.
- (٢٢٣) نفسه ٢٠٣.
- (٢٢٤) نفسه ٢٦٨، وينظر: نفسه ١٦٧ - ٣٢٢.
- (٢٢٥) ينظر: ديوان الحاجرى ١٨٥، وديوان أبى الظهير ٦٤.
- (٢٢٦) النفس الشعر فى القصيدة العربىة ٣٥٥.
- (٢٢٧) ينظر: عصر الدول والامارات ٣٩٢، وتاريخ الأدب العربى (فروخ) ٣: ٥٠٦.
- (٢٢٨) ديوانه ٢٦٠. وينظر: نفسه ٤٠٩.
- (٢٢٩) ذىل مرآه الزمان ١: ٥٠٤.
- (٢٣٠) ديوانه ٥١.
- (٢٣١) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.
- (٢٣٢) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.
- (٢٣٣) نفسه ١: ٨.
- (٢٣٤) ديوانه ٢٢٣.

(٢٣٥) هو عبدالله محمد بن يوسف، الملقب موفق الدين الأربلي، كان أماماً في علم العربية، متقناً الوان من الشعر، ومن أعلم الناس بالعروض و القوافي وأحذقهم بنقد الشعر، بدأ بنظم الشعر وهو صبي، وله ديوان شعر جيد (ت ٥٥٨٥) بأربل، (وفيات الأعيان ٤: ١٠٢، والوفاء بالوفيات ٢٥١:٥).

(٢٣٦) وفيات الأعيان ٥: ١١.

(٢٣٧) فوات الوفيات ٣: ٥٩.

(٢٣٨) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ٢٠٠.

(٢٣٩) نفسه ١٥.

(٢٤٠) ينظر: الأدب في العصر المملوكي ٢: ١١١.

(٢٤١) ينظر: الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٧٤، والشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٨٩.

(٢٤٢) ضحى الاسلام ١٣٤.

(٢٤٤) نفسه ٧: ٧٩.

(٢٤٥) هو أبو المعالي محمد أبن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصرالدين وكان سلطاناً عظيم القدر جميل الذكر محبا للعلماء، يجتمع مع الفضلاء ويسأل عن مشاكل كل علم (ت ٦٣٥ هـ) (وفيات الأعيان ٥: ٧٩).

(٢٤٦) وفيات الأعيان ٧: ٩٢.

(٢٤٧) هو سليمان بن عثمان، شاب متفقه، وله طبع في قول الشعر جيد، كانت ولادته سنة ٦٠٠ للهجرة، توجه إلى الشام ونزل حلب، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ١٠: ١٢٨٩).

(٢٤٨) قلائد الجمان ١٠: ٢٨٩ب.

(٢٤٩) تأريخ إربل ١: ١٥٨، وقلائد الجمان ٣: ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٢٥٠) الجزولية: وتسمى المقدمة الجزولية، كتاب موجز في النحو من تأليف أبي موسى عيسى بن عبدالعزيز الجزولي (ت ٥٦٠هـ)، (أنباه الرواة ٢/٣٧٨، وبغية الوعاة ٢: ٢٣٦).

(٢٥١) ديوانه ٤٢.

(٢٥٢) هو عبدالعزيز بن عثمان بن منصور، أبو أحمد الفزاري الإربلي، يقول الشعر وأكثر من نظمه، وكان يسرق الأشعار ويمدح بها، خرج من أربل قاصداً ملوك الشام وكانت ولادته سنة ٥٩٣هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٣: ٣٧٠، وتأريخ إربل ٢: ١٧٣).

(٢٥٣) قلائد الجمان ٣: ٣٧٢.

(٢٥٤) تأريخ إربل ١: ٧٤، وينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة، ص ٢٠.

(٢٥٥) هو أبو عبدالله محمد بن أبي المنى المنصور الواعظ الموصلية المعروف (تأريخ إربل ١: ٤٥٩).

(٢٥٦) تأريخ إربل ١: ٤٥٩.

(٢٥٧) هو أبو جعفر بن الظاهر بأمر الله، أمير المؤمنين، بويغ بالخلافة بعد موت أبيه، وكان ذا همة عالية وشجاعة، نشر العدل، وقرب أهل العلم (ت ٦٤٠ هـ) (تأريخ الخلفاء ٤٦٠).

- (٢٥٨) هو أبو الأزهر نصرالدين الناقد، كان وكيلاً للخليفة المستنصر بالله، ومنه أستلم الوزارة، ونهض باعبائها نهوضاً حسناً (ت ٥٦٤٢هـ)، (البداية والنهاية ١٣: ١٦٥، والنجوم الزاهرة ٦: ١٥٠)
- (٢٥٩) ديوانه ١٩٤.
- (٢٦٠) ديوانه ١١٩، ١٣٢، ١٣٨، ١٥٠، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٤.
- (٢٦١) نفسه ١٢٧.
- (٢٦٢) (نفسه) ٢٥٠.
- (٢٦٣) كان نائباً للخليفة المستنصر بالله في إربل، و واليا عليها (ت ٥٦٥٦هـ) (الحوادث الجامعة ٣٣٦، وعيون التواريخ ٢٠: ١٣٢).
- (٢٦٤) ديوانه ٦٥.
- (٢٦٥) ديوانه ١٨٥.
- (٢٦٦) ديوانه ١٢٣ - ١٣٥.
- (٢٦٧) نفسه ١٣٨ - ٢٦٣.
- (٢٦٨) ديوانه ١٣٦.
- (٢٦٩) نفسه ١١٩.
- (٢٧٠) نفسه ١٢٧.
- (٢٧١) نفسه ٢٠٢.
- (٢٧٢) أعني: الكواكب السيارة وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد (الأزمنة والأمكنة ١: ٣١٩).
- (٢٧٣) ديوانه ١٤٥ - ١٤٦.
- (٢٧٤) ديوانه ٦٤.
- (٢٧٥) ديوانه ١٨٦.
- (٢٧٦) العمدة ١: ٣٠١.
- (٢٧٧) ديوانه ١٢٢.
- (٢٧٨) ينظر: ديوان أبي تمام، و ديوان أبين الرومي، وديوان البحترى، و ديوان أبين المعتز، وينظر أيضاً، ديوان الشريف المرتضى، و ديوان المتنبى، وديوان أبي فراس الحمداني.
- (٢٧٩) هو أبو الربيع شرف الدين سليمان بن سليمان الإربلي، كان أديباً لطيفاً ونظمه مشهور، وكان صاحب نوادر، نظم في مختلف الأغراض الشعرية، عمل في أول عمره صائغاً (ت ٥٦٨٦هـ)، (ذيل مرآة الزمان ٤: ٣٢١، النجوم الزاهرة ٧: ٣٧٢).
- (٢٨١) هو جعفر بن محمود بن هبة الله الكفر عزى الإربلي، عالم متقن لعلوم الفقه و الحساب و الهندسة و الأدب و النحو و علوم القرآن، وكان يقول الشعر، تولى القضاء بأربيل (ت ٥٦٠٤هـ)، (قلائد الجمان ١/ ٨٨، الغصون اليانعة ٦٨ - ١١٦).
- (٢٨٢) قلائد الجمان ١: ٨٨.

- (٢٨٣) قلائد الجمان ٧: ١٠٢ ب.
- (٢٨٤) هو معن بن زائدة بن عبدالله الشيباني، من أشهر أجواد العرب (ت ٥٥هـ) (وفيات الأعيان ٥: ٢٤٤).
- (٢٨٥) هو صالح بن مكارم، أبو محمد الإربلي، رجل سوقي من العامة، كان مناديا في سوق البز بمدينة إربل، له طبع في عمل الشعر حسن، لا يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٣: ١٠٣).
- (٢٨٦) قلائد الجمان ٣: ١٠٤.
- (٢٨٧) التخفيفة: هي عبارة عن عمامة خفيفة، على نقيض العمامة الضخمة الكبيرة، (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب (١٣)).
- (٢٨٨) قلائد الجمان ٧: ٣٧ ب. لم نجد هذه القصيدة في ديوانه المحقق.
- (٢٨٩) قلائد الجمان ١٠: ١٢٩٨ أ.
- (٢٩٠) ديوانه ١٩٣.
- (٢٩١) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ١٦.
- (٢٩٢) الأغاني ١٣: ١١٤.
- (٢٩٣) نفسه ١٣: ١١٤.
- (٢٩٤) ديوانه ٢٣٩.
- (٢٩٥) نفسه ٢٠٠.
- (٢٩٦) نفسه ١٣٥.
- (٢٩٧) نفسه ١٨٩.
- (٢٩٨) نفسه ٢٤٠.
- (٢٩٩) نفسه ٢١٧.
- (٣٠٠) نفسه ١٩٧.
- (٣٠١) ينظر: الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ١٠٤، و الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٧٧.
- (٣٠٢) هو الأمير بد الدين بن عبدالله صاحب الموصل (ت ٥٦٥٧هـ) بالموصل وعمره ما يقارب ثمانين سنة (وفيات الأعيان ١: ١٨٤).
- (٣٠٣) قلائد الجمان ١٠: ١٢٦٨ أ.
- (٣٠٤) هو جمال الدين طه بن إبراهيم الهذباني الاربلي، كان عنده فضيلة وأدب ورئاسة وتوصل و حسن مداخلة، وله نظم ويجيد في الدو بيت، مدح الخلفاء و الأمراء، (ت ٦٧٧هـ) بالقاهرة، (ذيل مرآة الزمان ٧: ٣٠٣، و عيون التواريخ ٢١: ٢٠٤ - ٢٠٥).
- (٣٠٥) قلائد الجمان ٣: ١٤٠.
- (٣٠٦) قلائد الجمان ٣: ٥٥.
- (٣٠٧) ينظر: اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ٥.
- (٣٠٨) ينظر: الهجاء ٨٠ - ٨١، والهجاء و الهجاؤون في صدر الاسلام ٩٧.

- (٣٠٩) ينظر: العمدة ٢: ١٧٠.
- (٣١٠) ينظر: الفصل الأول - مبحث الحياة الاجتماعية -.
- (٣١١) معجم البلدان ١: ٣٣٨.
- (٣١٢) هو علي بن نصر، المعروف بأبن بسام البغدادي، شاعر هجاء، فرغ شعره في رجال السياسة (ت ٣٠٢هـ) (معجم الأدباء ١٤: ١٣٩).
- (٣١٣) قلائد الجمان ١: ٢٦١ب.
- (٣١٤) ديوانه ٣٠٧ وما بعدها.
- (٣١٥) نفسه ٣٠٨.
- (٣١٦) نفسه ٣٤٥.
- (٣١٧) ديوانه ٣٠٢، ولم نقف على ترجمة للمشرفين في ديوان الأمانة.
- (٣١٨) نفسه ٧٤.
- (٣١٩) نفسه ٣٤٥.
- (٣٢٠) هو أبو عبدالله بن أبي الحسن، من أكبر أولاد الوزير أبي الحسن علي بن شماس كتب في ديوان الانشاء باربل، ثم أستوزه مظفرالدين، وكان جليلاً عاقلاً بصيراً بالأمور السلطانية (ت ٥٦٢هـ)، (قلائد الجمان ٤: ٢٠٠).
- (٣٢١) هو من أولاد النصارى بأربيل، كان موظفاً على مملكة أميرها مظفرالدين، وقد جمع اموالا جمّة، وظلم الناس ظلماً فاحشاً (قلائد الجمان ٧: ٥٧٠).
- (٣٢٢) هو ابن علي بن أحمد بن محمد بن سالم، لقب يعود إلى عمل الرصاص، كان ينقش الدنانير في دار الضرب لمظفرالدين، أبرز أغراض شعره المدح والهجاء، وهو من الشعراء المعدودين (ت ٥٦٣هـ)، (قلائد الجمان ٤: ٣٨ب).
- (٣٢٣) قلائد الجمان ٤: ٣٨ب.
- (٣٢٤) الهجاء ٢٥.
- (٣٢٥) ديوانه ٤٢١.
- (٣٢٦) ديوانه ٤٢٤ وما بعدها.
- (٣٢٧) هو الياس بن جامع بن علي ابو الفضل الاربلي، أحد عدول أربيل المشهورين، وهو أحد أئمتها، رحل إلى بغداد طلباً للعلم: وله أشعار في الغزل و الهجاء (ت ٥٦٠هـ) (قلائد الجمان: ١٣٠٦).
- (٣٢٨) قلائد الجمان ٥: ١٣٠٦أ.
- (٣٢٩) هو محمد بن يوسف شهاب الدين الشيباني التلعفري، الشاعر المشهور، مدح الملوك والأعيان، وكان خليعاً معاشراً، أمتحن بالقمار، وكلماً أعطاه الملوك قامريه (ت ٦٧٥هـ)، (فوات الوفيات ٤: ٦٢، ووفيات الأعيان ٧: ٤٠ - ٤٥).
- (٣٣٠) فوات الوفيات ٢: ٥٧ - ٥٩.
- (٣٣١) هو أنو شروان الضرير المعروف بشيطان العراق، سافر إلى بلاد الجزيرة وورد أربيل، ومدح

- الملوك الأكابر، والغالب على شعره الخلاعة و المجون و الهزل و الفحش، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (نكت الهميان في نكت العميان ١٢٢).
- (٣٣٢) معجم البدان، مادة أربل، وينظر: نكت الهميان في نكت العميان ١٢٢.
- (٣٣٣) الغصون البانعة ٧٩. يقصد الشاعر بالكتاب (كتاب سيبويه).
- (٣٣٤) عيون التواريخ ٢١: ٤٠٤.
- (٣٣٥) ديوانه ٤٢٠، أين شمعون: لم نعثر على ترجمة له، ويبدو أنه كان طبيباً وعلى خلاف مع الشاعر.
- (٣٣٦) هو محمد بن علي بن حامد المعروف بأبن الماشطة الأربلي، تولى أعمالاً شتى بأربل له شعر صالح في الغزل والمعاتبة، والمدح، و الهجاء، وفي الألغاز والأحاجي، كانت ولادته بأربل، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته. (قلائد الجمان ٧: ٢١٣).
- (٣٣٧) قلائد الجمان ٧: ٢١٣.
- (٣٣٨) تنظر: ترجمة في عيون الأنباة في طبقات الأطباء ١: ٦٧١.
- (٣٣٩) ديوانه: ٣٠٦، المداجي: المداوي الذي يساير العداوة.
- (٣٤٠) بنظر: أوجهات الهجاء في القرن الثاني الهجري ٤٣٠.
- (٣٤١) الهجاء (سلسلة فنون الأدب العربي) ٨٧.
- (٣٤٢) قلائد الجمان ٣: ١٤٠.
- (٣٤٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢١٣.
- (٣٤٤) ديوانه ٤٢٧.
- (٣٤٥) قلائد الجمان ٧: ١٩٧.
- (٣٤٦) نفسه ٧: ٢١٣.
- (٣٤٧) ديوانه ٤٢١، ما بين القوسين صدر بيت للشاعر الأموي جرير بن عطية في هجاء الراعي النميري وعجزه (فلا كعبا بلغت ولا كلابا) (ديوانه ٢: ٨٢١).
- (٣٤٨) العمدة ٢: ١٧٢.
- (٣٤٩) العمدة ٢: ٢٩٤.
- (٣٥٠) ينظر: جواهر الكنز ٧٢.
- (٣٥١) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ١٢٧.
- (٣٥٢) الشعر العربي بين الجمود و التطور ١٢٧.
- (٣٥٣) ينظر: أبن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ٣٩.
- (٣٥٤) ديوانه ٤٤ وما بعدها.
- (٣٥٥) نفسه ٣٣٩ - ٣٤٠.
- (٣٥٦) ينظر: أبن الرومي حياته من شعره ٣٠٥.
- (٣٥٧) ينظر: أبن الرومي حياته من شعره ٣٠٥.
- (٣٥٨) رسالة الطيف ٦٠.

- (٣٥٩) ديوان البحري ١: ١٢٦.
- (٣٦٠) ديوانه ١٥٥-١٥٦. الحنايا: الأقواس. الأنضاء: جمع نضو الدابة التي هزلتها الأسفار، البري: جمع برة الحلقة في أنف البعير.
- (٣٦١) ديوانه ٥٢ وما بعدها.
- (٣٦٢) ديوانه ٢٥٧ وما بعدها.
- (٣٦٣) تأريخ أربيل ٢: ٧٨، ٣٠١، ٣٦٣.
- (٣٦٤) هو علي بن شماس بن الله، كتب في ديوان الانشاء بأربيل، ثم أستوزر، ونال مرتبة رفيعة، كان من محاسن زمانه، نقل عنه ابن المستوفي بعض الأشعار، مات محبوباً سنة ٦٢٢هـ (معجم ابن الفوطي ٢: ١١٥٩).
- (٣٦٥) النيلوفر: ضرب من الرياض ينبت في المياه الراكده (معجم أسماء النبات ١٥٤).
- (٣٦٦) تأريخ أربيل ٢: ٦٣. خصر: هو الماء الجارى لسان العرب (خصر)
- (٣٦٧) هو (رسالة الطيف) من تأليف بهاء الدين بن علي الإربلي، تح: عبدالله الجبوري، دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٨.
- (٣٦٨) ديوانه ٦٧، وينظر: نفسه ٣٥.
- (٣٧٠) ديوانه ٤٥٩.
- (٣٧١) فوات الوفيات ١: ٣٦٤.
- (٣٧٢) ديوان بشار بن برد ١: ٣١، وينظر: الأغاني ٣: ٢٣٨.
- (٣٧٣) هو علي بن عثمان بن علي أمين الدين الاربلي الصوفي، كان فاضلاً مقتدرًا على النظم، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد النظم، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبدالعزيز، وكان أول عمره يخدم جندياً ثم تركه وتزهد وصار أحد مشايخ الصوفية، ونقل عنه ابن الشعار أشعاراً عديدة (ت ٦٧٠هـ) بمصر. (قلائد الجمان ٣: ٣٩، وعيون التواريخ ٢: ٤٢٥).
- (٣٧٤) عيون التواريخ ٢: ٤٢٥.
- (٣٧٥) ديوانه ٣٩٠.
- (٣٧٦) نفسه ٣٩٠، وينظر: نفسه ٤١١.
- (٣٧٧) ديوانه ٣٣.
- (٣٧٨) ديوان النشابى ٣٣٢.
- (٣٨٠) هو يوسف بن يعقوب بن عمر بن الجارود أبو يعقوب الاربلي، شاب طويل منصرف في الاعمال، أنتقل من عمل إلى آخر، وكان والده قاضي أربيل، وكان يداوم زيارة مجلس الوزير ابن المستوفي (ت ٦٣٠هـ) (قلائد الجمان ١٠: ١٢٦٩).
- (٣٨١) قلائد الجمان ١٠: ١٢٦٩، وينظر: نفسه ٧: ٥٣٣.
- (٣٨٢) نفسه ٣: ٦٤. شعوب: الموت.
- (٣٨٣) ديوان الحاجري ٤٢٩.

- (٣٨٤) رسالة الطيف ٧٨.
- (٣٨٥) ديوانه ١٧٤.
- (٣٨٦) التذكرة الفخرية ٥٩.
- (٣٨٧) التذكرة الفخرية ٣٨٧.
- (٣٨٨) قلائد الجمان ٣: ١٩٥.
- (٣٩٠) هو أحمد بن عبد السيد بن شعبان بن قحطان أبو العباس الاربلي، كان شاعراً ومتأدياً، خدم جندياً وحاجباً بين يدي مظفر الدين، أتصل بملوك الشام، أنعموا عليه أنعاماً سنياً، وصار أحد ندماهم (ت ٦٣١هـ) (وفيات الأعيان ١: ١٨٤ - ١٨٧، وقلائد الجمان ١: ٨٧ب).
- (٣٩١) قلائد الجمان ١: ٨٨ب.
- (٣٩٢) نفسه ١٠: ٢٦٥ب.
- (٣٩٣) هو ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، صاحب كتاب معجم البلدان الذي يعد من أعظم المراجع (ت ٦٢٦هـ) بحلب (معجم البلدان ١: ٦).
- (٣٩٤) الكتاب هو (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) المعروف بـ(معجم الأدباء).
- (٣٩٥) تأريخ اربل ١: ٣١٩.
- (٣٩٦) أدب الدول المتتالية ٥٦٦.
- (٣٩٧) ديوانه ١٥٣.
- (٣٩٨) ديوانه ١٣٦.
- (٣٩٩) ديوانه ٤٥١.
- (٤٠٠) نفسه ٤٥٥.
- (٤٠١) ديوانه ١٥٠. البرجاس هدف السهم وهو معرب (الألفاظ الفارسية ١٨).
- (٤٠٢) ديوانه ٢١٧.
- (٤٠٣) ديوانه ٧٦.
- (٤٠٤) ديوانه ٤٥.
- (٤٠٥) ديوانه ٣٤٠.
- (٤٠٦) فوات الوفيات ١: ٣٦٥.
- (٤٠٧) نفسه ٢: ٥٨.
- (٤٠٨) ديوانه ٢٢٦. وينظر: ديوان ابي نواس ٢٦٣.
- (٤٠٩) ديوانه ٣٩١. وينظر: ديوان أبي نواس ٢٤٤.
- (٤١٠) ينظر: ديوان ابن الظهير ٣٠ - ٣١ - ٣٧ - ٧٠ وديوان الحاجري ٢٢٩ - ٢٨١، وديوان النشابي ١٥١ - ١٦٥.
- (٤١١) تطور الخمریات في الشعر العربي ٢٠١ - ٢٠٢.
- (٤١٢) ديوانه ٤٧، وينظر: ديوان النشابي ١٦٣.
- (٤١٣) ديوانه ٢٥٤، وينظر: ديوان ابن الظهير ٣٧.

- (٤١٤) ديوانه ٢٥٤، وينظر: ديوان ابن الظهير ٣٧.
- (٤١٥) تطور الخمریات في الشعر العربي ١٩٥.
- (٤١٦) دير باقوقا: يقع هذا الدير وراء الزاب بينه وبين الموصل سبعة فراسخ وهو دير كبير، وصفه ابن فضل الله العمري نقلاً عن ابن المستوفي في تأريخ اربل (وهو إلى الآن باق فيه رهبان كثير). (مسالك الأبصار ١: ٢٨٩).
- (٤١٧) ديوانه ٣٤٩ - ٣٥٠، الشعانين، وقيل السعانين، وهما سواء وعرف الشعانين في المؤلفات العربية القديمة بالسباب، جاء في المخصص ١: ١٠١، وتاج العروس ١: ٢٩٤ (ان يوم السباب عيد للنصاري ويسمونه يوم السعانين، ويقال شعانين، وللشعانين عند النصاري عيد يقع في يوم الأحد الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة (ينظر: الديارات ص ١٨، حاشية ١).
- (٤١٨) ديوانه ١٣٧ - ١٣٨.
- (٤١٩) ديوانه ٣١.
- (٤٢٠) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الثقافية والحياة الأدبية-.
- (٤٢١) الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٢٣٥.
- (٤٢٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ٦٤.
- (٤٢٣) خطط المقریزی ٤: ٢٧٣.
- (٤٢٤) ينظر: عصر الدول والامارات ٢٧٤.
- (٤٢٥) وفيات الأعيان ١: ٣١٧.
- (٤٢٦) ديوانه ٣٦٧.
- (٤٢٧) ديوانه ٢٤.
- (٤٢٨) ديوانه ٣٣٧.
- (٤٢٩) ديوانه ٣٧٧.
- (٤٣٠) ذيل مرآة الزمان ٤: ٨٤.
- (٤٣١) الغصون الياضعة ٨٠.
- (٤٣٢) ذيل مرآة الزمان ٢: ٤٨٣.
- (٤٣٣) هو عزالدين الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الغنوي الاربلي، كان بارعاً في العربية والأدب، رأساً في علوم الأوائل، وكان حسن المحاضرة له شعر خبيث الهجو (ت ٦٦٠هـ) (قوات الوفيات ١: ٣٦٢، وذيل مرآة الزمان ٢: ١٦٥).
- (٤٣٤) عيون التواريخ ٢٠: ٢٦٩.
- (٤٣٥) هو محمد بن عبد العزيز ابو بكر نورالدين الشاعر، كان من كبار شعراء الملك الناصر وله ديوان شعر مشهور، وغلب عليه المجون (ت ٦٥٦ هـ) (نكت الهميان في نكت المعيان ١٢٢).
- (٤٣٦) طبقات الشافعية الكبرى ٦: ١٢٦ - ١٢٧.
- (٤٣٧) ديوانه ٢٠.
- (٤٣٨) البداية والانهاية ١٣: ٢٨٣.

- (٤٣٩) الجامع المختصر ٢٤٤.
- (٤٤٠) هو ابو التجيب عبد القاهر الملقب ضياء الدين السهروردي، كان شيخ وقته بالعراق، سلك طريق الصوفية، وحبب إليه الانقطاع (ت ٥٦٣ هـ) (وفيات الأعيان ٣: ٢٠٤).
- (٤٤١) تأريخ اربيل ١: ١٩٤.
- (٤٤٢) العمدة ١: ١٩٣.
- (٤٤٣) سورة القصص، الآية ٨٨.
- (٤٤٤) هو يحيى بن شرف بن مري محي الدين ابو زكريا الحافظ، له مؤلفات عديدة منها (المنهاج)، و (رياض الصالحين)، و (الارشاد في علوم الحديث)، وغيرها (ت ٦٧٦ هـ) . (فوات الوفيات ٤: ٢٦٤، والنجوم الزاهرة ٧: ٢٧٨).
- (٤٤٥) ديوانه ٦٠.
- (٤٤٦) هو يوسف بن محمد بن غازي الملك الناصر حلب، كان سمحا جوادا، يحاضر الادباء والفضلاء، حافظاً لكثير من الشعر والأدب، وله نوادر ونظم، قتل سنة ٦٥٨ للهجرة (فوات الوفيات ٤: ٣٦٤، وذيل مرآة الزمان ١: ٤٦١).
- (٤٤٧) وفيات الأعيان ٧: ٩٣.
- (٤٤٩) هو الملك عز الدين بن جعفر النيسابوري، وكان سمحا جوادا مواصلا لكل من يسترفده، اشتهر ذكر كرمه في البلاد، تولى شحنكية واسط والبصرة (ت ٦٥٣ هـ) (عيون التواريخ ٢١: ٦٥).
- (٤٥٠) هو محمد بن محمد نصير الدين الطوسي الفيلسوف، كان رأساً في علم الأوائل وذا حرمة وافرة عند هولاء. وابتنى بمراغة مرصداً عظيماً، ومن مؤلفاته (مقدمة في الهيئة) (ت ٦٧٢ هـ)، (فوات الوفيات ٣: ٢٦٤، والبداية والنهاية ١٣: ٢٦٧).
- (٤٥١) رسالة الطيف ٢٧ وما بعدها.
- (٤٥٢) هو عبد الحميد بن عيسى العلامة شمس الدين ابو محمد الخسرو شاهی اشتغل بالعقليات وبرع في الكلام، وله مؤلفات عديدة (ت ٦٥٢ هـ) بدمشق (فوات الوفيات ٢: ٢٥٧، والنجوم الزاهرة ٧: ٣٢).
- (٤٥٣) عيون الانباء في طبقات اطباء ٦٤٩.
- (٤٥٤) هو ابو القاسم جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الاربلي، اربلي المولد والمنشأ، شاهد عدل، دين عنده فضل، وله طبع سليم في الشعر. وينظم الشعر في مختلف الأغراض، منقطعاً عن مخالطة الناس، (ت ٥٨٩ هـ) باربل، (تأريخ اربيل ١: ٧٤، وقلائد الجمان ٣: ٦٠).
- (٤٥٥) قلائد الجمان ٣: ٦٠ - ٦١.
- (٤٥٦) ديوانه ٢٥٩. أم قشعم: كنية المنية. وفي البيت نظر إلى قول زهير ابن ابي سلمى في معلقته:
فشدّ قام يفرع بيوتاً كثيرة
لدى حيث ألقى رجاها أم قشعم
- (٤٥٧) ديوانه ٦٢.

- (٤٥٨) وفيات الأعيان ٧: ٩٣.
- (٤٥٩) هو أحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم ابي بكر بن خلكان بن باول بن عبدالله بن شاكل الاربلي والأصل من ابناء الأكراد، ومن بيت فقهة وعلم، شاب قصير يتزى بزى الاجناد، ولادته سنة ٥٩٩هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ١: ٢٢٤ب).
- (٤٦٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢: ٤٣٨.
- (٤٦١) ينظر: العصر العباسي الثاني ٢٤١.
- (٤٦٢) ينظر: الأدب في العصر الأيوبي ٢٤٥.
- (٤٦٣) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الاجتماعية -.
- (٤٦٤) فوات الوفيات ٢: ٥٩.
- (٤٦٥) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.
- (٤٦٦) ديوانه ٤٧٥.
- (٤٦٧) ينظر: تذكرة الفخرية ١٩٧، وقلائد الجمان ٥: ٢٤٠ب.
- (٤٦٨) الأدب في ظل بني بويه ٣٤٣.
- (٤٦٩) ديوانه ٣٣٨.
- (٤٧٠) ديوانه ٣٧٧.
- (٤٧١) نفسه ٣٧٢.
- (٤٧٢) عيون التواريخ ٢١: ٢٠٣.
- (٤٧٣) يقصد بـ(عباد الصليب) احد موظفي لديوان من النصاري ويتوقع ان يكون الشاعر قد سجن بسببه.
- (٤٧٤) ديوانه ٣٧١.
- (٤٧٥) نفسه ٣٧٣.
- (٤٧٦) ديوانه ٣٣٧.
- (٤٧٧) ديوانه ٢: ٣١٣ - ٣١٤.
- (٤٧٨) ذيل مرآة الزمان ٤: ٨١.
- (٤٧٩) رسالة الطيف ٨٧.
- (٤٨٠) ديوانه ٣٧٦.
- (٤٨١) الجامع المختصر ٢٤٤.
- (٤٨٢) قلائد الجمان ١: ٧٢ب.
- (٤٨٣) ديوانه ٣٢٦.
- (٤٨٤) ذيل مرآة الزمان ٤: ٨٣.
- (٤٨٥) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ١: ٤٩٤ - ٤٩٥.
- (٤٨٦) هو هاشم بن عبد السلام بن يوسف بن عمرو بن مند وابو الفضل الاربلي، كان يكتب الطغرة لأميرها مظفر الدين، ونال عنده وجاهة وتمكن، سافر إلى بغداد حين دخل التتار إلى اربيل، ولادته

كانت سنة ٥٨٣هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٩: ١٩٤ب، ووفيات الأعيان ٧: ١٠٢).

(٤٨٧) قلائد الجمان ٩: ١٩٤أ، لم نهتد إلى هذين البيتين في ديوانه.

(٤٨٨) هو عبد الرحمن بن منصور بن ابي بكر بن تامر القنطري الاربلي، شاب طويل من ابناء القضاة اعتنى بقول الشعر وعمله، من غير ان يشتغل بالأدب، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٣: ٣٠٦).

(٤٨٩) قلائد الجمان ٣: ٣٠٧.

(٤٩٠) هو محيي الدين ابي ظاهر بن حيدر الحسيني الموصللي، تولى نقابة العلويين بالموصل ثلاث مرات، ولادته كانت سنة ٥٧١هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ١٢).

(٤٩١) هو ابي حربي بن حمدان ابو عبدالله الاربلي، شاب قصير، نزل الشيب بعارضيه، رحل إلى بغداد، وهو يسلك طريق التصوف ويخالط المتصوفة وله خط حسن، ومعظم أشعاره في المديح والغزل والهجاء، ولد سنة ٥٩٨هـ، ولم يترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ١١٠).

(٤٩٢) قلائد الجمان ٧: ١١١.

(٤٩٣) البديع، هو شرح لكتاب الفصول في النحو لا بن الدهان سعيد بن مبارك (فيات الأعيان ٤: ١٤١).

(٤٩٤) هو مجد الدين ابو السعادات محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣هـ)، وفيات الأعيان ٤: ١٤١، وأنباه الرواة ٣: ٢٥٧).

(٤٩٦) نفيه ٥: ٣٠٧ب.

(٤٩٧) هو يونس بن سعيد بن عيسى بن سعد الله ابو الفضل بن ابي الخير الخراط الاربلي، كان من أهل القرآن الكريم والفضل، وكان رجلاً خيراً ويقول مقطعات صالحة من الشعر (ت ٦٣٤هـ) (قلائد الجمان ١٠-٢٨٢ب).

(٤٩٨) قلائد الجمان ١٠: ٢٨٢أ.

(٤٩٩) ذيل مرآة الزمان ٢: ٤٨١.

(٥٠٠) هو ابو العباس احمد بن شجاع بن منعة، اربلي المولد والمنشأ، أقام بها بقالا، قال ابن المستوفي فهو الآن ينسخ الكتب بالأجر، له طبع موات وقريحة محببة (ت ٦٢١هـ) (تأريخ اربل ١: ٢٣٢).

(٥٠١) تأريخ اربل ١: ٢٣٢. البلايل: شدة الهم والوسواس في الصدور.

(٥٠٢) هو حماد بن محمد بن جساس البوازيجي، شيخ البوازيج في الانقطاع، من أصحاب عدى بن مسافر، تردد كثيراً إلى اربل، ويغشاه الأكابر، تردد إليه امير اربل، ومات بالبوازيج سنة ٥٩٦هـ (تأريخ اربل ١: ٢٥٣).

(٥٠٣) تأريخ اربل ١: ٢٥٣.

(٥٠٤) تنظر ترجمته في: قلائد الجمان ١٠: ٢٤٤أ.

(٥٠٥) نفسه ١٠: ٢٤٤ب.

- (٥٠٦) هو محمد بن ناصر بن محمد الحافظ ابو الفضل البغدادي محدث العراق، عني بالحديث بعد ان برع في اللغة، كان متدينا نظيفا نزها (ت ٥٠٥ هـ) (العبر في خبر من غير ٤: ١٤٠).
- (٥٠٧) الحوادث الجامعة ١٣٥.
- (٥٠٨) قلائد الجمان ٣: ٣٧١.
- (٥٠٩) في موضع النقاط كلام غير مقرر في الأصل.
- (٥١٠) ديوانه ٤١٢.
- (٥١١) هنو محمد بن محمد بن أبي حنيفة ابن ابي عبدالله بن الفرضي، كان اربلي المولد والمنشأ بغدادي الوالد والأصل، له أشعار في الغزل العفيف (ت ٦١٦ هـ) بدمياط بمصر (قلائد الجمان ٧: ٢٣٩، والنجوم الزاهرة ٦: ٢٣٠).
- (٥١٢) قلائد الجمان ٧: ٢٣٩.
- (٥١٣) نفسه ١: ٨٨ - ٨٨ ب.
- (٥١٤) هو محمد بن علي بن محمد ابن الجارود ابو عبدالله الماراني، ولد بكفر عزة، قرية من قرى اربل ونشأ بها، وتقلد القضاء باربل في ايام مظفر الدين كوكبرى وكان من ظرفاء الحكام، متحليا بالنزاهة، فيه آداب (ت ٦٢٩ هـ) وقد جاوز الثمانين (الوافي بالوفيات ٤: ١٧٢. والبداية والنهاية ١٣: ١٣٤).
- (٥١٥) قلائد الجمان ٧: ٣٢ ب.
- (٥١٦) تنظر ترجمته في: قلائد الجمان ٦: ١٦٩.
- (٥١٧) تأريخ اربل ٢: ٣٠٣.
- (٥١٨) قلائد الجمان ٣: ١٤١ - ١٤٢.
- (٥١٩) قلائد الجمان ٣: ٣٠٨.
- (٥٢٠) العمدة ١: ٣٠٧.
- (٥٢١) المثل السائر ٣: ٨٦.
- (٥٢٢) تنظر: مجلة المخطوطات العربية، مجلد ٣٣، الجزء الأول ١٩٨٩. الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحظيري الملقب بدلال الكتب) ص ١٦٩ - ١٩٥.
- (٥٢٣) هو ابو نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله الحديثي، ورد اربل فيه نكاء وعنده فقه، له أشعار عديدة (ت ٦١٨ هـ) (تأريخ اربل ١: ٢٣٥).
- (٥٢٤) تأريخ اربل ١: ٢٣٦.
- (٥٢٥) ديوانه ٤٥، قراقوش: اسم تركي معناه عصفور أسود وأراد باللغز معكوس قراقوش. (شوق، أرق).
- (٥٢٦) ديوانه ٧٢.
- (٥٢٧) ذيل مرآة الزمان ٤: ١٥٩.
- (٥٢٨) مختصر كتاب البلدان ٢٣٨.
- (٥٢٩) التذكرة الفخرية ١٠٥.

- (٥٣٠) ديوانه ٥٦ - ٥٧ .
- (٥٣١) ديوانه ٣٦ .
- (٥٣٢) ديوانه ١٨٥ .
- (٥٣٣) ديوانه ١٥٩ . والغرب: عرق في العين يسقيها بلا انقطاع .
- (٥٣٤) نفسه ٣٦٧ .
- (٥٣٥) ديوانه ٧٢ .
- (٥٣٦) ديوانه ١٦٥ .
- (٥٣٧) التذكرة الفخرية ٥٩ .
- (٥٣٨) ديوانه ١٧٨ .
- (٥٣٩) هو ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الميناري من مدينة سلا في أقصى المغرب، ورد اربل، وسكن دار الحديث بها، عنده من كل فن طرف منه (ت ٧٠٠هـ)، (تأريخ اربل ١: ٣١١).
- (٥٤٠) تأريخ اربل ١: ٣١١ .
- (٥٤١) هو ابو الفتح نصر بن و هسوزان بن ملكيشوع الهذباني الاربلي، كان له خط حسن (ت ٥٣٠هـ)، (تأريخ اربل ١: ٣٣٢ - ٣٣٣).
- (٥٤٢) تأريخ اربل ١: ٣٢٢ .
- (٥٤٣) التذكرة الفخرية ١٠٨ .
- (٥٤٤) قلائد الجمال ١: ١٢٥ ب.
- (٥٤٥) ينظر: "القدس في شعر القرن السادس الهجري" مجلة المورد، العدد الأول، المجلد الحادي عشر، سنة ١٩٨٢، للدكتور ناظم رشيد.
- (٥٤٦) ينظر: "جهاد صلاح الدين الأيوبي - التأريخ والشعر -" مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد السادس عشر، سنة ١٩٨٧، للدكتور ناظم رشيد.
- (٥٤٧) ديوانه ٢٠١ .
- (٥٤٨) الحرب: الشجاع، قمقام: السيد الكثير الخير والفضل.
- (٥٤٩) العيون الأخبار ٣: ٢٧٨ .
- (٥٥٠) قلائد الجمال ٣: ١٠٤ وما بعدها .
- (٥٥١) تأريخ آداب العربية، نيلينو ١٩٢ .
- (٥٥٢) ينظر: وفيات الأعيان ٤: ١١٨ .
- (٥٥٣) الشعر الشعبي في العراق في القرن الرابع الهجري ١٣١ .
- (٥٥٤) ينظر: الشعر في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٣٠٥ .
- (٥٥٥) في الأدب العباسي - الرؤية والفن - ٣٣٨ .
- (٥٥٦) ينظر: دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ١٨٦ .

- (٥٥٧) ديوانه ٢٣٩. الأنف: من الرياض مالم يرهه أحد، الجوية: المكان النفنف: المفاضة. وينظر: نفسه ٢٤٦.
- (٥٥٨) نفسه ٢٦٩. حالكة الالهاب: مسودة الجلد. نبلة الأزمات: الحوادث العظيمة. غائلة الرزايا: المصائب المهلكة. الغول: المنية.
- (٥٥٩) نفسه ٣٢٥.
- (٥٦٠) ديوانه ٢٤٢.
- (٥٦١) نفسه ٣٣٤.
- (٥٦٢) ديوانه ١٨٦.
- (٥٦٣) ديوانه ٣٤٦.
- (٥٦٤) ينظر: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ٨٧.
- (٥٦٥) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ١٨٥.
- (٥٦٦) خزانة الأدب ١٩٠ - ٢٠٠.
- (٥٦٧) ديوانه ٣٤٣.
- (٥٦٨) وفيات الأعيان ٧: ١٠١.
- (٥٦٩) عصر الدول والامارات ٣٩١.
- (٥٧٠) ديوانه ١٣٣، وينظر أيضاً: نفسه ١٩٩.
- (٥٧١) ينظر: الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ٥٦.
- (٥٧٢) كتاب الصناعتين ٣٩.
- (٥٧٣) ديوانه ٢٤٤، مشربش: كلمة تركية تعني المشرق الرجح (المعجم التركي - العربي ٣: ١١٣).
- (٥٧٤) ديوان ١٤٥، نوروز: وهو اليوم الجديد (مروج الذهب ١/٢٤٦).
- (٥٧٥) نفسه ٣٢٩، البرطيل: الرشوة (الألفاظ الفارسية المعربة ٢٠).
- (٥٧٦) معجم البلدان ١: ١٣٨ وما بعدها.
- (٥٧٧) ابو العتاهية - حياته وشعره - ٢٨٩.
- (٥٧٨) ابو الطيب المتنبي وماله وما عليه ٣٢.
- (٥٧٩) ديوان السرى الرفاء ١: ١٦٣.
- (٥٨٠) جوهز الكنز ٢٥٧. العمدة ٢: ٧٣.
- (٥٨١) ديوان ٢٣٥.
- (٥٨٢) ينظر: الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ٦٠.
- (٥٨٣) ديوانه ١٦٥.

- (٥٨٤) نفسه ١٢٧.
- (٥٨٥) نفسه ١٧٦.
- (٥٨٦) نفسه ٢٧٤.
- (٥٨٧) ينظر: سر الفصاحة ٩٥.
- (٥٨٨) ينظر: الأسلوب ١٤٨.
- (٥٨٩) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الاجتماعية -.
- (٥٩٠) ديوانه ٢٠، في البيت اشارة إلى قوله تعالى:*(وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ)* سورة ق، الآية ٢١.
- (٥٩١) ديوانه ١٧٦.
- (٥٩٢) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الأدبية -.
- (٥٩٣) الموفق: ولي العهد لأخيه الخليفة المعتمد وذلك في سنة ٥٧٨ هـ، (تأريخ بغداد ٢: ١٢٧).
- (٥٩٤) ديوانه ٢٠٤ - ٢٠٥، البيعة: معبد للنصارى واليهود (المنجد ٥٧) القس: من كان بين الأسقف والشماس (المنجد ٦٢٧).
- (٥٩٥) ديوانه ١٤٢ وما بعدها.
- (٥٩٦) لحن العامة والتطور اللغوى ٣٠.
- (٥٩٧) البيان والتبيين ١: ١٠٥، وينظر: الأسلوب ٢٣٠.
- (٥٩٨) كتاب الصناعتين ٢٩.
- (٥٩٩) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ٥٨.
- (٦٠٠) وفيات الأعيان ١: ١٠.
- (٦٠١) تأريخ اربل: ٣٩٣. وتنظر ترجمته في: نفسه ١: ٣٩٣.
- (٦٠٢) نفسه ١: ٣٩٣.
- (٦٠٣) ديوانه ١٢١، وينظر ايضاً: نفسه ٢٨٤.
- (٦٠٤) ديوانه ١٨٨، وينظر ايضاً: نفسه ٣٢٠.
- (٦٠٥) ديوانه ٣٠٦.
- (٦٠٦) تأريخ اربل ١: ١٥٨.
- (٦٠٧) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوى ١٠١، والكتاب اسمه (ما تلحن فيه العوام) تح: عبد العزيز الميمني (في ثلاث رسائل) - قاهرة ١٣٤٤هـ وحققه ايضاً بروكلمان.
- (٦٠٨) ديوانه ١٣١، وينظر ايضاً: نفسه ١٦٢ - ١٧٦.
- (٦٠٩) ديوانه ٣٣١. تنظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١: ١١١، وقوات الوفيات ١: ١٦٥.

- (٦١٠) ديوانه ٤٢١.
- (٦١١) نفسه ٣٨١.
- (٦١٢) ديوانه ٣٢٠، ٣٩٣.
- (٦١٣) ديوانه ١٥٥.
- (٦١٤) نفسه ١٨٣.
- (٦١٥) نفسه ٢٢٥ وما بعدها، ومن الجناس الوارد في هذه القصيدة " الأرق والغرق، العلق والعلق، فراق وقرق، رشيق ورشيق، ناشق ونشيق، أهدى وهدى، يبرق وبرق، حكمة وحكمة، ذمة وتذم، اعلى واعلى، مشقة وممشق، تفترق والفرق، الطباق والطبق، قرضت وقریضة، سابق والسبق، يحفظ وحفظ، غسق واتسق " ومن الطباق " رتق وانفتق، مصطبح ومغتبِق " . وينظر ايضاً: نفسه ٢٦٣ وما بعدها.
- (٦١٦) فوات الوفيات ٣: ٣٩ وما بعدها.
- (٦١٧) خريدة القصر وجريدة العصر ٤: ٢٣٣.
- (٦١٨) ديوانه ٢٢٦.
- (٦١٩) ينظر: الصورة الأدبية ٣١.
- (٦٢٠) ديوانه ١٨٦.
- (٦٢١) ديوانه ٥٢.
- (٦٢٢) قلائد الجمال ٣: ٥٣.
- (٦٢٣) فوات الوفيات ٣: ٥٧.
- (٦٢٤) ديوانه ٢٧٥.
- (٦٢٥) قلائد الجمال ١٠: ١٢٦٧.
- (٦٢٦) ديوانه ٢٣٤، الكوسيار: لفظة تركية تعني الطبل الضخم (المعجم التركي - العربي ٣: ٢٠٥).
- (٦٢٧) قلائد الجمال ٣: ٥٣.
- (٦٢٨) ديوانه ١٨٨.
- (٦٢٩) عيون التواريخ ٢١: ٣٥٢.
- (٦٣٠) التذكرة الفخرية ٢٢٥.
- (٦٣١) تأريخ اربل ١: ٨٤.
- (٦٣٢) نفسه ١: ٣٨٤.
- (٦٣٣) فوات الوفيات ٢: ١٣٥.
- (٦٣٤) وفيات الأعيان ٧: ١٠٣.
- (٦٣٥) ديوانه ٣٤.

- (٦٣٦) ديوانه ١٥٦.
- (٦٣٧) اتجاهات النقد في القرن الخامس الهجري (٣٧٦).
- (٦٣٨) ديوانه ٣١٦.
- (٦٣٩) ديوانه ٣٠٢.
- (٦٤٠) نفسه ٢٤٩، ٢١٣.
- (٦٤١) ديوان ٢١٥.
- (٦٤٢) نفسه ٢٠٣.
- (٦٤٣) خزانة الأدب ١٨١، وأنوار الربيع ٥: ٢٣٤.
- (٦٤٤) نفاضة الجراب ١٢٩، وأزهار الرياض ١: ٢٧٥.
- (٦٤٥) ديوانه ٣٩٨.
- (٦٤٦) ديوانه ٣٣٠.
- (٦٤٧) تأريخ اربيل ١: ٢٣٤.
- (٦٤٨) ديوانه ٢٤٧.
- (٦٤٩) سورة آل عمران، الآية ٤٩.
- (٦٥٠) ديوانه ١٧٧.
- (٦٥١) سورة النمل، الآية ٤٤.
- (٦٥٢) سورة الدهر، الآية ١٦.
- (٦٥٣) ديوانه ١٦٠.
- (٦٥٤) سورة يوسف، الآية ٩٦.
- (٦٥٥) ديوانه ٣٦٤.
- (٦٥٦) سورة الصافات، الآية ١٣٩.
- (٦٥٧) السورة نفسها، الآية ١٤٢.
- (٦٥٨) ديوانه ٦٨.
- (٦٥٩) كتاب الصناعين ٢٧٤.
- (٦٦٠) ديوانه ١١٩.
- (٦٦١) ديوانه ١٢٣.
- (٦٦٢) ديوانه ٣٣٩.
- (٦٦٣) ينظر: دلائل الاعجاز ٧٠، ١٦٥، وخزانة الأدب ٣٦٠.
- (٦٦٤) ديوانه ٤٢٢.

- (٦٦٥) قلائد الجمان ٥ : ١٤٤ .
- (٦٦٦) ديوانه ١٨٦ .
- (٦٦٧) نفسه ٢٩٦ . ليل الهرير: كان بصفين، وفيه اشتد القتال، وكثر عدد القتلى، وهي ليلة من ليالي معركة القادسية أيضاً (ثمار القلوب ٦٣٧، والكامل في التأريخ ٢: ٤٧٩).
- (٦٦٨) نفسه ٢٩٧ .
- (٦٦٩) ديوانه ٦١ .
- (٦٧٠) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر ٢٧٦ .
- (٦٧١) ينظر: اسرار البلاغة ٨-٩، وسر الفصاحة ١٨٥ .
- (٦٧٢) فوات الوفيات ٢: ١١٨ .
- (٦٧٣) الشعر العربي بين الجمود والتطور ٢١٤ .
- (٦٧٤) ينظر: محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني ٧٢ .
- (٦٧٥) ديوانه ٢٦٤ .
- (٦٧٦) ديوانه ٧٣ .
- (٦٧٧) ديوانه ٤١٦ .
- (٦٧٨) فوات الوفيات ٣: ٣٩ .
- (٦٧٩) ديوانه ٢٢٨ .
- (٦٨٠) ديوانه ٢٣٨ .
- (٦٨١) نفسه ٢٧٩ .
- (٦٨٢) جواهر الكنز ٨٤، وكتاب الصناعتين ٣١٦ .
- (٦٨٣) ديوانه ١٥٦ .
- (٦٨٤) ديوانه ١٤٢ .
- (٦٨٥) العمدة ٢: ١٥ .
- (٦٨٦) ديوانه ٢٢٧ .
- (٦٨٧) ديوانه ٢٦٣ .
- (٦٨٨) ديوانه ٧٥ .
- (٦٨٩) ينظر: نقد الشعر ٤٦، وكتاب الصناعتين ٣٩٣، والعمدة ٢: ٢٦ - ٢٧ .
- (٦٩٠) فوات الوفيات ٣: ٣٩ .
- (٦٩١) أدب الدول المتتابعة ٦٧٦ .
- (٦٩٢) ديوانه ٣٥٠ .

- (٦٩٣) سورة يس، الآية ٣٩.
- (٦٩٤) فوات الوفيات ١: ١٠٢ - ١٠٣.
- (٦٩٥) سورة المعارج، الآية ٤٢.
- (٦٩٦) صبح الأعشى ١: ٦٣.
- (٦٩٧) ديوانه ٢٧٣.
- (٦٩٨) سورة الكوثر، الآية ٢-٣.
- (٦٩٩) ديوانه ١٣٨.
- (٧٠٠) النهاية في غريب الحديث ٢: ١٠٩.
- (٧٠١) ينظر: المبدع ١١٤.
- (٧٠٢) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٦٨١.
- (٧٠٣) ديوانه ٢٢٩ وما بعدها.
- (٧٠٤) خزنة الأدب ٢٣٩ - ٢٤٩.
- (٧٠٥) جواهر الكنز ١١١.
- (٧٠٦) ديوانه ٢١١.
- (٧٠٧) ديوانه ٢٨٤.
- (٧٠٨) الايضاح ١: ١٦٩.
- (٧٠٩) ديوانه ٢٩٥.
- (٧١٠) ديوانه ١٢٢.
- (٧١١) ينظر: البديع في نقد الشعر ٥١، والعمدة ٢: ٣.
- (٧١٢) ينظر: الشعر والشعراء ٩٠.
- (٧١٣) ديوانه ٣٢٨.
- (٧١٤) نفسه ٢٠٨.
- (٧١٥) فوات الوفيات ٣: ٢٩.
- (٧١٦) ديوانه ٢٧٨.
- (٧١٧) العمدة ١: ٢٣٤.
- (٧١٨) ينظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ٢٧٤.
- (٧١٩) العمدة ١: ٢٣٦.
- (٧٢٠) خزنة الأدب ١٤٩ وما بعدها.
- (٧٢١) قلائد الجمان ٣: ٥٧.

- (٧٢٢) ديوانه ٢٣٨.
- (٧٢٣) ديوانه ٦٥.
- (٧٢٤) ديوانه ١٨٤.
- (٧٢٥) ينظر: البديع في نقد الشعر ٢٠٠.
- (٧٢٦) البديع لابن المعتز ٥٨، وجوه الكنز ١١٩.
- (٧٢٧) انوار الربيع ١: ٣٦٩.
- (٧٢٨) ديوانه ٣٢٧.
- (٧٢٩) العمدة ١: ٢٣٩.
- (٧٣٠) ديوانه ٢٤٥.
- (٧٣١) قلائد الجمان ١٠: ١٢٨٩.
- (٧٣٢) ديوانه ٢٨٩.
- (٧٣٣) نفسه ٣٠٨.
- (٧٣٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق ١، مج ١: ٤٦٩.
- (٧٣٥) فصول في الأدب الأندلسي ١٢٩ - ١٣٨.
- (٧٣٦) ينظر: في أدب العصور المتأخرة ٤٦.
- (٧٣٧) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٥٨٦.
- (٧٣٨) ديوان ابن الدهان الموصلية ٢٧٠.
- (٧٣٩) حسام الدين الحاجري (مجلة) ٢٦٩.
- (٧٤٠) ديوانه ٣٨٥.
- (٧٤١) أدب الدول المتتابعة ٦٢١.
- (٧٤٢) ينظر: مقدمة (ديوان الدوييت في الشعر العربي) ٣٠ - ٩٥.
- (٧٤٣) مرآة الزمان ٦٩٢.
- (٧٤٤) ينظر: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ٤٠٧.
- (٧٤٥) وفيات الأعيان ٧: ١٠٣.
- (٧٤٦) ديوانه ٤٦٨.
- (٧٤٧) العاطل الحالي والمرخس الغالي ٨.
- (٧٤٨) ديوانه ٤٣٧.
- (٧٤٩) نفسه ٤٤١.
- (٧٥٠) الفنون الشعرية غير المعربة، المواليا ١٥٨.

- (٧٥١) ديوانه ٤٤٦ .
- (٧٥٢) ديوانه ٣٣١ .
- (٧٥٣) العمدة ١: ١٧٨ - ١٧٩ .
- (٧٥٤) نفسه ١: ١٨٠ .
- (٧٥٥) ديوانه ٣٨١ .
- (٧٥٦) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية ٢٩٦ .
- (٧٥٧) ديوانه ٣٨٧ .
- (٧٥٨) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٦٣٢ .
- (٧٥٩) هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن علي التغلبي المعروف بابن الخياط الدمشقي (ت ٥١٧ هـ)
شاعر معروف، ترجمته في مقدمة ديوانه، تح: خليل مردم بك ه .
- (٧٦٠) ديوان ابن الخياط ١٧٠ .
- (٧٦١) ديوان ٣٨٢ .

المصادر والمراجع

المصادر:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأزمنة والأمكنة: ابو علي المرزوقي الأصفهاني، مط مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند ١٩١٢.
- ٣- أسرار العثمانية: د عبد القاهر الجرجاني، تح: رينز، استامبول، مط وزارة المعارف ١٩٥٤.
- ٤- الأغاني: ابو الفرج الأصفهاني، تح: عبدالستار احمد فراج، دارة الثقافة، بيروت ١٩٥٩.
- ٥- الامتاع والمؤانسة: ابو حيان التوحيدي، شرح: احمد أمين الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣.
- ٦- انباه الرواة في انباء النحاة: جمال الدين علي بن يوسف القفطي، مط دار الكتب المصرية، ١٩٥٠.
- ٧- أنوار الربيع في انوار البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ١٩٦٨.
- ٨- الايضاح: جلال الدين محمد القزويني، نشر: عزالدين التنوخي، دمشق ١٩٤٨ - ١٩٥٠.
- ٩- البداية والنهاية: اسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦.
- ١٠- البديع: عبدالله بن المعتز، اعنتي بنشرة: اغناطيوس كراتشوفوسكي، أعادت مكتبة المثني - بغداد ١٩٦٧.
- ١١- البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تح: د. احمد أحمد بدوي، ود. حامد عبد المجيد، مط مصطفى اللبابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٦٠.
- ١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، مط البابي الحلبي، مصر ١٩٦٥.
- ١٣- تاج العروس: مرتض الزبيدي، مط الخيرية، القاهرة ١٨٨٦.
- ١٤- تأريخ ابن خلدون: دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٥٧.
- ١٥- تأريخ ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن الفرات، نشر: د. حسن محمد الشماع، ود. قسطنطين زريف، مط الامريكانية، بيروت، ١٩٣٦ - ١٩٤٢.
- ١٦- تأريخ اربيل: شرف الدين ابي البركات المبارك ابن المستوفي، تح: سامي الصقار، مط المركز العربي للطباعة، بيروت، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠.
- ١٧- التأريخ الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل: علي بن ابي كرم المعروف بابن الجزري، تح: د. عبدالقادر احمد طليمان، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣.
- ١٨- تأريخ بغداد: ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

- ١٩- تأريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن اليوطي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط القاهرة، ١٩٦٤.
- ٢٠- التذكرة الفخرية: بهاء الدين المنشيء الاربلي، تح: د. نوري حمودي القيسي، و د. حاتم صالح الضامن، ط المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤.
- ٢١- تقويم البلدان: عماد الدين اسماعيل ابو الفداء، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠.
- ٢٢- التكملة لوفيات النقلة: زكي الدين ابو محمد المنذرى، تح: بشار عواد معروف، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٧٦.
- ٢٣- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: كمال الدين عبد الرزاق البغدادي ابن الفوطي، تح: د. مصطفى جواد، مط الهاشمية، دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٧.
- ٢٤- ثمار القلوب في المضاف المنسوب: عبد المارك بن محمد الثعالبي، تح: محمد ابي الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥.
- ٢٥- الجامع المختصر في عنوان التأريخ و عيون السير: على بن أنجب المعروف بابن الساعي الخازن، نشر: الدكتور مصطفى جواد، المط السريانية بغداد ١٩٣٤.
- ٢٦- جمهرة الأمثال: ابو هلال الحسن العسكري، تح: ابو ابراهيم وقطامش، مط السعادة، القاهرة ١٩٥٩.
- ٢٧- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن ابي الوفاء القرشي، مجلس دائرة المعارف، الهند ١٣٣٢ هـ.
- ٢٨- جواهر الكنز: احمد بن اسماعيل بن الأثير الطيبي، تح: محمد زغلول سلام، مط منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر (د.ت).
- ٢٩- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبدالرزاق ابن الفوطي البغدادي، تعليق: الدكتور مصطفى جواد، مط الفرات بغداد ١٩٣١.
- ٣٠- خزينة القصر وجريدة العصر: عماد الدين الأصفهاني - قسم شعراء الشام - تح: د. شكري فيصل، دمشق ١٩٥٥.
- ٣١- خزانة الأدب و غاية الأرب: تقي الدين ابو بكر المعروف بابن حجة الحموي، دار الحديث، بيروت (د.ت).
- ٣٢- الديارات: ابي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي، تح: كوركيس عواد، مط المعارف، بغداد ١٩٥١.
- ٣٣- ديوان ابن الخياط: احمد بن محمد التغلبي المعروف بأبن الخياط الدمشقي، تح: خليل مردم بك، دمشق ١٩٥٨.
- ٣٤- ديوان ابن الدهان: عبد الله بن أسعد الموصلبي، تح: عبدالله الجبوري، مط المعارف، بغداد ١٩٦٨.
- ٣٥- ديوان ابن الظهير الاربلي: محمد بن احمد بن عمر، تح: د. ناظم رشيد، مط دار الكتب،

الموصل ١٩٨٨م

- ٣٦- ديوان ابن نباتة: عبد العزيز بن نباتة، تح: عبد الأمير مهدي الطائي، مط دار الحرية، بغداد ١٩٧٧.
- ٣٧- ديوان أبي فراس الحمداني: تح: سامي الدهان، بيروت ١٩٤٤.
- ٣٨- ديوان أبي نواس: الحسن بن هاني، تح: احمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- ٣٩- ديوان البحري: تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف مصر ١٩٧٢.
- ٤٠- ديوان بشار بن برد: علّق عليه: محمد رفعت فتح الله، ومحمد شوقي أمين، مط لجنة التأليف، القاهرة ١٩٥٠.
- ٤١- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري، تح: صاحب شنون ياسين، كلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٨٨، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة.
- ٤٢- ديوان جرير: شرح: محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد امين طه، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.
- ٤٣- ديوان الحماسة: حبيب بن أوس الطائي. تح: عبد المنك احمد صالح، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٥.
- ٤٤- ديوان الخنساء: دار الأندلس، بيروت ١٩٧٨.
- ٤٥- ديوان سبط ابن التعاويذي: تح: مارجليوث، مط المقتطف، القاهرة ١٩٠٣.
- ٤٦- ديوان الشريف الرضي: تح: د. عبدالفتاح محمد الحلو، بغداد ١٩٧٧.
- ٤٧- ديوان النشابي: محد الدين أسعد بن ابراهيم الاربلي، تح: عبدالله محمود طه، كلية الآداب بجامعة الموصل ١٩٨٥، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة.
- ٤٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تح: احسان عباس، الدار العربية، ليبيا ١٩٧٨م
- ٤٩- ذيل الروضتين: عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي، نشر: عزة اسماعيل ١٩٤٧.
- ٥٠- ذيل مرآة الزمان: ابو الفتح موسى اليونيني، مط دائرة المعارف، العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٩٥٤.
- ٥١- رسالة الطيف: يهء الدين الاربلي، تح: عبدالله الجبوري، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٨.
- ٥٢- الروضتين في أخبار الدولتين: عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، تح: محمد حلمي محمد، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.
- ٥٣- سر الفصاحة: الأمير محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مط محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٩٦٩.
- ٥٤- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، مصورة مكتبة المثني، بغداد (د.ت).

- ٥٥- السلوك لمعرفة دول الملوك: المقرئزي، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٣٤.
- ٥٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن عماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).
- ٥٧- شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: صنع: احمد بن يحيى الشيباني، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٦٤.
- ٥٨- الشعر والشعراء: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحد: د. طه الحاجري والدكتور محمد زغلول، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٦، مط دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤.
- ٥٩- شمامة العنبر والزهر المعنبر: محمد مصطفى الفلاحى، تحد: د. سليم النعيمي، مط المجتمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٧.
- ٦٠- صبح الأعشى في صناعة الانشأ: احمد بن علي القلقشندى، مط الأميرية، القاهرة ١٩١٣.
- ٦١- طبقات الشافعية: جمال الدين بن الحسن بن علي القرشي الأسنوى، تحد: عبدالله الجبوري، مط الارشاد، بغداد ١٩٧٠.
- ٦٢- طبقات الشعراء المحدثين: عبدالله بن المعتز، مط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦.
- ٦٣- العبر في خبر من غير: الحافظ الذهبي، تحد: د. صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٠.
- ٦٤- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: اسماعيل بن العباس الغساني، تحد: شاكر عبد المنعم، دار البيان، بغداد ١٩٧٥.
- ٦٥- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده: ابو علي بن رشيقي القيرواني، تحد: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ١٩٧٢.
- ٦٦- عيون الأخبار: مسلم بن قتيبة الدينوري: الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣.
- ٦٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: احمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن ابي أصيبعة، تحد: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥.
- ٦٨- عيون التواريخ: محمد شاكر الكتبي، تحد: نبيلة عبد المنعك داود، والدكتور فيصل السامر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٤٨.
- ٦٩- الغصون الياغة في محاسن شعر المئة السابعة: ابن سعيد ابو الحسن علي بن موسى الأندلسي، تحد: ابراهيم الأبياري، دار المعارف القاهرة (د.ت).
- ٧٠- الفتح القسي في الفتح القدسي: العماد الأصفهاني، تحد: محمود محمد صبيح، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٥.
- ٧١- فوات الوفيات: محمد شاكر الكتبي، تحد: محمد محي الدين عبدالحميد، مط السعادة، مصر ١٩٥١.
- ٧٢- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ "عقود الجمان في شعراء هذا الزمان": كمال الدين ابي البركات المبارك بن الشعار الموصلية، مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة أسعد أفندي في استانبول تحت رقم (٢٣٢٦).

- ٧٣- الكامل في التاريخ: عزالدين علي بن محمد بن الأثير، دار صادر، بيروت ١٩٦٦.
- ٧٤- كتاب الصناعتين: ابو هلال الحسن العسكري، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار حياء الكتب العربية، مصر ١٩٥٢.
- ٧٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، طبعته بالأقيست مكتبة المثنى، بغداد ١٩٢٧.
- ٧٦- كنز الدرر وجامع الغرر: عبد الملك بن اييك الداوداري، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور، نشر: المعهد الألماني، القاهرة ١٩٧٢.
- ٧٧- لسان العرب: محمد بن مكرم الأفريقي المصري ابن منظور، دار صادر بيروت ١٩٥٥.
- ٧٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، تح: د. احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مط نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٩.
- ٧٩- مجمع الأمثال: احمد بن محمد النيسابوري الميداني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مط السنة المحمدية ١٩٥٥، دار المعرفة بيروت.
- ٨٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: ابو القاسم حسين محمود الراغب الأصبهاني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
- ٨١- المختصر في أخبار البشر: عماد الدين ابو الفدا اسماعيل، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت).
- ٨٢- مختصر كتاب البلدان: الجهشيارى، البابي الحلبي، ١٩٣٨.
- ٨٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبدالله بن أسعد بن علي المكي الياضي، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات ١٩٧٠.
- ٨٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: سبط ابن الجوزي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٥١.
- ٨٥- مراصد الاطلاع على أسماء الأزمنة والبقاع: صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، تح: علي محمد الجاوي، دار احساء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٥.
- ٨٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر: ابو الحسن علي المسعودي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط السعادة الثانية، القاهرة ١٩٤٨.
- ٨٧- معجم الأدباء: ياقوت بن عبدالله الحموي، دار المستشرق، بيروت ١٩٢٢.
- ٨٨- معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت ١٩٥٥.
- ٨٩- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: محمد بن سالم المشهور بابن واصل، القاهرة ١٩٥٢.
- ٩٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٥.
- ٩١- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب، تح: د. احمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت).
- ٩٢- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، مط السعادة، القاهرة ١٩٦٣.

- ٩٣- نكت الهميان في نكت العميان: خليل بن ابيك الصفدي، مط الجالية، القاهرة ١٩١١.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابو السعدرات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تح: طاهر احمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٣.
- ٩٥- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، تح: س، ديد رينغ، مط الهاشمية، دمشق ١٩٥٥، الجزء الرابع، والدكتور احسان عباس، مط دار صادر، بيروت ١٩٦٩، الجزء السابع.
- ٩٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان، تح: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨.

المراجع:

- ٩٧- ابو العتاهبة حياته وشعره: محمد محمود الدش، دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٨
- ٩٨- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: د. محمد مصطفى هدارن دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣.
- ٩٩- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري: يوسف حسين بكار، دار المعارف القاهرة ١٩٧١.
- ١٠٠- اتجاهات النقد الادبي في القرن الخامس الهجري: د. منهصور عبدالرحمن مكتبة الانكلو المصرية - القاهرة ١٩٧٧.
- ١٠١- أدب الدول المتتابعة: د. عمر موسى باشا، مط دار الفكر، دمشق ١٩٦٧.
- ١٠٢- الادب في ظل الدول الزنكية: عبدالوهاب العدواني - رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة - جامعة بغداد - كلية الاداب.
- ١٠٣- الادب في العصر الايوبي: د. محمد زفلول سلام، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨.
- ١٠٤- الأدب في العصر المملوكي: د. محمد زفلول سلام، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨.
- ١٠٥- ابن الرومي حياته من شعره: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٨.
- ١٠٦- ابن الرومي ونفسيته كن خلال شعره: ابلها حاوي - بيروت ١٩٥٩
- ١٠٧- ابو الطيب المنتهي وماله وما عليه: عبد الصباح بن محمد بن اسماعيل العثماني، مط الجمالية - القاهرة ١٩١٥.
- ١٠٨- اربيل في العهد الاتابكي: د. محسن محمد حسين، مط أسعد، بغداد ١٩٧٦.
- ١٠٩- الاسلام والحضارة العربية: محمد كرد علي، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٤، ومط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٩.
- ١١٠- الأسلوب: احمد الشايب، مط السعاد، القاهرة ١٩٧٦.
- ١١١- الأعلام: خيرالدين الزركلي، بيروت ١٩٦٨.
- ١١٢- الألفاظ الفارسية المعربة: أدى شير، مط الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٩.
- ١١٣- الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري: علي محمد

- هاشم، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨.
- ١١٤- تأريخ أَداب اللغة العربية: كارلوالينو، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤.
- ١١٥- تأريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨.
- ١١٦- تأريخ البيمارستانات في الاسلام: د. احمد عيسى بك، مط الهاشمية، دمشق ١٩٣٩.
- ١١٧- تأريخ التربية الاسلامية: الدكتور احمد شلبي، ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠.
- ١١٨- تأريخ الموصل كالعقس سليمان صائغ الموصل، مط السلفية، مصر ١٩٢٣.
- ١١٩- تأريخ نصاري العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا: رفائيل بابو اسحاق، مط المنصور، بغداد ١٩٤٨.
- ١٢٠- التربية والتعليم في الاسلام: الدكتور محمد أسعد طلس، دار العلم للملايين ١٩٥٧.
- ١٢١- تطور الخمرات في الشعر العربي: الدكتور جميل سعيد، مط الاعتماد مصر ١٩٤٥.
- ١٢٢- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان: عباس العزوي ط شركة التجارة والتباعة، بغداد ١٩٥٧.
- ١٢٣- جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين: الدكتور مصطفى جواد، مط المجمع العلمي الكردي، بغداد ١٩٧٣.
- ١٢٤- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده، مط لجنة الأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨.
- ١٢٥- الحضارة العربية طابعها ومقوماتها العامة: الدكتور محمد عبدالسلام كفاقي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٠.
- ١٢٦- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام كاحمد احمد بدوي دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢.
- ١٢٧- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي: الدكتور مريزين ابن سعيد مريزين عسيري، مكتبة الطالب الجامعي، كمة المكرمة ١٩٨٧.
- ١٢٨- دائرة المعارف الاسلامية: مادة اربل، ط أولى، القاهرة ١٩٣٣.
- ١٢٩- داود بن عيسى الأيوبي - حياته وأدبه - :ناظم رشيد، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، بغداد ١٩٧٢.
- ١٣٠- دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين: الدكتور محمد كامل حسين دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٧.
- ١٣١- ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون: الدكتور كامل مصطفى السببجي، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢.
- ١٣٢- ديوان السرى الرفاء: تح: جبيب حسين الحسني، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١.
- ١٣٣- الشاعر الثائر محمد باقر الشيببي (ت ١٩٦٠): عبدالرزاق الهلال، نشر: مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٥.

- ١٣٤- الشعر الشعبي في العراق في القرن الرابع الهجري: حميد مخلف، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة، جامعة بغداد ١٩٦٧.
- ١٣٥- الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: مزهر عبد السوداني، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٠.
- ١٣٦- الشعر العربي بين الجمود والتطور: الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٣.
- ١٣٧- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد: عبدالكريم توفيق العبود، داغر الحرية، بغداد ١٩٧٦.
- ١٣٨- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي: الدكتور علي جواد الطاهر، الجزء الأول، مط المعارف، بغداد ١٩٥٨.
- ١٣٩- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: جواد رشيد مجيد، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، بغداد ١٩٨٨.
- ١٤٠- الصراع بين الموالي والعرب: محمد بديع شرايف، مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥٤.
- ١٤١- الصورة الأدبية: الدكتور مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٣.
- ١٤٢- ضحى الاسلام: احمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- ١٤٣- العراق قديماً وحديثاً: عبدالرزاق الحسني، مط دار الكتب، بيروت ١٩٧١.
- ١٤٤- العربيةك يوهان فك: ترجمة: الدكتور عبدالحليم النجار مصر ١٩٥١.
- ١٤٥- عصر الدول والامارات: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠.
- ١٤٦- العصر العباسي الأول: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.
- ١٤٧- علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي: الدكتور ناجي معروف مط الارشاد، بغداد ١٩٧٣.
- ١٤٨- علم النفس والأدب: سامي الدروبي، مط دائرة المعارف، بغداد ١٩٧١.
- ١٤٩- فصول في الأدب الأندلسي: الدكتور حكمة على الأوسي، مكتبة النهضة، بغداد، ط الثانية ١٩٧٤.
- ١٥٠- فصول في الشعر ونقده: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٧١.
- ١٥١- الفكر الاسلامي منابعه وآثاره: احمد شلبي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٢.
- ١٥٢- فن التقطيع الشعري والقافية: د. صفاء خلوصي، بيروت ١٩٧٤.
- ١٥٣- فن المديح وتطوره في الشعر العربي: احمد ابو حاقه، منشورات الشرق الجديد، بيروت ١٩٦٢.
- ١٥٤- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة ١٩٧٨.
- ١٥٥- الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية: د. حسن الباشا مط لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٦٦.

- ١٥٦- الفنون الشعرية غير المعربة: د. رضا محسن القريشي، دار الحرية بغداد ١٩٧٦.
- ١٥٧- في الأدب العباسي الرؤى والفن: عز الدين اسماعيل، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥.
- ١٥٨- في أدب العصور المتأخرة: د. ناظم رشيد، دار الكتب، الموصل ١٩٨٥.
- ١٥٩- قضايا الفن قصيدة المدح العباسية: د. عبدالله عبدالفتاح التطاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨١.
- ١٦٠- لحن العامة والتطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، دار المعارف القاهرة ١٩٦٧.
- ١٦١- محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني: عمر موسى باشا، مط الاحسان، دمشق ١٩٧٩ - ١٩٨٠.
- ١٦٢- المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة: طه باقر وفؤاد، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد ١٩٦٦.
- ١٦٣- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: بكري شيخ أمين، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.
- ١٦٤- مظفرالدين كوكبرى أمير اربل: د. عبدالقادر احمد طليمات، مط مصر القاهرة ١٩٦٣.
- ١٦٥- معجم أسماء النبات: جمع وتحقيق: محمود مصطفى الدمياطي، الدار المصرية للتأليف، القاهرة ١٩٦٥.
- ١٦٦- المعجم التركي العربي: عبداللطيف بندر اوغلو والدكتور ابراهيم البياتي، دار الطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٢.
- ١٦٧- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٣.
- ١٦٨- المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق، بيروت ١٩٧٣.
- ١٦٩- الموسوعة العربية المسيرة: دار نهضة لبنان، اشراف: محمد شفيق غربال، بيروت ١٩٨٠.
- ١٧٠- نظرة عليرة في شمال العراق: عبدالرزاق الحصان، بغداد ١٩٤٠.
- ١٧١- نفسية ابي نواس: د. محمد النويهي، دار الفكر، القاهرة ١٩٧٠.
- ١٧٣- النقد الأدبي الحديث: د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مط نهضة مصر (د. ت) الهجاء: ساميس الدهان، مط المعارف، القاهرة (د. ت).
- ١٧٤- الهجاء: لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧.
- ١٧٥- الهجاء والهجاءون في صدر الاسلام: د. م. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجمامين، الإسكندرية ١٩٤٨.

المجلات:

- ١- مجلة آداب الرافدين: مجلد ٩ سنة ١٩٧٨م، الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (الشعر في اربل في ظل الأسرة البكتينية ٥٢٦ - ٥٦٣).
- ٢- مجلة آداب المستنصرية: العدد ١٠ سنة ١٩٨٤م، الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (حسام الدين الحاجري الاربلي - حياته وشعره -).

- العدد ١٥ سنة ١٩٨٧م، الدكتور يونس احمد السامرائي، بحث بعنوان (النفس الشعري في القصيدة العربية).
- ٣– مجلة سومر: مجلد ١٦، الجزء الأول والثاني سنة ١٩٦٠م، ووداد علي القزاز. بحث بعنوان (المنارة المظفرية في اربل تأريخها وأوصافها).
- مجلد ١٨ سنة ١٩٦٢، كامل حسين، بحث بعنوان (التنقيب حول المنذنة المظفرية في اربيل).
- مجلد ٢٥ سنة ١٩٦٩، فؤاد جميل، بحث بعنوان (حدياب اربيل – وعشتار – اربيل).
- ٤– مجلة كلية الآداب: جامعة بغداد، العدد ٢٢ سنة ١٩٧٨م، نوري حمودي القيسي، بحث بعنوان (تقويم جديد لدور الأدب العربي في العصور المتأخرة).
- ٥– مجلة لغة العرب: مجلد ٨ سنة ١٩٣٠م، عبدالرزاق الحسيني، بحث لواء اربيل ص ٦٠٩.
- ٦– مجلة المجمع العلمي العربي –دمشق: مجلد ٢١ – ٢٢ سنة ١٩٤٦، و ١٩٤٧، عباس العزاوي، بحث بعنوان (آل بكتكين – امارة اربل في عهدهم).
- ٧– مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ٣ سنة ١٩٥٤، الدكتور مصطفى جواد، بحث بعنوان (الأدب العراقي في العصر المغولي).
- المجلد الأول، سنة ١٩٥٦، بغداد، د. مصطفى جواد، بحث بعنوان (جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين).
- ٨– مجلة المخطوطات العربية: مجلد ٣٣، الجزء الأول ١٩٨٩، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحظيري الملقب بدلال الكتب).
- ٩– مجلة المورد: المجلد الأول، سنة ١٩٧٢، محمد عبدالمنعم الخفاجي بحث عن رسالة الطيف.
- المجلد الحادي عشر، العدد الأول، سنة ١٩٨٢، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (القدس في شعر القرن السادس الهجري). – المجلد السادس عشر، العدد الرابع، سنة ١٩٨٧، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (جهاد صلاح الدين الأيوبي، التأريخ والشعر).

الفصل الثاني

ثلاثة شعراء من أربيل

تقسمت الدولة العباسية في عصورها المتأخرة على امارات صغيرة لها ملوكها وجيوشها. وكانت اربيل (اربل)^(١) واحدى تلك الامارات التي نشطت فيها حركة فكرية^(٢) وادبية جديدة بالدراسة بفضل اسرة الامير زين الدين علي من بكتكين^(٣) (ت ٥٦٣ هـ)، ومن أحفاده الافذاذ الملك المعظم مظفرالدين كوكبري^(٤) الذي كان قائداً للجيوش الشرقية في معركة (حطين) الخالدة سنة ٥٨٣ هـ^(٥) وقد اوضحت اربيل في عهده ذات شأن، مدينة زاخرة بالعلم والعلماء الذين كانوا موضع رعاية وعناية حتى غدا النشاط الادبي ايام آل بكتكين غزيرا ومبدعا، وقد كان مظفرالدين على خلق كريم ينفق على الفقهاء والمحدثين، ويكرم الشعراء، "فما كان يضيع قصدهم. ولا يخيب أمل من يطلب بره"^(٦) ويبدو ان الشعراء ادركوا فضل هذه الاسرة، واثنوا على اعمالهم الجليلة^(٧) فقد الف في هؤلاء الادباء الوزير المبارك بن احمد المشهور بابن المستوفي (ت ٦٣٧ هـ) كتابا في اربعة مجلدات سماه (البلد الخامل ومن ورد عليه من الاماثل)^(٨) ومن الجدير بالذكر ان مظفرالدين كوكبري انفرد من بين ملوك زمانه باقامة إجتفالات دينية تبركا بولادة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وقد وصف ابن خلكان هذه الاحتفالات. وأشار إلى الوفود التي كانت تصل اربيل مع بداية الاحتفال اذ كان بينهم الفقهاء، والمحدثون والادباء والشعراء^(٩) وكان من الطبيعي ان تعقد مجالس علمية وادبية في الجوامع والمساجد يبحث الوافدون في موضوعات ثقافية وعملية ودينية عديدة، وكانوا يحظون برعاية أمير اربل. حيث أنه دفع لأبي الخطاب ابن دحية البلسي الف دينار نظير قيامه بتأليف كتاب له^(١٠) وهناك من ساهم مع أمير اربل في اعطاء ثقافة ابناها وفي تشجيع الحركة العلمية والادبية، ومنها الوزير ابن المستوفي (ت ٦٣٧ هـ)^(١١) وقد كانت داره ملتقى النخبة الفاضلة من العلماء والأدباء ولعل أمسياتها أشبه ما تكون اليوم بالمنتدى الأدبي ومنهم أيضاً ابن خلكان^(١٢) صاحب الكتاب المشهور (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) فضلا عن المجالس العلمية والادبية التي كانت لها مساحة واسعة في ازدهار الادب، وقد حفلت بالشعر^(١٣) وقد كان لمظفرالدين ولع كبير بمجالسة العلماء والادباء. سواء بحضوره الندوات الادبية التي كانت تعقد في دار الوزير ابن المستوفي، أو حضوره المجالس الدينية والاستماع إلى العلوم الاسلامية، ويلاحظ إلى هذه الندوات كانت تقام في مسجد القلعة والمسجد الذي شيده بجوار مدرسته^(١٤)^(١٥) وفي خضم هذا النشاط العلمي والادبي ظهر أدباء بارزون،

فضلا عن هؤلاء المشتغلين في المجالات الثقافية الاخرى اسهموا في نظم الشعر وتذوقه. وفي الوريقات الأتية نشير إلى البارزين منهم حسب منهج البحث .

حسام الدين الحاجري الاربلي (ت ٦٣٢ هـ):

اسمه ولقبه

هو عيسى بن سجر بن بهرام بن جبرائيل بن حمرتكين بن صاشتكين الاربلي، ويكي بابي يحيى وإلى الفضل^(١٦) وابي موسى^(١٧)

واشتهر بلقب الحاجري، يقول ابن الشعار الموصللي (ت ٦٥٦ هـ): وعرف بذلك لأنه يكثر من حاجر في شعره. وقلما تحلو له قصيدة الا ويعرض بذكره فيها^(١٨) كما ورد ابن خلكان بقوله: (والحاجري هذه نسبة إلى حاجر. وكانت بليدة بالحجاز . ولم يكن الحاجري منهم بل لكونه إستعملها في شعره كثيراً)^(١٩) وفي هذا اللقب عمل الشاعر دوبيتا، وهو^(٢٠) لو كنت كفيت من هواك البينا

ما بات يحاكي دمع عيني عينا

لولاك لما ذكرت نجدا بقمي

من اين انا؟ وحاجر من ايننا؟

وذكره ايضاً في ابيات اخرى بقوله^(٢١):

يهذا الاربيلي

هم فيك الحويجري

ولادته ونسبه:

ولد الشاعر سنة (٥٨٢ هـ) في قرية جبريل^(٢٢) التابعة لاربيل. أما نسبه فقد اشار إليه ابن الشعار الموصللي بقوله: (هو شاب من ابناء الاتراك. وقدماء أجنادهم)^(٢٣) وعزاه بعضهم إلى اصول كردية^(٢٤) وذهب آخرون إلى انه ارمني^(٢٥) ومن خلال دراسة شعره الذي وصلنا لانجد اثرا لذكر نسبه، فضلاً عن أنه لم يفخر به.

نشأته:

يعرف القليل عن نشأة الشاعر وسيرته، ولكنه عاش في عصر ازدهرت فيه اربيل في الجوانب الأدبية والعلمية. وعشق الادب منذ صباه، وغشى مجلس صديقه ابن المستوفي الوزير، ويشير إلى هذا الجانب اليونيني حين يقول: (ان الاديب مجدالدين النشابلي الاربلي،

وكان كاتب انشاء الامارة وقد اهدى إلى شرف الدين بن المستوفي في بعض الليالي طبعا فيه تفاح مخصب وسفرجل على يد غلام وكان جميل الصورة. فوصل إليه وعنده جماعة فيهم حسام عيسى بن سنجر ابن بهرام الحاجري، فعمل كل واحد من الحاضرين في ذلك شعراء فعمل الحاجري^(٢٦):

اهدى لنا المجد تفاحا واحمره
من خد من جمل التفاح مسترق
وللسفرجل من اعلاه رائحة
يضع منها المهديه ثناء عبق
فظلت أعجب من خالين كيف هوى
وصف الغلام ووصف السيد الطبق

يرى الدكتور ناظم رشيد أنه كان (... ذكيا نابها ... دريه ابوه على حمل السلاح، وركوب الخيل. وضمه إلى الجيش ثم استعفى منه)^(٢٧) ويتوجه الشاعر نحو معاقرة الخمرة، ينتهب اللذة ويعشق الجمال، وفي هذا المجال يقول^(٢٨):

لدواعي الهوى وفرط الخلاعة
ألف سمع لا للوقار وطاعة
سيما والصبوح رفع الكا
س بأيدي السقاه فينا شراره
ويدعو إلى الخلاعة، وشرب الخمر، والجهر به، يقوله:

يا ندمي عرجا بي جميعا
نشرب الراح كالصلاة جماعة
خمرة لو رأي العزيز بمصر
لونها في الكون أرهن صاعه

ويتمادي الشاعر في المجون والخلاعة. فشكاه الناس مظفر الدين كوكبرى. فرمي به في السجن^(٢٩) وكانت أيام السجن قاسية عليه. ويبعث بشعره الحزين إلى أصدقائه يترجون مظفر الدين في اطلاق سراحه. فأطلق سراحه بعد أن لبس ثوب المتصوفة، واستدعاه إلى مجلسه^(٣٠) ومن أشعاره في السجن قوله^(٣١):

قيد أكابده وسجن ضيق
يارب شاب من الهموم المفرق

ان لم يكن فرج فموت عاجل
ان الحمام من الرزايا أرفقُ
يا برق ان جزت الديار باربل
وعلا عليك من التداني رونقُ
قل يا جعلت ملء الفدا اسيركم
من كل مشتاق اليكم أشوق
كيف السبيل إلى اللقاء ودوننا
صماء شاهقة وباب مغلقُ

رحلاته وشيوخه:

قضى الشاعر معظم حياته في اربيل، ولكن يبدو أنه ضاقت به في مستهل حياته الادبية، فيشد الرجال إلى مدينة الموصل. يسأنس بأجوائها. ويلتقى بأدبانها^(٣٢) وحينما طال مكوثه فيها يحن إلى اربيل، ويكتب إلى رفيق صباه ضياء الدين عيسى. وهو اخو ابن خلكان^(٣٣) رسالة ضمنها هذين البيتين^(٣٤):

اللّه يعلم ما ابقى سوى رمق
مني فراقك يا من قربه الأمل
فابحث كتابك واستودعه تعزية
فربما مت شوقا قبل ما يصل

ويبدو ان الشاعر لا يحقق ما يصبو إليه في الموصل. فيعود ادراجه. وهو يردد^(٣٥):

وبلدة ما كنت في قصدها
الا كراجي السيد من محرم
قال المنى فيها وقد رمته
حاشاي ارجو من بني الديلم

أثاره:

للشاعر ديوان شعر كبير^(٣٦) فضلاً عن شخصيته الادبية التي اشاد بها الباحثون من القدماء والمحدثين، قال عنه ابن الشعار الموصلية: (جيد القريحة وله اشياء حسنة في الغزل ومعان يجيد استنباطها)^(٣٧) ويقول ابن خلكان: (وله ديوان شعر تغلب عليه الرقة)^(٣٨) واشاد به صاحب التذكرة الفخرية انه: (شاعر مجيد ومحسن)^(٣٩) وذكره ابن الاثير انه: (صاحب

الديوان المشهور^(٤٠) وقد عرض له ابن تغري بردي فقال: (الشيخ الامام البارع... كان ادبيا فاضلا. ظريفا فصيحاً، وله ديوان شعر مشهور. يغلب على شعره الرقة والانسجام)^(٤١) وسمي إسماعيل باشا البغدادي "بلبل الغرام الكاشف عن لثام الاستجمام"^(٤٢) أما المحدثون فقد أولوا الشاعر من الأهتمام فوصفه الزركلي إنه "شاعر رقيق الألفاظ حسن المعاني"^(٤٣) وعدّه محمد أمين زكي "من شعراء عصره البارزين"^(٤٤) ووصف وترجم له صاحب تأريخ الموصل فوصف شعره بالرقة والجودة و حسن المقصد^(٤٥)، وتعرض له عمر فروخ فقال: "الحاجري شاعر محسن تغلب على شعره الرقة"^(٤٦)، كما وصف شعره الدكتور ناظم رشيد بأنه بعيد عن العقل قريب من القلب^(٤٧)، وعدّه الدكتور شوقي ضيف من أبرز شعراء الغزل في العراق إبان الحقبة الأخيرة من عمر الدولة العباسية، ووصف قصيدته الطويلة التي مطلعها: (٤٨).

باتت له هزوي فهاج جواها

نسيم شمال ضوغه رباها

ووصفها بأنها «قصيدة تفيض بحنين رائع»^(٤٩) وتحدث عنه آخرون (٥٠).

وفاته:

عاش الشاعر في ظل مظفرالدين كوكبرى مطمئناً على نفسه. ولما قضى نحبه. صارت اربيل بيد نائب الخليفة شمس الدين باتكين^(٥١) بدأ القلق يساوره فلزم داره وصادف ان خرج يوماً، فوثب عليه رجل قطعنه. فحمل إلى داره. وكتب إلى الأمير نائب الخليفة قائلاً^(٥٢):

أشكوك يا ملك البسيطة حالة

لم تبق رعباً في عضوا ساكنا

ان تستبح إبلى لقيطة معشر

ممن امل غير جاشك ما زنا

با للعجائب كيف يمسي خائفا

من بات في حرم الخلافة قاطنا

ويتوفى الشاعر بسبب جرحه سنة (٦٣٢ هـ). ويدفن بمقبرة باب الميدان^(٥٣).

مجدالدين النشابي الاربلي (ت ٦٥٦هـ):

أسمه ولقبه:

هو اسعد بن ابراهيم بن على النشابي الاربلي^(٥٤). وكني بأبي المجد، وقيل ابو الفصل وأبو سعد^(٥٥). أما لقبه الاربلي فهو نسبة إلى مدينة اربيل^(٥٦)

ولادته ونسبه:

أجمع معظم الباحثين على أن ولادته كانت، بأربيل سنة (٥٨٢هـ)^(٥٧) أما عن نسبه فقد قال عنه اليونيني: (الشيواني والانصاري)^(٥٨) والنسبتان تدلان على أصله العربي، ولكننا لم نجد في ديوانه فخرا بهذا النسب. وقد نعته بعضهم بالنشابي نسبة إلى النشاب^(٥٩) وهو النبل او السهام التي كان يصنعها أو يبيعهها في بداية حياته. فأصبح (لا يعرف الا بها)^(٦٠):

نشأته:

يعرف القليل عن طفولة الشاعر ونشأته، والذي لاشك فيه أنه اقبل على الدرس والتحصيل الثقافي في مدارس اربيل، وبرع في دراسة اللغة العربية ونظم الشعر، وقلد كتابة الانشاء بديوان امير اربيل مظفرالدين كوكبري سنة ٦١٥هـ^(٦١) وكان للشاعر مراسلات شعرية مع الشخصيات الادبية والعلمية. منهم الوزير شرف الدين ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)^(٦٢) وظل الشاعر في خدمة امير اربيل إلى ان نقم عليه^(٦٣) وحبس في قلعة كرخيني^(٦٤) سنة ٦٢٩ هـ، بعد ان نمي إليه انه كان يطالع ديوان الخلافة العباسية بالامور المتجددة له^(٦٥) وقد يكون السبب معاملة النشابي المذموم لاهل بلده اربيل وبقي في السجن إلى ان توفي مظفرالدين كوكبري سنة (٦٣٠هـ). فأرسل الخليفة المستنصر بالله عسكره. فاخذوا اربيل. واخرج المسجونين ومنهم الشاعر النشابي^(٦٦)^(٦٧) وأمر الخليفة باحصاره إلى بغداد، وقلده أعمالا بنواحي بغداد، وشاعرا رسميا بديوان الخلافة^(٦٨) ونحن نظن ان هذا التكريم من الخليفة تشير الشكوك حول سبب سجنه وعلاقته السرية بديوان الخلافة.

رحلاته وشيوخه:

يبدو أن الشاعر كان قليل السفر والترحال، ومع ذلك فيه تنقل في بلاد الشام والجزيرة، وأشار إلى ذلك ابن النديم، بقوله: (قدم الينا إلى حلب. واتصل بخدمة الوزير شمس الدين محمد بن عبد الباقي بن ابي يعلى في ايام الملك الظاهر غازي)^(٦٩) ومدح بها الملك الظاهر^(٧٠) وكذلك صاحب الشاعر مظفر الدين كوكبري لما توجه إلى بغداد لمقابلة الخليفة المستنصر بالله العباسي، وعندما دخلا على الخليفة تقدم النشابي بين يديه، وأنشد في الحال^(٧١):

جلالة هيبة هذا المقام
تحير عالم علم الكلام
كان المناجي به قائماً
يُنَاجِي النبي عليه السلام

ثم اتبع هذين البيتين قوله: (ولو كشف الغطا لرأينا الملائكة بك حافة. ووجدنا الروح الامين
يجد تلاوة الوحي المنزل على ابن عم النبي الرسول، ويقول هذا اكرم الخلفاء وأفضل، وصلاة
الله وسلامه يخصان الاكرم الأفضل:

ولو جمع الأئمة في مكان
وانت به لكنت لهم اماما

فألله يؤيد هذه الدولة الشريفة بنصره، ويرد كيد عدوها في نحره)^(٧٢) ومن خلال استقراء
ديوان الشاعر. يلحظ أنه، مكث فترة في بلاد خوزستان واقام في (تستر) التي انفذ منها عدة
قصائد^(٧٣) إلى بغداد في مدح الخليفة المستنصر بالله. ووزيره بن الناقد (ت ٦٤٣هـ)^(٧٤) كما
في قوله^(٧٥):

فاتتك أكبر المدائح دائماً
عن أربلي قد تدير تبسترا

وقوله^(٧٦):

وهوى بغدادكم يجذبني
وطريقي قصرت طول الطلاقي
وبخوزستان داري والهوى
يبحث العزم إلى أرض العراق

أثاره:

وصل الينا ديوان الشاعر^(٧٧) ويتميز شعره بنقده للأوضاع الاجتماعية والسياسية بمدينة
أربيل. فضلاً عن نظرته إلى مخاطر الغزو المغولي للبلاد الاسلامية^(٧٨) قال عنه اليونيني أنه:
(من الفضلاء والرؤساء والأعيان...)^(٧٩)

وفاته:

اختلف المؤرخون في سنة وفاته. يروى اليونيني وابن الغوطي أنه توفي سنة ٦٥٧هـ^(٨٠) الا
ان بعضهم أرخ لوفاته بأواخر سنة ٦٥٦هـ بعد استيلاء المغول على بغداد وسلامة الشاعر
من جرائمهم^(٨١)

أبن الظهير الاربلي (ت ٦٧٦هـ):

اسمه ولقبه:

محمد بن احمد بن احمد بن ابي شاکر ابو عبدالله مجدالدين، وعرف بابن الظهير الاربلي^(٨٢) ولم نجد من الباحثين من تطرق إلى سبب تسميته بها اللقب.

ولاته ونسبه:

ولد الشاعر باربيل^(٨٣) سنة (٦٠٢ هـ). أما عن نسبه فأن الباحثين لم يشيروا إليه. ولكن أنفرد صاحب بغية الوعدة بتسميته (المراكشي المنتد الاربلي المولد)^(٨٤)

نشأته:

يبدو انا أن الاخبار عن نشأة الشاعر قليلة، لكن من المحتم انه تعلم بمدينة اربيل. واختلف إلى مجالس العلماء والادباء، وبخاصة مجلس شرف الدين ابن المستوفي واستناداً إلى آراء الباحثين أن الشاعر التزم لدين والتقوى. حيث وصفه بعضهم أنه (وافر الديانة، كريم الأخلاق، واسع الصدر، ورأيت من مكارمه وحسن عشرته وجميل أو صافه مالم يجمع في غيره)^(٨٥) وكان له مكانة. عند أهل اربيل ورؤسائها. وقد كتب إلى بعض نواب اربيل يتوسط في اخراج شخص اسمه إسماعيل^(٨٦) من السجن. يقوله^(٨٧):

ما أضاء الملك قلبي إلى
لقيامكم مأمور أشواقه
مافيكم الا أمر فاضل
يزهو على الروض بأخلاقه
مسعود نا الذمي في حبسكم
وصبره واه كميثاقه
أطلقتم الادمع: حبسه
فقيدوا الشكر باخلاقه

رحلاته وشيوخه:

اكتسب الشاعر ثروة لغوية وادبية في مجالس اربيل العلمية. وعلمائها ومع ذلك فانه رحل من اجل اكتساب المزيد من المعرفة. فقد شد الرحال متوجها إلى بغداد ويلتقي بكبار رجال الفكر فيها وأصبح بارعا في الفقه والاصول واللغة والنحو. ومن شيوخه في بغداد ابي بكر بن

الحازم والكاشعري^(٨٨) ثم انتقل إلى دمشق. ومن شيوخه فيها السخاوي. وتاج الدين ابن حمويه، وتصدى للأقراء في المدرسة القيمانية^(٨٩) بدمشق استاذاً ناجحاً تؤمه الطلبة للافادة من علمه^(٩٠) ويظهر من استقراء ديوانه أنه حج البيت الحرام سنة ٦٧٤هـ. حيث كتب إلى المولي شهاب الدين محمود كاتب الدرج^(٩١) قائلاً^(٩٢):

بلغنا العلى والشوق يحدور ركابنا
وذكركم زاد لنا وسمير
لعل النوى ينجاب عنا ظلامها
فيدنو ويبدو للعيون ستير
وتروي أحاديث الغرام صميمة
وتروي بكم بعد الغليل صدور

ومن ديوانه نستشف أيضا ان الشاعر كان يتأجر أحيانا، وقد اجتاز الشاعر بحماه، ومعه بضاعة فطلب منه المكس، فكتب إلى صاحب شرف الدين عبدالعزيز، وزير حماه ان ذاك، يقول^(٩٣):

ياأيها الصدر الذي أضحي بأد
كار العلى كلفا بغير تكلف
هل يعذر النواب في تكليفهم
حق الجوار لشاعر متصوف

آثاره:

للشاعر ديوان وصل الينا منه احدى وسبعون قصيدة ومقطوعة^(٩٤) ومن آثاره أيضا (مختصر أمثال الشريف الرضى)^(٩٥) و (تذكرة الاريب وتبصرة الاديب)^(٩٦) وبالنظر لأخلاق الشاعر الحميدة. فقد تناولته اقلام الباحثين وأشادوا بشعره وشاعريته، فقال ابن خلكان: (وكان ماهرا في فنون الادب والنحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب واخبارها وایامها ووقائعها وأمثالها)^(٩٧) ويشيد بفضله أيضا ابن بلدته المنشيء الاريبي علي ابن عيسى حيث يقول في أحد كتبه: (شاعر من بلدته الغراء، ومجيد من أعيان الشعراء، شعره أجرى من الماء تحدر من صيب، وأفعل في النفوس من ابن عمد روح العنب)^(٩٨) ويقول أيضا: (الفقيه المنحوى المجيد المبرز. ضرب في قالب الاحسان فبز الاقران، وجرى في حلبة البيان فأحرز قصب الرهان)^(٩٩) وهو عند اليونيني (امام في الأدب ونقد الشعر)^(١٠٠) ويراه ابن قاضي شعبة (أديبا لحسن النظم رقيق الشعر)^(١٠١) وعند الصفدي (من اعيان شيوخ

الادب وفحول المتأخرين في الشعر(١٠٢)

وفاته:

توفي ابن الظهير الاربلي بدمشق بالمدرسة القيمازية التي تولى التدريس فيها سنة (٦٧٧ هـ). ودفن بمقابر الصوفية^(١٠٣) ورثاه تلميذه الشاعر شهاب الدين محمود بقصيدة طويلة مطلعها^(١٠٤):

تمكن ليلى واطمانت كواكبه
وسدت على صبح الغداة مذاهبه

الهوامش:

- (١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة اربل، العراق قديما وحديثا / ٢٣٦.
- (٢) ينظر: كتاب اربيل في العهد الاتابكي، والحياة العلمية في اربل.
- (٣) هو: زين الدين علي المعروف بكوجك، اصله من التركمان. ملك اربيل وبلاد كثيرة، وعمر طويلاً، توفي باربل سنة (٥٦٣ هـ). وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة (وفيات الأعيان ٤ / ١١٤).
- (٤) هو: مظفرالدين بن زين الدين علي گجك، المعروف بالكوكبري. وهو اسم اعجمي معناه الذئب الازرق، ولد بقلعه الموصل سنة (٥٤٩ هـ) وتوفي باربل سنة (٦٣٠ هـ) (وفيات الاعيان ٤ / ١٢٠).
- (٥) ينظر: مظفرالدين كوكبري امير اربل ٣٠ وما بعدها.
- (٦) وفيات الاعيان ٤ / ١١٩.
- (٧) تاريخ اربل ١ / ١٨٨ . ٤٥٩.
- (٨) حققه السيد سامي الصقار، وقد وصل اليها الجزء الثاني منه باسم تاريخ اربل.
- (٩) وفيات الاعيان ٤ / ١١٧.
- (١٠) نفسه ٤ / ١١٩.
- (١١) هو: ابو البركات المبارك بن ابي الفتح احمد المعروف بابن المستوفي الاربلي. كان رئيساً جليل القدر ماهراً في فنون الادب واشعار العرب واخبارها، جمع لاربيل تاريخاً بأربع مجلدات، وله ديوان شعر أجاد فيه، تولى الوزارة باربل توفي بالموصل سنة (٦٣٧ هـ) (وفيات الاعيان ٤ / ١٤٧).
- (١٢) هو: شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم المشهور بابن خلكان. قاضي القضاء. علامة في الادب والشعر وایام الناس توفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ (وفيات الاعيان ٧ / ٣٠٨ - ٣١٦).
- (١٣) ينظر: الشعر العربي في اربل في العهد الاتابكي ارساله ماجستير).
- (١٤) مرآة الزمان ٨ / ٥٣٧.
- (١٥) المجمع العلمي العربية (مجلة) ٣٤٠.
- (١٦) ينظر: وفیات الاعيان ٣ / ٥٠١.

- (١٧) المسجد المسيوك / ٤٦ .
- (١٨) قلائد الجمال / ٥ / ٢٤٠ ب.
- (١٩) وفيات الاعيان / ٣ / ٥٠١ .
- (٢٠) الديوان ٤١٦ .
- (٢١) وفيات الاعيان / ٣ / ٥٠٤ . ٥٠٥ .
- (٢٢) وفيات الاعيان / ٣ / ٥٠٥ .
- (٢٣) قلائد الجمال ٢٤٥ ب.
- (٢٤) الكرد وكردستان / ١ / ١٦٨ .
- (٢٥) تاريخ الموصل / ٢ / ١٠٦ .
- (٢٦) ديوانه ٢٧٥ .
- (٢٧) أداب المستنصرية (مجلة) / ١٠ / ٢٥٤ .
- (٢٨) الديوان ٢٤٣ .
- (٢٩) وفيات الاعيان / ٣ / ٥٠٣ .
- (٣٠) أداب المستنصرية (مجلة) / ١٠ / ٢٥٥ .
- (٣١) ديوان ٣٦٦ .
- (٣٢) ينظر: الادب في ظل الدولة الرنكية / ٣٣ .
- (٣٣) وفيات الاعيان / ٣ / ٥٠٢ .
- (٣٤) الديوان ٤١٢ .
- (٣٥) الديوان ٤٢٦ .
- (٣٦) حققه صاحب ذنون ياسين الزبيدي، من كلية الاداب. من متطلبات درجة الماجستير سنة ١٩٨٨ .
- (٣٧) قلائد الجمال / ٥ / ٢٤٠ ب.
- (٣٨) وفيات الاعيان / ٣ / ٥٠١ .
- (٣٩) الفخرية (طبعة بيروت) ١٢٨ .
- (٤٠) البداية والنهاية / ٣ / ١٤٤ .
- (٤١) التاريخ الباهر / ٢٩٠ .
- (٤٢) التذكرة الفخرية / ١٠٩ .
- (٤٣) الأعلام / ٥ / ٢١ .
- (٤٤) مشاهد الكرد و كردستان / ١ / ١٦٨ .
- (٤٥) تاريخ الموصل / ٢ / ١٠٤ .
- (٤٦) تاريخ الأدب العربي / ٣ / ٥٠٦ .
- (٤٧) أداب المنستصرية (مجلة) / ١٠ / ٣٥٥ .

- (٤٨) الديوان / ٣٥٥.
- (٤٩) تأريخ الدول والأمارات / ٣٩٢.
- (٥٠) دائرة المعارف الإسلامية / ٦ / ٦٣٨.
- (٥١) تنتظر: ترجمة في الحوادث الجامعة / ٨ / ١٨٣.
- (٥٢) الديوان / ٤٧٥.
- (٥٣) ادا ب المستنصرية / ١ / ٢٥٦.
- (٥٤) قلائد الجمان / ١ / ٢٦١، ذيل مرآة الزمان / ١ / ١١١ عيون التواريخ / ٢ / ١٢٩ - ١٣٠.
- (٥٥) تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ه ق / ٢ / ١٠٧.
- (٥٦) معجم البلدان / ١ / ١٣٧.
- (٥٧) قلائد الجمان / ١ / ٢٦١.
- (٥٨) ذيل مرآة الزمان / ١ / ١١١ / ١٢٣.
- (٥٩) اللسان. مادة نشب.
- (٦٠) قلائد الجمان / ١ / ٢٦١.
- (٦١) وفيات الاعيان / ٣ / ٢٧٧.
- (٦٢) نفسه / ٣ / ٣٩٤.
- (٦٣) قلائد الجمان / ١ / ٢٦١.
- (٦٤) قلعة حصينة من اعمال اربيل، تسمى اليوم كركوك (معجم البلدان / ٤ / ٤٥٠).
- (٦٥) بغية الطلب / ٣ / ٢٧.
- (٦٦) ذيل مرآة الزمان / ١ / ١١٤ - ١١٥.
- (٦٧) نفسه / ١ / ١١٣.
- (٦٨) تلخيص مجمع الاداب ه ق. / ٢ / ١٠٧.
- (٦٩) تنتظر ترجمة في: شفاء القلوب في مناقب بني ايوب / ٣٥٢.
- (٧٠) بغية الطلب في تاريخ حلب / ٣ / ٢٧.
- (٧١) الديوان / ٣٣١.
- (٧٢) ذيل مرآة الزمان / ١ / ١١١، ١١٢.
- (٧٣) ديوان / ١٥٥، ١٨٠، ١٩٤، ٢٧١، ٢٧٣.
- (٧٤) تنتظر: ترجمة في: البداية والنهاية / ١٣ / ١٦٥. النجوه الزاهرة / ٦ / ٢٥٠.
- (٧٥) الديوان / ١٦١.
- (٧٦) نفسه / ١٨١ - ١٨٢.
- (٧٧) حققه عبدالله محمود طه في رسالة ماجستير تقدم بها إلى كلية الاداب. جامعة الموصل سنة ١٩٨٥.

- (٧٨) الديوان / ٦٢ وما بعدها.
- (٧٩) التكملة لوفيات النقلة. مجلد ٦ - ٣٢٢/٥.
- (٨٠) ذيل مرآة الزمان / ١ / ١١١، تلخيص مجمع الأداب في معجم الالقباب مجلد ٥. قسم ٢ / ١٠٧.
- (٨١) الوافي بالوفيات / ٩ / ٣٥. فوات الوفيات / ١ / ١٦٥، عيون التواريخ / ٢٠ / ١٢٩.
- (٨٢) ذيل مرآة الزمان / ٣ / ٣٨٦. الوافي بالوفيات / ٢ / ١٢٣ البداية والنهاية / ١٣ / ٢٨٢.
- (٨٣) الوافي بالوفيات / ٢ / ١٢٣. العبر في خبر من غير / ٥ / ٣١٦.
- (٨٤) بغية الوعاة / ١ / ٣٧.
- (٨٥) ذيل مرآة الزمان / ٣ / ٣٨٦. وينظر ايضاً: الوافي بالوفيات / ٢ / ١٢٣.
- (٨٦) لم نعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة.
- (٨٧) الديوان / ٤٠.
- (٨٨) الوافي التوفيات / ٢ / ١٢٣.
- (٨٩) من مدارس الحنفية بدمشق. داخل باب الفرج و النص (المدارس في تاريخ المدارس / ١ / ٥٧٢)
- (٩٠) بغية الوعاة / ١ / ٣٥.
- (٩١) هو: شهاب الدين محمود بن سليمان، الامام العلامة ——— وبد بدمشق سنة ٦٤٤هـ. وتوفي سنة ٧٢٥هـ (فوات الوفيات / ٤ / ٢).
- (٩٢) الديوان / ٤٠.
- (٩٣) نفسه / ٥١.
- (٩٤) جمعة وحققه الدكتور ناظم رشيد سنة ١٩٨٨. مطبعة جامعة الموصل.
- (٩٥) حققه الدكتور نوري حمودي القيسي وهلال ناجي. طبع في بغداد. سنة ١٩٨٦.
- (٩٦) نسخة منه في المكتبة الوطنية ببغداد تحت رقم ٣١٢٩.
- (٩٧) وفيات الاعيان / ٤ / ١٤٧.
- (٩٨) رسالة الطيف / ١٣٠.
- (٩٩) التذكرة الفخرية / ٩٦.
- (١٠٠) ذيل مرآة الزمان / ٣ / ٣٨٦.
- (١٠١) طبقات النحاة واللغويين / ٤٨.
- (١٠٢) الوافي بالوفيات / ٢ / ١٢٣.
- (١٠٣) عيون التواريخ / ٢١ / ١٨٥.
- (١٠٤) ذيل مرآة الزمان / ٣ / ٤٠٣.

المصادر والمراجع

- ١- الادب في ظل الدولة الزنكية: عبدالوهاب محمد علي العدوانى. جامعة بغداد. كلية الاداب ١٩٦٧ (رسالة ماجستير)
- ٢- اربيل في العهد الاتابكي: د. محسن محمد حسن.
- ٣- الاعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٨٠.
- ٤- البداية والنهاية: اسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦.
- ٥- بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين ابو حفص عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن النديم (ت ٦٦٦هـ). مصورة معهد احياء الخطوط العربية. رقم ٩٠.
- ٦- بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة: جلال الدين السيوطي. تح: محمد ابو الفضل ابراهيم. مطالباي الطلبي. مصر ١٩٦٥.
- ٧- تأريخ الادب العربي: د. عمر فروخ. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٨.
- ٨- تأريخ اربل: شرف الدين ابي البركات المبارك ابن المستوفي، تح: سامي العقار مطبعة المركز العربي للطباعة. بيروت ١٩٨٠.
- ٩- تاريخ الموصل: سليمان الصانع، مط السلفية، مصر ١٩٢٣.
- ١٠- التذکر الفخرية: بهاءالدين عيسى المنتشيء الاربلي تح: د. نوري حمودي القيسي. د. حاتم صالح الضامن، مط المجمع العلمي العراقي. بغداد ١٩٨٤.
- ١١- التكملة لوفيات النقلة: زكي الدين ابو محمد المنذري. تح: بشار عواد معروف. دار احياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٧٦.
- ١٢- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، تح: د. مصطفى جواد. مط الهاشمية. دمشق ١٩٦١-١٩٦٧.
- ١٣- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي. تعليق: د. مصطفى جواد. مط الفرات. بغداد ١٩٣١.
- ١٤- الحياة العلمية في اربل في القرن السادس حتى منتصف القرن السابع الهجرية: أميد ابراهيم جامعة صلاح الدين. كلية الاداب ١٩٩٣ رسالة ماجستير.
- ١٥- دائرة المعارف الاسلامية. الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٣٣.
- ١٦- الدارس في تأريخ المدارس: عبدالقادر محمد المشقي النعيمي (ت ٩٢٧هـ). تح: جعفر الحسيني، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق. مطبعة الترقى ١٩٤٨.
- ١٧- ديوان ابن ظهير الاربلي: محمد بن احمد بن عمر. تح: د. ناظم رشيد. مط دار الكتب الموصل ١٩٨٨.
- ١٨- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري. تح: صاحب شنون ياسين. كلية الاداب. امعة بغداد ١٩٨٨. رسالة ماجستير.

- ١٩- ديوان النشابى: مجدالدين اسعد بن ابراهيم الاربلى. تح: عبدالله محمود طه. كلية الاداب. جامعة الموصل ١٩٨٥ رسالة ماجستير.
- ٢٠- ذيل مرآة الزمان: ابو الفتح موسى اليونيني. مط دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد. الهند ١٩٥٤.
- ٢١- رسالة الطيف: بهاء الدين عيسى المنشىء الاربلى. تح: عبدالله الجبوري. دار الجمهورية. بغداد ١٩٦٨.
- ٢٢- الشعر العربي في اربل في العهد الاتابكي ٥٢٦ - ٦٣٠هـ: عثمان أمين صالح. جامعة صلاح الدين. كلية الاداب ١٩٨٣ (رسالة ماجستير).
- ٢٣- شفاء في مناقب بني ايوب: احمد بن ابراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦هـ) تج: د. ناظم رشيد. دار الحرية للطباعة بغداد ١٩١٤.
- ٢٤- طبقات النحاة واللغويين: ابن قاضي شهبه: تح: محسن غياص. مطبعة النعمان. النجف ١٩٧٤.
- ٢٥- العبر في خبر من غير الحافظ الذهبي: تح: د. صلاح الدين المنجد: كويت ١٩٦٠.
- ٢٦- العراق قديماً الحديثة: عبدالرزاق الحسني مط دارالكتب . بيروت ١٩٧١.
- ٢٧- المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: اسماعيل بن العباس الغساني. تح: د. شاكر عبدالمنعم دار البيان. بغداد ١٩٧٥.
- ٢٨- عصر الدولة والامارات: د. شوقي ضيف. دار المعارف القاهرة ١٩٨٠.
- ٢٩- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي: تح: تبيلة عبدالمنعم داود. د. فيصل السامر. دار الحرية بغداد ١٩٤٨.
- ٣٠- فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي: تح: محمد محي الدين عبدالحميد. مط السعادة. مصر ١٩٥١.
- ٣١- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين ابي البركات بن الشعار الموصللي. مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة اسعد أفندي في استانبول تحت رقم (٢٣٢٦)
- ٣٢- لسان العرب: محمد بن مكرم الافريقي المصري. ابن منظور. دار صادر. بيروت ١٩٥٥.
- ٣٣- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان: سبط ابن الاجوزي (ت ٦٥٤هـ). مط مجلس دائرة المعارف العثمانية. الهند ١٩٥١.
- ٣٤- مشاهير الكرد وكردستان في الدور الاسلامي: محمد امين زكي. مطبعة التفيض الاهلية. بغداد ١٩٤٥.
- ٣٥- مظفر الدين كوكبري امير اربل: د. عبدالقادر طليمات. مط دائرة المعارف. القاهرة ١٩٦٣.
- ٣٦- معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي. دار صادر. بيروت ١٩٥٥.
- ٣٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي. دار

الكتب المصرية. القاهرة ١٩٣٥.

٣٨- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي. تح: احسان عباس. مط دار صادر. بيروت ١٩٦٩.

٣٩- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان: شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان تح: د. احسان عباس. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٨.

٤٠- هدية العارفين في اسماء المؤلفين وأثار المعنقي: اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٩٩ هـ). مط المعارف. استانبول ١٩٥١.

الدوريات والمجلات:

- مجلة آداب المستنصرية. بغداد. العدد / ١٠ سنة ١٩٨٤. د. ناظم رشيد. مقال بعنوان (حسام الدين الحاجري إلابلي. حياته وشعره).

- مجلة المجمع العلمي العربي. دمشق. مجلد ٢١. سنة ١٩٤٦ عباس العزاوي. بحث بعنوان (أل بكتكين إمارة اربل في عهدهم).

الفصل الثالث

شاعران من سريان اربيل

غدت اربيل^(١) بقلعتها الحصينة مركزا للعلم ولأدب، فضلا عن كونها من اقدم المدن التي ظلت أهلة بالسكان إلى يومنا هذا^(٢) وقد شهدت اربيل ازدهاراً ثقافياً رائعاً في حقبة هذا البحث بفضل اسرة زين الدين علي بن بكتكين^(٣) وفي عهد ابنه الملك المعظم مظفر الدين كوكبري^(٤) الذي جعلها مدينة كبيرة ومصرّاً من الأمصار يقصدها العلماء والادباء^(٥) وفي عهد هذا الامير تمتعت اربيل باستقرار سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي ساعد على بروز نشاط علمي وادبي في جميع حقول المعرفة.

أما دخول اربيل في المسيحية، فيعود إلى نهاية القرن الاول الميلادي^(٦) وان حملة البشارة كانوا من تلاميذ السيد المسيح^(٧) ثم تحولت إلى مركز لحركة تنصير الاقاليم المجاورة، وفي بداية القرن الخامس للميلاد صارت اربيل بطريركية ترجع إليها أشور بأكملها، ولم تنفصل عنها اسقفية نينوى أو أشور^(٨) الا في عهد متأخر لتصير بدورها اسقفية مستقلة^(٩) وظل النصارى يمارسون شعائرهم الدينية والعلمية بحرية تامة^(١٠) ويلحظ في العصر الاسلامي أن النصارى في اربيل، رحبوا بالمسلمين الفاتحين، لاستيائهم من الحكم الفارسي وتدخل بعض حكامهم في شؤونهم الدينية^(١١) وتسامح الاسلام الحنيف ازاء الاديان الاخرى، كما في قوله تعالى: «لا اكره في الدين»^(١٢) فضلاً عن أن القرآن الكريم يوصي الذين يؤمنون بالله الواحد الاحد، قال تعالى: «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن، الا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهناء والهكم واحد ونحن له مسلمون»^(١٣) كما ان فيه توصية متميزة بالنصارى، يقول تعالى: «لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون»^(١٤) وعلى هذا النهج السليم سار المسلمون في تقديرهم للنصارى، وخير مثال على ذلك العهد الذي قطعه الخليفة عمر بن الخطاب على نفسه لأهل القدس^(١٥) وقد كانت اربيل في حقبة هذا البحث كثيرة البيع والأديرة، وكان النصارى ينتشرون في القرن التي تحيط بالمدينة نفسها. وكانوا يشكلون بجانب الكرد اكثر سكان اربيل متأخين متعاونين^(١٦) وكانوا يهتمون بأماكن العبادة، وهذا ما يؤكد النص الشعري في قصيدة للشاعر حسام الدين الحاجري الاربلي^(١٧) (ت ٦٣٢هـ)، التي ارسلها إلى والي الخليفة يشير فيها إلى مسجد مهجور، وإلى كنائس للنصارى في اربيل تضيئها الشموع،

ويؤمها المصلون، ولما قرأها الوالي أتى المسجد وأمر باكسائه، وحقق رغبة الشاعر الذي يقول على لسان حال المسجد^(١٨):

أنا مسجِدُ اللَّهِ بيتُ عبادةٍ
عاري الملابس ليس في حصيرٍ
هجرَ المؤذن والجماعة جانبي
وجفاني التهليل والتكبيرُ
واخجلتي والذل حين يمرُّ بي
فيقالُ هذا مسجِدٌ مهجورُ
لو كنتُ في ايدي النصارى بيعةً
لبكى عليّ القس والساعورُ
ويشير إلى الكنائس التي تنورها الشموع ليلاً، بقوله:
الشمعُ في خلل الكنائس نيرٌ
وفناءً ربُّعي مظلمٌ ديجورُ
بالامس للقرآن في تلاوةٍ
واليوم للشيطان في عبورُ

الشاعر جيورجيس ورد الاريلي

ولد في اربيل، وترعرع فيها، والراجح ان ولادته كانت في نهاية القرن السادس للهجرة، كما يتضح من بعض اشعاره التي ذكر فيها حملات المغول وحصارهم لمدينة اربيل (٦٢١-٦٢٢هـ)، ووصفه للجرائم التي اقترفوها خلال سنتي (٦٢٤-٦٢٥هـ)^(١٩) أما تاريخ وفاته فقد حدده احد الدارسين في حدود سنة (٧١٠هـ)^(٢٠) وقد لقب بالوردة لاناقتة ولطافته^(٢١) ومن البديهي انه غشي الكنائس والاديرة، وحضر مجالسها العلمية والادبية، وتعلم على ايدي قساوستها اللغة السريانية والادب الآرامي، وبرع فيه.

أنشد الشعر البليغ، في مختلف الموضوعات، وقد غلب الوصف على بقية اغراضه الشعرية الاخرى، ومنه وصف مدينة اربيل، وقد اجاد في المديح ايضاً، وله مدائح رائعة في السيدة العذراء^(٢٢) اشتهرت بعذوية العبارة، والسلاسة والمتانة، كما جعلته يلقب بـ(شاعر العذراء)^(٢٣) ومن شعره في السيدة العذراء قوله^(٢٤):

هي عفيفه العفيفات
كن لها جاريات
وبتولة البتولات
صرن لها عبيدات

يا أذنأ نقيية
لم تسمع صوت الرجل
سمعت من رئيس الملائكة
سلاماً لم تسمعه امرأة

ومن رباعياته في مدح السيد العذراء نقتطف هذه النصوص (٢٥):

سلطانة الارضين
وملكة السماوين
جعلها من المحظوظين
وسيدة كل القديسين

جبرائيل لا يدركها
ميخائيل لا يفهمها
ذاك الذي خلقها
هو وحده يعرفها

ويمضي الشاعر في مدحها، ويرى فمها مملوء نقاء، ولسانها ينطق بالمجد والشكر، ويدها مقدسة، وهي امرأة نبيلة طاهرة، وطفولتها بريئة، وشبابها نقي، وهي قلعة للمخلوقات، وقد اعطت الناس السلام (٢٦).

وله نصوص اخرى في فضائل السيدة العذراء بقوله (٢٧)

أعظم من ملائكة السماء
وفوق طغمات الرؤساء
هكذا ارادت السماء
ان تكون ملكة البهاء

خلقها كسماء جديدة
نقيّة قديسة ودودة
زينها بالفضائل الموردة
لتكن لإبنه والدة

واشتهر ايضاً بقصائده السريانية التي بلغت مائة وعشرين قصيدة يدور معظمها حول اسرار الديانة النصرانية، وتستعمل الكنيسة الشرقية في صلواتها القانونية، ولاسيما في اعياد العذراء والقديسين بعضاً منها، ومنها قوله (٢٨):

قوسُ قزح في السماء
علامة الوفاق والسلام
لن يكون ايضاً طوفان
كالذي اباد الانسان

اشعة الشمس الضوئية
جازت في نفسها الشهية
زينتها بالالوان الوردية
صارت في الكنيسة بهيئة

حفظها من خطيئة ادم
ووضع فيها كل النهم
وجعلها فوق القمم
لتخلص بها كل الأمم

وله ابيات اخرى يتطرق فيها ايضاً إلى اسرار الديانة المسيحية، بقوله (٢٩):

بأسم الأب والابن والروح
إله مسجود وممجّد
ثلاثة اقانيم ومجدّد واحد
نشكر لاسم من افتقدنا
واناء النور في ظلماتنا
نجمّة الصبح الجميلة فرحتنا
تلك هي مريم أمنا

ومن الجدير بالذكر ان المؤرخين ركزوا على نشاط الشاعر الديني، ويعود السبب إلى ان الشاعر نظم اناشيد دينية كثيرة ادرجت في الطقس الشرقي، وتتطرق إلى حياة السيد المسيح حسب الاناجيل المنحولة، واخرى إلى التوبة والى النبي، والى الانسان باعتباره عالماً صغيراً، ويقول في الانسان(٣٠):

في داخل الإنسان عالم صغير
ارتببط به كلّ المخلوقات
ويعد ضئيلاً من قبل الجاهلين
وهو سيّد كلّ مخلوق

ومن موضوعاته الاخرى، التصوف والغزل، والرتاء، والخمريات، والأخوانيات(٣١). للشاعر ديوان كبير، ومنه نسخ خطية محفوظة في بعض المكتبات الغربية، وقد عني المستشرق الالماني (هزيغ) بطبع ديوانه مع ترجمته الالمانية في مدينة (لايسك) سنة ١٩٠٤(٣٢) ومن آثاره ايضاً كتاب ضخم سماه «جنة النعيم» شرح فيه قراءات الكتاب المقدس(٣٣) وللشاعر قصائد متفرقة، منها ابيات تترتل عند تلبس الاحبار الحلة الكنيسة(٣٤) ونشر القس يعقوب منا الكلداني ثلاث قصائد للشاعر، وقامت المطبعة الأثورية في الموصل بنشر مقالة كملحق لكتاب (مرگانيتا) أي اللؤلؤة، وهذا الكتاب مطبوع في الموصل سنة ١٩٢٤(٣٥) نظم الشاعر الشعر البليغ(٣٦) مستخدماً الالفاظ اليونانية بكثرة، وهذا دليل على ثقافته الواسعة، ويلاحظ ان هذه الظاهرة كانت شائعة عند ادباء القرن السادس والسابع للهجرة، واغلب الظن ان للثقافة اليونانية ومفرداتها اللغوية قدسية كبيرة عند شعراء النصارى، فتأثروا بها.

وقد قال عنه احد الدارسين أنه «وافر الذكاء خفيف الروح طيب المعشر ولوعا به. فعد من ائمة شعراء عصره» كما نعتة عشاق شعره برقة الشمائل، وحدة الذهن، وطلاقة اللسان(٣٧)

الشاعر خاميس القرداحي الاربلي

ولد في اربيل، ولم نستطع الوقوف على تاريخ ولادته، ولكن أغلب الظن أنه توفي بعد سنة (٧٠٠هـ)(٣٨) تلمذ على يدى جيورجيس وردا الاربلي، واصبح كاهناً في مدينة اربيل او ضواحيها، وسمي بالشيخ خاميس أو بـ(خاميس برقرداحي)، و (بر) كلمة سريانية تعني (ابن)، وقرداحي تعني (الحداد) وبذلك فأنه ينتسب إلى عائلة تمتهن الحدادة، وهو متزوج وله اولاد وبنات(٣٩) ومع ذلك فأن الشاعر اتجه إلى الاغتراف من الأدب السرياني حتى نبغ فيه، وعد من اشهر شعرائه.

ويبدو أن أهل أربيل لم يكونوا يشعرون بفضل وأدب هذا الشاعر، لذلك نراه يعاتبهم، بقوله (٤٠):

إنَّ أهل أربيل لا يعرفونني
إلاَّ إنني عَظِيمٌ
والمدن كلُّها تشهدُ على ذلك
ولكنهم يكفرون بي
أنا لا يُكرمني الأَقاريءُ الكتبُ
لأن قراء الكتب لا يحبون الأَ عشاقها
وهذا دليل على منزلتي العالية

نظم الشاعر القرداحي في موضوعات مختلفة، وغلبت على شعره السمة الدينية ويعود ذلك إلى تأثره بالبيئة الدينية السائدة في أربيل في هذه الحقبة وجاء معظم هذا الشعر على صيغة أناشيد، جمعت في كتاب باسمه والذي تضمن أيضاً بعض أشعار جيورجيس وردا الأربلي، وعدد من الشعراء الأربيليين، وله في مجال الأغنيات انشودة في التوبة، وفي صلاة الطلب (٤١) والقصيدة مطولة بعنوان (في الأمور الإلهية، وكمال آداب الذين يبحثون عن الحكمة ويطلبونها بتعب)، ووضع أكثر من ثلاثين قصيدة تتطرق إلى سر التجسد، ومدح مريم العذراء والقديسين. والفت نحو سبعين ترتيلاً لأيام الأعياد، وأغنيات في الخمر والمحبة (٤٢):
ومن موضوعات شعره البارزة أيضاً الغزل، ومنه قوله (٤٣):

عندي حبيب
وحبه قاتلي
جماله يعذبني
بيد أنه يُجافيني
خده كالورد النضر
وكلماته حلوة كالعسل
ومن خمرياته، قوله (٤٤):
لاتسقني إلا بكاس كبيرة
لأن بقدر كبرها تزدادُ الألفةُ والمحبةُ
وقلبي مشتاقٌ لها

ويذكرها دائماً لشدتها
وللشاعر قصائد في المديح، حيث اولاهها عناية خاصة، ومن اشهرها مديح في اصدقائه،
بقوله(٤٥):

أنت كالقمر

ابن الرابعة عشر

نورك الوضاح يشع على الآخرين

في هذا العالم كله

ليس لك شبيهه

خلقك الله العلي

كامل انت بصفاتك

ويتضمن ايضا شعره الرثاء والحكم والشكوى والعتاب، ومنظومات في الشعر التعليمي،
وقصائد في الوصف، منها وصف الورد والكأس والشمع(٤٦)
ومن رثائه مرثية رائعة لابن له توفي في حياته بقوله(٤٧):

أطلبك بين احشائي

لاتهدأ لي افكاري

لأنك ثمرة كبدي

ونفسي ملتاعة لرؤيتك

ودموعي تسقي الارض

متلهفة للقياك

وعندما تهب الرياح

تُشعل قلبي ناراً

ومن سمات شعره البارزة ايضاً، كثرة المحاورات، ومن محاوراته، محاورة بين (الذهب
والحنطة) نقتطف منها ابيات(٤٨):

اجاب الذهب قائلاً

منظري جميل لدى الناس كافة

ايتها الحنطة اسجدي لي

لأن الرؤساء يرتفعون بي

والعرسان يتجملون بي

والملوك يضعونني تاجا على رؤوسهم

وتجيبه الحنطة، وتتفاخر بأن الناس يزرعونها في شهر تشرين الاول والثاني كالميت في
لحده، وفي شهر شباط تدب فيها الحياة، وتشعر كأنها الحبلى بحملها، وفي شهر اذار يغني
لها الناس الحانهم ويسرون بها... وتقول:

في شهر ايار البسُ لباسي

الغلافُ والساقُ والسنبلةُ

والسنابل تعلق لتفرح الفلاحين

والرعود تلتقي مع بعضها

وينهمرُ المطرُ ورذاذه

لأرتوى بكل فرح وسرور

للشاعر ديوان معظمه رباعيات، والمخطوطة الأكمل له هي مخطوطة الفاتيكان السريانية
ذات الرقم ١٨٦ التي تضم ٦٥ نشيدا منها ١٦ نشيدا في الشهداء، و ٤٥٥ قصيدة في
مواضيع شتى و ٣٣ ميمرا في موضوعات دينية، وقد دخل كثير منها في الطقس الشرقي،
وقد نشر القس يعقوب منا الكلداني اربعة من ميامره في المروج النزهية، ونشر قسماً آخر من
شعره في المطبعة الأثرية في الموصل^(٤٩) فضلاً عن ذلك فأنت للشاعر ثلاثين قصيدة تدور حول
سر التجسد، وفي مدح مريم العذراء والقديسين، والف نحو (٧٠) ترتيلا لايام الاحاد
والأعياد^(٥٠) وله مقالة في الحروف الابجدية، وتراجم كثيرة كما له مباحث بعنوان (قصيدة في
الامور الالهية، وكمال آداب النفس للذين يبحثون عن الحكمة ويطلبونها بتعب)^(٥١) ويبدو ان
الشاعر استخدم الالفاظ اليونانية في شعره، أما سماته فهي الميل نحو العذوبة والسهولة
والجزالة احيانا^(٥٢) أما اراء النقاد في شعره، فقد وصف احد الدارسين شعره بقوله: «لله
درخميس، فأنته لولم يكن له الا قصيدة واحدة لكفته»^(٥٣).

وكان الشاعر حجة ادباء زمانه وعالما باللغة، واماما في الشعر، وكان يتدفق على لسانه
كأنه السيل لذا سمي بـ«شيخ الشعراء»^(٥٤).

الخلاصة

الأراميون قوم من الجنس السماي ينتسبون إلى آرام بن سام بن نوح. كما جاء في سفر التكوين، شكلوا دويلات صغيرة في اعالي سوريا، وبلاد ما بين النهرين^(٥٥). ومع انتشار الأراميين انتشرت لغتهم، واصبحت لغة الدولة في جميع انحاء الهلال الخصيب، وصارت لغة السيد المسيح واتباعه^(٥٦) وبالنظر لكون السيد المسيح قد ظهر في سوريا، فقد سميت لهجتهم الأرامية بالسريانية، واطلق على منتسبي الديانة المسيحية وعلى لغتهم السريان والسريانية نسبة إلى سوريا، ومنذ ذلك الحين اطلقت السريانية على اللغة الأرامية^(٥٧) فالأدب السرياني ادب مرموق بين آداب العالم، تناول اكثر ما تناول علوم الدين، وأداب المسيحية والروحانيات والتصوف واغراض اخرى، وهذا ما بدا لنا من خلال هذه الدراسة، فضلاً عن ذلك فقد استخدمت هذه اللغة في تأليف العديد من الكتب العلمية اليونانية كعلوم الطب والرياضيات والفلك والكيمياء والفلسفة والمنطق^(٥٨) وفي ختام هذا البحث نوصي ان يقوم احد الباحثين بالحصول على ديواني الشعراء الكبارين جيورجيس وردا الاربلي، وخاميس القرداحي الاربلي، ويضع على عاتقه عبء ترجمتهما إلى اللغة العربية أو الكردية لانهما ثروة تاريخية ثمينة لتراث أربيل الحضاري، وفيهما صفحات مجهولة عن حياة الاربليين واسلوب حياتهم في القرن السابع الهجري، واحياء هذا التراث من واجب الاربليين قبل غيرهم.

الهوامش:

- (١) ينظر: اربيل في مختلف العصور ١٠٠، اربيل في العهد الاتابكي / ٣٠ وما بعدها.
- (٢) العراق قديماً وحديثاً / ٢٣٧. المرشد إلى موطن الآثار / ٣.
- (٣) المجمع العلمي العربي (مجلة) ٢١ / ٢٨٧.
- (٤) تنظر ترجمته في: وفيات الاعيان ٤ / ١٤.
- (٥) معجم البلدان ١ / ١٣٨.
- (٦) تنظر: ذخيرة الازهان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان ٢ / ١٦٨.
- (٧) بين النهرين (مجلة) / ٢٧٤.
- (٨) كلدو واثر ٢ / ١٤.
- (٩) دائرة المعارف الاسلامية، مادة اربيل.
- (١٠) لمحات من تاريخ نصارى العراق / ٦٣.
- (١١) تنظر: حضارة العرب / ١٦٩.
- (١٢) سورة البقرة / ٢٥٦.
- (١٣) سورة العنكبوت / ٤٦.
- (١٤) سورة المائدة / ٨٢.
- (١٥) تاريخ الامم والملوك ١ / ٥٠٥، ٢٤.
- (١٦) تنظر: صورة الارض / ١٩٦.
- (١٧) تنظر: ترجمة في: وفيات الاعيان ٣ / ٥٠١.
- (١٨) الديوان / ٢٠٤.
- (١٩) تاريخ الموصل (الصائغ) ٢ / ١١١، وينظر النجم الموصلية (مجلة) ٩ / ٣٢١.
- (٢٠) تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية إلى ايامنا / ٩٤.
- (٢١) المروج النزهية في أداب اللغة الآرامية / ٢٩٥.
- (٢٢) اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية / ٣٧.
- (٢٣) الكنز الثمين ٥١ / ٥٣.
- (٢٤) الصلوات الطقسية الفرضية لمدار السنة للكلدان والنساطرة ١ / ٣٦٣.
- (٢٥) نفسه ١ / ٣١٣.
- (٢٦) نفسه ١ / ٣١٢.
- (٢٧) نفسه ١ / ٣١١.
- (٢٨) نفسه ٣ / ٣١٣.
- (٢٩) نفسه ٣ / ٣١١.
- (٣٠) ادب اللغة الآرامية / ٣٠٧.

- (٣١) ينظر: اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية / ٣٨ - ٣٩.
- (٣٢) تاريخ الموصل (الصائغ) ١١١ / ٢.
- (٣٣) ذخيرة الازهان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان ٢٣ / ٢.
- (٣٤) الكنز الثمين ٥١ - ٥٣.
- (٣٥) قالا سوريايا (مجلة) ١١١ / ٢.
- (٣٧) تاريخ نصاري العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية إلى ايامنا / ٩٤، قالا سوريايا (مجلة) / ٣٦.
- (٣٨) ذخيرة الازهان ٢ / ٢٣.
- (٣٩) ادب اللغة الآرامية / ٩٣٨.
- (٤٠) المروج النزهية ٢ / ١٠٩.
- (٤١) المخطوطة الفاتيكانية البورجية / ٣٦٥ - ٣٨٦.
- (٤٢) زاكروس الثقافية (مجلة) / ٤٣ وما بعدها.
- (٤٣) المروج النزهية / ٣٣٦.
- (٤٤) نفسه / ٣٣٧.
- (٤٥) نفسه / ٣٣٧.
- (٤٦) الكنز الثمين / ٥٩.
- (٤٧) المروج النزهية / ٣٣٣.
- (٤٨) المقتطف / ٨١.
- (٤٩) المروج النزهية ٢ / ٣٢٤ - ٣٣٠.
- (٥٠) الصلوات الطقسية الفرضية ٣ / ١٠٧ - ١٠٨.
- (٥١) قالا سوريايا (مجلة) / ٣٦.
- (٥٢) ينظر: لمحة عن تأريخ عنكاوة / ١٤.
- (٥٣) ذخيرة الازهان / ٣٤.
- (٥٤) المقتطف / ٩٣.
- (٥٥) ينظر: تاريخ الادب الاسرياني / ٥، بين النهريين (مجلة) / ٣٧٤.
- (٥٦) تاريخ اللغات السامية / ١١٥، وينظر النجم الموصلية (مجلة) / ٩ / ٣٢١.
- (٥٧) المعلم الجديد (مجلد) / ٦ / ٥٧.
- (٥٨) ينظر: الرؤساء / ١١٠.

الفصل الرابع

ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل

توطئة

تقسمت الدولة العباسية في عصورها المتأخرة إلى إمارات صغيرة لها ملوكها وجيوشها، وكانت أربيل- أربيل^(١) إحدى تلك الإمارات التي نشطت فيها حركة فكرية وأدبية^(٢) جذيرة بالدراسة بفضل أسرة طيبة تنتمي إلى الأمير زين الدين علي بن بكتكين (ت ٥٦٦٣هـ) التي حكمت أربيل من سنة ٥٢٦هـ ولغاية سنة ٦٣٠هـ^(٣) ومن أحفاده الملك المعظم مظفر الدين كوكبري^(٤) الذي كان قائداً للجيوش الشرقية في معركة (حطين) الخالدة سنة ٥٨٣هـ^(٥) وقد أضحت أربيل في عهده المسمى بالعهد الأتابكي ذات شأن، فأصبحت مدينة زاخرة بالعلم والعلماء الذين كانوا موضع رعاية وعناية حتى غدا النشاط الأدبي أيام آل بكتكين غزيراً ومبدعاً، وقد كان مظفر الدين على خلق كريم ينفق على الفقهاء والمحدثين، ويكرم الشعراء «فما كان يضيع قسدهم، ولا يخيب أمل من يطلب بره»^(٦) ويبدو ان الشعراء أدركوا فضل هذه الأسرة، لذلك اثنوا على أعماله الجليلة^(٧) فقد الف في هؤلاء الأدياء الوزير المبارك بن أحمد المشهور بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) كتاباً في أربعة مجلدات سماه «البلد الخامل ومن ورد عليه من الأمثال»^(٨) ومن الجدير بالذكر أن مظفر الدين كوكبري انفرد من بين ملوك زمانه بإقامة احتفالات دينية تبركاً بولادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد وصف ابن خلكان هذه الاحتفالات، وأشار إلى الوفود التي كانت تصل أربيل مع بداية الاحتفال إذ كان بينهم الفقهاء والمحدثون، والأدباء والشعراء^(٩) وكان من الطبيعي أن تعقد مجالس علمية وأدبية في الجوامع والمساجد يبحث الوافدون في موضوعات ثقافية وعلمية ودينية وأجتماعية عديدة، وكانوا يحظون برعاية أمير أربيل، حيث أنه دفع لأبي الخطاب ابن دحية البلاغسي ألف دينار نظير قيامه بتأليف كتاب له^(١٠) وهناك من ساهم مع أمير أربيل في إغناء ثقافة ابنائها وفي تشجيع الحركة العلمية والأدبية، ومنهم الوزير ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)

وكان ازدهار الأدب في هذا العهد ثمار هذه النهضة، ولا سيما الشعر فأنساق الشعراء في مسابقتها، وقيل شعر كثير في المجالات جميعها التي منها المجال الاجتماعي ومعلوم أن دراسة الشعر في أربيل لها أهمية خاصة لسببين أولهما:

ان معظم الذين شاركوا في نظمه كانوا من الكورد الذين تعلموا اللغة العربية واتقنوا فنونها وعرفوا أسرارها، والثاني بيان لمساهمة الكورد في بناء صرح الحضارة العربية

الاسلامية، فضلاً عن هناك شعر كثير- في العصر الوسيط - لم يتناوله الباحثون بالدراسة ظناً منهم بأن هذا الشعر ماهو إلا محاكاة للشعر القديم في عصوره الزاهية، ولقي إهمالاً، فالشعر في أربيل بعض مما لم ينل اهتماماً.

والجدير بالذكر أن الشعر في حقبة هذا البحث كان صورة للحياة الاجتماعية السائدة وأصبح للشاعر موقف معين من الحياة والناس، وكان الشاعر ينتقد بعض القيم الاجتماعية السائدة باللفظ المؤثر، والتهكم اللاذع. وله نصيب في الإصلاح الاجتماعي، وهناك من الشعراء من شغلته هذه الناحية ومنهم شعراء اربيل.

واقترضت طبيعة البحث الربط بين المنهج الاجتماعي وقراءة النصوص الشعرية المتوافرة وعرضها، ويتضح ذلك جلياً في تقسيم البحث إلى مباحث تشتمل على المديح الاجتماعي، والهجاء الاجتماعي، والشكوى من الزمان والفقر وسوء الحال و السجن. والمراسلات الشعرية، وموضوعات أخرى، مع قائمة بالمصادر والمراجع، و خلاصة للبحث، وانا راج أن يكون البحث قد استوفي الموضوع، فإن كان الأمر كذلك، فهو ما كنت أصبو إليه ومن البارى عز وجلّ التوفيق والسداد.

المديح الاجتماعي:

(رافق الشعر) في هذه الحقبة - الحياة الاجتماعية، وقد جاء المديح الاجتماعي للأعجاب بالفضيلة ومكارم الأخلاق وغايته الإصلاح الاجتماعي^(١٢) ومعظمه جاء في ذكر محاسن رؤساء اربيل وذوي الشأن فيها، وقد خضع الناس في القرنين السادس والسابع الهجريين لشعر كثير نظم في بيان العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ونحن هناك لن نتحدث عن المديح غرضاً، لأنه سبق ان درس في رسالة جامعية^(١٣) بل نحاول أن نبحت في المديح الذي يميل إلى تصوير بعض الظواهر الاجتماعية.

إن شعر المديح الاجتماعي يعكس دون شك، بَدْ: زيفاً فكرياً واجتماعياً لدى بعض الشعراء المتملقين المتكسبين^(١٤) وهو دليل حاجة الشاعر إلى عطايا مادحه وسوف نجد أن تكريس هذا الشعر لأهداف مادية بحتة سمة من سمات هذا المبحث، وقد أصبح وسيلة من وسائل الرزق^(١٥) وكانت موضوعات التملق هي الغالبة التي منها قضاء الحاجات لدى المسؤولين وطلب المال، والاستجداء واستعارة الكتب، وما شابه ذلك.

وقد كان قضاء الحاجات بالشعر سائداً في العصر العباسي^(١٦) وهذا ابن الظهير الاربلي^(١٧) الذي كان يعمل تاجراً، يمر بمدينة حماه ومعه بضاعة، فطلب منه أن يدفع الضريبة، فأمتنع وكتب إلى الصاحب شرف الدين عبد العزيز وزير حماه انذاك^(١٨) يمدحه

بعلو الشان، و يذكر له تطوافه بين البلدان في طلب الرزق، ويراه خليقا بحسن ظن الشاعر
في اعفائه من الرسوم: (١٩). (من الكامل)

ياايها الصدر الذي أضحى باذ
كار العلى كلفا بغير تكلف
هل يعذر النوب في تكليفهم
حق الجوار لشاعر متصوِّف
متسريل حلل الظلام مسمر
في جمعه الرزق الشتيت مطوِّف
انا واثق وجميل ظني فيك مهـ
دي فكنّ بجميل شكري مكتف
ومتى توقف عنه امرك ساعة
بذل الذي طلبوا بغير توقف

وقد نعت الشاعر نفسه بالمتصوف للتأثير في شخصية الوزير حيث كانت للمتصوفة مكانة
خاصة عند هؤلاء الامراء في ذلك العصر.

والشاعر نفسه يكتب إلى بعض من نواب اربيل يمدحهم ويبذل جهدا في اخراج شخص
اسمه (اسماعيل) من السجن (٢٠) ونراه يتودد إليهم، ويبث شوقه إلى لقائهم ويذكرهم بنفاد
صبر المسجون ومعاناته الشديدة، موجها شكره لو تكرموا بإطلاقه (٢١): (من السريع)

يا أمناء الملك قلبي إلى
لقيامكم مأسور اشواقه
مافيكم الا امرؤ فاضل
يزهو على الروض بأخلاقه
مسعودنا الذمي في حبسكم
وصبره واه كميثاقه
أطلقتم الادمع في حبسه
فقيدوا الشكر باطلاقه

ومن الشعراء من يطلب كسوة، وقد تزلفوا ليناوا الجوائز الثمينة. كل ينال على حسب
مقدرته الشعرية، مدح الشاعر أبو عبدالله الصعلوك الوزير ابن المستوفي وقد لقبه أهل أربيل

حمارويه، وكان فقيرا زري الهيئة، كثير الهذيان وقد طلب منه ان ينعم عليه بكسوة، فاستجاب له الوزير^(٢٢)، وهنا يذكر الشاعر فضل الوزير عليه، ويشير إلى ثوبه الممزق وبؤسه وفقرة^(٢٣):
(من الطويل)

أمولاي كمُ أو ليتني منّ صنيعه
بأطواقها جيدي البين مطوّق
ومن بعضها هذا الذي انا لابس
أينكر ضوء الصبح والصبح مشرق
الا انه ثوب، لسان وجوده
على بما شرفنتني منك ينطلق
ولم يرني الاك منذ كنت عاريا
وثوبي على مر الدهور ممزق

ويرسل النشابي الاربلي^(٢٤) نداءً إلى الأمير ركن الدين ابن قرطايا^(٢٥) أحد أمراء أربيل، يطلب منه أن يتفضل عليه بكسوة قبل أن يكشف عن عراه^(٢٦): (من الطويل)

فديتك ادلالي عليك تقرب
إليك وهذا الفضل انت به احرى
جعلتك دون الناس نخري وعدتي
فلم ابق للحظ احتجاجا ولاعذرا
وأن سرت عنّا قبل انفاذ كسوتي
فلا شك - يا نجل الاكارم- ان أعرى

ويذهب الحاجري الاربلي^(٢٧) المذهب نفسه في بيان حاجاته للأمير ركن الدين ابن قرطايا، وبعد ان يثني على كرمه وجوده، وطبعه السمع الطيب، ويرجو منه أن يسعف طلبه^(٢٨): (من الكامل)

ياإيها المولى الذي عن كفه
يروى حديث الجود بالاسناد
أشكوك حالا لا رميت بمثلها
لاتبتلي بشماتة الحساد
حاشا سجيتك الكريمة أن تحد
عن منهج الاسعاف والاسعاد

وقال فيه أيضا^(٢٩): (من الكامل)

ومن العجائب ان اضيق باربل

ذرعا وركن الدين رحب النادي

ملقى عصاي وملتجاي ومشتكا

ي وعدتي في شدتي وعمادي

ويظهر إقبال الناس على شراء الكتب وتداولها دليل على وجود نشاط ثقافي متميز في مدينة اربيل وهذا صدقة الكتيبي يأتي من الأنبار^(٣٠) إلى اربيل، يبيع فيها الكتب، ويبدو أنه كان يلتقي بالوزير ابن المستوفي حيث وجدناه يطلب منه زاداً ومؤونة لكي يصل بها إلى مدينة الموصل^(٣١) (من السريع)

عبدك قد جاءك مسترفدا

زاداً إلى الموصل يكفيه

وكنت أنعمت بإنجازه

والوعد احرى بك توفيه

خادمك الأصغر مستعجل

فلا تعقه بتماديه

إما موضوعات التماس الكتب التي تمت المديح الاجتماعي فأن الشاعر يتناول فيه فضائل المدح ونواله و أخلاقه الحميدة مشفعا بطلب الكتاب، فقد التمس ابن الظهير الاربلي من بعض أصدقائه كتاب البديع الذي صنفه ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري^(٣٢) وقال^(٣٣): (من السريع)

مولاي عزالدين يامن له

مال مزال وجناب منيع

ومن ايديه و اخلاقه

يخجل منها جعفر والربيع

عبدك مولاي له حاجة

دعت إلى نسخ كتاب البديع

فجد به عارية واغتتم

ثناء عبد شاكر للصنيع

فاستعارة الكتب بين العلماء والأدباء كانت عادة جارية إلى يومنا، فقد التمس ابو الفضل الاربلي^(٣٤) كتاب (تفسير الثعلبي) من احد اصدقائه الملقب بـ(مهذب الدين) ابان عيد النصارى، فانقضى العيد ولم يستلم الكتاب المذكور فكتب إليه يطلبه: (من البسيط)

مهذب الدين ياذا الفضل والنسب

والعلم والشرف السامي مع النشب

عيد النصارى انقضى والدين حلّ به

لاصبر لي على سيد الكتب

فانعم به كايديك التي سبقت

فالمن بالكتب فوق المن بالذهب

وبييت الشاعر شمس الدين احمد بن غزي^(٣٥) (ت ٦٥١هـ) بأربيل، وكان قد طلب مجلداً من شعر ابن الحجاج فلما ترك اربيل متوجهاً إلى الموصل كتب إلى بهاء الدين المنشئ الاربلي (ت ٦٩٢هـ) يمدح وزير أربيل ويطلب الكتاب المذكور: (من الخفيف)

يا وزيراً إذا مدحناه راح الـ

جود يجري من عطفه المهزوز

ما ارى ابن الحجاج يقدم وهل

أخرج في رحله صواع العزيز

جدّ بارساله لانظر فيه

كل نصبي هذا على التمييز

ومن باب المديح الاجتماعي أيضاً مسألة التكسب بالشعر، فالشعراء الاربيليون مدحوا من أجل الطمع في العطاء، ولقد صرح بعض من شعراء هذا العصر بأنه لا يمدح إلا من أجل العطاء^(٣٦) حاول شعراء اربيل التقرب من أصحاب المال والجاه، وترددوا على قصورهم لسيكسبوا بعضاً من المال ليسدوا به حاجاتهم الحياتية، وكثر المتكسبون بالشعر وانقطعت جماعة من الشعراء للكسب من وراء نظمه^(٣٧) وفي أربيل ارتفعت نغمة الاستجداء عالياً في شعر الشبابي من خلال مبالغاته في مدح الخليفة المستنصرية بالله العباسي، وراح يرسم له من معانيه الخيالية صورة بعيدة عن الواقع، فجعله مرة في مقام النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٣٨) (من الكامل)

وعليكم نزل الكتاب وفصلت

آياته بحقوقكم وحقيقها

وقوله أيضاً^(٣٩): (من الخفيف)

ياغيث الورى، واكرم من ير
جى اذا اجحف الزمان الغرور
أن احبيتني بجودك حتى
خلت ان النوال منك نشور

وكان الشاعر يظن إنه كلما أظنّب وافرط في المديح نال به جائزة الممدوح وعطاياه، وهذا تملق واضح لكسب المال، والحصول عليه وفي مدح الوزير أحمد بن الناقد^(٤٠) يقول بأنه لولا وجود الوزير وعطاياه لما أصبح شاعراً^(٤١): (من المتقارب)

فأن نوالك ماء الحياة
ومن دونه نهر الكوثر
وان اك قصرت فيما اتيت
فان نوالك لم يقصر
وجودك صيرني شاعرا
ولو لا معانيك لم اشعر

والمسألة هنا مسألة عيش، فهؤلاء الشعراء لا يكسبون قوتهم إلا عن طريق الشعر وقد يتنازلون عن عزة نفوسهم احياناً، ولعل سبب ذلك يعود إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي سادت في هذه الحقبة فالمجتمع هو الذي وضعهم في هذا الموضع المخرج^(٤٢) ومن طريف شعر المديح الاجتماعي، قصيدة مديح للشاعر الضرير نوشروان البغدادي الذي زار اربيل سنتي^(٤٣) (٦١٣ - ٦١٧هـ) في مدح اعيانها، وأغلب الظن أنه يقصد الوزير ابن المستوفي رداً على قصيدة سابقة له ذم اهل اربيل التي سوف ناتي على ذكرها في مبحث الهجاء الاجتماعي، ومن خلال قصيدته، يعلن تويته واستغفاره عمّا بدر منه من هجاء، وقد نقل ياقوت الحموي تسعة عشر بيتاً منها، ويبدو ان الشاعر الضرير كان خائفاً جداً من انتقام اهل اربيل واميرها له الذي سجن عدداً من الشعراء وعاقبهم بسبب الهجاء، وفي ابيات من القصيدة يقول^(٤٤): (من السريع)

قد تاب شيطاني وقد قال لي
لاعدت اهجو بعدها اربلا
كيف؟ وقد عاينت في صدرها
صدرا رئيسا سيدا مقبلا

مولاي مجد الدين يا ماجدا
شرفه الله وقد خولا
عبدك نوشروان في شعره
مازال لطيبته مستعملا
ولكي يعلن الشاعر عن ندمه من هذا الهجاء لاهل اربيل، يتودد اليهم ويستعطفهم بأبيات
من الشعر لعلهم يعفون عنه، وينسون خطأه، ويتقي شرهم، وفي بداية هذه الابيات يهجو
الشاعر نفسه واهله باقذع الالفاظ واشنعها، ويقول:
يا اربليين اسمعوا كلمة
قد قال شيطاني واسترسلا
فالان عنكم قد هجا نفسه
بكل قول يخرس المقولا
وقل ابي القرد وخالي وانا
كلب وان الكلب قد خولا
وعمتي قادت على خالتي
وامي الق... راس البلا
واختي القلفاء شبارة
ملاحها قد ركب الكوثلا
فربعنا ملان من فسقنا
وقط من نا... تننا ماخلا
وكل من واجهنا وجهه
سخم فيه بالسخام الطلا

الهجاء الاجتماعي

يقاس الادب - أحيانا - بمقدار ما يؤدي من اغراض اجتماعية أو اخلاقية^(٤٥) وبهذا يأتي
هذا اللون من الهجاء ليصف الأخلاق العامة، ويرسم انحلالها^(٤٦) وهو من الهجاء الايجابي
الذي يوضح لنا حقيقة تجارب الشعراء في هذا العصر^(٤٧)، وانه يكشف معاييب المجتمع
والسخط على النظم الاجتماعية القائمة، والغاية منه هي الاصلاح الاجتماعي، وهو «تقويم لكل

اعوجاج في المجتمع سواء اتصل بالفرد أو اتصل بالجماعة وهو لذلك في حاجة إلى أن يدرس كوثيقة اجتماعية وسياسية»^(٤٨) نحن ندرس الهجاء موضوعاً يعالج بعض الملامح الاجتماعية في أربيل^(٤٩).

وأما الهجاء غرضاً فقد تمت دراسته في رسالة جامعية.

يعد الشاعر مجد الدين النشابى الأربلي رائد الشعر الاجتماعي في أربيل، وبخاصة في بداياته الشعرية حيث تحول إلى ناقد سياسي واجتماعي بارز، تعرض لأرباب السياسة، وأصحاب النفوذ، والرؤساء، قال عنه ابن الشعار « كان شاعراً بذى اللسان، مقدماً على الهجو والسب، ذا أهاج سخيقة وذم فاحش كثير التعرض بأرباب الدولة، وأصحاب المناصب، قل أن سلم أحد من رؤساء أربل و أمثالها من لسانه»^(٥٠) ونحن لانوافق على ما ذهب إليه ابن الشعار كونه بذى اللسان. وذا هجو سخييف، وأغلب الظن أنه بالغ في هذا الحكم لأن ديوانه المحقق خال من هذا اللون من الشعر الذي اشار إليه ابن الشعار، ولكنه كان ذا نقد جارح، وجرى في مواقفه يبتغي الإصلاح الإداري والقضاء على الفساد الاجتماعي الذي سوف ناتي على توضيحه.

وجه النشابى سهام نقده إلى يعقوب بن اسماعيل البابوري^(٥١) مشرف ديوان مظفر الدين الكوكبري، ورأى أن وجوده في هذا المنصب خسارة للدولة، وأنه لادارية له في الإدارة، وقد أساء إليها، وهو غير قادر على تحمل أعبائها^(٥٢): (من السريع)

قد خسرت دولةً من يرتجى

عندك يا يعقوب إصلاحها

وكم جنت أربل من ضرة

وغير تدبيرك ما أجتاحتها

وحيثما يياس الشاعر من تقويم هذا المشرف واصلاحه بالرغم من إسداء النصيح له، يوجه أبياتاً من الشعر إلى مظفر الدين يقدم له المشورة في عزله ومحاسبته، وتخليص الناس من سوء تصرفه بنهب أموال الدولة من وجه غير شرعي، بل ويطلب منه إلقاء القبض عليه^(٥٣): (من الكامل)

يا أيها الملك المعظم إنها

لمشورة ونصيحة لاتهمل

يعقوب قد نهب البلاد وضعضع ال

أجناد وأستغنى غناء يذهل

فأعجل عليه بقبضة، فلريما

هولا خلاف بقبض مالك أعجل

ويبدو أن مظفر الدين قد القي القبض على المشرف المذكور، وحاسبه حساباً عسيراً بعد أن ثبت عليه النصب والاحتيال، ويتولى في مكانه المختص أبو الحسن ابن القابض - عارض الجيش - مشرفاً جديداً في الديوان، ومن خلال استقراء نصوص من شعر النشابى يلحظ ان المشرف الجديد الذي تولى الادارة لا يختلف عن المشرف السابق في نقص الكفاية الادارية، لذلك فأنه لا يفض الطرف عن هذا الخلل ويعود إلى نقده بالاشارة إلى مواطن ضعفه، مسخراً ومستهنزاً بقوله^(٥٤): (من الطويل)

فرحنا ببيعقوب اللعين وحبسه

وقلنا اتانا ما يطيب به القلبُ

فلما ولي المختص، فالكل واحد

إذا ما مضى كلب أتى بعده كلب

ومن حملاته الاخرى على موظفي اربيل والسخرية منهم، أنه بعد إقصاء أحد وزراء اربيل من منصبه نتيجة لسوء إدارته، وتولي الوزارة من بعده شرف الدين إبراهيم بن علي الموصلى^(٥٥) نجد النشابى يسخر من هذا الوزير الجديد، مشيراً إلى ان ولايته لم تغير من الحال شيئاً، ولم يقدم خدمة جلييلة إلى الرعية، بيد أنه اتخذ لنفسه منادياً يشعر الناس بقدمه إلى الديوان^(٥٦): (من المتقارب)

فرحنا وقلنا: تولى الوزير

وأفلق ديواننا بالوزارة

فما زادنا غير جاويشه

وفي كتبنا كتبت بالأشارة

فبعد أن يفضح الشاعر رئيس الديوان والوزير وينعتهما بسوء الإدارة ويقصيان من منصبيهما، يتوجه نحو موظفي الديوان انفسهم متهماً إياهم باستغلال مناصبهم الإدارية في التحكم برقاب الناس، فالحقوق ضائعة، والرشوة منتشرة، والظلم سائد^(٥٧): (من الخفيف)

قد قسمنا الديوان خمسة أقسا

م عليها لكل قول دليل

رُبَّ حق ولا يطاع، منسـو

ب إلى الظلم قوله مقبول

ثم شخص كأنه الحرف في النحو
وفلا فاعل ولا مفعول
ومصر على التجنف والظلم
م بعيد عن الصواب جهول
وأخو حاجة يمشي أحوا
لا لديه إن جاءه البرطيل
اتراهم لم يعلموا أن كلاً
منهم عن فعالة مسؤول

ظل النشابي يدعو إلى الإصلاح الإداري، ويكشف عن معائب البيئة ومساوئها الاجتماعية،
متمثلاً ذلك بأصحاب الديوان، ويحرض الوزير على إزالة ظلمهم وجورهم الذي هو عبء ثقيل
على كاهل مواطني اربيل، ويحرضه على قتلهم لينال ثواباً على ذلك بقوله^(٥٨): (من المتقارب)
جماعة ديواننا أصبحوا

وهم في العذاب لسوء الحساب
فإن كان يرجو الوزير الثواب
فقتلهم من جزيل الثواب

ويظهر أن الوزير قد انتقم من هذه الفئة الباغية، وزج المسيئين منهم في السجن، كما جاء
على لسان النشابي^(٥٩): (من مجزؤ الرجز)

جماعة الديوان في
ليلة سخط مظلمه
وقد غدت ايدي الوز
ير منهم منتقمة
لا رحم الله الذي
يرحم قوماً ظلمه

ويبلغ النشابي قمة النقد الاجتماعي في قصيدة نظمها قبل سقوط بغداد بيد التتر بمدة
وجيزة، فهو يكشف فيها عن اوضاع العراق المضطربة، والسلوك المنحرف للمسؤولين، وينذر
من مغبة تصرفاتهم، وقد عدها احد الدارسين^(٦٠) مثالا شعريا رائعا للنقد الاجتماعي في
أواخر العصر العباسي، وهي صورة حية ناطقة تعبر عن معاناة وهموم الرعية في ظل هؤلاء
الحكام، ولما وصلت إليه الحياة السياسية والاجتماعية من اهمال وفساد. كشف النشابي عن

عيوب ونقائص الوزير وحاجب الباب، ومشرف الديوان، وشيخ الاسلام صدر الدين بقصد تنبيههم واشعارهم بسوء تصرفهم وسليبياتهم، فقال^(٦١): (من البسيط)

اما الوزير فمشغول بعنبره

والعارضان فنساج ومداد

وحاجب الباب طورا شارب ثمل

وتارة هو جنكي وعواد

ومشرف الدست مغرى باللواط له

في كل ناحية علق وقواد

وشيخ الاسلام صدرالدين همته

مقصورة لحطام المال يصطاد

وهكذا فان شعر النشابي عبارة عن صورة حقيقية ووثيقة دامغة يشير إلى حقيقة الحياة الاجتماعية في اربيل بصورة خاصة، والدولة العباسية بصورة عامة، وتظهر محاولات الشاعر المستمرة في الاعتراض على هذا الواقع المؤلم، وعدم التستر عليه بل رفع صوته مناديا بالاصلاح الاداري والقضاء على الفساد، وقد كان صوتا مؤثرا في بعض الاحيان، في تغيير صورة الواقع الاجتماعي المتهريء.

ويلفت النشابي نظرنا إلى فئة اخرى في المجتمع الاربلي الا وهم الاطباء، ويشخص لنا طبيا يراه فاشلا في ممارسة مهنة الطب، وقد قتل المراجعين الابرياء بالعلاج الخاطيء ومثالنا على ذلك سخريته من الطبيب سعد الدين ابن عبد العزيز الديرشمقي^(٦٢) حينما يشرع بالذهاب إلى الحجاز للحج، والنشابي هنا يذكر رياءه ونفاقه حينما يتظاهر بالتوبة، وهو لا يذهب إلى الحج وانما يتهرب من الاثم لكثرة ما قتل الناس بالعلاج الخاطيء^(٦٣): (من المخلع البسيط)

حج سعيد الطبيب عاما

وهو من الاثم غير ناجي

ما حج له الا يتوب مما

قد قتل الناس بالعلاج

لا يقبل الله منه حجا

لانها حجة المداجي^(٦٤)

وقاد الحاجري حملة على نقد الحياة الاجتماعية والدينية في اربيل المتمثلة في شخص عزالدين بن شيخ اربيل^(٦٥) ولعله ممن كان يتعاطى كتابة الادعية والشعوذة، والضحك على

الذقون، وابتزاز الناس بما لايجدي، وهو في هذا يريد ان يعدل به إلى الطريق القويم
وتصحيح هذا الاتجاه المنحرف في الدين، والدين الصحيح منه براء^(٦٦): (من الطويل)

فتى الشيخ لا ينفك على ظهر بغلة
لنقل حديث ما سواه له راوي
يريك ابتهاجا في اللقاء تظنه
ودادا وفعل الغدر في قلبه ثاوي
يلفق في الناس المساويء بخطه
رقاعا فلا ينفك صبا بها غاوي
ويقري ويؤي كل غاد ورائح
وداد في خوض لباطله حاوي
على كل باب في المدينة خطه
فسبحان من احيا ابا الماجد الشاوي^(٦٧)

ومعروف عن شعر هذه الحقبة تعرضه إلى انماط السلوك الاجتماعي المختلفة، وفي أربيل
وجدنا ذكرا للؤم، والبخل، والظلم، قلة الوفاء، وما شابه ذلك، وتحول الشاعر الاربلي ناقدا
لهذه الجوانب من الحياة الاجتماعية، وهذه الخصائص تهدد جوهر الحياة الحقيقي لانها تمثل
الجانب السلبي منها^(٦٨) فابن الظهير الاربلي يوازن بين الكريم واللئيم مبرزاً الخلق السيء
للئيم، بقوله^(٦٩): (من الحفيف)

ومعاداة كل حر كريم
ديدن الاخرق اللئيم ودابه
واذا صادف الوضيع وضيعا
ليس يلقى الا إليه انصبابه
ويضيف الحاجري في المعنى نفسه قائلاً:^(٧٠) (من الوافر)
وما ظفر الفتى في الدهر يوما
باطيب من مجاورة الكرام
وما أضن الزمان على لبيب
بأعظم من مصاحبة اللئام

أما النشابى فينظر إلى الدنيا نظرة تسودها روح التشاوم حين يتصور بان الدنيا مليئة
باللئام، ويتحسر على حياة خالية من رجل كريم:^(٧١) (من الوافر)

وكم من قاتل: هل من كريم
أراه فحسرتي القى كريما؟
فقلت له: كريم ما تراه
ولكن كيف درت ترى لئىما

ونتيجة للتنافس بين الشعراء على الرزق والمكاسب، ترى الشعراء يهتمون بعضهم بعضا،
فقد اتهم الحاجري النشابي بالبخل، وهو أسلوب رافق عروض الشعر التجارية وهو الاستهانة
والتقليل من شأن الشاعر المنافس^(٧٢): (من المتقارب)
قال الحاجري^(٧٣): (من المتقارب)
وذو المجد ليس له لقمة

يقدم يوماً لزواره
ويلحظ في شعر الهجاء الاجتماعي تجاوزه العلاقات القبيلة^(٧٤) فمعظم هذا الشعر موجه
إلى ذم خصائص اجتماعية مرذولة في الافراد، فقلة الوفاء صفة دنيئة لا يمكن تجاهلها تجاه
الذين لهم فضائل ومكارم، ومن الشعر الذي وصل الينا في هذا الباب، ما قاله خطيب اربيل
وقاضيه جعفر بن هبة الله الاربلي^(٧٥) الذي دخل يوما على احد موظفي الامارة وكان تلميذا
له وقد درسه الادب والنحو، فلم يهتم به فجلس الخطيب متالما فانشد فيه ارتجالا مشيرا إليه:
(مخلع البسيط)

هذا مقامي لديك يامن
اقسام دهرأ وراء بابي
اقصى امانيه قرب اذن
في دولة الحسن والشباب
ان كنت انسييت ذاك فانظر
في فرد باب من الكتاب
لا تغترر بالزمان يوما
وفكر اذا سرت في الاباب
مخارق الجاه ليس تبقى
وموقف العزل كالحساب
فافعل على قدر ما تلقى
وقل لابد من جـواب

فلما سمع السلطان مظفر الدين الخبر انزعج وعزل هذا الموظف، فقال له القاضي ارجب من احسان السلطان الا يطرده بان اكون سببا لعزل شخص وقطع رزقه، وانا ممن يشتهي بالقول لا بالفعل، الاشتغال بالافعال من شيم الملوك، فقال له السلطان: ابيت الا ادبا وظرفا وجاء ذلك العامل فصار من خدامه، والمعترفين بانعامه^(٧٦).

ومن باب النقد الشخصي الذي اتسم بالحق او الاستهزاء ما انشده ياقوت الحموي في مظفر الدين كوكبري^(٧٧): (من الطويل)

كساعية الخير من كسب فرجها

لك الويل لأتزنني ولاتتصدقني

وهذا النقد يثير اكثر من سؤال فالحموي زار أربيل مرتين واطلع على اعمال هذا الامير الخيرية والاجتماعية ونزاهته وعدالته وتصوفه فكيف اجاز لنفسه ان يتمثل بهذا البيت الشنيع في وصف امير اربيل بتشبيهه بالمرأة التي تتعاطي البغاء وتصف ما تجنيه من ذلك الفعل على الامور الخيرية واغلب الظن ان الحموي اراد ان ينتقص من قيمة هذا الامير لسبب نجهله أو جاء بتدبير من أعداء مظفر الدين، وما الصق به من ظلم للرعية^(٧٨) انساق الشعراء في هذا العصر بدوافع شخصية إلى هجاء المدن والاقاليم، من خلال طعنهم في اهلها ودم ساكنيها، وهو اتجاه جديد ظهر في القرن الثاني الهجري^(٧٩) وقد تعرضت اربيل إلى هذا الهجاء بعد وفاة مظفر الدين كوكبري، وبعد انتشار الانحلال الاجتماعي، وسؤ التصرف في شؤون الادارة، ومجيء رجال غير اكفاء يحكمون المملكة نيابة عن الخليفة في بغداد، ولذلك نرى الشاعر طه بن ابراهيم الاربلي^(٨٠) يتأسف على بلده اربيل التي خلت من رجل غيور، يسوس الناس بالعدل والانصاف ويدفع عنهم الشر والاذي: (من الوافر)

أ اربل لاسقاك الله غيثا

فقد اقفرت من رجل لبيب

ارى الغراء قد ملئت لئاما

وقد ضاقت على الشيخ الوهوب

فما في مالكيها من معين

على صرف الزمان ولا الخطوب

ولا في من قطنيها اريحي

ولا في ساكنيها من طروب

وقد يفقد الشاعر الشعور بالامن والاستقرار بسبب المعاملة السيئة التي يلاقها من ساكنيها ويضيق بها ويرتبط - في الغالب - بنفوره من الحياة الاجتماعية من حوله، وهذا

نوشروان البغدادي الذي زار اربيل وشاهد معالمها وتعرف على مواطنيها ويراها كئيبة
وحزينة لا تشرح قلب المسافر^(٨١): (من السريع)

تبا لشيطناني وما سولا

لانه انزلني اربلا

نزلتها في يوم نحس فما

شككت اني نازل كربلا

وقلت ما اخطا الذي مثلا

باريل اذا قال بيت الخلا

هذا وفي البازار قوم اذا

عاينتهم عانيت اهل البلا

من كل كردي (...)، ومن

كل عراقي نفاه الغلا

فالشاعر يعبر عن ندمه، لان حظه العاثر ساقه إلى مدينة خلت من كل خير، وشبهها ببيت
الخلا، ويذم اهلها، ويصفهم بانهم اهل الشر والبلاء ويكشف عن النسيج الاجتماعي ومكوناته
في اربيل، ويرى انه مزيج من الكرد وعراقيين هجروا مواطنهم وسكنوا هنا بسبب الغلاء
والفقر، ويمضى الشاعر في ذم هذا المجتمع مستخدما بعض المصطلحات الكوردية، وهي
عبارة عن ذكر اسماء كوردية كتبت باللغة العربية ويتحمل ان يكون بعض هذه الالفاظ من
وضع الشاعر نفسه على سبيل التفكه والسخرية، او نقل ياقوت الحموي صور هذه الالفاظ من
بصورة محرفة بسبب عدم معرفتها اللغة الكوردية ولهذا النصوص قيمة تاريخية مهمة لانها
من اقدم النصوص التي تتضمن الفاظا كوردية ويقول الشاعر: (من السريع)

والكرد لاتسمع الا جيا

او نجيا او نتوى زنكلا

كلا وبوبو علكو خشتري

خليو وميلو... موسكا منكلا

ممو مقوممكي ثم ان

قالوا: بويركي تجى؟ قلت لا

وفتية تزعق والله تنفر

وشو ترايم هم سخام الطلا

وقد حلل أحد الباحثين هذه المفردات الكوردية التي وردت في القصيدة واعادها إلى أصولها^(٨٢) وتشير هذه الالفاظ إلى بعض الظواهر الاجتماعية في اربيل التي منها تصغير بعض الاسماء الكوردية للتحب، واسئلة السائح لمعرفة اماكن معينة في المدينة وتنقل كلاما عن بعض الباعة في صياحهم لترويج بضاعتهم، وصراخ الصبية في ملاعبهم ويبدو ان الشاعر قد ذم اربيل واهلها بتوجيه من احد اعيان الموصل بسبب المناقسة السياسية بين المدينتين في عهد مظفر الدين لاننا وجدنا مدحا لهذا الشخص في القصيدة نفسها بقوله:

اذ لم يكن قصدي إلى سيدي

جماله قد جمل الموصلا

وهكذا شخص شعراء اربيل بعض الجوانب الاجتماعية في المدينة التي منها الواقع المتدهور للموظفين الغارقين في مسراتهم، وتوضيح لحالة ادارة الدولة وعدم كفاية الموظف للوظيفة الادارية، ولقد ابدع النشابي في توظيف شعره لهذا الجانب وهذا الشعر لا يخلو من بعض المبالغات او اراء شخصية لانه انفراد من بين شعراء اربيل بهذا التوجه، ولم يؤازره الاخرون في نقده للموظفين، كما وجه الشعراء نقدهم إلى الرذائل النفسية والسلوك الاجتماعية الذميمة للأفراد في المجتمع، ولكن المؤسف ان الشعر الذي وصل إلينا في هذه الجوانب قليل بسبب عدم تدوينه او عدم روايته لاسباب سياسية او اجتماعية.

الشكوى من الزمان والفقر وسوء الحال والسجن

ظهرت الشكوى في الشعر العربي القديم^(٨٣) وصاحبت الشعراء على مر العصور ازاء ما واجهوه من اختلال سياسي واجتماعي فضلا عن الامور الشخصية^(٨٤) وهي تعبير عن الحرمان والاحساس بالظلم الاجتماعي^(٨٥) وفي العصر الوسيط أصبحت الشكوى على كل لسان^(٨٦) وقد كانت للمتغيرات الاجتماعية المختلفة التي شهدها العصر الوسيط اثرها الكبير في شعر الشكوى من الفقر وسوء الحال، والشكوى من السجن.

وجه شعراء اربيل شكواهم إلى الزمان. فالشاعر بهاء الدين علي ابو الحسن الاربيلي^(٨٧) عانى من ظلم الدهر وخيانتة حيث كان سببا في ابتعاد احبابه وخلانه عنه، ويتمنى ان تعود ايام الصفاء قائلا: (من الكامل)

يا دهركم لك مثلها من غدرة

ولانت اجدر ان تخون وتغدرا

جار الاحبة في قضايا حبهم

فغدوت اظلم في القضاء واجورا

أحبابنا النائين هل من عودة

يصفو بها من عيشنا ما كدرا

ومن الشعراء من تضيق به الدنيا فيسخط ويشتكى، ويوجه اللوم إلى الاقدار^(٨٨) ويتذمر من الناس، ويشبه الزمان في شكواه بالرجل اللئيم ومن هؤلاء ابن الظهير الاربلي حين يقول^(٨٩): (من الخفيف)

قد دفعنا إلى زمان لئيم

لم نزل منه غير غل الصدور

وبلينامن السورى باناس

تركتهم اعجازهم في الصدور

ولاشك ان الشكوى موضوع ينبع من الوجدان، فهي نفثات صدر يريد الخلاص مما يحس به ويعانيه الشاعر من قسوة الدهر، والظروف الاجتماعية الصعبة التي عانى منها الناس في هذه الحقبة وقد وجه الشعراء اللوم إلى الزمان، ولابد ان يكون ذلك ظاهرة اجتماعية تستحق الاهتمام والتسجيل^(٩٠) فالشاعر عرش الدين الاربلي^(٩١) يتطرق قسوة الدهر الذي يسير الناس كما يشاء بقوله: (من كامل)

والدهر يرفع الفتى ويحطه

والعمر فيه صحة وسقام

والبدر يكمل بعد نقصان به

ويحل فيه النقص وهو تمام

ويبدو ان الشعراء لم يستطيعوا ان يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين والطغاة خوفا من البطش والتتكيل، لذلك تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقي وكنوا عنه بالزمان او الدهر^(٩٢) ويظهر الحاجري الاربلي سخطه ويتحرق مرارة من الذين لا مواقف ثابتة لهم في الحياة ويتحكم الزمان برقابهم^(٩٣): (من البسيط)

ذنبى إلى الدهر اقوام صحبتهم

انى يميل زمان بالفتى مالوا

ثم يعود ويفسر موقفه الفلسفي من الدهر ويذكر محاسنه، وليست هناك حالة ثابتة في الحياة، وكل شيء يتغير وكل شيء اجل محتوم:

من شيمة الدهر اعراض واقبال

فما يدوم على حالاته الحال

وكل شيء وان اعيااله اجل

يقضى عليه كما للناس اجال

واذا التفتنا إلى الشعر الذي قيل في الفقر، فنجد نادرا في امارة اربيل، وقد يعود السبب إلى سياسة مظفر الدين في ادارة الامور اذ اشاد محمد كرد علي باعماله وبمشاريع البر التي اقامها، وقال: "ان مظفر الدين صاحب اربل كان من اولئك المحسنين من ملوك المسلمين واهل الخير وانه تقن في اعمال البر والاحسان، واقام من المصانع ما يشبه من اكثر وجوهه مصانع الغربيين اليوم"^(٩٤) وهذا القول فيه صدق كثير حيث نهضت مدينة اربيل على يدي هذا الامير، ونافست الموصل وبغداد علميا وثقافيا، ونحن هنا لسنا بصدد بحث منجزاته لكن نضيف إلى اعماله الخيرية قيامه بتوزيع الاكسية الشتوية والصيفية على الفقراء وكانوا يجتمعون حول داره لاستقباله، وكان يعطي لكل واحد منهم مع الكسوة مبلغا من المال^(٩٥) واغلب الظن انه سار على خطى صلاح الدين الأيوبي في الانفاق على الفقراء والمساكين وابناء السبيل^(٩٦).

فالشاعر ابو الربيع سليمان بن بنيمان الاربلي^(٩٧) يشتكي من اولئك الذين لا يعضدونه في محنته التي هي الفقر وهو يسحب ذيل الذل والهوان في ارضهم وهذا انكار للقيم الخلقية الفاضلة في مساعدة الغريب واکرام الجار واطعامه، فيقرع سن الندم، لان هزة الكرم اضحت عندهم كالعدم بقوله: (من الطويل)

خليلي كم اشكو إلى غير راحم

واجعل عرضي عرضة للوائم

واسحب ذيل الذل بين بيوتكم

واقرع في ناديكم سن الندم

هبوني ما استوجبت حقا عليكم

اما تعتريكم هزة للمكارم

كان المعالي ما حلل لديكم

وقد اصبحت معدودة في المحارم

والحاجري ينظر إلى مسالة الفقر نظرة خاصة حيث يتساوي عنده الغني والفقير فهو لم يشتك من الفقر ولم يستجد بالشعر، بل كان صاحب جاه وسلطان وقد كان هناك حي في اربيل سمي باسم جده (جبريل)، وهو من الاسر الميسوره^(٩٨) ففي مجالس الخمرة حينما يناجي ندمانه لا يريد نيل الاماني ولا يطمع في قليل منها او كثير، ويتساوي عنده الغني والفقير^(٩٩). (من المجتث)

لاطامعا في قليل
منه ولا في كثير
ان صح لي خبز بر
او لافخبز شعير
سيان بين غني
عندي وبين فقير

ومن الشعراء من يعلن افلاسه، ويشتكى من سوء حاله في مقطوعات يظهر فيها الحرمان الشخصي والمعاناة الذاتية ويصور حالة البؤس، ويبدو ان رعاية اولى الامر وذوي الجاه لم تشمله^(١٠٠) لذا يرجو كسب النوال ساعيا إليه على يديه ورأسه وهذا ما أعلنه الشاعر ابن الظهير الاربلي واغلب الظن انه كان يعلن عن افلاسه وطلب نوال الاخرين حين يسود الكساد تجارته او تقل ارباحه حيث يقول^(١٠١): (من الخفيف)

قلة الحظ مانعي قصد ارض
انت فيها وكثرة الافلاس
ولو اني ملكت امري لو افيد
تك سعيًا على يدي وراسي

اتصل الشعر بصميم الحياة الاجتماعية في اربيل، فاصبح وثيقة من الوثائق التاريخية المهمة في تصوير البيئة^(١٠٢) فالشاعر حسام الدين الحاجري الاربلي يشخص تقصير المسؤولين في مجال تقديم الخدمات العامة، والدينية منها بصورة خاصة، فتقع عينه على مسجد مهجور وبجانبه كنيسة للنصارى تضيئها الشموع، ويؤمها المصلون، ومن الجدير بالذكر أن اربيل في حقبة هذا البحث كانت كثيرة البيع والاديرة، وكان النصارى يشكلون بجانب الكورد اكثر سكان اربيل متآخين متعاونين^(١٠٣) وكانت لهم الحرية الدينية المطلقة، اذ لا اكراه في الدين^(١٠٤) ولهم اهتمام باماكن العبادة، وهذا ما يؤكد النص الشعري في قصيدة ارسلها الشاعر إلى والي الخليفة، اشار فيها إلى هذا المسجد المهجور، والى كنائس النصارى تضيئها الشموع، ولما قراها الوالي آتى المسجد وامر باكسائه، وحقق رغبة الشاعر الذي يقول على لسان المسجد^(١٠٥). (من الكامل)

انا مسجد الله بيت عبادة
عاري الملابس ليس في حصير
هجر المؤذن والجماعة جانبي
وجفاني التهليل والتكبير

واخجلتي والذل حين يمر بي
فيقال هذا مسجد مهجور
لو كنت في ايدي النصارى بيعة
لبكى علي القس والساعور
من مبلغ عني العماد شكاية
منها يقلقل يذبل وثبير
ياقدوة الاسلام كيف تركتني
بيد الصلاح وشانه التقصير^(١٠٦)
صل صولة الحنق عليه لي
واغضب فانت بذلك الماجور
ويشير إلى كنائس اربيل التي تنورها الشموع ليلا ليثير بذلك حفيظة الوالي:
الشمع في خلل الكنائس نير
وفناء ربي مظلم ديجور
بالامس للقران في تلاوة
واليوم للشيطان في عبور

ومما يلفت النظر ان مظفر الدين كان يدرك الفساد الاداري عند موظفي امارته، وهذا الخلل الاداري كان منتشرًا في جميع الامارات الاسلامية في هذا الحقبة حتى في بغداد مركز الخلافة وقد اوضح لنا النشابي في قصيدته التي نظمها في رئيس الديوان والوزير وحاجب الباب ومشرف الديوان وشيخ الاسلام بقصد اشعارهم بسلبياتهم قبل سقوطها بيد التتر وقد سبقت الاشارة اليها في موضوع الهجاء الاجتماعي، وقد كان مظفر الدين يتابع هذا الخلل ويعاقب وموظفي الامارة باستمرار ولم يسلم من عقابه الا القليل ومنهم الشعراء ايضا وان معظمهم عذبوا واعتقلوا فمنهم من مات في سجنه ومنهم من اثر الرحيل عن مدينة اربيل حينما اطلق سراحه^(١٠٧) ومن هؤلاء الوزير ابن المستوفي، والشاعر مجد الدين النشابي كاتب الانشاء بالديوان^(١٠٨) والشاعر ابو يوسف التركي الاربلي^(١٠٩) والشاعر صلاح الدين الاربلي الذي كان حاجبا في البلاط^(١١٠) والشاعر حسام الدين الحاجري الاربلي، وغيرهم كثيرون^(١١١) فالسجن يحفز ملكة الشاعر الشعرية ويوقظها في تصوير ما يقاسيه من ألام بشعور صادق فياض، فالشكوى من السجن في الاغلب تعبير عن انعكاس نفسي وحرمان اجتماعي لحالة الشاعر السجين، ويتسم بالصدق والوضوح (والحق ان اقدر الناس تعبيرًا عن

الشقاء من كان الشقاء في نفسه^(١١٢) وان هذا اللون من الشعر قد ساد البلاد الاسلامية كلها في هذه الحقبة، وقد عبر فيه الاربليون عن المعاني الاجتماعية ابلغ تعبير وبذلك كشفوا النقاب عن جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في مدينتهم، وقد قيل الشكوى تخفف الهم وتزيل الالم^(١١٣) يبين النشابي في شكواه من السجن موقفه من الحياة والموت من خلال محنة السجن الاليمة بقلعة كرخيني (كركوك)، بعد ان ساءت علاقته بمظفر الدين، فتحدث عن تقلبات الدهر، والموت والفناء ويخاطب ذاته كي يخفف عنه الالام ويدعوه إلى التجمل بالصبر^(١١٤): (من البسيط)

ياقلب خفف عليك حزننا

واصبر فللصبر طيب مجنى

ويؤكد دناءة هذه الحياة فالمصير الحتمي للإنسان هو الفناء وان كانت هذه الحياة سفر طويل ولكن لا بد لها من نهاية، والدهر عنده يومان لاتدوم فيه السعادة ولا الشقاء:

هبك ملكت البلاد جمعا

الست تبلي الست تفنى؟

دنيا غدت كلها دنايا

فكل يوم تكون ادنى

ونحن ركب الانام فيها

نرحل عنها كما نزلنا

والدهر يومان ذا يهنى

بما أتاه وذا يعنى

ويمضى الشاعر بتسلية نفسه، واذابة همومه مستذكرا العبرة في قصص الانبياء، وحياة هؤلاء الانبياء المليئة بالحن والالام والشدائد وصبر الصحابة الكرام في الجهاد، والتضحية بالنفس، وذكر امم غابرة افنوا جميعاً، ويستلهم العظة والعبرة منهم، فلا مفر من جور الزمان الا التجمل بالصبر عند الشدائد والمصائب، وحسن الظن بالله:

فاصبر على الحلم في الرزايا

واحسن برب السماء ظنا

وتب إليه تجد كريما

يجزي على السيئات حسنا

أما الشاعر حسام الدين الحاجري فقد ذاق مرارة السجن والالامه ايضاً، وقد تبين لنا في

دراسة سيرة حياته انه تمادي في المجون والخلاعة وشرب الخمرة والجهرة كما في قوله^(١١٥): (من الخفيف)

لدواعي الهوى وفرط الخلاعة

الف سمع لا للوقار وطاعة

يانديمي عرجابي جميعا

نشرب الراح كالصلاة جماعة

فشكاه الناس إلى مظفر الدين، فرمى به في السجن^(١١٦) وكانت ايامه قاسية وهو يبعث بشعره الحزين إلى اصدقائه يترجون مظفر الدين في اطلاق سراحه، فاستجاب لهم واطلق سراحه ولكن بعد ان لبس ثوب المتصوفة واستدعى إلى مجلسه^(١١٧) ومن اشعاره في السجن التي تنضح مرارة وشكوى نقتطف هذه الابيات^(١١٨): (من الكامل)

قيد اكابده وسجن ضيق

يارب شاب في الهموم المفرق

ان لم يكن فرج فموت عاجل

إن الحمام من الرزايا ارفق

يابرق ان جزت الديار باربل

وعلا عليك من التداني رونق

قل يا جعلت ملء الفدا اسيركم

من كل مشتاق اليكم اشوق

اما شكواه من خلال حادثة مقتله، فنترك الحديث لابن الشعار الموصللي، وهو يقول (وكتب الحاجري إلى الامير شمس الدين أبي الفضائل باتكين المستنصري، وكان يومئذ متولياً لمدينة اربيل قبل قتله، وكان قد احس بذلك قائلاً^(١١٩): (من الكامل)

اشكوك ياملك البسيطة حالة

لم تبقي رعبا في عضوا ساكنا

ان تستبح ابلي لقيطة معشر

ممن أأمل غير جاشك مازنا

ياللعجائب كيف يصبح خائفا

من بات في حرم الخلافة قاطنا؟

ومع ذلك فلم يستطع الامير باكتكين ان يفعل له شيئاً، واعدائه يتربصون به، حتى قتل وهو

خارج ذات يوم من داره قبل الظهر، وثب عليه رجل قطعنه بسكين طعنة مميتة لم تمهله طويلاً^(١٢٠) ويبدو ان الوزير ابن المستوفي قد تعرض مثل صديقه الحاجري إلى اعتداء بالسكين أيضاً، فقد خرج من المسجد ليلاً حيث وثب عليه مجهول وضربه بسكين قاصدا فواده، فالتقت الضربة بعضده فجرحته، وكتب بهذه المناسبة إلى مظفر الدين شكواه^(١٢١): (من الطويل)

ياأيها الملك الذي سطواته

في فعلها يتعجب المريح

آيات جودك محكم تنزيلها

لا ناسخ فيها ولا منسوخ

أشكو اليك وما بليت بمثلها

شنعاء ذكر حديثها تاريخ

وهكذا تبين ان شعر الشكوى قليل في اربيل، ومع ذلك فقد تجاوز حياة الافراد إلى اظهار جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية، فليس لدى الشاعر وسيلة سوى ان يطلق لسانه لبيان معاناته التي هي معاناة الاخرين ايضاً.

المراسلات الشعرية:

وهي مظهر من مظاهر التعبير عن العلاقات الاجتماعية التي تربط الناس ببعضهم^(١٢٢) وكثيراً ما تقوم مقام الرسائل النثرية التي تكتب في المناسبات المتعددة^(١٢٣) ويبدو ان هذه الرسائل الشعرية في هذه الحقبة غدت مظهراً معروفاً بين الابداء^(١٢٤) وقد تعددت موضوعاتها بسبب الحياة الحضرية في العصر العباسي، وما أحدثته هذه الحياة من علاقات اجتماعية وتقاليد جديدة، أما موضوعات الرسائل الشعرية في اربيل فهي كثيرة، ومنها: التهنية، وتقديم الشكر، والاعتذار، والتعاب، ومخالفة المواعيد، والشوق والحزن، وتبادل الالغاز ماشابه ذلك.

فقد ظلت المناسبات الدينية فرصة ملائمة انتهزها الابداء لتبادل التهاني مع المسؤولين وغيرهم، وقد هنا النشابي الاربلي الوزير احمد بن الناقد بقدم شهر رمضان المبارك، متمنياً له السعادة، ودائم الإقامة في ظل الخليفة المستنصر بالله العباسي، بقوله^(١٢٥) (من الكامل)

فتهني ذا الشهر الشريف فانه

شهر يعيد لك الهناء مجددا

لازلت في ظل الخليفة حاكماً

في الارض ممتدا الظلال مؤيداً

ويهنئه بعيد الفطر المبارك بعد انقضاء الشهر الجليل^(١٢٦): (من الوافر)

تهن بعيديك الاتي بشيرا

لعمرك ان تطول مدى الدهور

كان الناس حولك كل يوم

من التكبير في عيد كبير

ويكتب ابو احمد الفزاري الاربلي^(١٢٧) إلى الوزير ابي البركات ابن المستوفي وزير اربيل رسالة تهنية بمناسبة عيد الاضحى المبارك، ويذكر فيها تفاؤل الناس جميعا بذكر اسمه في المحافل الذي هو خير وبركة بقوله: (من الطويل)

ابا البركات العيد وافاك مقبلا

بسعد فكن ياسعد للبر قابلا

اتاك اناس للتهاني فصادفوا

من اسمك فألا للخلق شاملا

اما تقديم الشكر فكثيرا ما يترافق مع طلب شيء يستوجب تقديم الشكر والعرفان لصاحبه فالنشابي بعدما يغمره الخليفة المستنصر بالله بعطاياه السخية التي جعلت من حياته جنة وارفة الظلال، يوجه له رسالة شكر بقوله^(١٢٨): (من الرجز)

وها أنا في ظله في جنة

وفي عطايا كفه في كوثر

شكرته وما في شكري له

لان بعض شكره لم يحصر

وهذه رسالة شكر أخرى من ابي العباس بن شجاع الاربلي^(١٢٩) ال ابي الحسن علي بن شماس كاتب ديوان الانشاء بربيل، بعد أن توسط لدى مظفر الدين باخراجه من السجن وهناك قصيدة كاملة في هذا الموضوع نقتطف هذين البيتين: (من الطويل)

فشكري لما اوليتني صنيعة

متممة بالشكر اثقل كاهلي

وقد كنت اشكو الحبس والجوع هاجع

فما زادني الاظلاف غير البلايل

فالشاعر الاربلي هو ابن مجتمعه، من حقه ان يصادق الناس، وان يعتذر منهم إذا بادروهم بسوء أو كلمة نابية، ويصبح حينئذ الاعتذار وسيلة حضرية تساعد على إعادة الود والصفاء

بين الاصحاب وكثرة هذا الشعر دليل على متانة العلاقات الاجتماعية بين الادباء وغيرهم، وقد وجدنا شعرا متميزا في هذا المجال نختار رسالتين شعريتين فقط للاستشهاد الاولى اعتذار عبدالرحمن بن منصور القنطري الاربلي^(١٣٠) للوزير ابن المستوفي في شيء بلغه عنه، وفيها يتذلل له ويرجو منه المغفرة والعفو بعد شعوره بالخزي والندم على فعلته هذه: (من البسيط)

مولاي ياشراف الدين الذي شرفت

به الاماجد من عرب ومن عجم

يامعدن الجود قد وافاك عبد وفا

مقود فيك بالاحسان والكرم

معفرا فوق ترب الارض وجنته

خزيان يقرع اسنان من الندم

اقبل معاذير عبد جاء معتذرا

يثنى عليك بما اوليت من نعم

والرسالة الثانية من النشابي الاربلي إلى الوزير نصير الدين وزير الخليفة المستنصر بالله العباس كتبها حينما جلد جزءا من شعره في مدائح هذا الخليفة، وكان في يده جزءا من الربعة الشريفة^(١٣١) فاراد ان يحمل المديح اليه فحمل جزء الربعة. وبعد ان علم ذلك عرف بانه اخطا، وفي هذا يقول^(١٣٢): (من الطويل)

عجبت وقد اودعت جزء مدائح الـ

امام اهنيه بعييد به اتصل

فحاولت حمل الجزء يوم هنائه

فسابقني القران عن مدحه بدل

ولم يكن سهوا اذ تبذل مدحه

بجزء من القران كي يحدث الخجل

وقد كان بالقران اولى مدائحا

لان الله في حقه نزل

ويندرج العتاب ضمن الاعتذار في مضمونه الاجتماعي، وقد وقفنا على رسالتين شعريتين في عتاب متبادل بين الشاعر هاشم عبدالسلام الاربلي^(١٣٣) والنشابي الاربلي، يفهم من رسالة النشابي انه خدع زميله، واطال عليه لسانه حين يقول^(١٣٤): (من الطويل)

وكيف احتيالي فيك اذ لم يكن
إلى وداك الا بالخدع طريق
ولست بخداع وما ان جرى على
لساني قول كان فيه خلوق
فاجابه صاحبه هاشم عبدالسلام على الروي والرزن نفسيهما: (من الطويل)
لعمري ماساد الكرام اولو النهى
يهجو ولاسب الرجال يليق
ولا انا ممن يجهل الناس حالتي
ولا انا ممن لايقال صديق

وعرف ابن الظهير الاربلي بالظرافة والملاحة مع اصحابه، وكانت له معهم مطارحات شعرية
ومن باب مخالفة المواعيد، ما جاء في رسالة شعرية ارسلها الشاعر إلى الشيخ شهاب الدين
محمود^(١٣٥) وفخرالدين ابن الجنان^(١٣٦) حينما وعدا الشاعر بشيء ما لم ينفذا وعدهما
ويشبه هذا الموعد بالسراب، ويتأسف على حسن ظنه بهما، والخداع والمماطلة ليس من شيمة
الأصحاب^(١٣٧): (من مخلص البسيط)

مواعيد الفخر والشهاب
اكذب من لامع السراب
أحسننت بالسيديين ظنا
فكان نقيبا على ضراب
كم اخلفاني فخلفاني
اذ كنت غرا التراب
راغا وزاغا وليس هذا ال
خداع من شيمة الاصحاب

واذا ما تحدثنا عن شعر الانطباعات الوجدانية فعلينا ان نبحت في الشعر الذي يظهر
الشوق والود والحنين الذي ينطوي على دلالات اجتماعية كبيرة،^(١٣٨) فالحاجري الذي ظل
زمننا مقيما بالموصل يتمتع بمناظرها الجميلة، يقضي اجمل الساعات بين أصدقائه الا ان
شوقه وحنينه إلى مدينته اربيل حيث حربع صباه بات هاجسا يقلقه، فكتب وهو بالموصل سنة
٦١٩هـ) رسالة إلى صديقة ضياء الدين عيسى، وهو اخو ابن خلكان صاحب وفيات
الاعيان^(١٣٩)، ضمنها هذين البيتين اللذين يعبران عن حالة الياس والقنوط التي كان يعيشها

بعيدا عن مدينته: (١٤٠) (من البسط)

اللّهُ يعلم ابقى سوى رمق

مني فراقك يامن قربه امل

فابعث كتابك واستودعه تعزية

فربما مت شوقا قبل ما يصل

ويذرف ابن خلكان الدموع على ديار الاحباب باربيل بعد فراقه عنها، ويبث شوقه وحنينه،

بقوله (١٤١): (من الخفيف)

ياديوار الاحباب لازالت الاد

مع في ترب ساحتك مذاله

وتمشي النسيم وهو عليك

في مغانك ساحبا أذياه

وحيثما يودع الوزير ابن المستوفي اربيل متأثرا متحسرا بعد خرابها بيد التتر حاملا كتبه

ومتاعه متوجها إلى الموصل، لا يقدر على اخفاء مشاعره في لحظة الفراق، فتثير عند الاشجان

والحنين إلى مدينته واهلها الذين عاشهم سنينا طويلة، لذلك نسمعه يردد مع نفسه ابياتا

يقول فيها (١٤٢): (من البسيط)

فارقتم مكرها لاكارها ويدي

اعضها ندما اذا لم امت كمدا

والله لو ان أيامي تطاوعني

على اختياري ما فارقتمك ابدا

ومن الشعراء من اقام في اربيل مدة واشتاق إلى موطنه، فالاديب ابو المعالي اسعد بن على

الحظيري (١٤٣) يحن إلى الحظيرة حيث منزله واهله: (من المتقارب)

الا من لصب قليل العزاء

غريب يحن إلى المنزل

ينادي باربيل احبابه

وانى الحظيرة من اربل

ولم تخل هذه الرسائل الشعرية من بعض الغلو والمبالغة في اظهار الشوق والحنين، كما

جاء في قول جعفر بن محمد الاربلي (١٤٤) الذي يشبه رسالته بحديقة تثمر ازهارها عطرا

وهي اسحر من ظبي غريب وانها بلسم شاف لمن تضمنت جوانحه هموما: (من البسيط)

ولو اني كتبت بقدر شوقي
اليك لضاق عن كتبي ارج
فكان احسن من سحر تقليية
اجفان ظبي مراض حشوها غنج
فبت اشقى به داء تضمنه
جوانح بات فيها الهم يعتلج
وتعد الالغاز من الرسائل الشعرية، وهي من اخفى الاشارات لانها تحتاج إلى كد الذهن
واتعاب الفكر^(١٤٥) ومثال ذلك قول ابن خلكان في النارنج^(١٤٦): (من الكامل)
ما اسم اذا صحفته الفيته
من بعد ذاك ولفظه تأريخ
في ضمنه نار اذا خففتها
لاحجرها وار ولا منفوخ
ياريح بلغ من احب تحيتي
ان المجيب لما يقول مصيخ
ويظهر ان الشعر العربي في اربيل كان يردد على الالسنه جميعها " وفي حلقات الوعظ
ايضاً، وهذا ابو المعالي ابن سبنبوا الذي ورد اربيل^(١٤٧)، وعقد مجلسا للوعظ والارشاد
بالمصلى التي كانت قديما يصلي فيها على الموتى^(١٤٨) فأنشد من خلال وعظه شعرا قائلا
قوموا بنا إلى الله
لانبتغي سوى الله
ان القـرآن حق
به تكلم الله
بأحرف واصوات
مسموعة من الله
من قال غير هذا
عليه رحمه الله
فقامت جماعة في المجلس، وقالوا: (عليك لعنة الله)، وانصرفوا، فأنتفض المجلس واذا
تأملنا هذا الشعر نجده يرسم لنا بعض الصور العاطفية النبيلة للحياة الاجتماعية في اربيل،
كما يحكي نزعات الشعراء وميولهم الفردية.

البكاء من المشيب:

يعد الشيب من المشكلات الذاتية، يخرج عن خصوصيتها إلى نطاق انساني واسع تواجهه البشر جميعا، والتفت الشعراء إليها بعد ان اشتعلت رؤوسهم شيبا، وكان لشعر الشيب صدى في اربيل.

اختلفت مواقف الشعراء من الشيب، ومن الذين بكى عليه وتحسر على زمن الصبا والشباب الذي مر كالطيف خاطفا سريعا النشابي الاربلي قائلًا^(١٤٩): (من الكامل)

زمن صبا ماكنت الا زائرا
كانت زيارته كلمحة بارق
غمضت جفني والتصابي سايحة
وفتحت فرايت شيب مفارقي
فكان شيبى لم يزال وانما
كان الشباب خيال طيف طارق
لو كان ينفعني البكاء على الصبا
لبكيت من شوق له بشقائق

اما الحاجري الاربلي فينظر إلى الشيب من زاوية اخرى، فكل شيء عنده هين غير فراق الشباب وحيوته، لذا يرغب بأغتنام الفرص وارتشاف اللذات لان العمر طال فهو لمعة من السراب^(١٥٠): (من الخفيف)

ولعمري قد يهون عليه
كل شيء الا فراق الشباب
فاذا امكنتك فرصة لهو
فاقدح زنادها بشهاب
وتغنم صفو الزمان فان الـ
عمر ان طال لمعة من سراب

ومن الشعراء من يشفق ويحن إلى ايام الشباب بعد ان بلغ من العمر عتيا، ويتمنى يانسا ان تعود ايام الشباب، ولكن هيهات، وهذا صفي الدين منصور الاربلي^(١٥١). يقول: (من الكامل)

اشفاق ايام الشباب وحسن ما
فعلت وحق لمثلها يشفاق

ردوا علي من الشباب بقدر ما
كسد المشيب فللشباب نفاق
وقد تشترك رؤية شاعرين من المشيب، ويتخذان منه موقفاً واحداً، وهو موقف المتفائل
بالحياة وينكران ان يكون المشيب نذير الموت، يقول ابو الربيع الاربلي^(١٥٢): (من البسيط)
قالوا المشيب نذير الموت قلت لهم
كم من صغير قضى نحبا وما شابا
وكم رأينا فتى السن قد علقت
به شعوب وشيخا عاش احقابا
وكذلك ابن الظهير فانه لا يتفاجع ولا يتشاعم، فاشتعال الرأس بالشيب امر لا يد منه، لكن
المؤلم عنده رؤية فقدان الاصحاب حينما يطيل العمر بالانسان^(١٥٣): (من الخفيف)
ان طول الحياة داء وما نف
ع حياة لمن قضت اترابه
واذا المرء طال عمرا أذاقت
ه المنايا بفقدها اصحابه
وانتهى نقصه وعشش بازال
شيب في رأسه وطار غرابه
واذا كان اخر الامر هذا
فلماذا على الحياة اكتئاب
وهناك من الشعراء من يرى المشيب انذارا بالرجوع إلى عبادة الله، وغسل الاثم والذنوب،
فقد دنت ساعة الاجل، يقول ابن الجارودي الماراني^(١٥٤): (من المتقارب)
مشيب اتى وشباب رحل
احل العناء به حيث حل
وعمري تغضى بلا طاعة
فويحك يا نفس ماذا الزلل
وذنبك اثم الا فأرجعي
وعودي فقد حان وقت الاجل
وقد جاء هذا اللون من البكاء في اربيل نتيجة عودة الشاعر إلى ذاته بعد سيرة عمر طويل
ويأتي احيانا عند ظهور بوادر الشيب المبكر او في نهاية الشيخوخة، وفيه احساس بالهرم،
وذهاب النضارة، ودنو الاجل.

الصبر والقناعة:

الصبر والقناعة خصلتان رفيعتان في اخلاق الانسان، فنوائب الدهر وشدائد الزمان تهون على الصابرين^(١٥٥) فالشعر الذي قيل في الصبر والقناعة قليل في أربيل بأستثناء ابن الظهير الاربلي الذي نظم قصيدة طويلة في فلسفة الحياة، وهي ثمرة الخبرة، وكانت كثيرة الانتشار بين اوساط المثقفين، ولا سيما حين يعضهم الدهر بناه، والقصيدة فاقت في طولها القصائد المشابهة لها في الغرض، قال ابن كثير " وهي طويلة جداً قريبة في مائة وخمسين بيتاً^(١٥٦) اما في ديوانه المطبوع فتقع في مائة وواحد وعشرين بيتاً مطلعها^(١٥٧): (ومن الخفيف)

كلّ حيّ إلى الممات مآبه

ومدى عمره سريع ذهابه

فالشاعر في هذه القصيدة يرشدنا إلى نواح متعددة في حياتنا، ويتطرق ايضاً إلى مسألة التمسك بالصبر، لأن معرفة عاقبة الصبر تخفف المصائب وسوف يحصل الصابر على مراده عاجلاً ام آجلاً:

واذا ما علمت عاقبة الصبر

عليه هانت عليك صعابه

ولكم قرب البعيد لك الصبر

وكم بعد القريب ارتقابه

وتطرق الشاعر ابن الظهير الاربلي إلى مسألة القناعة ايضاً، وهي عنده الرضا بما تسير للانسان في حياته من عيش اما الانسياق في الطمع فسيحول الانسان إلى عبد ذليل، والفقير عنده غني مادام يطلب رزقه من الله طامعاً في بابه لا في باب غيره:

كن قنوعاً بما تسير فالطا

مع عبد ما تنقضي آراهه

وغنيا، وانت في غاية الفقر

برب طاعااته ابوابه

والحاجري يستلهم الصبر داعياً إليه عند هجران الاصحاب وفقدانهم، ويبذل الغالي والرخيص لتوثيق حبل المودة والوفاء بقوله^(١٥٨): (من الكامل)

صبراً غريم الشوق منه مفلس

دمعي المقر به فلم لا يحبس؟

افدي الذين لهم وثائق صحبة

عند الوفاء لها تباع الانفس

وقد يقع الباحث على شعر طريف في هذا المجال وقد وجدنا قصيدة طريفة لأبي البر
الاريلي مطلعها^(١٥٩): (مجزوء الرمل)

لأذيقنك فقدي

راغباً عنك بجهددي

ويبدو من قراءة نصوصها ان الشاعر طرد من عمله من قبل سيده المدعو ضياء الدين
بسبب سؤ الظن به، او خيانتته لصاحب العمل لذا فانه يدافع عن نفسه، وينفي عن نفسه تهمة
الخيانة، ويؤكد وفاءه واخلاصه لسيده، ويبين له صبره وقناعته بأكله خبز الشعير:

كعت من خبز شعير

اكله حرق كبدي

طال مكثي ومقامي

بين فلاح وكرددي

ويعلن ان صبره وتحمله في عمله المناط به، واحتماله الضيم والشقاء يعود إلى انه الوحيد
الذي لا معيل له، وهو الفقير الذي يحتاج إلى رغيف خبز يسد جوعه وقميص يستر جلده:

فلما احتمل الضيد

م لأهلي أم لولدي

عيلتي بطني واني

جملة التكميل وحدي

برغيف وقميص

متعش متردي

فبذا اشبع بطني

وبدا استر جلدي

وفي ختام القصيدة يعاتب الظروف القاسية التي جعلته في هذه الحال فهو يعاني الحر
صيفاً والبرد شتاءً، وهو موت في الحالتين، لذا فهو لا يحتاج إلى من يحفر له اللحد:

هكذا طول زماني

حالتني حر وبرد

واذا مت فما يع

وز من يحفر لحدي

وهنا يجسد الشاعر مشكلته ومشكلة مئات العمال مع ارباب العمل في مدينة اربيل ويبدو

من النظر في هذه النصوص القليلة ان شعراء اربيل، تمسكوا بالصبر والقناعة.
حينما كانت تداهمهم نوازل الزمان، ومصائب الدهر للتخفيف من اثرها المؤلم في نفوسهم.

الهوامش:

- (١) دائرة المعارف الاسلامية، مادة اربيل، العراق قديماً، حديثاً / ٢٣٦.
- (٢) ينظر: كتاب اربيل في العهد الاتابكي، والحياة العلمية في اربيل (رسالة ماجستير).
- (٣) هو زين الدين علي المعروف بكجك، ملك اربيل وبلاداً كثيرة وعمر طويلاً، توفي باربيل سنة ٥٦٢هـ، وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة (وفيات الاعيان) / ٤: ١١٤.
- (٤) هو مظفر الدين بن زين الدين علي كجك، المعروف بالكوكيري، وهو اسم اعجمي معناه (الذئب الازرق)، ولد بقلعة الموصل سنة ٥٤٩هـ وتوفي باربيل سنة ٦٣٠هـ (وفيات الاعيان) / ٤ / ١٢٠.
- (٥) ينظر: مظفر الدين أمير اربيل / ٣٠.
- (٦) وفيات الاعيان / ٤ / ١١٩.
- (٧) تاريخ اربيل / ١٨٨، ٤٥٩.
- (٨) حققة السيد سامي الصقار، وقد وصل إلينا الجزء الثاني منه بأسم تأريخ اربيل.
- (٩) وفيات الاعيان / ٤ / ١١٩.
- (١٠) وفيات الاعيان / ٤ / ١١٩.
- (١١) وهو ابو بركات المبارك بن أبي احمد المعروف بابن المستوفي اربلي، كان رئيساً جليل القدر ماهراً في فنون الادب توفي سنة ٦٣٧هـ (وفيات الاعيان / ٤ / ١٤٧).
- (١٢) فن الديح / ١٩٩.
- (١٣) الشعر العربي في اربيل في العهد الاتابكي (رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين ١٩٩٢).
- (١٤) ينظر المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري / ٨.
- (١٥) الأدب في عصر صلاح الدين للايوبي / ٤٤-٤٥.
- (١٦) ينظر الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري / ١٦٤.
- (١٧) تنظر ترجمة في (ذيل مرآة الزمان ٣/٣٨٦، الوافي بالوفيات ٢/٣٨٦).
- (١٨) فوات الوفيات / ٢ / ٣٥٤.
- (١٩) ديوان ابن الظهير اربلي / ٥١.
- (٢٠) التذكرة الفخرية / ٩٩.
- (٢١) ديوان ابن الظهير اربلي / ٥٨.
- (٢٢)
- (٢٣) المصدر نفسه / ٧ / ١٠٩.

- (٢٤) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٣ / ٣٩٤، والوافي بالوفيات ٩ / ٣٥).
- (٢٥) تنظر ترجمته (في الوافي بالوفيات ٧ / ٢٩٦، وقلائد الجمان ١ / ٢٦٧ ب).
- (٢٦) ديوان النشابي / ٣١١.
- (٢٧) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٣ / ٥٠١، ذيل مرآة الزمان ٣ / ٣٥٠).
- (٢٨) ديوان الحاجري / ١٨٨.
- (٢٩) المصدر نفسه / ١٨٧.
- (٣٠) تنظر ترجمته في ذيل الروضتين / ١٢.
- (٣١) تاريخ اربل / ٣٧٨.
- (٣٢) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٤ / ١٤١).
- (٣٣) قلائد الجمان ٧ / ١٤٠ لم نجد هذه الابيات في ديوانه المطبوع.
- (٣٤) قلائد الجمان ٥ / ٣٠٧.
- (٣٥) ينظر التذكرة الفخرية / ١٦١ - ١٦٢.
- (٣٦) ظاهرة التكبسب في الشعر العربي / ٩٨.
- (٣٧) ينظر الادب في عصر صلاح الدين الايوبي / ٢٦٧.
- (٣٨) ديوان النشابي / ١٣٥.
- (٣٩) ديوان النشابي / ١٩٣.
- (٤٠) تنظر ترجمته في (البداية والنهاية ١٣ / ١٦٥، النجوم الزاهرة ٦ / ٢٥٠).
- (٤١) ديوان النشابي / ٢٧٣.
- (٤٢) ينظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي / ٣٦٧.
- (٤٣) تنظر ترجمة في (نكت الهميات في نكت العميان / ١٢٢).
- (٤٤) معجم البلدان ١ / ١٣٩.
- (٤٥) ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد / ٢٤٨.
- (٤٦) الهجاء / ١٠.
- (٤٧)
- (٤٨) فصول في الشعر ونقده / ٢٠.
- (٤٩) الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور / ١٣٩.
- (٥٠) قلائد الجمان ١ / ٢٦٠ ب.
- (٥١) لم نعثر على ترجمة له في المصادر المتوافرة.
- (٥٢) ديوان النشابي / ٣٠٦.
- (٥٣) ديوان النشابي / ٣٢٨.
- (٥٤) المصدر نفسه / ٣٠٢.

- (٥٥) تنظر ترجمته في مرآة الزمان ١ / ١١٢ .
- (٥٦): (من المتقارب)
- (٥٧) ديوان النشابي / ٣٢٩ .
- (٥٨) المصدر نفسه / ٣٢٩ .
- (٥٩) ديوان النشابي / ٣٤٤ .
- (٦٠) ينظر الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد / ١٢٦ .
- (٦١) ديوان النشابي / ٣٠٨ .
- (٦٢) تنظر ترجمته في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء / ٦٧١) .
- (٦٣) ديوان النشابي / ٣, ٦ .
- (٦٤) المداجي: المدارب الذي يسائر العداوة.
- (٦٥) لم نعثر على ترجمة له في المصادر المتوافرة.
- (٦٦) ديوان الحاجري / ٤٢٧ .
- (٦٧) ابو ماجد الشاوي: لم نعثر محقق الديوان على ترجمة له وذكر بانه يظن رجل كان يتعاطى كتابة الادعية والشعوذة في لربيل، واشتهر بها وبعد وفاته، اصبح علماً ينعى به كل من يمتهن هذه المهنة التي هي كتابة الادعية والشعوذة (ديوان الحاجري / ٢٤٧) .
- (٦٨) موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي / ١٣ .
- (٦٩) ديوان ابن الظهير / ٢٢ .
- (٧٠) ديوان الحاجري / ٣٣٣ .
- (٧١) ديوان انشابي / ٣٤٠ .
- (٧٢) المجتمع العراقي في القرن الرابع الهجري / ٦٩ .
- (٧٣) ديوان الحاجري / ٤٢١ .
- (٧٤) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني / ١٣٧ .
- (٧٥) الغصون الياضعة / ٧٩ .
- (٧٦) الغصون الياضعة / ٧٩ .
- (٧٧) معجم الادباء ١ / ٣٣٨ .
- (٧٨) آل بكتيكن - مظفر الدين كوكبري (مجلة) . ٢٢٩ .
- (٧٩) إتجاهات الالهجاء في القرن الثالث الهجري / ٨٥ .
- (٨٠) ذيل مرآة الزمان ٣ / ٣٠٥ .
- (٨١) معجم البلدان ١ / ١٣٩ .
- (٨٢) روشنبيري نوى (مجلة) / ٣٤ وبعدها .
- (٨٣) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي / ١٢٤ .

- (٨٤) الشكوى في الشعر القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير) / ٧.
- (٨٥) الشعر في البصرة خلال القرن الرابع الهجري / ٢٥.
- (٨٦) العصر العباسي الثاني / ٢٤١.
- (٨٧) رسالة الطيف / ٨٧.
- (٨٨) تلييس ابليس / ١٤٠.
- (٨٩) ديوان ابن الظهير / ٤٨.
- (٩٠) المجتمع العراقي في القرن الرابع الهجري / ٢٥٣.
- (٩١) ذيل مرآة الزمان / ٤ / ٨١.
- (٩٢) ينظر الادب في ظل بني بويه / ٣٤٣.
- (٩٣) ديوان الحاجري / ٣٦٨.
- (٩٤) الاسلام والحضارة العربية / ١ / ٣٢٧.
- (٩٥) وفيات الاعيان / ٣ / ٢٧٢.
- (٩٦) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية / ١٧.
- (٩٧) فوات الوفيات / ٢ / ٥٩.
- (٩٨) قلائد الجمال / ٥ / ٢٤٠.
- (٩٩) ديوان الحاجري / ٢٣٠.
- (١٠٠) الاندية الأدبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري / ١٤ - ١٥.
- (١٠١) ديوان ابن الظهير / ٤٩.
- (١٠٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين / ٢٢٤.
- (١٠٣) صورة الأرض / ١٩٦.
- (١٠٤) سوة البقرة / ٢٥٦.
- (١٠٥) ديوان الحاجري / ٢٠٤.
- (١٠٦) الصلاح: خادم المسجد
- (١٠٧) وفيات الاعيان / ٧ / ١٥.
- (١٠٨) الوافي بالوفيات / ٩ / ٣٧.
- (١٠٩) قلائد الجمال / ١٠ - ٧٠.
- (١١٠) مرآة الزمان / ٦٩٢.
- (١١١) وفيات الاعيان / ٧ / ١٣، وينظر ايضاً قلائد الجمال / ٣ / ١١٠.
- (١١٢) لنقد الأدبي الحديث / ٣٣٦.
- (١١٣) محاضرات الأدباء / ٢ / ٣٣٦.
- (١١٤) ديوان النشاب / ٣٣٧.

- (١١٥) ديوان الحاجري / ٢٥٣ .
- (١١٦) وفيات الاعيان ٣ / ٥٠٣ .
- (١١٧) اداب المستنصرية (مجلة) ١٠ / ٢٥٤ .
- (١١٨) ديوان الحاجري / ٢٥٣ .
- (١١٩) ديوان الحاجري / ٤٧٥ .
- (١٢٠) قلائد الجمان / ٥ / ٢٤٠ ب، وفيات الاعيان ٣ / ٥٠٤ .
- (١٢١) ينظر وفيات الاعيان ٤ / ١٤٩ .
- (١٢٢) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني / ٢٨٨ .
- (١٢٣) الادب في العصر الوسيط / ٩١ .
- (١٢٤) أدب الدول المتتابعة / ٥٧٣ .
- (١٢٥) ديوان النشابى / ٢٧٦ .
- (١٢٦) المصدر نفسه / ٢٧٨ .
- (١٢٧) قلائد الجمان ٣ / ٣٧٠ .
- (١٢٨) ديوان النشابى / ٢٨٨ .
- (١٢٩) تاريخ اربل / ٢٣٢ وينظر ايضاً الشعر العربي في لربل / ١١٤ .
- (١٣٠) قلائد الجمان ٣ / ٣٠٦، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربل / ١١٢ .
- (١٣١) الربعة: صندوق فيه اجزاء المصحف الشريف (تاج العروس ٥ / ٣٤٣ مادة (ربيع).
- (١٣٢) ديوان النشابى / ٣٢٧ .
- (١٣٣) تنظر ترجمته في وفيات الاعيان ٥ / ١٠٢ .
- (١٣٤) قلائد المان ٩ / ١١٩٤ .
- (١٣٥) تنظر ترجمته في فوات الوفيات ٤ / ٨٢ .
- (١٣٦) تنظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١ / ١٧٥ .
- (١٣٧) التذکر الفخرية / ٢٥٩ .
- (١٣٨) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني / ٢٩٧ .
- (١٣٩) وفيات الاعيان ٣ / ٥٠٢ .
- (١٤٠) ديوان الحاجري / ٤١٢ .
- (١٤١) وفيات الاعيان: ١ / ١١ .
- (١٤٢) التذكرة الفخرية / ١٠٥، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربيل / ١٢٢ .
- (١٤٣) وفيات الاعيان ١ / ٦٠٨ .
- (١٤٤) الحوادث الجامعة / ١٣٥ .
- (١٤٥) العمدة ١ / ٣٠١ .

- (١٤٦) ذيل مرآة الزمان ٤ / ١٥٩، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربيل / ١٢١.
- (١٤٧) تاريخ اربيل / ١٧٣.
- (١٤٨) ونحن لم نتعرف على هذا المكان لكثرة المساجد في امارة اربيل.
- (١٤٩) ديوان الشبابي / ٣٢٦.
- (١٥٠) ديوان الحاجري / ١٥٣.
- (١٥١) التذکر الفخرية / ٥٩.
- (١٥٢) قلائد الجمان ٣ / ٦٤.
- (١٥٣) ديوان ابن الظهير / ٢٣.
- (١٥٤) قلائد الجمان ٧ / ٣٣ب.
- (١٥٥) التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول / ٤٤٧.
- (١٥٦) البداية والنهاية ١٣ / ٢٨٣.
- (١٥٧) ديوان ابن الظهير ٢٠ - ٢٨.
- (١٥٨) ديوان الحاجري / ٢٣٩.
- (١٥٩) قلائد الجمان ٣ / ١٠٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، قحطان رشيد التميمي - دار المسيرة - بيروت (د.ت).
- ٢- ادب الدول المتتابعة، د. عمر موسى باشا، دار الفكر الحديث - القاهرة ١٩٦٣.
- ٣- الادب العربي في ظل بني بويه، محمود غناوي الزهيري - مط الامانة مصر ١٩٤٩.
- ٤- الادب في عصر صلاح الدين الايوبي. د. محمود زغلول سلام، مط المعارف مصر ١٩٤٨.
- ٥- الادب في العصر الوسيط، د. ناظم رشيد مط التعليم العالي - الموصل ١٩٨٩.
- ٦- اربيل في العهد الاتاكي. د. محسن محمد حسن، مط اسعد بغداد ١٩٧٦.
- ٧- الاسلام والحضارة العربية. محمد كرد علي، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٤.
- ٨- الاعلام خير الدين الزركلي - بيروت ١٩٦٨.
- ٩- الاندية الادبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري علي محمد هاشم، دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٨.
- ١٠- البداية والنهاية، ابن كثير مط السعادة، القاهرة ١٩٣٢.
- ١١- تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، المط الخيرية مصر ١٣٠٦هـ.
- ١٢- تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الثاني)، د. شوقي ضيف، مط دار المعارف القاهرة ١٩٧٥.
- ١٣- تاريخ اربل شرف الدين ابي البركات ابن المستوفي تحقيق: سامي الصقار وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٥.
- ١٤- التذكرة الفخرية، بهاء الدين المنشيء الاربلي، تح: د. نوري حمودي القيسي. د. حاتم صالح الضامن، مط المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٨٤.
- ١٥- التكملة لوفيات النقلة - زكي الدين ابو محمد المنذري، تحقيق: بشار عواد معروف دار احياء الكتاب العربي - القاهرة ١٩٧٦.
- ١٦- تلبيس ابليس، ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تمر: خيرالله علي، دار اوعي العربي، بيروت (د.ت).
- ١٧- التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول، د. مجاهد مصطفى بهجت، مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت ١٩٨٢.
- ١٨- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، المنسوب إلى عبد الرزاق بن الفوطي (ت ٧٢٢هـ) تح: د. مصطفى جواد، مط فرات: بغداد ١٣٥١هـ.
- ١٩- الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية، د. احمد بدوي، مط نهضة مصر القاهرة ١٩٥٤.
- ٢٠- الحياة العلمية في اربل في القرن السادس من منتصف القرن السابع للهجرة. اوميد ابراهيم - كلية الاداب - جامعة صلاح الدين ١٩٩٢ (رسالة ماجستير).
- ٢١- دائرة المعارف الاسلامية مط الاولى القاهرة ١٩٣٣.
- ٢٢- دراسات في الفاظ العامية الموصلية ومقارنتها. حازم بكري مطبعة اسعد بغداد ١٩٧٢.

- ٢٣- ديوان ابن الظهير الاربلي، محمد بن احمد بن عمر، تح: د. ناظم رشيد، مط دار الكتب الموصل ١٩٨٨.
- ٢٤- ديوان النشابى، مجدالدين اسعد بن ابراهيم الاربلي تح: عبدالله محمود طه كلية الاداب - جامعة الموصل ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).
- ٢٥- ذيل الروضتين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي، نشر عزة اسماعيل ١٩٤٧.
- ٢٦- ذيل مرآت ازمان في تاريخ الاعيان سبط ابن الجوزي مط دائرة المعارف العثمانية امعتمد ١٩٥١.
- ٢٧- رسالة الطيف، بهالدين الاربلي، تح: عبدالله الجبوري دار الجمهورية بغداد ١٩٦٨.
- ٢٨- الشعر العربي في اربل في العهد الاتابكي. عثمان امين صالح - كلية الاداب جامعة صلاح الدين ١٩٩٣. (رسالة ماجستير).
- ٢٩- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد. عبدالكريم توفيق عبود، دار الحرية بغداد ١٩٧٦.
- ٣٠- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي. د.علي جواد الطاهر مط المعارف بغداد ١٩٥٨.
- ٣١- الشعر في البصرة خلال القرن الرابع الهجري نهلة محمد حسن - دار الحكمة، البصرة ١٩٩١.
- ٣٢- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري د. احمد عبدالستار الجواري دار المجشوف بيروت ١٩٥٦.
- ٣٣- الشعر وطوابعه الشعبية، د. شوقي ضيف. مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧.
- ٣٤- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري. جواد رشيد مجيد. الجامعة المستنصرية كلية الاداب بغداد ١٩٨٨. (رسالة ماجستير).
- ٣٥- ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد، د. محمد زغلول سلام مط الرسالة القاهرة (د.ت).
- ٣٦- طبقات النجاة واللغويين. ابن قاضي شهبة تح: د. محسن غياض مط النعمان النجف ١٩٥٤.
- ٣٧- ظاهرة التكبس واثرها في الشعر العربي ونقده، د. درويش الجندي، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٠.
- ٣٨- العراق قديماً وحديثاً. عبدالرزاق الحسني. مط دار الكتب، بيروت ١٩٧١.
- ٣٩- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده. ابو علي بن رشيق القيرواني. تح: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل بيروت ١٩٧٢.
- ٤٠- عيون التواريخ. ابن شاکر الكتبي (ت ٧٦٤هـ). د. فيصل السامر. نبيلة عبدالمنعم داود. دار الرشيد بغداد ١٩٨٠.
- ٤١- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة. ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٨٥هـ) تح: ابراهيم الايباري- مط دار المعارف- القاهرة ١٩٦٧.
- ٤٢- فصول في الشعر ونقده. د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧١.
- ٤٣- فن المديح وتطوره عند العرب. احمد ابو حاقه. منشورات الشرق الجديد بيروت ١٩٦٢.
- ٤٤- فن الهجاء وتطوره عند العرب، ايليا حاوي. مط دار الثقافة بيروت (د.ت).
- ٤٥- فوات الوفيات محمد شاکر الكتبي. تح محمد محي الدين عبدالحميد. مط السعادة مصر ١٩٥١.

- ٤٦- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان. كمال الدين ابي البركات المبارك بن الشعار الموصلية. مصورة كلية التربية- جامعة الموصل من مخطوطة اسعد افندي استانبول تحت رقم (٢٣٢٦).
- ٤٧- المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري، عبداللطيف عبدالرحمن الراوي مكتبة النهضة بغداد ١٩٧١.
- ٤٨- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. ابو القاسم حسين الراغب الاصهاني مكتبة الحياة بيروت (د. ت).
- ٤٩- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان. سبط ابن الجوزي. مجلس دائرة المعارف العثمانية المعند ١٩٥١.
- ٥٠- مطالعات في الشعر الملوكي والعثماني. بكري شيخ امين - دار الافاق الجديدة. بيروت ١٩٨٠.
- ٥١- مظفر الدين امير اربيل. عبدالقادر احمد طليعات. مط مصر القاهرة ١٩٦٣.
- ٥٢- معجم الادباء ياقوت الحموي. دار المستشرق بيروت ١٩٥٥.
- ٥٣- معجم البلدان. ياقوت الحموي. مط دار صادر بيروت ١٩٥٥.
- ٥٤- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي. د. محمد زكي العشماوي. دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١.
- ٥٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين يوسف بن تقري بردي الانابكي دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٥.
- ٥٦- النقد الادبي الحديث. د. محمد غنيمي هلال دار نهضة مصر للطبع. مط نهضة مصر (د. ت).
- ٥٧- نكت الهميان في نكت العميان. خليل بن ابيك الصفدي. مط الجمالية. القاهرة ١٩١١.
- ٥٨- الهجاء والهجاؤون في صدر الاسلام. د. محمد حسين. مكتبة الاداب. الاسكندرية ١٩٤٨.
- ٦٠- هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المصنفين اسماعيل باشا البغدادي (ت ٣٣٩هـ) مط المعارف - استانبول ١٩٥١.
- ٦١- الوافي بالوفيات صلاح الدين بن ابيك الصفدي. تح: س. ديدرفيع. مط الهاشمية. دمشق ١٩٥٥، الجزء الرابع، د. احسان مط دار صادر بيروت ١٩٦٩. الجزء السابع.
- ٦٢- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان. تح: د. احسان عباي، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨.

المجلات والدوريات

- ١- ال بكتكين امارة اربيل في عهدهم. عباس العزاوي، من مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق ٢١ - ٢٢، سنة ١٩٤٦، ١٩٤٧.
- ٢- حسام الدين الحاجري الاربلي - حياته وشعره - د. ناظم رشيد، مجلة اداب المستنصرية، مجلد ١٠ سنة ١٩٨٤.
- ٣- الشعر في اربيل في ظل الاسرة البكتينية ٥٢٦ - ٦٣٠هـ، د. ناظم رشيد، مجلة اداب الرافدين، مجلد ٩ سنة ١٩٧٨.
- ٤- هوليتر له دوو قهسيدهى نوشيروانى بهغداديدا د. عبدالله الحداد، مجلة روشنييري نوى عدد ١٠، مؤسسة الثقافة والنشر الكردية، بغداد ١٩٩٣.

الفصل الخامس

إربل في شعر الشعراء

المقدمة:

أصبحت إربل (أربيل) مركزاً للإمارة الهمدانية والأتابكية في القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الهجريين، وقد شهدت طيلة هذه الحقبة الزمنية استقراراً ورخاءً، أدت إلى بروز طائفة من الأدباء، فيها وانتقلت إليها أعداد أخرى من الوافدين. إذ تمتع الجميع بالرعاية الكريمة من لدن أمراء إربل وأهلها، فانصرف الشعراء إلى أنفسهم يستمدون الوحي من هذه المدينة للتعبير عن مشاعرهم الذاتية الخاصة، فكان شعرهم في إربل دليل على نمو هذه البلدة ورفقيها، فقد بهرتهم سهولها ورياضها، فوصفوها بعيداً عن الأوصاف التقليدية في وصف الصحراء ورمالها كما أن الشعراء تناولوا المدينة بالمدح الذي هو من الموضوعات المتجددة بمعانيها وألفاظها، وفي الوقت نفسه برزوا في هجائها وذمها لأسباب مختلفة، ومن جانب آخر سخروا أقلامهم في التعبير عن حنينهم وشوقهم إليها حين يرحلون عنها، ويرثونها أيام نكبتها بيد المغول. ولعل الباحث على اختيار هذه الدراسة، وهو الوقوف على النشاط الأدبي في هذه المدينة، وإبراز دور شعرائها في الاهتمام بمدينتهم وإعجابهم بها ومما تكمن فيه أهمية هذه الدراسة هو أن معظم الشعر الذي قيل في إربل كان من نظم شعراء كرد إذ وظفوا أقلامهم في خدمة اللغة العربية حباً بها. بغية الكشف عن أغوارها والإطلاع على أسرارها.

والجدير بالذكر أن ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) هو أول من أشار في طبقاته إلى صلة الشعراء بالمدن، حينما صنّف الشعراء على أساس الأقاليم والبيئات، حيث وجد تمايزاً بين شعراء البادية وشعراء المدن من حيث أساليبهم الفنية وتوجهاتهم الشعرية^(١) وجاء (بلاشير) من بعده ليفصل القول في هذا الموضوع حيث أشار إلى تأثير المدن في الشعر العربي، وصلة الشاعر الروحية بمدينته وبيئته^(٢) ومن وحي هذه الأفكار والمقولات قامت هذه الدراسة.

أما المصادر التي انتقينا منها النصوص الشعرية، فقد كانت معظمها لأدباء أنجبهم مدينة إربل من أمثال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وابن المستوفي صاحب تأريخ إربل فضلاً عن دواوين الشعراء ذات الصلة بالبحث، وكذلك اعتمدنا على مخطوطة (قلائد الجمال) في فرائد شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلية الذي عاش ردهاً من الزمن في إربل، وكلي أمل بأنني قد أديت لمدينتي أربيل جزءاً من الدين التي تحملني إياها كوني أحد أبناء هذه المدينة العريقة.

والله الموفق والمعين

التمهيد:

دبّ الهزال في كيان الدولة العباسية، وانسلخت عنها أرض، أسست عليها إمارات ومن هذه الإمارات أمارة إربل (أربيل) التي غدت بقلعتها الحصينة درعاً صينياً ومركزاً للعلم والأدب في حقبة حكم الهذبانين والأتابكة الذي امتد من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الهجريين.

برزت إربل حين أصبحت مركزاً للإمارة الهذبانية الكردية التي استمر حكمها إلى ما بعد سنة (٥٢٠هـ)، وقد اهتم الهذبانين بالناحية العمرانية، وكان جلّ اهتمامهم انصب على الجانب الحربي بسبب الظروف السياسية، وبسبب موقع الإمارة الجغرافي بين القوى المتصارعة^(٣) ومع ذلك فقد كانت هنالك نشاطات علمية وأدبية نتيجة لوجود مؤسسات تخدم هذه الجوانب التي منها المساجد والمدارس^(٤) وقد تمثلت هذه النشاطات في الأمير حسام الدين علي الهذباني الذي كان يعقد للأدب ولاسيما الشعر مجالس خاصة يفد إليها الشعراء ليمجدوا الأمراء ويخلدوا ذكراهم وماثرهم^(٥) واستمرّ هذا الرقي العلمي والأدبي في العهد الأتابكي أيضاً، حتى عدّ عصرهم بالعصر الذهبي في إحياء الثقافة العربية الإسلامية إذ كان لدور أمرائه أبلغ الأثر في ازدهار حركة أدبية وعلمية فقد بذلوا جهوداً كبيرة لتحقيق آمال العلماء، حيث أقاموا لهم مؤسسات ثقافية، ورفدوهم بالأموال الأزمة، حتى غدت إربل مدينة علم وأدب^(٦) وقد بلغت ذروة مجدها في عهد بعض أمراء أسرة الأتابكة، وبخاصة في عهد الأمير مجاهد الدين قايماز الرومي (ت ٥٥٩هـ) الذي كانت الكتب تهدي إليه من قبل العلماء والأدباء^(٧).

وفي عهد أميرها مظفر الدين كوكبري (ت ٦٣٠هـ) ازداد سكان إربل وتوسعت المدينة، وكثرت ثرواتها وخيراتها، وشهدت استقراراً وأمناً أديا إلى نشوء حضارة رافقتها نشاطات ثقافية وعملية متعددة قال ابن خلدون: "إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة"^(٨)

كان الأمير كوكبري حاكماً نبيلاً، وضع لنفسه دستوراً في إعمار إمارته وسار على هداه، إذ قال: "لما أخذت إربل آليت على نفسي أن أقسم مغلها ثلاثة أقسام: قسم أنفقه في أبواب البر، وقسم للجند، وما يخصني، وقسم أدخره لعدو يقصدني"^(٩) وكان صادقاً وأميناً في قوله: إذ أصبحت إربل مدينة منيعة وزاهية يتردد ذكراها على الألسن.

وقف الشعراء على أعمال هذا الأمير الجليلة، وتلمسوا أعطياته ومكرماته، وهذا أبو المكارم محمد بن عابد الكرمانلي^(١٠) (ت ٦١٦هـ) يخصه بقصيدة طويلة. يظهر فيها إحسانه على المعتفين ووقوفه إلى جانب المستضعفين^(١١): (من الكامل)

باب الملك مظفر الدين الذي
سبق الملوك بجوده الهطال
المحسن الطعام والمقدام من
أضحى بسؤدده عديم مثال
يجتازُ شأؤ المكرمات و وصفه
قدفات كلّ مجوّد قوال
ويقولُ فيها أيضاً:

أعجزت أرباب المكارم والعلی
بفضائل جلت عن الأمثال
وجمعت شمل الدين بعد تشتت
ونفيت عنه شغب كل ضلال
وصرفت عن حوماته قصد العدى
بكتائب الأجناد والأبطال
ورفعت أمر الشرع أرفع منزل
ودفعت أهل الطبع بالإبطال

ولعل من أعظم المجالس ارتياداً واستضافة للوافدين مجلس أبي البركات شرف الدين بن المستوفي الذي كان وزيراً لإمارة إربل، وقد شهد له الكثيرون بمنزلته العالية، وحسن استقباله للزائرين، قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) الذي زار إربل: "ودخلتها فلم أر فيها من ينسب إلى فضل غير أبي البركان بن أحمد بن المستوفي، فإنه متحقق بالأدب، محب لأهله، مفضل عليهم" (١٢) وكذلك نوه ابن الشعار الموصلية بمنزلته العلمية. فقال: "شمس إربل وبدرها، وعالمها البارع، وصدورها وفخر أمثالها، وجمال فضائلها... ربه مقصد الوافدين، وخبأوه كعبة القاصدين فهو من إسداء المعروف وسعة الإنفاق، ما سارت به الأمثال في أقطار الأفاق" (١٣) وقال فيه ابن خلكان: "لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا وبادر إلى زيارته" (١٤) بقيت إربل مأهولة بالسكان، لوقوعها في منطقة سهلية خصبة، وقد اشتهرت بالزراعة، وامتلكت ثروة حيوانية، وكانت محطة تجارية مهمة تلتقي فيها طرق القوافل، فقد نُكر اسمها على ألسنة التجار والرحالين (١٥) ولا شك أن الغالبية العظمى من سكان إربل كانوا من الكرد فضلاً عن الأقليات الأخرى من النصارى الذين كانوا يعيشون في ظل العدل

الذي وفه لهم المجتمع الإسلامي^(١٦) وبسبب موقع إربل الجغرافي فقد أصبحت في طبيعة المدن التي قصدها المغول " وعملوا الأعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلها من غيرهم"^(١٧) ومع ذلك فقد صمدت بوجه الغزو المغولي لسنوات طويلة بفضل متانة قلعتها وضمود أهل إربل من الكرد حتى دفع هذا الموقف البطولي بعض المؤرخين ليصفوا الكرد بالشجعان^(١٨).

وصف إربل:

يُعد الوصف من أهم أساليب التعبير، ومن أكثر الفنون الشعرية تأثراً بمعالم البيئة، وأقدرها تمثلاً لها، وقد اتجه الوصف في هذا العصر إلى الاهتمام بالجوانب المادية من طبيعية وحضارية^(١٩) وفي إربل وجدت دواعي الشعر الوصفي عند الشعراء سواء في ذلك الذي قيل والحياة فيها أنيسة، أو وصفها أيام المحن والكوارث.

زار الشاعر أبو الحسين الشروبي النساج الموصل^(٢٠) مدينة إربل ومكث فيها مدة، مستأنساً بحياة ناعمة وواحدة، أدخلت السرور والحبور إلى قلبه، وقبل مغادرته لإربل أراد أن يجسد مشاعره تجاهها فأنشد يصف ربيع إربل ورياضها ونسيمها، بقوله^(٢١): (من الكامل)

ربعٌ كسسته يد الغمام ربيعاً

ودعا فلباه النسيم مطيعاً

وسرت إليه من الجنوب جنائب

نشرن رايات الرياض جميعاً

وتنفست سحراً رياه فعلّمت

نشر الربيع وغيره التصويعا

وهمت عليه من البحار سحائب

من كل جوهرة تسحّ دموعاً

ورأى البنفسج ضوء برق خاله

عضباً بأذيال السحاب لموعاً

ويرسم لنا الشاعر لوحة جذابة مؤطرة عن سهول إربل أيام الربيع، وقد نسجت أيادي المطر ألواناً زاهية معطرة بنسيم عليل يهب طائفاً لقدم الربيع، وتنفث رباها أريجاً فواحاً على تلك الرياض ويأتي السحاب ليفرغ مياهه وكأن قطرتها دموع تغمر تلك الربيع المكسوة بوردة البنفسج. ونجد الصورة نفسها في وصف ربيع إربل وجوها الممتع البديع عند ابن الظهير الإربلي^(٢٢) في لوحة جميلة منتزعة من الطبيعة، يزهو الربيع بمباهجه وألوانه الرائعة المثيرة،

وهي صورة رسمتها يد شاعر ماهر بألفاظ سهلة واضحة وذات دلالات موحية في إيقاع موسيقي خفيف راقص قائلاً^(٢٣): (من مجزوء الكامل)

هذا الربيع وإنسه
عمر الفتى و زمانه
زمن يروك حسنه
ويشوق نفسك شأنه
قد زخرفت جناته
وتصنذلت غدرانه
وألم بالدوح النسي
م أريجة أردانه
فتجاوبت أطياره
وتحركت أفنانه
والعود أصبح مزهراً
ورق الحمام قيانه
وشدا الحمام بدوچه
فتمايلت أغصانه

أثارت طبيعة إربل السهلية الخصبة أحاسيس الشعراء، وبخاصة في موسم الربيع، وهم يتمتعون بمناظرها، وينعمون بخيراتها، لذلك سخرُوا أقلامهم في وصفها بقصائد ومقطوعات رائعة، فالشاعر حسام الدين الإربلي^(٢٤) في وصفه لربيع إربل، يذهب إلى تعداد أزهاره البديعة من نرجس وشقيق وياسمين وسوسن وبنفيج وأس، ويشبها بأشياء محسوسة لطيفة تثير الإعجاب، مشيراً في شعره إلى الطير الصادح، والشجر المتناوح، والنسيم الهاب العليل، بقوله^(٢٥): (من المجتث)

من نرجس وأقحاح
كأعين وثغور
ومن شقيق كحسنا
قد أقبلت في حرير
وياسمين كلون الـ
متيم المهجور

وسوسن كنجوم
 أشرقن في ديجور
 وطيب نشر النسيم الـ
 بنفسج المطور
 والأس شبه عذار
 بخد ظيي غرير
 والطير بين هديل
 مرجع وهدير
 والغصن ميال عطف
 كشارب مخمور
 والورد أقبل في جيد
 ش حسنه المنصور
 والماء أزرق صاف
 مرقرق بخيرير

وقد امتك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور
 والخيال حين شبه صورة النرجس بوجه حسناء باسمه وصورة لون الياسمين بلون العاشق
 الولهان، وزهرة السوسن بنجوم تتلألأ في الليلة الظلماء، وهذه ملكة عالية تستمد قدرتها من
 سعة الشعور حيناً ومن لطافته حيناً آخر. دون ابن المستوفي في كتابه شعراً كثيراً في وصف
 إربل، فقد نقل من خط يد الشاعر أبو حفص بن شماس الخزرجي (ت ٦٠٠هـ)^(٢٦) من جازاة
 يصف الشاعر النيلوفر^(٢٧) بالبركة التي كانت في إحدى قنوات المياه الأثرية في إربل، وكانت
 من أروع بساتين إربل وأجملها، فراح الشاعر يصور ما رآته حينه، مستوحياً عناصر
 الوصف من واقع بيئة المدينة، بقوله^(٢٨): (من الطويل)

ونيلوفر مثل النجوم ببركة
 كلون السماء وهي من خصر عذب
 يميل مع الشمس المنيرة مثلما
 تميل عيون العاشقين مع الحب
 فإن هي غابت نكس الرأس وحشة
 لها وانكساراً فعلة الدنف لصب

وأحسبه خاف المشاهد فاتقى أذاه

بأتراس من الورق الرطبِ

فالشاعر في هذا الوصف يتوقف عند صورة البركة ونشر الزهور في جنباتها وعذوبة مياها، مشبهاً إياها بالسماء ونجومها المتلألئة، وتعلق زهورها وعشقتها الأبدى بضيء الشمس، وميلها نحوها كما تميل أنظار العاشقين، وتهتز قلوبهم عند رؤية محبوباتهم، وحينما تحجب الشمس، تتراجع إلى نفسها منكسرة يائسة، لتحجب وجومها عن الأنظار وراء ظلال الأوراق الندية.

أما الأسترابادي^(٢٩) الذي كان يتردد إلى إربل فإنه يصف أحد معالم المدينة الذي هو رباط الجنينة الذي كان ينزل فيه الشاعر، وقد بني في عهد مظفر الدين، وهنا في أحيائها تشير انتباهه فتيات كرديات حسان. يتمتعن بجمال خارق، يسرن الناظرين ويسحرن الألباب، فأنشد في وصف أحدهن قائلاً^(٣٠): (من الكامل)

برباط إربل عانت عيناى

ظبياً به زاد طولُ بلائى

مستعجم متصرف قد أضرمت

عيناها نار الشوق في أحشائى

لولا الحياءُ يصدننى عن وصله

لهتكت عمداً فيه ستر حياى

أهدى إلى جسدى نحولاً خصره

حتى خفيت به عن الرقباءِ

ويبدو للباحث أن إربل قد توسعت في هذه الحقبة، وأنشئت فيها أماكن للتزهد والترفيه، تظللها الأشجار، وتغرد فيها الطيور، يقصدها الإربليون لقضاء أجمل الأوقات، فتأثر بها الشعراء، وشرعوا في وصف معالمها، ومن هؤلاء حسام الدين الحاجري الإربلي الذي أولع بمكان بالشرقي من إربل، يقضى أوقات نهاره هناك، وقد أعجب به الشاعر وظل يردده مراراً في شعره وبخاصة وصفه للخمرة وسقاتها، وفي مقطوعة له يذكر أحد منازل هذا الحي، ويصف الساقى الذي يجب أن يكون كريم الحيا، عذب الشمائل، ذا خد أسيل، وخصر نحيل، تخاله حين يمس الخيزرانة في اهترازها وترنمها^(٣١): (من الطويل)

لأطيب من ذكرى حبيب ومنزلٍ

بسقط اللوى دار بشرقي إربلِ

وصهباء كالمصباح في يد شادين
رقيق حواشي الخدّ عذب المقبل
يطوف بها كالخيزرانة ساحر الـ
جفون متى يلحظ بعينيه يقتل
وقوله أيضا^(٣٢): (من السريع)

إنكراً عهداً كنتَ عاهدتني
ونحن بالشـرقى من إربل
والكأس يحكيها نسيم الصبا
تخلج نشر المسك والمندل

وما دمنا بصدد وصف إربل، فعلينا ذكر بعض دياراتها التي كان الشعراء يكثر من
ارتيادها، والمكوث فيها " حيث يجدون كل ما تهفوا إليه نفوسهم من خمورها الجيدة المعتقة،
ويعقدون مجالس لهوهم ومجونهم في حرية تامة"^(٣٣) هذا حسام الدين الإربلي قد أكثر من
ذكره باقوقا^(٣٤) حيث تغنى بلياليه، ووصف خمرته، وأجوائه اللاهية بقوله^(٣٥): (من المنسرح)

يا دير باقوقا بالرهايين
بفضل ما جاء في الشعانين
حيث كؤوس المدام دائرة
والبدر في الأفق شبه عرجون
والراح في كأسها مشعشعة
كالشمس في بهجة وتلوين
يديرها أهيف شمائله
بلا ارتياب، أرق من ديني

مدح إربل:

وما أن حل العصر العباسي حتى اتسعت مدارك العقل الإنساني فراح الناس يجدون في
انتقاء معاني المديح وأساليبه وصوره مما استجد في العصر من موضوعات جديدة ومن
أبرزها مدح المدن، وبخاصة بعد نشوء المدن الحضارية مثل بغداد والبصرة والكوفة إذ تعلق
الشعراء بها، وشرعوا بنظم قصائد في مدحها قال هدارة: "ومن الاتجاهات الجديدة التي
ذهب إليها شعر المديح في القرن الثاني مدح المدن والتعصب لها والإفاضة في تعداد

محاسنها ونواحي جمالها"^(٣٦) وهذا ما ذهب إليه الدكتور عز الدين إسماعيل أيضاً حين قال: "هناك إطار آخر تحرك فيه المدح بعيداً عن الشخصوص الأدميين، ونعني به ما كان من مدح المدن"^(٣٧).

إن نمو المدينة وتوسعها في وقت واحد تداخلت فيها عوامل جذب إليها وعوامل تنفير منها، وهذه صفة طبيعية لكل مدينة، فالذي تجذبه يمدحها، والذي ينفر منها يهجوها ويذمها.

ومن هنا قدر لمدينة إربل أن يزورها الشاعر أبو عبد الله الواعظ الموصللي المعروف بأبن حداد^(٣٨) (ت ٦٢٦هـ)، فبعد رؤية معالم المدينة، ومشاهدة حياة ابنائها، وسلوكهم الطيب يحييها، ويراهها دار البركة ووطناً جمع بين طيب أرض وهواء، مادحاً روايبها ومن تربى عليها، داعياً لها بصفو العيش، والرخاء الدائم، قائلاً^(٣٩): (من البسيط)

حييت إربل من دار ومن وطن
ولا تعداد صوب العارض الهتن
وطاب منك نسيم الريح في السحو الـ
أعلى لأنك مأوي الإلف والسكن
وكيف لا أخلص الود الصحيح لمغ
ناك الأنيس رعاك الله من وطن

أحب الشاعر الإربلي مدينته التي هي بمثابة وطنه الذي يرتزق من خيراته، ويتمتع بنعيمه، وهو مرتع شبابه، ومحل حبه الأول، يألفه الفتى ويذكره أبد الدهر، وهذا ابن منعة ن مالك الإربلي^(٤٠) (ت ٥٨٩هـ)، يمدح مدينة إربل ويثني على جمال بيئتها، ويشير إلى زهو رباها البهية على الأقطار بأريج نسيمها الطيب الفواح، وقد شبه ابن المستوفي شعره في ألفاظه وغرابته بشعر الشاعر حيص بيص^(٤١) يقول ابن منعة^(٤٢): (من الكامل)

يا ربع إربل أنت نعم الدار
دم عامراً تنمي بك الأعمار
فلقد أنار بك الربيع فوفت
منك الربوع بزهرها الأمطار
وكسا القطار رباك وشي ملابس
ضاعت بأرج نسيمها الأقطار

ومن الشعراء من مزج بين الحنين إلى إربل، وتوجيه المدح إليها، ولوم ساكنيها، وهذا ما يلحظ في رسالة شعرية، وجهها الشاعر أبو محمد الإربلي الهذباني^(٤٣) بعد رحيله عن إربل

إلى الوزير ابن المستوفي وقد بلغه خبر اعتقاله وسجنه، ففي مطلع الرسالة يفصح الشاعر عن حبه واشتياقه لوطنه إربل، ويؤكد بأن مجرد ذكر اسمه يثير في نفسه أريجاً وشعوراً عميقاً بالعودة إليها^(٤٤): (من الكامل)

أَمذكري الأوطان إن لذكرها

أرجاً يشوقُ إلى الديارِ نفوساً

ثم يتوجه بالخطاب إلى إربل ليمدحها ويجدد لها عهد الوفاء إذ أنه لم ينقلب عنها، ولن يتحول عنها أبد الدهر، وقد تربي على روايتها، وتمتع بنعيمها:

أإربل الغراء تطلب أوبتي

هيهات فارقت الجسوم رؤوساً

كيف الرجوع إلى مفارق بلدة

فارقت ماجدها بها محبوساً

ثم يوجه اللوم العنيف إلى ابناء إربل، ظناً منه بأنهم السبب في سجن الوزير، حيث إنهم بالمرور عن الدين، وإنهم مجوس يعبدون النار، ويختتم رسالته بتوجيه المديح إلى ابن المستوفي: (من الكامل)

كبرت عزائم أهلها من بره

فوشوا به للظالمين رئيساً

باعوا بدنياً دينهم وتخيروا

جهلاً على صدر الهدى قسيساً

لا تفرعني موحشات ربوعهم

واقر التحية ربعة المائوسا

ما قيل بيت النار دهيلز لها

إلا لكون الساكنين مجوسا

عندي أبا البركان كل عزيمة

من حبسكم ما كل جرح يوسي

فتود نفسي لو تكون مكانكم

و أظنها نفساً تروم نفيسا

وكثيراً ما يرافق مدح إربل وأهلها بمدح رؤسائها، وبالذات مدح الوزير ابن المستوفي، وهذا أبو منصور ابن أبي بكر النيسابوري^(٤٥) (ت ٦٢٢هـ) يوجه ركه نحو إربل قاصداً ابن

المستوفي الذي جعل من منزله منتدئاً أدبياً ليس لشعراء إربل وحدهم، وإنما للوافدين إليها أيضاً، لذا خصه الشعراء بقصائد رائعة.

قال الشاعر النيسابوري^(٤٦): (من الطويل)

سلامٌ على المولى السديد المؤيد
سلام برياه الركائب تهتدي
إذا ضلّ ركب نحو إربل قاصداً
فمن طيب ما أهدى مع الركب يهتدي
يردهم قاصد الطريق نسائماً
تضوع برياً الماجد القليل أحمد
كريم يجول البشر في قسماته
فأنواره كالبرق للشائم الصدي
ترى ريعه بالبر والخلق أهلاً
فمورده بالبر أعذب مورد

وكذلك فعل الشاعر نوشروان البغدادي^(٤٧) حين رمت به الأقدار إلى أرض إربل، ففي قصيدة له، سوف نأتي إلى ذكر تفاصيلها في مباحث آتية، يمدح ابن المستوفي الوزير، وربي إربل وسهولها^(٤٨): (من السريع)

مولاي مجد الدين، يا ماجداً
شرفه الله وقد خوّلاً
عبدك نوشروان في شعره
ما زال للطيبة مستعملاً
لولاك ما زارت ربي إربل
أشعاره قط ولا عوّلاً

ولا ضير في أن نأتي بمثال آخر في مدح إربل مرتبطاً بمدح وزيرها ابن المستوفي، وقد صدق ابن الشعراء حينما شبه الوزير ابن المستوفي بشمس إربل وبدرها^(٤٩) فبسبب حب بعض من الشعراء لهذا الوزير وتقديرهم له، أحبوا إربل، ووجهوا لها المدائح، وقد سلك الشاعر أبو محمد بن أبي الغريب التميمي الموصلية^(٥٠) (ت ٦٣٢هـ) نهجاً تقليدياً في مدح ربوع إربل، فقد خلع على المدينة أوصافاً تقليدية، وأن هذا النهج القديم لم ينقطع فقد سار عليه شعراء العصر العباسي، ولم يقدروا على تجاوزه، يقول الشاعر^(٥١): (من الكامل)

وسقى معالمك الحيا وغدتُ بعُرُ
صتكِ الرياحُ عليةِ النفحاتِ
في ليلةِ جمعِ النعيمِ بها وما
أذنت كواكبُ أفقها بشتاتِ
فكأنها الجوزاءُ فيها قينةُ
باتت تساعدنا على اللذاتِ
والبدر في كبدِ السماءِ كأنه
في حُسْنِ طلعتِه أبو البركاتِ

ومن طريف شعر المديح في إربل، تبرك الشاعر عماد بن يونس بن منعة الإربلي^(٥٢) (ت ٦٠٨هـ) بتراب مدينته إربل، وتفاؤله بها وقد ولد في بيت صغير في القلعة، وحين عودته إليها بعد غياب طويل زار ذلك البيت فأنشد قائلاً^(٥٣): (من الطويل)
بلادٌ بها نيطتُ علي تمائمي
وأول أرضٍ مسَّ جلدي ترابها

هجاء إربل:

تعرضت المدن في هذا العصر للهجاء من قبل الشعراء بدوافع مختلفة وقد عدَّ هجاء المدن من الأثر الجديدة التي تحرك فيها فن الهجاء في العصر العباسي، لأسباب تتعلق بالنقلة الحضارية^(٥٤) وقد قال الشعراء في هجاء المدن والأقاليم قولاً كثيراً، حتى أصبح لهم باب معروف في هجاء المدن وسكانها^(٥٥) وما من شك في أن الإنسان يضيق بالمكان حين يلقي من أهله الإهمال وسؤ العشرة، هذا وقد ذكرنا طائفة من الشعراء مدحوا إربل، وهنا يجد الباحث طائفة أخرى وقفوا موقفاً مناقضاً حينما هجوا إربل وأهلها وكان لكل واحد منهم دواعيه التي سنأتي على توضيحها.

ومن المدن التي هجيت بغداد^(٥٦) وأصفهان وسنجان وواسط ودمشق، وتعد إربل من المدن التي لم تنج من الهجاء أيضاً وبخاصة بعد وفاة أميرها مظفر الدين إذ دب التفكك والانحلال في الإمارة، وأساء أصحاب إربل التصرف في شؤون الإدارة، وجاء رجال غرباء غير أكفاء، يحكمون المملكة نيابة عن الخليفة، ويدرك ذلك الشاعر طه بن إبراهيم الإربلي الهذباني^(٥٧) (ت ٦٧٧هـ)، ليتأسف على بلدته التي خلت من رجل لبيب، يوسوس الناس بالعدل، ويدفع عنهم الشر والأذى، ويهجو بلدة إربل ويسميها بـ(بليد سؤ)، تحقيراً لشأنها بعد ما كانت تزهو على الدنيا بحصانتها واستقرارها ورخائها، بقوله^(٥٨): (من الوافر)

لحاك الله من بلدٍ خبيث
فلست تطيب إلا للغريبِ
أربلُ لا سقاك الله غيثاً
فقد أقفرت من رجلٍ لبيبِ
أرى الغراء قد ملئت لئاماً
وقد ضاقت على النصح الوهوبِ
فما في مالكيها من معينِ
على صرف الزمان ولا الخطوبِ
ولا في قاطنيها أريحي
ولا في ساكنيها من طروبِ
ألا أخزى الإله بليد سوءٍ
تحكمُ فيه عبادة الصليبِ

وقد ينساق بعض من الشعراء إلى هجاء المدن، بدوافع شخصية، ومنهم الشاعر أبو أحمد الفزاري الإربلي^(٥٩) (ت ٦٢٦هـ) الذي ضاق ذرعاً بإربل وجوها، متضجراً من إقامته فيها، وأغلب الظن أن الشاعر لم يجد ضالته التي قصدها في مدحه للمدينة، وقد لقي من سكانها الإهمال بدل الاهتمام والرعاية، وتزويده بالعطايا، لذا هجا إربل وأنذرهم بالرحيل^(٦٠): (من الطويل)

وما إربل لي دار سُكنى أقيمها
وإن عُقدتُ فيها علي التمامُ
حللت بها في معشرٍ هان عندهم
مديحي وعزت دون ذاك الدراهمُ
فيا ليت شعري كيف أصنع منهم
وحظي منهم حالك اللون عايمُ
سأرحل عنهم لا قلى بل تعرياً
ففي الهند ما للمندل الرطب سالمُ
وأقصدُ أبواب الملوك فإنني
كفيل لنفسي بالذي أنا عازمُ

تعرضت الحياة العباسية السياسية والاجتماعية إلى تشويه كثير من قبل عدد من الشعراء، يهدفون من وراءه إلى إرضاء النزعة الشعبوية في أنفسهم، أو نتيجة للصراع المذهبي أو الإقليمي، أو العيب بالحقائق التاريخية^(٦١) ومعروف عن بلدة إربل أنها كانت في عصمة رجل مشهور بنزاهته وتصوفه، وتشجيعه للأخلاق الحميدة، وكانت خصاله الخلقية مثلاً للإقتداء والحدو المتمثل بشخصية مظفر الدين كوكبري الرمز الاجتماعي للبلدة الذي لم ينجح هو الآخر من التشويه، وهذا ياقوت الحموي الذي زار إربل مرتين، وقد اطلع على الأعمال الخيرية لهذا الأمير، فأجاز لنفسه أن يشبهه بتلك المرأة التي تتعاطى البغاء، وتصرف ما تجنيه من ذلك الفعل الشنيع على الأمور الخيرية، وهو تشبيه غير لائق بهذه الشخصية، إذ يجد الباحث في طياته طعن موجه إلي شخصية هذا الأمير، وتشويه متعمد للحقائق التاريخية، بقوله^(٦٢): (من الطويل)

كساعية للخير من كسب فرجها

لك الويل لا تزني ولا تتصدقني

ومن هنا لم يعد هجاء المدن استجابة وجدانية آنية وفورة عاطفية فحسب، بل هو سعي حثيث إلى بلوغ المرام وتشويه مقصود لحياة مدينة هائلة في حماية رجل فارس غيور.

ومن الشعراء الذين اشتهروا بتشويه الحقائق التاريخية للمدن أبو محمد الكتاني^(٦٣) (ت ٦٢٤هـ) الذي كان شاعراً بذيء اللسان، هجاء مقبل على الهجاء، وقد هجا مدناً عدة التي منها العقر والموصل^(٦٤) وإربل. أما بالنسبة إلى مدينة إربل، فقد أساء الشاعر الظن بها وهجاها مراراً، ودافعه في هذا الهجاء مجرد تشويه وتعصب، وإلا كيف يصفها ببيت النار الذي هو معبد للمجوس والكفرة، ويصفها أيضاً بدار الفسق والظلم، وهي تلك المدينة الفاضلة التي احتضنت عشرات المئات من العلماء والفقهاء والأدباء، بقوله^(٦٥): (من السريع)

إربل دار الفسق حقاً فلا

يعتمد العاقل تعزيرها

لو لم تكن دار فسوق لما

أصبح بيت النار دهليزها

وقوله أيضاً: (من السريع)

إربل دار الظلم لا أخصبت

ولا أشاد الله بنيانها

لو لم تكن بلدة سوء لما

أصبح بيت النار عنوانها

وكان بإمكان الشعراء عن طريق الإيحاء الخارجي المؤثر أن يوحوا بالكثير من الأخلاق الفاضلة، وأن يزرعوها بين أبناء المجتمع، لذا ينبغي على الدارس أن يبحث عن المؤثرات التي دفعت ببعض من الشعراء والأدباء إلى هذا الاتجاه، سواء بتأثير خارجي، أو بدافع شخصي، وهذا ابن يحيى السراج الإربلي^(٦٦) (ت ٦٣٠هـ) الذي كان محباً لأهل الأدب والفضل، وقد قضى رحاً من حياته بين أدباء إربل وعلمائها، يساهم مع الشعراء الآخرين في هجو إربل، وأغلب الظن أن الشاعر أحس بالغبن أو تعرض للظلم من قبل رؤساء إربل، بقوله^(٦٧): (من السريع)

لا بارك الرحمن في بلدةٍ
يدحضُ فيها الحق بالباطلِ
ولا أقام الله راياتها
ولا سقاها من حيا هاطلِ

وقد يفقد الشاعر الشعور بالأمان بسبب المعاملة السيئة من أهالي المدينة، لذا يضيق بها ذرعاً ويرتبط - أحياناً - بنفوره من الحياة الاجتماعية فيها، وفي هذه الحقبة زار نوشروان البغدادي مدينة إربل سنتي (٦١٣ هـ - ٦١٧ هـ) وقد كانت المدينة آنذاك تعيش أيام عزها في ظل صاحبها كوكبري، ففي قصيدة له مؤلفة من (٢٠) بيت، يهجو فيها الشاعر الضيرير بلدة إربل، بألفاظ لاذعة وتشبيهات غير لأنثقة بالمدينة وأهلها، وفي بداية القصيدة يلوم الشاعر حظه العاثر لأنه ساقه نحو إربل، تلك المدينة التي لم تشرح قلبه، بقوله^(٦٨): (من السريع)

تباً لشيطناني وما سولاً
لأنه أنزلني إربلا
نزلتها في يوم نحسٍ فما
شككت أني نازل كربلا
وقلت ما أخطا الذي مثلاً
بإربل إذ قال بيت الخلا
هذا وفي البازار قوم إذا
عاينتهم عاينت أهل البلا

ومن الشعر الطريف في هذا الباب، قول أحد المقيمين في إربل حين لم تعد المدينة قد اتسعت له عيشاً، فرحل عنها ثم هجاها فالشاعر أبو عبد الله الأنصارب^(٦٩) (ت ٦٢١ هـ) مكث قليلاً في إربل، ثم أعلن عن مغادرته لها بعد أن تعرض إلى معاملة فظة من أحد

الإربليين المدعو (عيسى) وقد يكون هذا الإربلي سببا في رحيل الشاعر عن المدينة بقوله^(٧٠):
(من الوافر)

عسا عيسى علي ومال عني
وماطلني بترك وهو يسني
ومالي بعد هذا اليوم مكث
بإربل، والسلام عليك مني

ومن الشعراء من أراد هجو إربل، ولكنه تراجع في نهاية المطاف استحياء من الوزير ابن
المستوفي، وتقديراً لمكانته الأدبية، وفضله على الشعراء، ومن هؤلاء أبو عبدالله الموصلي الذي
يقول^(٧١): (من الخفيف)

قال لي قائل وقد رمتُ أهجو
إربلا، لا زلت هجاءً سخيفا
كيف تهجو مصرأ حوى شرف الد
ين الوزير البرّ التقي العفيفا
قلت: أهجو غير الصديق عباداً
قال: ما أرتضيك تهجو الكنيفا

ليس هجاء المدن على أسلوب واحد، فمن الشعراء من اتخذ سبلاً أخرى في هجائها التي
منها توجيه الذم والعتاب إلى ساكنيها، وقد وصل إلينا شعر كثير حمل ذمها وهجاءً وعتاباً
أكثر من الشعر الذي حمل هموم المجتمع وهذب الأخلاق، وأن دل هذا على شيء فأنما يدل
على غلبة النزعة الفردية على أحاسيس الشعراء في هذه الحقبة.

عبر شعراء إربل عن هذه النزعة عن طريق توجيه الذم لساكنيها، ولعل السبب يعود إلى
الاضطراب الحاصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة بسبب غارات المغول المتعاقبة
عليها، وأثارها العميقة في نفوس الإربليين، وقلقهم الدائم على حياتهم وممتلكاتهم، فالشاعر
أبو عمرو الرصاصي الإربلي^(٧٢) (ت ٦٣٢هـ) يفاجئنا بقصيدة طويلة في ذم رجال الدولة في
إربل من أصحاب الديوان والتابعين لهم، وقد شاعت عنه، وانتشر ذكرها في الأوساط الأدبية،
وبسببها هرب الشاعر خائفاً ومختفياً عن الأنظار، نطف منها الأبيات الآتية^(٧٣): (من
السريع)

يا رؤساء الناس من إربل
ما أغرب الحرّ بناديكمُ

حر أم من جاعكم سائلاً
وا خيبة المسعى لراجيكم
ولو جمعت حساب كل الورى
أعياهم عد مساريكم
لا نيلكم يرجى ولا جاركم
يُحمى، ولا يخشى معاديكم
منكم أنا لكن طباعي أبت
أني على اللؤم أداجيكم
فمهدوا عذري فإني أمرؤ
ما قلت إلا بعض ما فيكم

وبعد غياب طويل عن المدينة، يشدّ الشاعر رحاله بالعودة إليها، ويظل يعمل في دار الضرب، ينقش الدنانير للأمير مظفر الدين، ولكن يبدو أن المسؤولين عن إربل لم ينسوا ما فعل بهم الشاعر حين انتقص من شأنهم ورماهم بأقذع الألفاظ إذ لم يعودوا قادرين على احتمال وجوده بينهم، وهنا لم يطمئن الشاعر على حياته وأحسّ بأن إربل ليست الملاذ الآمن له، فخاف من مكائدهم، لذا أدرك بأن ليس للعاقل مقام في هذه المدينة، والعيش مع هذا القوم مستحيل، فأثر الرحيل النهائي، بعد أن يسارع إلى قذفهم بألفاظ تحمل معاني الذم والتعاب الشديدين، بقوله^(٧٤): (من الوافر).

وبايين ربع إربل وأنا عنها
فليس لعاقل فيها مقام
وكيف ترى الثواء بأرض قوم
بها الإبريز يملك والرغام
هلا فأرحل قلوصلك عن أناس
هم عن كل مكرمة ينام
إذا ما قيل ضيف جاء يلغى
كأن غشاء أوجههم قتام
إذا نكر الفخار فلا فخار
وإن عدّ الكرام فلا كرام

إن اختلال الموازين، واضطراب الحياة الاجتماعية بين فئة كبيرة في المجتمع في أخريات

الدولة العباسية، وسؤ أمور الناس والظلم الذي أصابهم من موظفي الجهاز الإداري، والثراء الفاحش على حساب الآخرين. كل ذلك أثار حفيظة الشعراء، فالشاعر أبو الربيع سليمان بن بنيمان الإربلي^(٧٥) يعاتب أهل إربل من الذين لا يعاضدونه في محنته، ولا يؤازرونه في فقره وشحته، فأصبح في أرضهم يسحب ذيل الدل والهوان، فقرع سنّ الندم، لأن هزة الكرم أضحت عندهم كالعدم بقوله^(٧٦): (من الطويل)

خليلي كم أشكو إلى غير راحم
وأجعل عرضي عرضةً للموائم
وأحسب ذيل الذل بين بيوتكم
وأقرع في ناديكم سنّ نادم
هبوني ما استوجبت حقاً عليكم
أما تعتريكم هزة للمكارم
كأن المعالي ما حللن لديكم
وقد أصبحت معدودة في المحارم

ومن جميل العتاب ما قاله خطيب إربل وقاضيا جعفر بن هبة الله بن أحمد الإربلي^(٧٧) (ت ٦٠٤ هـ)، وهو عتاب من عالم وفقهه إلى الإربليين كافة، إذ ضمن عتابه جهل الإربليين بمكانته العلمية والأدبية، ويؤكد بأن الفخر بالأدب يفوق الفخر بأي شيء آخر، بقوله^(٧٨): (من البسيط).

يا إربليين لو أنصفتُم أدبي
أحللتُموني حيثُ الأنجم الزهرُ
فبي فخارٍ لمن يبغي الفخار إذا
جاعت بنو الفضل بالأدب تفتخرُ

وهناك ذم سلك مسلك العتب والتأنيب للخطيب نفسه إذ أنه دخل يوماً على أحد موظفي الإمارة، وكان قد درسه الأدب والنحو، فلم يهتم به ولم يسأله عن حاجته، فجلس الخطيب متألماً، وأنشد فيه ارتجالاً مشيراً إليه قائلاً^(٧٩): (من مخلص البسيط)

هذا مقامي لديك يا من
أقام دهرًا وراء بابي
أقصى أمانيه قربُ إذنٍ
في دولة الحسن والشباب

إن كنتَ أنسيتَ ذاكَ فانظرُ
في فرد باب من الكتابِ
لا تغترر بالزمان يوماً
وفكر إذا سرت في الإيابِ
مخارق الجاه ليس تبقى
وموقف العزل كالحسابِ
فافعل على قدر ما تلقى
وقل لا بدّ من جوابِ

ومن باب الهم والتأنيب أيضاً ما قاله بعض شعراء النصارى، ففي حقبة هذا البحث كانت إربل كثيرة البيع والأديرة، وكان النصارى ينتشرون بالقرى المحيطة بالمدينة، وكانوا يشكلون بجانب الكرد أكثر سكان إربل متأخين متعاونين^(٨٠) وقد نشأت في وسطهم حركة علمية وأدبية مسابرة للإزدهار الثقافي العام في المدينة، إذ أدت هذه الحركة إلى بروز عدد من الأدباء من أمثال جيورجيس وردا الإربلي وخاميس القرداخي الإربلي اللذين إتجها إلى الإغتراف من الأدب السرياني حتى نبغا فيه، وعداً من أشهر بذي.. شعرائه، ويبدو أن الإربليين تجاهلوا فضل هذين الأدبيين ومنزلتهم العلمية، لذا نجد الشاعر خاميس القرداخي الإربلي يوجه عتاباً إلى الإربليين، بقوله^(٨١):

إن أهل إربل لا يدركون منزلتي العلمية

ألا إنني عظيم

وتشهد المدن كلها على ذلك

إذ انهم يجحدون بي

أنا لا يكرمني إلا قراء الكتب

لأنهم لا يحبون إلا عشاقها

وهذا دليل على مكانتي العالية...

وقد امتاز شعر هذا الشاعر بالعدوية والسهولة والحلاوة والجزالة، وشعره في الدين والنفس والتوبة، وفيه التقويات على شكل الشعر الصوفي، والهجاء في مواطنه إربل، والأخوانيات، والخمريات، والغزليات، والرتاء^(٨٢).

وهنا نعود إلى قصيدة نوشروان البغدادى، ففيها يخصص الشاعر أبياتاً لدم أهل إربل من

الكرد، ولا يستبعد أن ياقوت الحموي الذي نشر القصيدة كان مدفوعاً بدافع معين، وإلا فإنه كان يدرك أن مثل هذه الأشعار الهابطة لا تسترعي الإهتمام، حتى أن ابن خلكان وابن المستوفي المعاصرين للشاعر، وهما من أبناء المدينة النابيهين، لم يذكرا شيئاً عن نوشروان البغدادي، بالرغم من أنهما كانا يحرصان على إيراد التفاصيل المتعلقة بأعلام المدينة التي أنجبتهم، فضلاً عن الواردين والوافدين إليها من الأمثال^(٨٣) قال الشاعر في ذم أهل إربل^(٨٤): (من السريع)

والكرد لا تسمع إلا جيا
أو نجيا أو نتوى زنكلا
كلا، وبوبو علكو خشتري
خيلو ميلو موسكا منكلا
ممو ومقو ممكي ثم إن
قالوا: بوير كي تجي؟ قلت لا
وفتية تزعق في سوقهم
سرداً جليداً، صوتهم قد علا
وعصبة تزعق، واللّه تنفر
وشوترايم، هم سخام الطلا
ربع خلا من كل خير بكى
من كل عيب، وسقوط المللا
فلعنة اللّه على شاعرا
يقصد ربعاً، ليس فيه كلا

فالشاعر الضرير تحدث عن أسواق المدينة التي لا تراها عيونه، تلك العيون التي هي على درجة عالية من الوعي واليقظة بل ذهب إلى ترديد الألفاظ والكلمات التي سمعها بأذنه وهي ليست على درجة واحدة من الوضوح والقرب، مشيراً إلى الألفاظ والكلمات التي سمعها، ومن ضمنها ألفاظاً من اللغة الكردية أدخلها في شعره على سبيل السخرية، وتعود كتابة هذا الشعر إلى أكثر من ثمانمائة سنة، وهنا تكمن أهميته لذلك قام أحد باحثي أربيل المعاصرين بتحليل هذه المفردات التي وردت فيه إلى أصولها، وهي من أقدم الألفاظ التي تعبر عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في المدينة^(٨٥) يقول الدكتور عبد اللّه حدّاد: " يعد هذا النص من أقدم النصوص العربية التي تضمنت مفردات وألفاظ كردية، والشاعر لعله لم يدرك أنه مهما كانت نواياه قدم لنا خدمة كبيرة"^(٨٦) وأغلب الظن أن الشاعر لم يذع صيته في إربل، وبسببه

لم يلق ترحيباً من الإربليين، وحينما نزل إلى أسواق المدينة لقي بعض المداعبة من الصبية باللغة الكردية التي لا يفهمها وهو ضرير، فتصورها استهزاء به، وإقلاقاً من شأنه كنتيجة لظاهرة النقص الموجود فيه التي تجعله أن يحيط نفسه بالشك والريبة من الآخرين وفقدان الثقة بهم فضلاً عن وجود من كان وراء هجائه لإربل وذم أهلها، وكذلك لا يمكن أن نتغافل عن وجود عدد من الشعراء في هذه الحقبة، توجهوا في أشعارهم إلى الجوانب اللاهية والمسلية في الحياة، فعليه فإن الشاعر لم يقصد الإساءة إلى الكرد، ودلينا على ذلك اعتذاره الشديد لأهل إربل ليزيل عنهم ما! ستكون في نفوسهم من بغضاء، وقد كان الشاعر موفقاً في شعره حين جمع بين مدحه لإربل، واعتذاره لأهلها، وهجائه لنفسه وأقاربه، فقليل من الشعراء يعتذرون للعامّة، لأن الاعتذار- في الغالب- يوجه إلى الملوك والوزراء، فاعتذاره وتأسفه على ما بدر منه، أديا إلى تبرئة نفسه، وفي الوقت ذاته قد أخط من سمعته، وسمعة أقاربه، بأسلوب تجاوز حدود الإبتدال، كعقاب وقصاص لنفسه، لأجل أن ينال رضا الإربليين، ويحصل على عفوهم^(٨٧): (من السريع)

قد تاب شيطاني وقد قال لي
لا عدتُ أهجو بعدها إربلا
وأقصد إلى إربل وأربع به
ولا تقل ربعاً قليلاً الكلا
وقل أنا أخطأت في ذمها
وحط في رأسك خلع الدلا
وقل أبي القرد، وخالي وأنا
كلب، إن الكلب قد خولا
وعمتي قادت على خالتي
وأمي (.....) رأس البلا
فربعنا ملاّن من فسقنا
وقط من () ما خلا
وكل من واجهنا وجهه
سخم منه بالسخام الطلا
فالآن عنكم قد هجا نفسه
بكل قول يخرس المقولا

هيج ذاك الهجو عن ربعمكم

كُلْ أَخِيرٍ يَنْقُضِ الْأَوْلَا

ومن الشعر الطريف ما أنشده ارتجالاً الشاعر أبو بكر بن أبي الفتح الدمشقي^(٨٨) في وصفه لبخل أمراء إربل، ونفي صفة الكرم عنهم، وقد رسم لنا صورة طريفة وتشبيه لطيف عن مدى ما وصل إليه البخل عندهم، بقوله^(٨٩): (من الكامل)

أمراء إربل كلهم نسقٌ

ما فيهم من عنده كرمٌ

قصرت به عمّا يطول إلى

كسب الثناء بمثله الهممٌ

وتكاد لو قطعت أناملهم

من شحها أن لا يسحَّ دمٌ

الحنين والغربة إلى إربل:

يأتي الحنين استجابة لإحساس داخلي مبعثه الشعور بالغربة بعدما طوحت صروف الدهر بالشعراء إلى الابتعاد عن الوطن، والغربة تعني النزوح عن الوطن أو النفي عن البلد^(٩٠) ونحن هنا بصدد حنين وغربة الشاعر حينما يكون بعيداً عن وطنه وأرضه، أما شعوره بالاغتراب وهو في وطنه فهذا يستدعي بحثاً آخر، وقد صبغت الغربة الأدب العربي بلون ظلّ متميزاً بها، لأنها تثير في النفس شعوراً عميقاً بالحنين إلى الوطن، ويظل الغريب يعاني من تمزقٍ ودلّ لا تزال إلا بانتهائها لذلك قال أحد الشعراء^(٩١): (من الطويل)

ألا ليت شعري والحوادث جمّة

متى تجمع الأيام يوماً لنا الشمالا

وكل غريب سوف يمسي بذلةٍ

إذا بان عن أوطانه وجفا الأهلا

وفي العصر العباسي استبدل الشعراء المقدمات الطللية بالحنين إلى المدن^(٩٢) كما هو عند ابن الرومي حين مدح الخليفة المتوكل فقد استهل قصيدته بالحنين إلى بغداد^(٩٣) وفي إربل كان لشعر الغربة والحنين إلى المدن نصيب، وكان للشعراء مساهمات فيه، فحين ودّع الوزير ابن المستوفي مدينة أربل متألماً متحسراً بعد خرابها بيد المغول، حاملاً كتبه ومتاعه صوب مدينة الموصل، ظلّ يردد مع نفسه قائلاً^(٩٤): (من البسيط)

فارقتمكم مكرهاً لا كارهاً ويدي
أعضهاً ندماً إذ لم أمت كمدا
والله لو أن أيامي تطاوعني
على أختياري ما فارقتمكم أبدا

إنه حنين صادق، ومشاعر حزينة تذوب إلى إربل، وهو هنا يمزج بين حنينه إلى إربل، وبين حنينه إلى أهله ومجالسه وليالي أنسه مع الشعراء والأدباء، فالشاعر أحس بالألم الشديد في أخرج لحظات عمره، وهي لحظات حاسمة يودع فيها الحياة التي تلمح فيها الحب الصادق للوطن، ويستقبل في الوقت نفسه ألم الغربة الرهيب.

ولعل من أصعب الأوقات وأقساها على الغريب، حين يقابل وجوهاً خارج وطنه، فلا يرى وجهاً واحداً يعرفه ليطمئن إليه ويسكن روعه، فالحاجري الإربلي حينما ارتحل إلى الموصل، متسائساً بأجوائها، ومنتقلاً بين متنزهاتها، حنَّ إلى إربل وإلى أحبائه وخلانه، فكتب إلى رفيق صباه ضياء الدين عيسى، وهو أخو ابن خلكان، رسالة ضمنها هذين البيتين^(٩٥): (من البسيط)

الله يعلم ما أبقى سوى رمق
مني فراقك يا من قريره الأمل
فابعث كتابك واستودعه تعزية
فريما مت شوقاً قبل ما يصل

فنائي الدار والوطن تستشير في نفسه مشاعر الشوق والحنين التي تحدث في النفس شجواً عميقاً، ومشاعر حنين متأججة إلى الأهل والأصحاب، فكانت أبيات ابن خلكان تفيض بالعاطفة الأسرة، وهو يناجي أحبائه في إربل، قائلاً^(٩٦): (من الطويل)

تمثلتم لي والبلاد بعييدة
فخيل لي أن الفؤاد لكم معنى
وناجاكم قلبي على البعد والنوى
فأوحشتكم لفظاً وأنستم معنى

وتظل إربل بمغانيها وساحاتها ونسيمها، تلهب لواعج ابن خلكان، وتعمق في نفسه الإحساس الشديد بالغربة والحنين، وقد دفعت ظروف الحياة وتقلبات الدهر إلى نزوح المؤرخ الأديب ابن خلكان عن إربل بحثاً عن المجد والشهرة، أو بحثاً عن ظروف أفضل للعيش بعد

خراب المدينة بيد المغول ورغم البعد وطول المسافات يظل يذكر ديار الأحباب، ويناديها
قائلاً^(٩٧): (من الخفيف)

يا ديار الأحباب لا زالت الأد
مع في ترب ساحتك مُذالهُ
وتمشى النسيم وهو عليلٌ
في مغانك ساحباً أذبالهُ
أين عيشُ مضى لنا فيك ما غ أسد
رع عتّاً، ذهبه وزوالهُ

أما مجد الدين النشابى الإربلي^(٩٨) فإنه يستخدم طريقة الشعراء القدامى في التعبير عن
حنينه إلى إربل والصبأ والمرايع ذاكراً أيام شبابه وعهد لهوه أصحابه بحرارة وصدق، أيام
كانت المرايع أمينة محمية بالسيوف الباترة، وهي دار الأُنس والإسعاد، فلا يملك إلا أن يدعو
لها بالسقيا، وبالأمطار الغزيرة لتروي أربع إربل التني يكسوها الرياض^(٩٩): (من الرجز)

ملاعبٌ للهو روى تُربها
كل ملثٍ واكفٌ مزمجِرِ
عهدت بها وهي مراح فتية
غر، وميدان جياذ ضمِرِ
سقى رُبى إربل كلّ عارضِ
مجلجل واهي العرى متضجرِ
يحوك من وشي الرياض للثرى
فجاجة كل رداء أخضرِ

وحينما يغادر ابن الظهير الإربلي مدينته إربل للتجارة، مبتعداً عن أحبابه وأصدقائه، وإذا
هو يتحرق شوقاً وحنيناً إلى رؤيتهم، فينشد شعراً يمتاز بعاطفة صادقة وبخاصة أثناء تأمله
لمنظر غروب الشمس الذي أثار أشجانه، وزاد في غربته، وأحس بأن ألم الفراق، يعصر قلبه
المشتاق، بقوله^(١٠٠): (من الطويل)

إذا حان من شمس النهار غروب
تذكرَ مشتاق وحن غريبُ
أحبابنا، والدار منكم قريبة
هل الوصل يوماً إن دعوت مجيبُ

وهل عندكم حفظ لعهد متيم
حليفاه منكم، لوعة ونحيب
يحن إليكم، والخطوب تنوشه
ويشتاقكم، والنائب تنوب

وبالنظر لكثرة الوافدين إلى إربل من الأدباء والعلماء فقد يلحظ الباحث وجود هذا اللون من الشعر عندهم، ولكن ليس في الحنين إلى إربل بل الشعور بالحنين إلى بلدانهم، وقد كتب الشاعر أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية (ت ٥٨٤هـ) في إربل إلى أخيه الساكن بمدينة شيرز بالشام في صدر كتاب^(١٠١): (من الطويل)

وإن امرءاً أضحى بإربل داره
وفي شيرز أحبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم
ومعذورة أن تستهل دموعه

وكذلك اشتاق الشاعر أبو المعالي بن علي الحظيري إلى بلده حظيرة ورؤية أحبابه فيما، وقد كان مقيماً في إربل يعمل موظفاً لنائب إربل، فكتب إلى أهله في حظيرة يناجيهم^(١٠٢):
(من المتقارب)

ألا من لصبٍ قليل العزاء
غريب يحن إلى المنزل
يُنادي بإربل أحبابه
وأنى الحظيرة من إربل

فتح إربل:

وهناك مناسبات أخرى، نظم فيها الشعراء قصائد سجلوا فيها أحداثاً مهمة التي منها الاستبشار، وتقديم التهاني بفتح المدن ومن هذه المناسبات مناسبة فتح مدينة إربل سنة ٦٣٠ هـ من قبل رجال الخليفة في بغداد، وقد أدى هذا الفتح إلى دخول إربل في حالة ركود سياسي وثقافي وإجتماعي بعد أن عاشت في حقبة حكم الإماراتين الكرديتين ازدهار اورياً وبخاصة في عهد مظفر الدين كوكبري.

جاء عن فتح إربل بعد وفاة الأمير مظفر الدين كوكبري ما نصه: "كان أيوب بن كامل في آمد، وإسماعيل بن العادل في سنجان، فسار كل منهما إلى إربل ليأخذها لنفسه، وجرى ما لا

يليق بين الاثنين، وكان سبقهما عسكر الخليفة، فتسلمها ورجعا وكان عصى بقلعتها خادمان
ففتحت عنوة، وجرى بها ما لا يجوز من النهب والقتل والذل والهوان^(١٠٣) وكتب شرف الدين
أبو الفضائل إقبال الشرايبي قائد العسكر على جناح طائر إلى الخليفة بصورة الحال، فحصل
الاستبشار في بغداد بذلك، وضربت الطبول وأُفرج عن المعتقلين في السجون، وحضر
الشعراء في الديوان، وأوردوا قصائد تتضمن الهناء بهذا الفتح والنصر، فممن أورد القاضي
أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني قصيدة أولها^(١٠٤): (من البسيط)

ما يثبت الملك بين الخوف والخطرِ
حتى يُقام و يسقى من دم البشرِ
لكل شيء طريقٌ يستفاد بهِ
وليس للعرب غير الصارم الذكرِ

ومنها:

ما فتح إربل عن بخت لذي دعة
ولا اتفاقاً كبعض النصر والظفرِ
لكنه كان قصد القادرين وأف
عالم المطيعين عن قصد وعن فكرِ
فليسبح الأشعري اليوم لي فأنا
في فتح إربل لا ألوي على القدرِ

وأشيد أخوه عزالدين عبد الحميد الكاتب^(١٠٥) قصيدة بهذه المناسبة، اتفق له فيها أن وزير
الخليفة كان ترتيبه يوم سابع عشر شوّال سنة تسع وعشرين، وفتح إربل يوم سابع شوّال
سنة ثلاثين فقال^(١٠٦): (من الكامل)

يا يوم سابع شوّال الذي
رزق السعادة أولاً وأخيراً
هنئت فيه بفتح إربل مثلما
هنئت فيه وقد جالست وزيراً

ومن الشعراء الآخرين الذين ساهموا بتقديم التهاني إلى الخليفة الشاعر عبد الله بن جميل
الذي كان متقدماً شعراء الديوان بقصيدة هذه بعض أبياتها^(١٠٧): (من مجزوء الكامل)

خطبت سيقوفك إربلا
فتمردت أغمادها

وغدا يَنازعُ في القلا
ع لقلعةٍ دزدارها
ففتحتها بسوايقٍ
بيد الفضاءِ مثارها
وبغلمةٍ مثل الصقو
ر من القنا أظفارها
فاتتكَ تجلى كالعرو
س من الرؤوس نثارها

رثاء إربيل:

وهو يمثل تعلق الإنسان بالوطن وحبّه له، وتعد المدينة من ركائز المواطن ومكوناته، وقد ظهر رثاء المدن مع ظهور المدن وتعرضها إلى الكوارث، وقد مرّ الرثاء عبر العصور الأدبية بمراحل تجديد سواءً بموضوعاته أو ألفاظه، وكان أحد الأطر الجديدة التي تحرك فيها فن الرثاء في العصر العباسي، وقد اختلف الباحثون في تحديد زمان هذا التجديد^(١٠٨).

تعرضت إربيل إلى نكبة كبيرة حينما ضرب المغول المدينة سنة ٦٣٤ هـ بعد فتحها من قبل رجال الخلافة في بغداد، وبعد أن بلغت كمالها وجمالها في عهد الامارتين الكورديتين الهذانية والتابكية.

فإذا هي فجأة تتحول إلى ركام ممزق، فئاتر ذلك مشاعر الشعراء وحرك كوامنهم فراحو ييكونها. وهذا مجد الدين النشابي الإربلي الذي أثار نكبة إربيل في نفسه مشاعر وأحاسيس شتى، فخاطب دمن إربيل، وبكى عصرا طوى أمنيات شبابه المتنعم، وإن تلك الأربع لم تبق على حالها، فقد أقفرت، وعدت عليها عوادي الدهر، ودمرها الغزو، وأمست خالية من أصحابها^(١٠٩): (من الطويل)

ديارٌ لها بالجزع فالمتنّم
أخاطب منها دمنة لم تكلم
عنيت بها دهرًا أجرر دونها
ذيول شباب الناعم المتنعم
مواطن كانت قبل وقعة إربيل
تنافر فيها الغيدُ في كل مجثم

فأمست خلاءً أن أناخت بربيعها

ركابٌ ففي مستوبل متوخم

وقد ظهرت نكبة إربل في الشعر، حين توجه الشاعر النشابي الإربلي إلى الخليفة المستنصر بالله العاسي، يناشده أن يمثل هذه المدينة الكسيرة بعطفه ورحمته وكان يومئذٍ من أملاك الخلافة العباسية، فقد حصرها المغول ودخلوها فنهبوا وأحرقوا وأسروا وقتلوا من أهلها خلق لا يحصى، ثم رحلوا عنها بعد أن تركوها خرائب وحرائق وجثث لا تجد من يوارئها التراب، فلا بد للشاعر إذن من الدعاء لها بالخصب^(١١٠): (من الطويل)

سقى إربل الغراء صوب غمامة

لعل تراها بعدما جف يرتمي

وجادت عليها رحمة من خليفة

مكارمه مأمولة للترحم

أبي جعفر بن محمد ألد

إمام الفتى المعصوم من كل إثم

فيا أيها المولى الوزير تعطفاً

بإربل واكشف ضرها اليوم وارحم

فرأيك رأب الثلم في كل حادث

وعزلك لم الشعب في كل مصدم

ثم يحث الخليفة على الجهاد، ويطالبه بأن يشحذ عزمته ويتم ما بدأه من التأهب والاستعداد لقتال المغول، بقوله في القصيدة نفسها:

وهذا جهاد أنت كافل نصره

فقم فيه بالعزم المصمم واحكم

لأنك ابتدأت التأهب للعدى

ولم يبقَ عذر للجهاد فتمم

نظرة في الخصائص الفنية

الصورة الفنية:

لا يخلو شعر إربل من الصور الفنية، ولا سيما فيما لها العلاقة ببيئة إربل، وسهولها وأزهارها، وهناك تصوير دقيق لطبيعة إربل، وبخاصة أثناء فصل الربيع، دون الجوء إلى الصنعة التي أصبحت أحد ملامح الورة في القصيدة العباسية، فشعرُ أبي حفص بن شماس الخزرجي (ت ٦٠٠هـ) سجل دقيق لوصف الطبيعة في إربل بقوله^(١١١): (من الطويل)

ونيلوفرٍ مثل النجوم ببركةٍ

كلون السماء وهي من خصر عذبٍ

يميل مع الشمس المنيرة مثلما

تميل عيون العاشقين مع الحبُّ

إن تطور الحياة الاجتماعية في إربل، كان ذات تأثير كبير في حياة الشعراء والقوة المبدعة فيهم، وقد انعكس ذلك على الصورة النفسية، إذ مال شعراء إربل إلى استخدام التجسيم والتشخيص في صورهم التعبيرية^(١١٢) فالوصف لم يعد مجرد تصوير عند الشاعر بل حاول بث الحياة في الأشياء التي يتناولها، ويعقد الصلة الوجدانية بين نفسه وبين الكائنات الموصوفة، وأن يسقط ما بداخله من أمل ويسعى حثيث لتذوق الحياة بمشاركة الطبيعة مع فيها من ألوان وظلال، وكان الشاعر موفقاً حين شبه وردة النرجس بالعين التي تحس وتلاحظ، وورد الياسمين بلون العاشق المهجور، وهكذا فقد استنطق هذه الكائنات الجميلة وكأن لها أرواحاً وأجساماً تشعر بالفرح والحزن، ويصيبها المرض النفسي، وقد عبر حسام الدين الحاجري الإربلي بهذه الصور عند وصفه وتعداده للزهور التي تكسوربي إربل^(١١٣): (من المجتث)

من نرجس وأقحاح

كأعينٍ وثغورٍ

ومن شقيقٍ كحسناءٍ

قد أقبلت في حريرٍ

وياسمين كلون الـ

متيم المهجور

والغُصْنُ مِيَالٍ عِطْفٍ

كشّارِبٍ مَخْمُورٍ

ومن الصور التعبيرية الأخرى في هذا المجال وصف ابن ظهير الإبلي للرياض، حيث خريّر المياه المناسبة بين الورود، ورياض تكسوها الزهور بألوانها المتعددة المختلفة، وقد انبعث من مياها وجدولها نور الشمس على صفحة المياه الجارية وفي حركة موجها إشراقة لشمس جديدة وسط ظلال الأشجار الباسقة وأوراقها المتدلّية وهي تزهو بحسناها ودلالها، ثم يردفها الشاعر بصورة جميلة أخرى ألا وهي صورة وردة النرجس وكأنّها فتاة تذرّف الدموع السخينة على مغادرة صويحاتها الرياض وتبقى وحيدة تخاف الوحدة والوحشة والغربة، بقوله^(١١٤): (من الطويل)

رياضٌ كَوَشِي البُرْدِ تزهو بحسناها

جداولها والنور بالماء يشرقُ

فمن نرجسٍ يخشى فراق فريقه

ترى الدمع في أجفاه يتقرقُ

زين شعراء إربل صورهم الفنية معتمدين على صور بلاغية وغيرها، ومن ضروب التصوير إبداع مجد الدين النشابي الإبلي في وصفه لطبيعة إربل، بإيراده تشبيهات متنوعة من مباحج الطبيعة الخلابة، فهو يشبه البرق الساطع بين السحاب السائر، بالفؤاد الخافق، حين قال^(١١٥): (من الكامل)

والبرق يخفقُ مِنْ خِلَالِ سَحَابَةٍ

خفق الفؤاد لموعِدٍ مِنْ زَائِرٍ

وتشبيه وميض البرق بالسلاسل الذهبية والسيوف البراقة القاطعة بقوله^(١١٦): (من الطويل)

كأن ائتلاف البرق في جنباتها

سلاسلُ تبر أو سيوفُ قواضبٍ

ومن الصور الفنية الأخرى صورة رسمها جعفر بن محمد بن محمود الإبلي في أهل إربل يدعوهم إلى المروءة والبسالة فهو يريد فيمن ينال الشهرة أن يقطع الفيافي والقفار ويتحمل من أجلها الصعاب، فالسيف لا جدوى فيه إذا بقي كامناً في غمده لا يرى النور أبداً^(١١٧): (من الكامل)

وَجِبِ الفِيافي وأشهر تنل المنى

لا يقطعُ الهندي حتى يشهراً

وللشاعر نفسه صورة أخرى إذ يرى الشاعر أن المرء الصالح إذا برز في الحياة وارتقى
كرسي الرفعة لا تضيئه نظرات الحساد وطعنات الذين في قلوبهم لؤم وزيف وفساد^(١١٨): (من
الكامل)

فالشمس إن شرفتُ وأشرق نورها

ما ضرها ألا يراها الأرمدُ

أما الصورة التي أبدع فيها الشاعر موفق الدين محمد بن يوسف الإربلي في وصف أمير
إربل حيث يلائم فيها الشاعر بين صورة الهلال الجميل ووجه أمير إربل، فالأول للظلام مزيل،
والثاني للمظالم حائل، بقوله^(١١٩): (من الطويل)

تقابلتُما فاستجمعَ السُن كلُّه

فمن نظرٍ يرنو ومن نظرٍ يُغضي

هلالان، هذا للظلام يُزيله

سناءُ وهذا للمظالم في الأرضِ

اللغة والأسلوب:

اللغة هي الأداة التي يُعبر بها الشاعر عمّا يجيش في صدره من انفعالات وعواطف،
والأسلوب هو طريقة الشاعر في التعبير عن فنه الشعري.

اتجه بعض الشعراء إلى استخدام لغة فصيحة، بانتقاء اللفظة الجزلة منتهجين أسلوباً
تقليدياً في الشعر^(١٢٠): (من الوافر)

كما جاء على لسان الشاعر أبي عمرو الرصاصي الإربلي (ت ٦٣٢هـ)^(١٢١): (من الوافر)

وكيفَ ترى الشواء بأرضِ قومٍ

بها الإبريزُ يملك والرغأمُ

هلا فارحل قلوصلك عن أناسٍ

هم عن كلِّ مكرمةٍ نيامٌ

إذا نار القري وقدت لقوم

لنار الكي عندهمُ ضرامٌ

وكذلك مجد الدين النشابلي الإربلي حيث سار على الاتجاه التقليدي في معظم أشعاره،
وعلى خطى القدامى لغة وأسلوباً مسايرة لنهج اللغويين الذين يرفضون خروج الشاعر عن
مألوف اللغة، بقوله^(١٢٢): (من الطويل)

ولم أبكِ إلا الدار أقفر ربيعها
وألقت عليها رحلها أم قشعم
مواطن كانت قبل وقعة إربل
تتأفر فيها الغيد من كل مجثم
فأمست خلاءً أن أناخت بربيعها
ركاب ففي مستويل متوخم

وظف الشاعر اللغة البدوية في رثاء إربل منها: (ربع، رحل، أم قشعم، تتأفر، مجثم، أناخت، متوخم).

ويلحظ الباحث وجود اتجاه آخر، مال بلغة الشعر إلى لغة أهل المدن، فأصبحت أساليب الشعراء سهلة وواضحة، إذ أن لغة الشعر في كل عصر دلالة على حياته العقلية والاجتماعية^(١٢٣) فكانت السهولة والبساطة إحدى سمات لغة الشعر في العصر الوسيط. يُعد حسام الدين الحاجري الإربلي من الشعراء الذين يمتلكون مقدرة فذة في التعبير عن مشاعره بأسلوب رشيق، ولغة سليمة بعيدة عن التكلف، وقد تحدث ابن حجة الحموي في خزانته عن هذه الطريقة^(١٢٤) فأشار إلى أسلوب هذا الشاعر، وجعله من رواد مدرسة الرقة والسهولة، ومن شعره^(١٢٥): (من الكامل)

فلأبعثن مع النسيم إليهم
شكوى تميل لها غصون البان
يا برق إن جزت الديار بإربل
وعلا عليك من التداني رونق
بلغ تحية نازح حسراته
أبدأ بأذيال الصبا تتعلق

ثمة أمر آخر يلحظ وجوده ألا وهو ميل عدد من الشعراء نحو الأسلوب الشعبي^(١٢٦) ويتضح هذا الأسلوب في سهولة تراكيب الأبيات الشعرية، مما يجعله قريبة من اللغة اليومية المتداولة، كما جاء في شعر أبي عبد الله الأنصاري (ت ٦٢١هـ)^(١٢٧): (من الوافر)

عسى عيسى علي ومال عني
وماطلني بترك وهو يسني
وما لي بعد هذا اليوم مكث
بإربل والسلام عليك مني

وكذلك لم يخل شعر الإربليين في هذا المجال من غلو ومبالغة، وهذا جعفر بن محمد الإربلي يسطر شوقه في كتب تملأ الفضاء الفسيح حينما يبث شوقه إلى أحد الإربليين بقول^(١٢٨):
(من الوافر)

ولو أنني كتبتُ بقدرِ شوقي
إليك لضاق عن كُتبي الفضاء
ولم يبق لحسام الدين الحاجري الإربلي سوى رمق أخير بسبب فراقه عن إربل ويطلب من صديق له في إربل أن يسرع بالكتابة إليه ويرفق معها رسالة تعزية، لأن شوقه قد أخذ منه مأخذاً وربما بسببه يفارق الحياة ققبل وصول رسالة صاحبه^(١٢٩): (من البسيط)

اللّه يعلم ما أبقي سوى رمقٍ
مني فراقك يا من قرية الأملُ
فابعثُ كتابك واستودعه تعزية
فريما متُ شوقاً قبل ما يصلُ

الأوزان والقوافي:

إن التزام الوزن شرط لا يمكن للشاعر أن ينحيه جانباً، وقد أدلى الشعراء بدلوهم في معظم الأوزان العربية المعروفة بدرجات متفاوتة لتثبيت إيقاع الموسيقى الخارجية في نفوس المتلقين، ولا بد للشعر أن يتألف من أقوال موزونة.

ففي النصوص الشعرية المختارة التي قيلت في مدينة إربل والتي هي عبارة عن أبيات أو مقطوعات منتزعة من قصائد الشعراء، يجد الباحث أن مسألة اختيار الأوزان متصلة بتوجهات الشعراء أنفسهم، ولكن يبدو من خلال الملاحظة السريعة للنصوص المختارة في هذه الدراسة أن شعراء إربل استخدموا البحر الطويل (١٧) مرة، ومن الأمثلة على ذلك قول حسام الدين الحاجري الإربلي^(١٣٠):

لأطيب من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ
بسقط اللوى دار بشرقي إربل
فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن
فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن

أما البحر الكامل فقد استخدم (١٤) مرة كما جاء في قول عز الدين عبد الحميد الكاتب^(١٣١):

هنئت فيه بفتح إربل مثلما
هنئت فيه وقد جلستَ وزيراً
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

وجاء استخدام البحور الأخرى بدرجات متفاوتة، فقد استخدموا السريع (٧) مرات والبسيط (٧) مرات، والوافر (٦) مرات والمجتث والخفيف مرتين والمنسرح والرجز والمتقارب مرة واحدة، ولم ينظم الشعراء في البحور الأخرى التي منها (المديد، والهزج، والرمل، والمضارع، والمقتضب، والمتدارك)، ففي بحر المتقارب يقول أبو المعالي بن علي الحظيري(١٣٢):

ينادي بإربلَ أحبَّابهُ
وأنى الحظيرةُ مِن إربلِ
فعولن فعولن فعولن فعو
فعولن فعولن فعولن فعو

ويُلاحظ أن الشعراء في ذكر إربل مالوا إلى البحر الطويل والكامل في استخداماتهم للبحور العروضية المعروفة، وقد يعود السبب إلى الأغراض التي تطرق إليها الشعراء في مدينة أربل، وقديماً استخدم الشعراء مثل هذين الوزنين لمعظم الأغراض الشعرية التقليدية، ولذلك كثر وجودهما في شعر القدامى والمحدثين.

أما بصدد اهتمام شعراء إربل بالموسيقى الداخلية فقد قلَّ ميلهم نحوها باستثناء التكرار الذي يعد عنصراً من عناصر الأسلوب وقد جاء تكرر لفظة إربل في كثير من مقطوعات الشاعر أبي محمد الكتاني(١٣٣):

إربلُ دارُ الفسقِ حقاً فلا
يعتمدُ العاقلُ تعزيرها

وقوله أيضاً:

إربلُ دارُ الظلمِ لا أخصبتُ
ولا أشادَ اللهَ بنيانها

ومن تكرر الحرف قول أبي عمرو الرصاصي الإربلي(١٣٤):

إذا نارِ القرىِ وقدت لقوم
لنارِ الكيِّ عندهم ضرأُم

إذا ما قيل ضيفٌ جاء يلغى
كأنَّ غشاءً أوجههم قتأماً
إذا ذكر الفخار فلا فخار
وإنَّ عدَّ الكرام فلا كراماً
ومن تكرر الحرف أيضاً قول حسام الدين الحاجري الإربلي حيث كرر حرف الواو في
وصفه لربيع إربل (١٣٥):

ومن شقيقٍ كحسنا
قد أقبلتُ في حريرٍ
ويلسمينٍ كلون الـ
متيم المهجورِ
والغصنُ ميالٌ عطفٍ
كشاربٍ مخمورِ

أما بالنسبة للقوافي فإن شعراء إربل استخدموا قوافي متنوعة.
الهوامش:

- (١) طبقات فحول الشعراء ١ / ٢١٥.
- (٢) تأريخ الأدب العربي (بلاشير) / ٣٤ - ٣٥.
- (٣) التأريخ الباهر / ١٧٧.
- (٤) الهذبانين في أذربيجان وإربل والجزيرة (ماجستير) / ١٢٥.
- (٥) ذيل مرآة الزمان ١ / ٣٨٥ - ٣٨٤ الكامل في التأريخ ١٠ / ٦٣٨.
- (٦) إمارة آل بكتكين (بحث) ٢٢ / ١٣٩ - ١٤٠.
- (٧) وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٧.
- (٨) المقدمة / ٤٣٤.
- (٩) مرآة الزمان ٨ / ٦٨.
- (١٠) هو أبو المكارم محمد بن عابد بن محمد الكرمانى الصوفي. ورد إربل غير مرة، وله النظم والنشر والترسل، توفي ٦١٦ هـ (تأريخ إربل ١ / ١٨٨).
- (١١) المصدر نفسه ١ / ١٨٨.
- (١٢) معجم البلدان ١ / ١٣٧.
- (١٣) قلائد الجمان ٦ / ١٨ - ١٩.
- (١٤) وفيات الأعيان ٤ / ١٤٧.

- (١٥) بلدان الخلافة الشرقية / ١٢٠.
- (١٦) معجم البلدان ١ / ١٣٨. وينظر أيضاً: آثار البلاد وأخبار العباد / ٢٩٠.
- (١٧) الكامل في التأريخ ١٣ / ٥٠١.
- (١٨) جامع التواريخ ١ / ٢٩٨.
- (١٩) ينظر اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري / ٤٥٤.
- (٢٠) هو محمد بن علي الملقب أبو الحسين الشروبي، له أشعار في الوصف رائعة ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٧ / ١١٣ ب).
- (٢١) المصدر نفسه ٧ / ١١٥ ب.
- (٢٢) هو محمد بن أحمد بن عمر، عرف بابن الظهير الإربلي، له ديوان شعر مطبوع توفي ٦٧٦ هـ (ذيل مرآة الزمان ٣ / ٣٨٦، الوافي بالوفيات ٢ / ١٢٣)
- (٢٣) ديوان ابن الظهير الإربلي / ٧١.
- (٢٤) هو عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلي له ديوان شعر مطبوع قتل سنة ٦٢٢ هـ بإربل، (وفيات الأعيان ٣ / ٥٠١، قلائد الجمان ٥ / ٤٠٥ ب).
- (٢٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي / ٢٢٨ وما بعدها، وينظر: الشعر العربي في إربل في العهد الاتابكي (رسالة ماجستير) / ٧٦.
- (٢٦) هو علي بن شماس بن هبة الله، كتب في ديوان الإنشاء بإربل ثم استوزر، مات محبوساً سنة ٦٠٠ هـ (تأريخ إربل ١ / ٦٣).
- (٢٧) النيلوفر: ضرب من الرياض في الماء الراكد (معجم أسماء النبات. ٢٥٤)
- (٢٨) تأريخ إربل ١ / ٦٣.
- (٢٩) المصدر نفسه ١ / ٢٦٩.
- (٣٠) المصدر نفسه ١ / ٢٧٠.
- (٣١) ديوان حسام الدين الحاجري / ٣١٣.
- (٣٢) الحسين بن الضحاك (حياته وشعره) / ٢٣٧.
- (٣٢) المصدر نفسه / ٣١٧.
- (٣٤) دير باقوقا: يقع بالقرب من الزاب الأعلى على مسيرة سبع ساعات من غرب إربل (ينظر ديوان الحاجري ص ٢١ هامش ٣).
- (٣٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي / ٢٤٩.
- (٣٦) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري / ٣٧٥.
- (٣٧) في الأدب العباسي (الرؤية والفن) ٦٦.
- (٣٨) هو أبو غالب بن أبي عبد الله، أبو الخير النحوي، اشتغل بفن النحو والعربية مقتدرًا على نظم الشعر، توفي ٦٧٠ هـ (تأريخ إربل ١ / ٤٥٩، وقلائد الجمان ١ / ١٢٤ ب).

- (٣٩) تاريخ اربيل ١ / ٤٥٩ .
- (٤٠) هو أبو القاسم جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الإربلي له طبع سليم في الشعر، توفي ٥٨٩هـ بإربيل (قلائد الجمان ٣ / ٦٠) .
- (٤١) المصدر نفسه ١ / ٧٤ - ٧٧ .
- (٤٢) المصدر نفسه ١ / ٧٨ .
- (٤٣) هو أبو محمد الإربلي الكردي الهذباني، من رواد مجلس ابن المستوفي الوزير، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٣ / ١٤١) .
- (٤٤) قلائد الجمان ٣ / ١٤٢ .
- (٤٥) المصدر نفسه ٣ / ٢٨، وينظر أيضاً: عيون التواريخ ٢١ / ٦٠ .
- (٤٦) قلائد الجمان ٣ / ٣٠ .
- (٤٧) هو أنوشروان الضرير المعروف بشيطان العراق، ورد إربل والغالب في شعره الخلاعة والمجون والهزل والفحش، لم يذكر المترجم تاريخ وفاته، (نكت الهميان في نكت العميان / ١٢٢) .
- (٤٨) معجم البلدان / ١٣٩ .
- (٤٩) قلائد الجمان ٦ / ١٨ - ١٩ .
- (٥٠) المصدر نفسه ٣ / ٢٧٧ .
- (٥١) المصدر نفسه ٣ / ٢٧٩ .
- (٥٢) هو أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الملقب عماد الدين، صاحب المصنفات، توفي ٦٠٨ بالموصل (وفيات الأعيان ٤ / ٢٥٤) .
- (٥٣) تاريخ إربل ١ / ٧٨ .
- (٥٤) في الأدب العباسي (الرؤية والفن) / ٣٦٥ .
- (٥٥) الهجاء (سلسلة الفنون العربية) / ٨٧ .
- (٥٦) المنتظم ١٠ / ٩٤ .
- (٥٧) هو جمال الدين طه بن إبراهيم الهذباني الإربلي، مدح الخلفاء والأمراء، توفي ٦٧٥هـ بالقاهرة (ذيل مرآة الزمان ٣ / ٣٠٥، عيون التواريخ ٢١ / ٢٠٤ - ٢٠٥) .
- (٥٨) عيون التواريخ ٢١ / ٢٠٥ .
- (٥٩) هو عبد العزيز بن عثمان بن منصور، كان يسرق الأشعار ويمدح بها، ولد سنة ٥٩٣هـ (قلائد الجمان ٣ / ٣٧٠) .
- (٦٠) المصدر نفسه ٣ / ٣٧٠ .
- (٦١) في الأدب العباسي (علي الزبيدي) / ٤١ .
- (٦٢) معجم البلدان ١ / ٣٣٨ .
- (٦٣) قلائد الجمان ٣ / ٣٠٠ .

- (٦٤) المصدر نفسه ٣/٣٠٢.
- (٦٥) المصدر نفسه ٣/٣٠٣.
- (٦٦) المصدر نفسه ٤/٣٠٤.
- (٦٧) المصدر نفسه ٤/٤٠٤.
- (٦٨) معجم البلدان ١/١٣٩.
- (٦٩) هو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الأنصاري، ورد إربيل، (تأريخ إربيل ١/ ٣٦٥، قلائد الجمان ٧/ ١٩٧ أ).
- (٧٠) يسني: البعير يسنى عليه أي يستقي بواسطة الماء (لسان العرب).
- (٧١) هو أبو عبدالله محمد بن أبي المنى المنصور الواعظ الموصللي المعروف، توفي ٦٢٦ هـ (قلائد الجمان ٧/ ١٤٧ ب).
- (٧٢) هو ابن علي بن أحمد بن سالم نسبته إلى عمل الرصاص، كان ينقش الدنانير في دار الضرب لمظفر الدين، توفي ٦٣٢ هـ (قلائد الجمان ٤/ ٣٨ ب).
- (٧٣) المصدر نفسه ٤/ ٣٥ ب.
- (٧٤) قلائد الجمان ٤/ ٣٢ أ.
- (٧٥) هو أبو الربيع سليمان بن بنيمان الإربلي، كان أديباً لطيفاً، نظم في مختلف الأغراض الشعرية، (فوات الوفيات ٢/ ٥٩).
- (٧٦) فوات الوفيات ٢/ ٦٠.
- (٧٧) هو جعفر بن محمد بن محمود عالم متقن لعلوم الفقه والأدب والنحو، توفي ٦٠٤ هـ (الجامع المختصر/ ٢٤٤).
- (٧٨) قلائد الجمان ١/ ١٨٨ أ.
- (٧٩) الغصون اليانعة/ ٧٩.
- (٨٠) صورة الأرض / ١٦٩.
- (٨١) الصلوات الطقسية الفرضية لمدار السنة للكلدان والنساطرة ١/ ٣٦٣ وينظر بحثنا (شاعران من سريلانك أربيل في القرن السابع الهجري) (بحث) / ٣٤. ترجم الأبيات الشعرية من اللغة السريانية إلى اللغة العربية السيد مطران عنكاوه مشكوراً.
- (٨٢) تأريخ الموصل ٢/ ١١١.
- (٨٣) أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي (بحث) / ٣٤.
- (٨٤) معجم البلدان ١/ ٤٠.
- (٨٥) ينظر بحثنا (ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل) / ٧٦.
- (٨٦) أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي (بحث) / ٤٠.
- (٨٧) معجم البلدان ١/ ٤٠.

- (٨٨) تنظر ترجمته في قلائد الجمان ٧/ ١٨ ب، وينظر أيضاً: كنز الدرر ٧/ ٣٥٧.
- (٨٩) قلائد الجمان ٧/ ١٩ ب.
- (٩٠) لسان العرب (مادة: غرب ٩)
- (٩١) ينظر الوطن في الأدب العربي/ ٦٣.
- (٩٢) شعر الفتوح الإسلامية/ ٢٥٧.
- (٩٣) ديوان ابن الرومي ٢/ ٧٨٩.
- (٩٤) التذكرة الفخرية/ ١٠٥.
- (٩٥) وفيات الأعيان ٣/ ٥٠٢.
- (٩٦) المصدر نفسه ١/ ١٠.
- (٩٧) المصدر نفسه ١/ ١١.
- (٩٨) هو أسعد بن إبراهيم بن الحسن بن علي النشابي الإربلي، ولقبه يعود إلى عمل النشاب وهو السهام، له ديوان شعر مطبوع (قلائد الجمان ١/ ٢٦٦، عيون التواريخ ٢/ ١٢٩ - ١٣٠).
- (٩٩) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي/ ٢٨٦.
- (١٠٠) ديوان ابن ظهير الإربلي/ ١٩.
- (١٠١) ديوان أسامة بن منقذ/ ١٥١.
- (١٠٢) وفيات الأعيان ١/ ٤٣٦، وينظر أيضاً: سعد بن علي الحظيري (بحث)/ ص ١٦٩.
- (١٠٣) مرآة الزمان ٨/ ٤٥٢.
- (١٠٤) تنظر ترجمته في الحوادث الجامعة/ ٤٧.
- (١٠٥) الحوادث الجامعة/ ٤٨.
- (١٠٦) البداية والنهاية ١٣/ ١٩٩.
- (١٠٧) فوات الوفيات/ ٢٨٩.
- (١٠٨) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري/ ٤٤٤ دراسات في الأدب العربي/ ٣٦٦.
- (١٠٩) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي/ ٢٥٩.
- (١١٠) الرمي: سحابتان عظيمتا القطر، شديداً الوقع (لسان العرب ١٤/ ٣٣١).
- (١١١) تاريخ إربل ١/ ٦٣.
- (١١٢) النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي/ ٢٣.
- (١١٣) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي/ ٢٢٨.
- (١١٤) ديوان ابن ظهير الإربلي/ ٥٢.
- (١١٥) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي/ ٣١٦.
- (١١٦) المصدر نفسه/ ٣٠٢.
- (١١٧) الغصون اليانعة ٨٠.

- (١١٨) المصدر نفسه ٨٠.
- (١١٩) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الإربلي أصلاً ومنشأً البحراني مولداً، إمام في علم العربية توفي سنة ٥٨٥ هـ (وفيات الأعيان ١٠/٥).
- (١٢٠) تأريخ الشعر العربي / ٧٥.
- (١٢١) قلائد الجمان ٤ / ٣٢٢.
- (١٢٢) ديوان مجد الدين النشابى الإربلي / ٢٥٩.
- (١٢٣) تأريخ النقد الأدبي عند العرب / ٣٠١.
- (١٢٤) خزنة الأدب / ١٩٠ - ٢٠٠.
- (١٢٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي / ٣٦٧.
- (١٢٦) ينظر الحياة الأدبية في البصرة / ٣٦٥.
- (١٢٧) تأريخ إربل ١ / ٣٦٥، قلائد الجمان ٧ / ١٩٧.
- (١٢٨) الجامع المختصر ٢٤٥.
- (١٢٩) ديوان حسام الدين الحاجري ٤١٢، وينظر الشعر العربي في إربل (ماجستير) ١١٧.
- (١٣٠) المصدر نفسه ٣١٣.
- (١٣١) البدية والنهاية ١٣ / ١٩٩.
- (١٣٢) وفيات الأعيان ١ / ٤٣٦.
- (١٣٣) قلائد الجمان ٣ / ٢٠٣.
- (١٣٤) المصدر نفسه ٤ / ٣٢٢.
- (١٣٥) ديوان حسام الدين الحاجري ٢٨٨.

الفصل السادس

الصورة الشعرية عند شعراء أربيل

٥٢٦ - ٦٣٠ هـ

يعنى هذا البحث بدراسة الأدب في مدينة أربيل ليلقي الضوء على اهتمام شعرائها ببناء الصورة الشعرية في قصائدهم، وتبين موقع الشعر في المدينة من جمالية الأدب، وتوضيح قيمه عن طريق الصورة، وفي الوقت نفسه يسعى البحث إلى توضيح بعض مفاهيم الصورة التي لا تزال غامضة عند النقاد والأدباء، عن طريق النماذج الشعرية المبدعة لشعراء أربيل. ولا شك أن نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجري من أزهى العصور الأدبية التي مرّت بها أربيل، فقد ازدهر فيها الشعر العربي، وتعددت موضوعاته في وقت كانت غالبية سكانها من الكرد الذين أسهموا في بناء الحضارة العربية الإسلامية بلغة العصر التي هي العربية حيث لم تكن اللغة الكردية لغة العلم والثقافة.

أما الجدة في اختيار الموضوع فإنها ترجع إلى قلة اهتمام الباحثين بالفنون الشعرية في أربيل في عصر أميرها العادل مظفر الدين كوكبري (ت ٦٣٠هـ) الذي وصل فيه الأدب إلى درجة عالية من النضج بين سنوات (٥٢٦ هـ لغاية ٦٣٠هـ) حيث حقبة حكم هذا الأمير^(١). وقد تضمن البحث دراسة الصورة وملاحظتها عند أبرز الشعراء وأشهرهم، الذين يعدون من أهم رموز الشعر فيها من أصحاب دواوين مطبوعة ومدروسة ومحققة، ومنهم الحاجي الإربلي (ت ٦٣٢ هـ)^(٢)، والنشابي الإربلي (ت ٦٥٦ هـ)^(٣)، وابن ظهير الإربلي^(٤) (ت ٦٧٧ هـ)، حيث اتبعنا فيه منهجاً جاداً، ورؤية موضوعية أشرنا إلى مواضع التعاشق بين الحياة والشعر وبينهما وبين القيم السائدة، وميول الشعراء المتباينة وتوجهاتهم الفنية والموضوعية في إطار من الإبداع، كما أن الشعر لا يكون شعراً إلا بالصورة التي من مهامها تجسيد تجربة الشعراء، وتعميق إحساسهم بالأشياء، وتساعد على تمثيل موضوعه تمثلاً حسيّاً، كما تساعده على التواصل مع العالم الخارجي والاتحاد به^(٥).

فالصورة تحمل إلينا رؤية الشاعر للعالم، وهي عنده واسطة للتعبير عن المعنى، وتخرج باللغة من مستوى إلى آخر، وتصب فيه مواقف النفس والفنية والاجتماعية^(٦)، فهي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة التي تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصورة لا في التصريح بالأفكار المجردة بل بالاستناد على الإيحاء الذي توجي به الكلمة خلال سياق أقوى أثراً في النفس من التصريح^(٧).

فالصورة في القصيدة تشبه سلسلة من المرايا موضوعة في زوايا مختلفة بحيث تعكس الموضوع، وهو يتطور في أوجه مختلفة، ولكنها صورٌ سحرية، وهي لا تعكس الموضوع فقط بل تعطيه الحياة والشكل، ففي مقدورها أن تجعل الروح مرئية للعيان^(٨).

ويلحظ أن أول من استعمل لفظة الصورة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وكان يقصد بها الصياغة المؤثرة في المعنى، والقادرة على إثارة المتلقي، واستمالاته إلى موقف معين، حينما يقول عن الشعراء إنهم "يصورون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل"^(٩)، فكلمة يصورون تعني هنا التشبيه والتمثيل أو تقريب المعنى إلى الخيلة بجهد ذهني يحمل المتلقي على التأثر به.

أما مفهوم الصورة في النقد الحديث فقد اختلف بتنوع المذاهب الأدبية وقد ذهب الدكتور زكي مبارك إلى: "إن الصورة الشعرية هي أثر الشاعر المفلّق الذي يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدري أيقراً قصيدة مسطورة أم يشاهد منظرًا من مناظر الوجود، والذي يصف الوجدانيات وصفاً يخيل للقارئ أنه يناجي نفسه ويحاور ضميره"^(١٠).

ولم يكن لدى الباحثين في موضوع الصورة حدود واضحة بين الصورة الفنية والصورة الأدبية والصورة الشعرية، فقد استخدموها جميعاً على أنها أسماء عدّة لمسمى واحد^(١١)، ولعل عدم وضوح ذلك يعود إلى تداخل تلك المصطلحات، ولكن الصورة الشعرية اندرجت في الصورة الأدبية بوصفها جزءاً منها في أغلب الأحيان، وكذلك لا يمكن أن تكون القصيدة كلها صوراً شعرية، ولكن الصورة تصادفنا دائماً بين ثنايا القصائد.

وقد أشار البلاغيون إلى المنابع التي يسترفدها الشعراء في إبداع صورهم، وإنها عند النظرة الإجمالية ترجع إلى مصدرين أساسيين، هما: الكون، والنفوس. فالشاعر يمد عينه وعقله ووجدانه إلى ما يحيط به من أشياء وأحداث ومواقف يلتفت إليها في وعي يقظ، وفهم مستبطن فيحتويها بدقائقها وأوصافها ودلالاتها^(١٢).

وهناك أودية أخرى استمد منها شعراء أربيل صورهم، فتضمنت أشعارهم صوراً في الطبائع والأنفس من محمود الأخلاق ومذمومها، في رخائها وشدتها، ورضاها وغضبها، وفرحها وغمها، فشبهوا الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبوا إليه في معانيها التي أرادوها^(١٣).

وفي هذه البيئة التي استمد منها شعراء أربيل صورهم ليست أشياءها على درجة واحدة من الوضوح والقرب، وإنما تختلف في ذلك اختلافاً شديداً، فهناك شواهد خفية لا تراها إلا العيون التي على درجة عالية من الوعي وسلامة الشعور، وهناك من الأشياء ما هو على درجة واضحة وقريبة من أذهان الشعراء، فالصور المستمدة من الظواهر القريبة صور ساذجة يدوم

تردها كثيراً، أما الصور المستمدة من شواهد تقل رؤيتها فهي صور نادرة بديعة^(١٤). تألفت ثقافة شعراء أربيل من مشاهداتهم الشخصية ومعارفهم الفكرية الماضية وتجاربهم الحاضرة، وقد كانت الموروثات المادية من بناء وعمران، والموروثات المعنوية التي منها الدينية والقومية والفكرية منابع ثرة، استقى منها الشعراء صورهم، وقد كانت هذه الموروثات من جماد وأحياء تتمثل للشعراء وهم يتناولون موضوعاتهم ليمنحوا صورهم عناصرها المتعددة المتنوعة.

وقد استقى النشابي الإربلي صورته من المدوح، فالأرض تخف أو تثقل بموت المدوح أو حياته، وهو شديد الارتباط بواقعه الذي يحياه حيث عاش في بيئة حضرية، فلم نجد في مدائحه صوراً عن البادية وأنوائها، بينما الحاجري الإربلي أغرم بجمال المرأة الإربلية على أساس حسي والمظاهر الخارجية يكشف عنه دون جهد ومعاناة واضعاً بصماته بشيء من الذاتية، واستقى صورته من الغزل بأرق الألفاظ وأحسنها وهو شاعر الجمال بصدق، أما ابن ظهير الإربلي فقد أعجبه الطبيعة وما فيها من النباتات والأشجار والشجيرات وأوراقها وأزهارها وألوانها، ووصف المدن الحضارية ومنظومات في الحكمة والفلسفة، وهو لا ينظر إلى ما يحيط به وإنما ينظر في بيئات تزدهم بالمظاهر الحضارية التي تعينه على تصوير الشواهد تصويراً جديداً.

أما الحديث عن بناء الصورة الشعرية فقد تناولتها دراسات عدة وصلت إلى نتيجة مفادها أن الصور تقوم في كثير من الشعر العربي على الاستقلال، والتركيز على البيت الواحد في القصيدة^(١٥)، وقد سار شعراء أربيل على هذا النهج في إبداعهم للصورة شكلاً ومضموناً، مع عدم الإهمال المتقصد لأنماط الصور الأخرى. فالمحدثون حملت صورهم تسميات بعيدة عن الفهم القديم للصورة، فظهرت عندهم مصطلحات التجربة والحوار والمفردة والموقف والفكرة والأبعاد النفسية والتوافر... وغير ذلك^(١٦).

وهناك من يقسم الصورة الشعرية إلى هياكل مسطحة وذهنية، وأنماط الصور في البناء الذي هو الدائري والطرزوني والبناء المفتوح، وكذلك تقسيم الصورة إلى بسيطة ومركبة وكلية^(١٧)، ونحن في بحثنا هذا أبعدها هذه الأنماط لأنها قد لا تنسجم تماماً مع أدوات الشعر القديم في حقبة البحث، وفي ضوء الأفكار السابقة والتصورات المتولدة تم تحديد خطوات البحث الذي يتضمن الصور الحسية التي هي سمة بارزة في الشعر الإربلي من خلال الحواس الخمسة، ثم تبعها الموضوعات الشعرية من خلال صورة المدوح والمرأة والخمرة والمكان والزمان واللون، ثم أشار البحث إلى صور تجارب الشعراء الذاتية التي أفرزتها إحساساتهم تجاه المشيب والموت واللؤم والشكوى من السجن والهَم الشخصي، وبالنظر

لبراعة شعراء أربيل في توليد الصور البلاغية لذا خصصنا جزءاً من هذا البحث للحديث عن صور التشبيه والاستعارة والكناية والتشخيص والتجسيم. فضلاً عن صور أخرى بالأساليب البلاغية المختلفة، وقد ثبت أن الشعراء أولوا رعاية بالإيقاع لذا أولى البحث عنايته بالصورة من خلال النغم الذي يتضمن البحر والقافية والتكرار وتداعي الحروف والكلمات والجمل، وبسبب شيوع الوضوح والبساطة في لغة شعراء أربيل، لم نكن بحاجة إلى التعمق في تحليل الشواهد وتوضيحها لأن معانيها جلية للقارئ إلا في مواضع قليلة استدعت بعض التحليل لإخراج الصورة بهيأتها الصحيحة.

أولاً: الصورة الحسية وأبرز أنماطها:

الحسية تعني لغة العلم بالشيء والإحساس به^(١٨)، وللحواس دور رئيس في استلهام الشاعر للصور الحسية ولها نصيب أوفى، فإيراد الصور الحسية يقدم تشابكاً عقلياً وشعورياً في لحظة من الزمن^(١٩)، ومن الضروريات الأولية في قراءتنا للشعراء أن ندرك الألفاظ إدراكاً تصويرياً، لأن التصوير وسيلة بيد الشاعر للتعبير عن أفكاره الحسية والذهنية وغيرها^(٢٠). وتتوزع الصور الشعرية التي قوامها الحواس على حاسة البصر التي تستأثر بالصور الفنية أكثر من بقية الحواس الأخرى، وعلى حاسة السمع التي هي وسيلة لتصوير الأصوات التي تقوم عند الشاعر مقام الموسيقى التصويرية، وعلى حاسة اللمس التي تلمس الحرارة والبرودة، وعلى حاسة الذوق التي تدرك الحلو والمر، وعلى حاسة الشم التي تتحسس الروائح المختلفة.

أما أنماط الصور فإنها تتولد من هذه الحواس بنسب مختلفة من حيث الكم، وقد تكون الصورة أحادية الشكل من حيث معطيات الحاسة فيها، وقد تتوافر الصورة الواحدة على حواس عدة في آن واحد، فتكون بصرية سمعية أو ذوقية شمعية، أو أكثر من ذلك. وفي العصر العباسي كانت هناك حضارة مادية في أغلب وجوهها، لذلك نزعت إلى الحس أكثر من نزعتها إلى الروح، ومع وجود هذه السمة فإنه يمكن التأكيد أن الصور الحسية في معظم الأحوال لا علاقة لها بالعصور الأدبية، وهي نفسها اليوم والأمس، غير أن ما يميزها اليوم هو عمقها الثقافي والبيئي ودرجة رقي الإنسان في عقله ووجدانه. وقد يجد الباحث اختلافاً عند شعراء أربيل في صورهم الحسية، وقد يكون السبب ناشئاً عن اختلاف درجة وضوحهم، ودقة ذوقهم، وعمق تجربتهم، فأضاف كل واحد منهم ما أضاف، وجهد نفسه في استخراج معانٍ لصوره، وإذا ما تعمقنا في ديوان الشعر الإربلي سنجد الشعراء قد أكثروا من رسم الصور الحسية، وتأتي الصورة البصرية في مقدمة الصور الأخرى من حيث الكثرة والتنوع.

١- الصورة البصرية:

اعتمد شعراء أربيل في هذا النمط من الصور على حاسة الإدراك الأولى العين التي تمر بين عالمها الصغير الدقيق محسوسات الطبيعة وأحيائها حجماً ولوناً وحركةً وجمالاً، فكلّ عبث للريح يحرك منها معنىً، وكلّ لون، وكلّ مدّ للظل، وكلّ اشعاع للضوء تصوغه العين رائعة. فالصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الشاعر من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، والخيال يحفظ الصور المرشحة في الحواس عن طريق البصر، لذا جاء أكثر الصور في الأدب عن طريق البصر. فالطباع العام للصورة هو بصرية مرئية (٢١).

استأثرت حاسة البصر باهتمام الشعراء في تصوير مشاهد البيئة، لأن هذه الحاسة هي التي تلح على وجدان الشاعر في هذا الموقف، فتنتال في خاطره ألفاظ الرؤية ومعانيها التي منها (رأى، نظر، بصر، شاهد... الخ).

فابن ظهير الأربلي يرسم صورة بصرية عن وصف نهر بردى في الشام.

رأيت به بحراً من الدّوح مزبداً

وغدراثة حيتانه منه ترقص (٢٢)

والحاجري الأربلي يصور لنا البروق اللامعة بالغمضى.

لا ومن أحرم عيني أن ترى

بالغمضي غير بروق لامعة (٢٣)

وقوله أيضاً:

كأن وميض البرق من هضباته

يعمد قلبي فاستطار بلبه (٢٤)

والنشابي الأربلي يرينا صرح ومجد ممدوحه.

وأرانا صرحاً كأن قوارير

لديه قد قدّرت تقديراً (٢٥)

ويجدر أن نشير الى أن حاسة البصر لها حظ كبير في تصوير جمال المرأة أكثر من غيرها من الحواس المشتركة معها، لأن العين أول ما تستقبل صور الجمال التي تملأ الخيال، وتأسر الوجدان. فصور حسناوات أربيل استرعت انتباههم وجذبت أنظارهم.

يقول ابن ظهيرا الأربلي:

ووردة هاتيك أم وجنة

وروضة أم وجهك الباهر؟ (٢٦)

وقوله أيضاً:

لو كنت شاهد عبرتي
وخفوق قلبي الخاشع
لرأيت نار صبابه
تُذكى بماء مدامعي (٢٧).

يقول الحاجري الإربلي:

وغزالٍ من آل شيبان قد أح
رم عيني في الليل طيب الرقاد (٢٨)

وقوله أيضاً:

وجمال الوجه ييدي جنة
ورضاب الثغر يهدي كوثر (٢٩).

وقد أحسن شعراء أربيل عندما أقحموا عيونهم في الشعر الخمري وهم يمزجون بينه وبين
صور المرأة الحسناء.

يقول ابن ظهيرا الإربلي:

أدار عقيقاً في إناءٍ من الدرّ

فعاينت شمس الراح في راحة البدر (٣٠)

وثمة أمر آخر ينبغي الإشارة إليه وهو أن شعراء أربيل خلقوا نوعاً من المنافسة في خلق
الصور البصرية حتى وصل بهم الأمر إلى المبالغة في خلق صور بصرية إلى جانب صور
شمية وسمعية. ويبدو أن الحاجري الإربلي قد برع في هذا التوجه حيث جمع صوراً حاشدة
تتشال برقة وعذوبة، أجادت بها قريحته عندما مزج بين هذه الصور والتشبيهاً المبدعة
والتصوير البديع عن طريق تكرار حرف الواو في بداية كل بيت.

جمع الشاعر في هذه الابيات بين صور متعددة التي منها صور شميه وبصرية وسمعية
وحركية ولونية وذوقية، وقد امتلك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة في الطبيعة
كما تقع في الحس والشعور والخيال والأبصار حين مزج بين رائحة وردة البنفسج في مهب
نسيم عليل، ومشبهها وردة الاس بخد فتاته الشاردة، وشدو البلابل بألحانها العذبة، وتمايل
الأغصان في حركاتها كأنسان مخمور فقد توازنه، وتفتح الورود أمام أبصارنا كأنه جيش
يخوض الوغى، وهو في حالة نصر وفرح ونشوة إلى جانب سيلان الماء الأزرق في الجداول
الذي ينعشنا بخيريه. إن جمع هذه الصور المركبة يدل على ملكة الشاعر الفذة وسعة شعوره
حيناً، ومن لطافته ودقة تصويره حيناً آخر.

٢- الصورة السمعية:

وهي طريق آخر للتعبير عن مشاعر وخلجات نفس الشاعر، والصورة السمعية والبصرية تتماشى مع ما يردده النقاد من أنهما معاً يشكلان جوهر الشعر(٣٢).

فالصورة السمعية تعتمد على تصوير الأصوات وتأثيرها في النفس، فالأذن كالعين توفى القلب ما كان، فالإحساس البصري لا يحدث دون الصورة السمعية التي هي رنين الكلمات في الأذان وقد قيل: "إن الشعر فنّ سمعي وليس فنّاً بصرياً"(٣٣). والسماع يقوي ذكاء القلب ويذكي الفريضة، ولم يخل ديوان الشعر الإربلي من الصور السمعية التي ابدعوها باعتماد المفردة ذات الدلالة السمعية أو الاجتماعية أو معانيهما معاً، وتتم _ أحياناً _ عن سجية موهوبة وطبع مصقول، والصور مستمدة من واقع كردستان المليء بالغابات والأشجار والبساتين والأديرة في ذلك الوقت.

يقول الحاجري الإربلي:

ويطربني ورقّ الحمام اذا شدا

ألا كلّ مشتاق الفؤادِ طروب(٣٤)

ويقول ابن ظهيرا الإربلي:

وتعطف أعطاف الغصون حمامة

إذا ما تغنت والغديرُ يصفق(٣٥)

وقوله أيضاً:

ورب دير طرقنا بابه سَحراً

وللنواقيس في أعلاه أصوات(٣٦).

وهنا يخلق الشاعر صورة مركبة من تشابك أغصان الشجر وهي تحتضن حمامة تشدو ليمتزج هذا الشجو، بترديد الغدير وطربه ورجع خريير مياهه، وهي صورة بصرية سمعية حركية جذابة تشجى السامع والبصير معاً، ومن صوت النواقيس صورة الأصوات وفعلها في النفس فضلاً عن الإيقاع. وقد قيل: إن الكلمة تحاكي في إيقاعها معناها كما يحاكي الهديل صوت الحمامة، والخريير صوت الماء(٣٧).

والصورة السمعية تعطي انطباعاً في النفس تشمل عناصر الطبيعة والكون والعالم الذي يحيط بالشاعر في معظم الأحيان. يقول الحاجري الإربلي:

لا سجعت ورقاءً بعد الحمى

ولا سرت فيحاءً ريحُ الصبّا(٣٨)

وقوله أيضاً:

وأينع زهر الروض وهي خميلة

وناح حمام الأيك وهو طروب^(٣٩)

وحين يريد الشاعر المبالغة في الصورة البصرية يصنع إلى جانبها صورة سمعية، فثمة زهور وعتور تطيب المكان وعزف الحمام يؤنس النفس.

٣- الصورة للمسية:

استرعت الصور التي قوامها حاسة اللمس عند شعراء أربيل انتباه القارئ، فثمة البارد والحر والناعم والخشن، فضلاً عن صور تمس حاسة لمس القلب عن الشوق والحرقة، ويتراوح أسلوب التصوير بين الوصف المباشر للشيء بالصفات التي تدركها حاسة اللمس، أو بالألفاظ الموحية بما تملك في ذاتها من معنى، أو بالصور الملازمة لنوع الإحساس للمسي. فالصورة التي غلبت عليها صبغة البرودة والحرارة هي التي اهتم بها شعراء أربيل. يقول ابن ظهيرا الأربلي:

وهل بارد من ماء باناس مبرد

لظى كبد حرى لها الشوق محرق^(٤٠)

فأكثر مواد البنية الشعرية عند الشاعر منتقاة من الطبيعة، دون أن يحاول الشاعر إخفاءها، فجاءت صورته مبسطة بريئة، ولكن الشاعر لم يستوح رموزها من مشاهداته اليومية ومن المعاني في دواخل الطبيعة الواسعة، فهو اكتفى بخياله المستفيض. والنشابي الأربلي في صورته اللمسية يجعل من أصابعه أن تجس مواضع النعومة والإغراء في محبوبته الحسنة في شعر غزلي حسي. فالصورة اللمسية وفيرة صافية أو غائمة - أحياناً - مما يشوبها مداخلات الحواس الأخرى.

لأقطعن رمان النهود فغت من

دموعي حباً أحمرأ فوق حجره^(٤١)

ظنوا عطاياه لاستعظامها حلماً

لو أن جفن المنى ما مسه الأرق^(٤٢)

والحاجري الأربلي يستحضر في صورته اللمسية مغامراته مع النساء وما أكثرها، يضاف لها انسيابية غير محدودة في نقل الصور التي يبدو فيها الشاعر وكأنه يتحدث بالصورة وبكل المعاني المألوفة وغير المألوفة، فضلاً عن التوافق والائتلاف المتناسق في صورته.

وكلمما ناولتني قبلةً

أشرق وجه الزمن المقبل^(٤٣)

وقوله أيضاً:

عانقت فمه ما شفيت به الجوى
فكأنني عانقته يقظانا(٤٤)
ومن الصور الملازمة بالصفات التي تدركها حاسة اللمس قول النشابي الإربلي:
بجمال جعل الخد لنا
كعبةً نلثم منها الحجر(٤٥)
وقوله أيضاً:
قطفت مقلتي شقيقة خد
يه فامست محمرة بالقياس(٤٦)

٤- الصورة الذوقية:

وظّف شعراء أربيل حواسهم واستدعوا لتهيئة وخلق صور جمالية متكاملة، وكان لحاسة الذوق دورها في التعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم، والحاسة هذه أسهمت في إبراز صور معينة إلى الوجود في موضوعات مختلفة، واتخذ الشعراء ألفاظاً موحية يتذوقون معانيها التي منها: "مرارة السم، الخمر الصرف، الشهد، ساغ، حميم، شرب، مذاق، قراح، عذوبة، حلو، مرّ" وهذه الألفاظ وغيرها هي مكونات حاسة الذوق عندهم.
يقول النشابي الإربلي:

فنداه العذب يحلو طعمه
وسطاه للعدى مرّ المذاق(٤٧)
وقوله أيضاً:
وكذا يسقي الأعادي سيفه - إن سطا - كأن حميم وغساق(٤٨)
يقول الحاجري الإربلي:

كأنّ بدمعي من لماك عذوبةً
فمنذ نُقّته ما راق لي غير شربه(٤٩)
ولكثرة استخدام شعراء أربيل لهذه الألفاظ، فليس من المشقة العثور على فيض من الصور الذوقية المتعددة، وقد أتت بعض هذه الصور منفردة كما ذكرنا سابقاً، ومنها قول النشابي الإربلي:

ويمسي في حمى الإسلام عان
بجفن لم يذق طعم المنام(٥٠)
وبعضها الآخر جاءت مشاركة لحواس أخرى التي منها الشم وبخاصة في بيان جمال المرأة التي هي دواء للسقم، وماء للظمأ، وزاد للجوع. ووصف الخمرة في الغالب.

يقول الشاعر نفسه:

حيّتك بارقة الثغور بريقها

وسقتك ذات الخال من إبريقها(٥١)

وقد يأتي بعض الصور الذوقية مشاركة مع الحاسة البصرية والسمعية في وصف محاسن المرأة نفسها ايضاً، وفي الغالب يكون الحاجري الإربلي في مقدمة الشعراء الذين جمعوا عدّة صور مختلفة في بيت واحد وبالذات حينما يتعلق المعنى بالمرأة.
حلّوتم إلى قلبي مذاقاً ورقنتم
إلى ناظري مرأى وسمعاً إلى أذني(٥٢)

ويقول أيضاً:

أظمأ وفي تلك الرضاب موارد

ألذ من السلسال والخمر والشهد؟(٥٣)

٥- الصورة الشمية:

بث شعراء أربيل في صورهم الشعرية الروائح والطور واستفاقت عندهم حاسة الشم لما يجري في عروق هذه الروائح والطور من عبير، وخصوا في الغالب هذه الروائح بالمرأة، ليعطوا صورة المرأة الكريمة وهي تنطيب بالعطر حيث يشم الشاعر عطرها ويتمثلها في أشعاره التي منها ريح المسك والعنبر وعطر الورد.
يقول الشابى الاربلي:

ويكثر الطيب عندي حين أمدحها

كأنما المسك من تذكراها عبق(٥٤)

وقوله أيضاً:

وإن شممنا عرفها

قلنا هو المسك عبق(٥٥)

وتختلط الصور الشمية عند الحاجري الاربلي بالصورة البصرية:

ونشر يذوع المسك من نفحاته

يخبر عن بان الكثيب وكثبه(٥٦)

وقوله أيضاً:

في ليلة سمح الزمان بطيبها

ليلاً ونشر القرب منها يعبق(٥٧)

وقد تدور ألوان من الصور الشمية في فلك صور الجمال في الطبيعة، فعند فرز الصور

الشعرية لدى شاعر معين، نتعرف على مواصفات الشاعر الخافية على الناس، وقد استعان ابن ظهير الأربلي بصور شعرية مستقاة من جمال الطبيعة أكثر من محاسن المرأة وجمالها: كأن سراها فأر مسك مفتق

عليلة أنفاس النسيم رياضها(٥٨)

وقد يستعين أحياناً بصور عن الخمرة، والشاعر يجعل من الطبيعة في أكثر الأحيان نبغاً لصنع صور حسية:

طاف بدر الدجى بشمس النهار

في رياض أنيقة الأزهار(٥٩)

وفي ديوانه نجد أنه كثيراً ما يجمع بين صور متعددة منها بصرية وشمية ونفسية وسمعية في إطار من الصورة الحركية مجدداً ومبدعاً غالباً.

وألم بالدوح النسيـ

مُ أريجة أردانه

فتجاذبت اطيّاره

وتحرّكت أفنانه

والعود أصبح مزهرا

ورق الحمام قيانه(٦٠)

وقوله أيضاً:

أإن شمت برقاً كان بالشام لائحاً

غدوت لدمعي في ثرى السفح سافحا

أتى رافعاً ستر الظلام ومالئاً

بأنورا هضب الفلاة الأباطحا(٦١)

ثانياً: الصورة الشعرية من خلال الموضوع:

قد يكون من العسير على الباحث الحصول على صورة شعرية خالصة الموضوعية، لأن ما ينتجه المبدع من الصور تعتمد على رؤيته وموقفه تجاه الموضوعات التي يتناولها، وقد اتفق النقاد على أن الصورة الشعرية هي نقل للواقع يختلف عن النقل الآلي، لأنها وإن اعتمدت العناصر الحسية، لا تتوقف عندها، وإنما تنفذ إلى تلمس العلاقات التي تتصل بالمعنى من وراء هذه العناصر الحسية، لذلك نجد الصورة الشعرية في موضوعات متعددة(٦٢).

ومن أهم عناصر الموضوع عند شعراء أربيل صورة الممدوح الذي يمتلك القدرة على الحلول في أكثر عناصر الصورة بهاءً ومضاءً فهو عند النشابي الأربلي: وارث النبوة، والمنقذ من

المغول، والأسد الشجاع، وطوفان ندى، والقائد البارع، كفاه بحر، بحر علم، صاحب العصر
والزمان، سيف مصقول، وجهه بدر.

يقول الشاعر في مدح المستنصر بالله العباسي:

صاحب العصر والزمان إمام الـ

خلق طراً ووارث الأنبياء(٦٣)

ويقول أيضاً:

لا تقل كفاه بحر إذ غدت

أبحر الدنيا له بعض السواقي(٦٤)

وقوله:

بحر علم، بحر جود وبأس

يقذف الجاحدون عنها دحوراً(٦٥)

وقد نجد - أحياناً - يجمع في صورة مركبة مبدعة من كرم وعقل ونسك وهدى وحكم
وصدق، وهي صور أخص الله بها أنبيائه والحكماء من الناس.

جلّ عن التشبيه في نواله

بحاتم وحكمه بأحنف

بل نسك عيسى وهدى محمد

وحكم لقمان وصدق يوسف(٦٦)

وفي بعض صورته تظهر موهبة الشاعر الأدبية وانسجامه التام مع الممدوح.

وما على مادح أطراه من تعب

فمدحه قبل نظم الشعر ينتظم(٦٧)

وقوله أيضاً:

حقاً لمن ورث النبوة والهدى

والدين والإيمان والإسلاما

والركن والبيت العتيق ومكة

والحج والإحلال والإحراما(٦٨)

وهذه المعاني التي ذكرها الشاعر هي خصال ثابتة في النفس الإنسانية، واستوجد ذلك
حبّ الإنسان لطيب الذكر وحسن الصيت، وهذه صور مألوفة عند شعراء أربيل، ولكن يبدو أن
بعض مضامين هذه الصور تكشف عن الفكر السياسي لدى النشابي الإربلي حيث كان العالم
الإسلامي يتعرض إلى تهديد المغول بالزحف والصليبيين بالاحتلال، وإن هذا العالم بحاجة

إلى منقذ عادل وقوي يواجه هذا الخطر المحدق بعزيمة وصلابة وهنا يشارك الشاعر زميله ابن ظهيراإربلي الذي يخصص جلّ مدائحه في صلاح الدين الأيوبي وذريته الذين انقذوا البلاد الإسلامية من الاحتلال الصليبي لذلك كان لهم حظ كبير في صورته الشعرية فهم: أصحاب همّة، ونجوم وكواكب، وربيع منعش، وغيث يستسقي الغمام به، وأبطال في الحروب، يبذلون العطاء، وهم هبة الله وعقول تفرّدوا بها.

وقد نصرت دينه

بعزمك المظفر

لما أعنت المسلمي

ن من جلاء التتر(٦٩)

ويلحظ على الشاعر حشده المكثف لصور القوة والشجاعة، وصور السلاح والخيل، وصورة الجيش المزدان بالكثرة، والزحف الرهيب حينما يقدم على خوض المعارك، وأكثر هذه الصور عبارة عن لوحات ملوّنة تصور التفاؤل والايامن المطلق بالنصر الأكيد على أعداء الأمة الإسلامية.

وفي إحدى مدائحه، يشبهه صور الرماح الثابتة المدافعة عن حياض الإسلام بدعائم وأركان الدين الإسلامي، ويصور عودة الحرية إلى بيت المقدس وإقامة الصلاة فيه بعد تحريره من الأحتلال بيد صلاح الدين الأيوبي بإعادة النور إلى اروقتة، والضياء الى جنباته ويصور الاحتلال بأنه ليل شرك أسود قاتم.

مليكُ من القوم رماحهم

دعائم هذا الدين في كلّ مشهد

وردّوا إلى البيت المقدس نوره

وقد كان في ليل من الشرك أسود(٧٠)

أما صور الممدوح عند الحاجري إربلي فهي نادرة بل معدومة لأنه لم يقف يوماً بأبواب الملوك، ولم يمدحهم طمعاً في نوال أو كسب الجوائز، لأنه كان من أبناء الأشراف الأغنياء، لذلك فهو لديه قصيدة واحدة متكلفة مصنوعة في بعض أبياتها يصف ممدوحه بالجواد، وربّ مطارف وجياد.

لله كم صلة لوابل جوده الطائي

على ونعممة وأيادي(٧١)

أما مدائح ابن ظهيراإربلي فهي تجسد صورة القوة والشجاعة من خلال جيش صلاح الدين وأحفاده _ في معظم الأحيان _ مركزاً على صورة جيش هذا القائد الذي يملأ الشاعر

منها عينه ونفسه، وهي صورة مبهجة متحركة صاحبة في نظره، وتبدو إشراقها عند اشتداد القتال ليكون لطعنهم إيجاعه المؤثر من خلال عدة صور حاشدة جميلة "فالصورة الجميلة بنية حية تشتبك أجزاءها في علاقات فيما بينها، وهي في مجموعها تكون تلك الوحدة التي هي في الواقع نتيجة لتلك العلاقات، وإدراك هذه العلاقات في الصورة هو كشف في الواقع لعناصر جمالها" (٧٢).

يقول الشاعر:

ملك من القوم الذين رماحهم
دعائم هذا الدين في كل مشهد
وقد ركبت فرسانه بحر أيلة
يخوضون في بحر من الكيد مزبد
وهم رجعوا حصراً إلى دعوة الهدى
بعزم ورأي في العظام محصد
فسل عن ظباهم يوم حطين كم مضت
مراد الله في كل أجد (٧٣)
وفي بعض الأحيان يصف السمات الشخصية لمدوحيه بقوله:
الناصر السلطان ذي الهمم الذي
أعيا الملوك الأولين لحاقه
فالشكر مقصور عليه لسانه
والعز ممدود عليه رواقه (٧٤)

وهنا ينبغي علينا الحديث عن صور الحب في الغزل، لأن الحب هو موضوع للشاعر والإنسان ما بقيت الخليفة، موضوع حي نابض، ومادته في الشعر هي المرأة، وقد انصب شعراء أربيل اهتمامهم بالأسس الجمالية المتوافرة في المرأة الأربلية وغيرها من البلاد الإسلامية، وقد فهموا هذه الأسس على أساس حسي بالاعتماد على المظاهر الخارجية للمرأة يكشفون عنها من دون معاناة مبتعدين فيها عن نظرة الابتذال. فالمرأة الأربلية عندهم مصدر من مصادر الجمال.

وصف الحاجري الأربلي المرأة في صور بدوية، فالحبيبة ظاعنة يكتوي الشاعر بنار فراقها ويحن إليها ويتمنى قربها.

نعم استقلوا ظاعنين وخلفوا
ناراً لها في القلب قدح زناد (٧٥)

فالصورة لا تخرج عن مواطن الجمال لدى المرأة في الصحراء من مرثيات كالظباء والمها
والبان وغصن النقا وشجر الآراك، وقد يجمع الشاعر هذه الصور بلباقة في قوله:

بدا فأراني الظبي والغصن والبдра
فتبَّأ لقلب لا يبيتُ به مغرى^(٧٦)

وتكتمل الصورة البدوية لهذا الشعر الوجداني العفيف بذكر الحادي والرحيل في السرى
ومشهد القافلة وهي تبتعد رويدا رويدا في غياهب الصحراء، حاملة معها ركب الحبيبة، فلا
يبقى للشاعر الولهان غير تسقط الأخبار، ومساءلة ريح الصَّبَا، ومتابعة لمعان البرق علَّها
يحملان ما يشفي غليل العاشق.

يا برق هل برق المحصب سائله
عماً يجنُّ من الهوى العشاق^(٧٧)

وجدير بنا أن نشير إلى أن الشاعر بغية الوصول إلى منظوره البدوي الذي ألزم نفسه به،
ضمّن شعره الكثير من الأدوات التعبيرية التي تؤصل هذا المنظور، وتعمقه، فنراه - أحيانا -
يكثر من صور المجنون وحبيته ليلي العامرية.

كلما اشتقت سليمي
فاض من عيني عيون
ما لقي مجنون ليلي
بعض ما ذقتُ جنون^(٧٨)

وفي سياق آخر نجد صور العاذل واللائم والرقيب واللاحى والواشي تشكل هواجس الشاعر
التي يتحسس منها، وفي هذا العصر كان هذا التوجه سائراً عند الشعراء، وهو اتخاذ أولئك
وسيلة لبيان صورة المحبوب، وعرض محاسن جماله ومن ثم تبرير شدة الهيام به.
يقول الحاجري الإربلي:

مِلّ الملال ولا تصغي إلى العذال
إي منيتي وأطرح قول الوشي الأذال^(٧٩)

وقوله أيضاً:

أخافُ عليها من عيون وشاتها
وأخذ عنها حين تقبل جانبا^(٨٠)

أما صورة المرأة عند النشابي الإربلي فهي تنحو منحى آخر. فالشاعر يتناول من صورهِ
محاسن المرأة ومفاتنها البارزة التي منها: مجدولة الخلق، وريقها حميا الراح، وحديثها
معسول، وخدها أسيل، وقوامها كالغصن، وطرفها راشق بالسهم تارة، وفاترة تارة أخرى،

وخصرها نحيل، وجبينها كالصبح، وشعرها كالليل، وخالها أسود كبلال الحبشي، وقد أذن وكبرّ عندما رأى الليل وقد انقلب ظهراً بسنى وجه المحبوب، وصدغهُ مرسل كالظلمات، وثغره ماء الحياة.

يقول النشابي الإبلي:

أماط لثاماً والدّجى مثل شعره

طويل فأبدى ثغره مثل فجره^(٨١)

وقوله أيضاً:

وبلال الخصال لما أن رأى

بسناك اللّيل ظهراً كبراً^(٨٢)

ولم يخرج ابن ظهيرا الإبلي في صورته عن المرأة عن صور زملائه، ولكن يبدو أن صورته عن المرأة لم تنبعث عن نفس مختلجة وعاطفة قوية بل من إعجاب بالشكل وانبهار بالقوام.

غزال أعار الطّبي لفتة جيده

غرير أعار الخيزرانة قدّه^(٨٣)

فالجمال مطلوب في كل شيء، ولا سيما في خيال الشاعر، فابن ظهيرا الإبلي إذا لم يجده صنعه حيث يخلق منه نموذجاً يتصيد قلب الشاعر من خلال جمال المرأة الجسدي، ومن ذا يستطيع تمالك نفسه أمام منظر الجمال، فيتصور امرأة ذات شعر مجدول وحاجبين جائرّين فهي شادن وظبية نافرة، وهنا يريد الشاعر أن يعطينا ما استنتج من الحب لا أن يصور لنا الحب نفسه، بقوله:

تخذت من شعرك احبولة

لا غرو إن صيد بها شاعر

حاجبك المفرط في ظلمه

أعانه ناظرك الجائر

يا رشاً أنسني بأسى

لم أنت عني أبداً نافر^(٨٤)

وفي المعنى نفسه يقول:

ظبي يؤنس بالغرام نفااره

ويجد في نهب القلوب بمزحه

ذو وجنة شرقت بماء نعيمها

كالورد أشرقه نداه برشحه^(٨٥)

ونحن نمضي مع موضوعات الشعر فينبغي الإشارة إلى صورة الخمرة التي لم تبارح خيال شعراء المدينة، فالحاجري الإربلي عاش حياته لاهياً عابثاً يُنشد اللذة، ويعانق الخمرة، ويرتاد منتدياتها، لذلك فقد وصف الخمرة بصور متعددة، وتغنى بمدحها، وترنم بمعاقرتها، وصور مجالس شربها، ولهج بذكر أديرتها، ووصف سقاتها، وتغزل بهن.

ومن صورهِ المبدعة في مدح الخمرة تشبيه الخمرة بالعاتق التي هي الجارية إذا أدركت وبلغت فخرت في بيت أهلها ولم تتزوج، ومراد الشاعر الخمرة غير الممزوجة بسواها فهي كالبر العاتق من الفساد التي لم تتزوج أو تختلط بسواها.

عذراء ما مرزت براحة شارب

من حيث كانت فهي بكر عاتق(٨٦)

وفي تصويره و ذكره للحنان يرى الشاعر أن هذه الحانات هي مكانه المفضل الذي يقضي فيه جلّ وقته ما دام هذا الوقت يقضيه مسامرا ما بين كأس وعود إلى السحر.

من شاء له السؤال عن أخباري

فليسأل عني حانة الخمار

كأس بيد الساقى وكأس بيدي

والعود منادمي إلى الأسحار(٨٧)

وقد يمزج الشاعر بين صورهِ الخمرية وصورهِ الغزلية حتى يصعب الفصل بينهما.

سقاني بعينه المدام وكأسه

فلم أدر أيّ الكأس أعقبني سكر(٨٨)

وفي إطار صورة الخمرة فقد طبع صور النشابى الإربلي بطابع تقليدي، وقلما نجد لديه صورة تلفت الانتباه. فالصور الخمرية عنده متكلفة يلجأ في تصويرها إلى استخدام العلوم، ومصطلحات أصول الفقه، والقراءات، والنحو، والصرف، والعروض، والأدب، والتاريخ، وعلم الجبر والرياضيات، وأغلب الظن أن الشاعر لم يكن موفقاً في الشعر الغزلي حيث استنفذ المديح جلّ اهتماماته.

في صرفها كم صرفت من جمل

وعلة الصّرف جمع وسواسي(٨٩)

ولكنه مع ذلك تغنى بالخمرة ووصفها، ودعا إلى احتسائها، مبيّناً أثرها في شاربها ووصفاً سقاتها ومجالسها بين الرياض والطبيعة الخلابة، ووقف عند لونها وشعاعها وصفائها ورائحتها.

فاصطحبها حمراء، تظهر في الكأ

سات ضوء المشكاة بالنبراس

بنت خدر، تسبي، فتحمرُّ حتَّى
تغتدي من حبابها في لباس(٩٠)

وقوله أيضاً:

يُشابه الورد راحاً في زجاجتها
فادراً حدودك في الذات بالشبه(٩١)
وطوراً يشخصها في صورة الورد الذي كان ذابلاً خجلاً في شهر الصيام إلا أنه تفتح
وتبختر في مشيه عندما رأى الخمرة دائرة بعد الفطر.

فكم أتى الورد قبل الفطر مكتسبياً
ذلّ الذبول ضئياً من تسحبه
فالآن حين رأى الصهباء دائرة
رأى الذي كان يسعى في تطلبه(٩٢)

ومن الطريف أن ابن ظهيرا الإبلي المعروف بالورع والتقوى، يظل يدعو مراراً إلى شرب
الخمرة في أحضان الطبيعة، وقد أكثر من هذه الصور بثوب برّاق، فهو يزينها للسامع، ويدعو
إلى الإقبال عليها في أجواء طبيعة أربيل الساحرة، وبخاصة في موسم الربيع.

يا مضيعةً زمانه بالأمني
قم بحق الربيع حقّ قيام(٩٣)
وقوله أيضاً في صورة بديعة يمزج فيها بين صورة الخمرة وصورة الطبيعة.

فما العيش إلا وصل كأس بأختها
وجارية تسقي وساقية تجري(٩٤)

ولكون الناس أنماط وأشكال، وهناك بذرتان واحدة للخير وأخرى للشر تنموان سوية في
هذه الدنيا، فلا بد أن تكون هنالك أمور من بخل وجبن وادعاء العلم والجهل يتطرق إليها
الشعراء في صورهم وهو يسمى بالهجاء الذي وجدناه قليلاً عند شعراء أربيل بسبب بيئة
أربيل المحافظة وسجن مظفر الدين للشعراء على سوء استخدام لسانهم، وقد غلب على شعر
النشابي صوراً من النقد الاجتماعي والسياسي، فهو يرسم في بيتين من الشعر صورة لطيفة
للنجيب الكندي (ت٦١٣هـ) وقد ذهب إلى بغداد ومدح الخليفة.

قالوا: النجيب الكندي صار له
شعر لمدح الإمام مولانا
فقلت: لا تعجبوا فسيدينا
يجري على السيئات إحسانا(٩٥)

المكان: لعب المكان دوراً واضحاً في إبداع الصور الشعرية، وقد كان المكان بخصائصه وأثاره له تأثير في روح الشعراء وعقولهم، ينتقل الشاعر عن طريقه إلى الإحساس بارتباطاته بواقعه وبيئته ووطنه، وقد كان شعراء أربيل مخلصين للعراق بلداً ووطناً ومحبين لمدينتهم أربيل، فرددوا أسماءهما في صورهم الشعرية.
يقول النشابي الأربلي:

حيّها داراً بزوراء العراق
لمجر السّمر أو مجرى العناق(٩٦)

وقوله أيضاً:

مواطن كان قبل وقعة إربل
تنافر فيها الغيد في كلّ مجثم(٩٧)

يقول الحاجري الأربلي:

يا نسيم العراق هبّ فقد ا
نس قلبي من طيّ نثرك عرفاً(٩٨)

وقوله أيضاً:

يا عزُّ ما فعل الزمان بصحبة
كانت قديماً بيننا في إربل؟
فلاعتبتك في الذي أبديته
اعدل فداك خلال أهل الموصل(٩٩)

وقد يمتد المكان في شعر الأربليين ليسع كلّ العصور الأدبية، ولعلمهم حاولوا إضافة قيمة أخرى للمكان، فأضفوا على البعد المكاني بعداً فنياً حينما يسألون عن أماكن ذكرت في الشعر القديم .

يقول الحاجري الأربلي:

نشدتك يا ريح الشمال هل الحمى
خصيبٌ وهل نجد كما كنت أعهد(١٠٠)

وقوله أيضاً:

إن المقيمين بسفح اللوى
من لا أرى لي عنهم مذهباً(١٠١)
يحجون من بطحاء مكة
تحط بها الأوزار عنهم وتطرح(١٠٢)

وثمة معالم مكانية أخرى أدخلها شعراء أربيل في صورهم المتمثلة بـ"البحر، الأديرة، رباه، الشرق والغرب، محفل، مرصد، مصيف، مقام، مشهد، مشتي، الشام".

يقول ابن ظهيرا الإربلي:

أحنُّ إلى نجدٍ رعى الله أهله

واين المشتام بالشام نجده (١٠٣)

وقوله أيضاً:

وربُّ ديرٍ طرقتنا بابه سحرراً

وللنواقيس في أعلاه أصوات (١٠٤)

ويقول الحاجري الإربلي:

أيا شِعْبَ نجدٍ رقادى حرام

متى قوِّضت عن رباك الخيام (١٠٥)

وقوله أيضاً:

إذا نادمتني مقلتاه وكأسه

ملكك مكاناً دونه الشرق والغرب (١٠٦)

ويبدو لنا أن شعراء أربيل يذكرون الأماكن الحجازية في صورهم الشعرية بكثرة، وبخاصة الحاجري الإربلي في قصائده المسماة بـ(نجديات الحاجري) وهو أمر وإن كان طابعاً مميزاً لدى شعراء العصر، فهو يعبر أيضاً عن البيئة الصوفية التي كانت تعيشها مدينة أربيل لكون أميرها الذي كان زاهداً من متع الحياة، وقد فرض على نفسه تقشفاً في الملابس والمأكل، كما وأكثروا من ذكر أسماء المدن الحضارية القديمة، وأقاليم البلاد الإسلامية.

يقول الحاجري الإربلي:

كذب القائلون بابل أرض

هي اسمٌ من بعض تلك العيون (١٠٧)

ويقول النشابى الإربلي:

وسارَ بأرض خوزستان منها

حديث ندى إلى أقصى الشام (١٠٨)

الزمان: اسم لقليل من الوقت وكثيره، فقد هرع إليه شعراء أربيل بعين الحقيقة مرةً وبعين المجاز مرةً أخرى، فالدهر والحياة من أكثر صور الزمان تردداً في خيالهم، فالدهر نوريب، وصاحب نوائب، ومتقلب، وطويل.

يقول النشابى الإربلي:

إنّ دهرًا فيه الخليفة مولا
نا لدهر تطول فيه الدهور(١٠٩)

وقوله أيضا:

ولقد عرفت الدهر حتى لم أدع
سبباً يفوت العلم من أقسامه(١١٠)

ويقول الحاجري الإربلي:

لمع البرق اليماني
فشجاني ما شجاني
نكر دهر وزمان
بالحمى أي زمان؟(١١١)

أما الحياة فهي حلوة لذلك يتشبه بها الشاعر، وقد تتراعى المعيشة في الحياة السعيدة
المتعة، أو قد يتعرض الشاعر بأيام الحياة، أو يتمتع بها بالحب.

يقول الحاجري الإربلي:

كيف التعرّض للسُّلوِّ وحُبِّكم
حباً بأيام الحياة شربته؟(١١٢)

وقوله أيضا:

لقد نفذت أيام عمري ولا أرى

صروف الردى عني تبين وتبعد(١١٣)

فالزمان له مساحة عريضة كالمكان وهناك أعداد كثيرة من الصور الشعرية التي تخرج من
معطف الماضي والحاضر والمستقبل، فضلاً عن التوقيت مثل: "صباح، مساء، ظهر، عصر،
مغرب، الساعة، الأيام، الشهور، السنين"، والفصول التي منها: (الربيع والخريف والشتاء
والصيف)، وكذلك أوقات اليوم: الفجر والضحى والغد والظهيرة، والأصيل، والغروب،
والشروق، والعشاء... إلخ.

يقول ابن ظهيرا الإربلي:

وافتك أيام الربيع منيرة

ساعاتها بشموس زهر ناضر(١١٤)

يقول النشابى الإربلي:

حتى يوم القيامة لم نزل

نقرأ سطور النصر من أعلامه(١١٥)

اللون: يبرز اللون عنصراً من عناصر الجمال التي تزخر بها الحياة من ألوان طبيعية متمثلة في الأزهار والنبات والحيوان والسماء والأرض والبحار، وفي الغالب يدخل اللون في الصورة الشعرية بقوة بما له من تشكيل بصري وذوقي جمالي يكشف الأحاسيس الإنسانية من بهجة وانسراح أو حزن ويأس(١١٦).

لم يركز شعراء أربيل على لون محدد في صورهم، وإنما الملاحظ في شعر الحاجري الإربلي أنه استخدم صفات الألوان أو ظواهرها أكثر من اللون نفسه، كاستعمال الدجى للون الأسود، والأشنب للأبيض، وحمرة الخد للأحمر، وقد أكثر من صفات اللون الأحمر التي تخص خدود المرأة التي ألهمت شاعريته، واللون الأحمر فيه ميل جنسي، وبيوح بجرأة عن رغبة بدائية، ويثير كل دلالات النشاط الجنسي وكل أنواع الشهوة عند الشاعر(١١٧)

ويلاه من صدغ بدا كالدجى

عقربه في الخد قد عقربا(١١٨)

وقوله أيضاً:

الله في كبدي التي أحرقتها

عبثاً بجمرة خدك الوقاد(١١٩)

ومع ذلك فإنه لم يهمل الألوان ذاتها التي منها الأسود والأصفر والأخضر كما في قوله:

الشعر أسود والجبين مشعشع

والقد أهيف والقوام مهفهف(١٢٠)

وفي اللون الأصفر الذي استخدمه مراراً في وصف خمرة، يقول:

بمدامة صفراء يحمل شمسها

بدر يغار البدر عن سعوده(١٢١)

وفي اللون الأخضر يقول:

تأمل إلى ريحانه كيف قد بدا

يمدُّ سياجاً أخضراً حول ورده(١٢٢)

وأحياناً يجمع ألواناً عدة في بيت واحد:

وبصْفرة المنتور منه وحمرة الـ

ورد الجني وخضرة الریحان(١٢٣)

أما النشابي الإربلي فقد أغرم بلون الأخضر فأكثر منه في قصائده، وهذا اللون هو رمز للخصب والنماء والربيع الدائم.

يحوك من وشيِّ الرياض للثرى
ثجاجة كلِّ رداء أخضر(١٢٤)

وقوله أيضاً:

الجدُّ يرتع في المقام الأفخر
والعزُّ يربع في الجنب الأخضر

وقد يجمعُ ألواناً عدَّة بقوله:

كأنما عذاره

في لونه كالخضر

أو أسود مشتمل

بثوب خزٍّ أحمر(١٢٥)

فالشعراء الأربيليون ركزوا في تحديدهم للألوان على حاسة البصر الذي يحدد خطوطها، وفي إبداء هياجها أو خفوتها، من خلال تأديتها المفهوم الذي يعني به الشاعر، وقد بدا لنا أن جميع الألوان استخدمت في أشعارهم، فاللون عندهم مرتبط بحالتهم الذهنية والنفسية. ولكن الملاحظ أنهم جمعوا ألواناً عدَّة في بيت واحد أو بيتين، ولم يخرج من هذا التوجه ابن ظهيرا الإربلي أيضاً، بقوله:

وأسمر سمر الخط والبيض دونه

وحُمُر المنايا رصف ورواشح(١٢٦)

وباللون تتحول الصور الجامدة إلى صور ناطقة عجيبة الألوان ساحرة الظلال والخطوط(١٢٧).

ثالثاً: الصورة الشعرية من خلال الذات:

الشعر هو انعكاس حياة الشاعر، فبإمكان الحالة الاجتماعية والنفسية إلقاء ظلالها على الصور المنتالة في خياله، ويشمل ذلك الرغبة والقبول، وكذلك النفور والكراهية الذي يكمن أهم مرتكزاته في صور الشيب والموت واللؤم والشكوى من السجن والهم.

فالشيب يؤدي إلى الحرمان من ملذات الحياة، والحرمان من المتع المتمثلة بوصول الحسنة وشرب الخمرة، فالشعراء الأربيليون عاشوا رداً من الزمن وهم يتمتعون بشبابهم، وحينما بدأ الشيب يدب في أوصالهم يداهم القلق والاضطراب. فالشيب يعد من المشكلات الذاتية للإنسان، لكنه يخرج عن خصوصيته إلى نطاق إنساني واسع يواجه البشر جميعاً لذلك التفت الشعراء إليه في رسم صورته بعد أن اشتعلت رؤوسهم شيباً.

اختلفت صور الشعراء ومواقفهم تجاه الشيب، ومن الذين بكوا وتحسروا على زمن الصبا

والشباب الذي مرّ كالطيف خاطفاً سريعاً، النشابي الإربلي:
لو كان ينفعني البكاء على الصبا

لبكيت من شوق له بشقائق (١٢٨)

أما الحاجري الإربلي ففي صورته عن الشيب ينظر من زاوية أخرى، فكل شيء عنده هين
غير فراق الشباب وحيويته، والشباب عنده يعني اغتنام الفرص، وارتشاف اللذات، لأن العمر
مهمل طال فهو لمعة من سراب.

ولعمري قد يهون عليه

كل شيء إلا فراق الشباب (١٢٩)

ويصور لنا ابن ظهيرا الإربلي المنايا التي تقترب بمفارقة الشباب، تلك المنايا التي تذهب
بالأصحاب والاصدقاء الى غير رجعة، وهي نذير رحيل الإنسان في هذا العالم في صور
مركبة ملونة منها: (باز الشيب، عن اللون الأبيض و(طيران الغراب) عن اللون الأسود.

وإذا المرء طال عمراً أذاقت

له المنايا بفقدائها أصحابه

وانتهى نقصه وعشش بأز الـ

شيب في رأسه وطار غرابه (١٣٠)

وأما الموت فلا شيء أفزع منه وخطر، فهو النهاية المجهولة لكل آمال الشعراء في حياة
ممتعة وبهيجة، ولعل زعرهم من الشيخوخة وبكاؤهم على الشباب، واندفاعهم لإطفائها
بالخمرة والمرأة، صورة من صور فزعهم الأكبر. فالحاجري الإربلي يفضل الموت الذي لا بد
منه على حياة زميمة ذليلة، ويقصد بها حياة الشيخوخة، ويظل يبكي ويتأسى على شبابه
بفيض من الدموع.

بكيت أسى وحقاً على التصابي

وأيام الشباب بكاء عيني (١٣١)

ومعروف عن شعر هذه الحقبة تعرضه إلى أنماط السلوك الاجتماعي المختلفة، وفي أربيل
وجدنا صوراً شعرية عن اللؤم، وهو خصيصة سيئة تهدد الجوهر الحقيقي للحياة الايجابية،
حيث تمثل الجانب السلبي لها.

فابن ظهير الإربلي يوازن في رسم صورته عن هذا السلوك بين صورة الكريم وصورة
اللئيم.

ومعادة كل حر كريم

ديدن الأخرق اللئيم ودابه

وإذا صادف الوضيع وضيعاً

ليس يلغي إلا إليه انصبابه (١٣٢)

أما النشابي الإربلي فهو ينظر إلى الدنيا نظرة تسودها روح التشاؤم حين يتصور بأن الدنيا مليئة باللثام، ويتحسر على حياة خالية من رجل كريم.

وكم من قائل: هل من كريم

أراه فحسرتي ألقى كريماً

فقلت له: كريم ما تراه

ولكن كيف درت ترى لئيماً (١٣٣)

وقد ساد في هذه الحقبة فساد إداري انتشر في جميع الإمارات الإسلامية، وقد كان مظفر الدين يعاقب موظفي الإمارة باستمرار على سوء تصرفهم، وأن معظمهم سجنوا، ومن هؤلاء النشابي الإربلي، والحاجري الإربلي. فالسجن يحفز ملكة الشاعر الشعرية ويوقظها في تصوير ما يقاسيه من آلام بشعور صادق فياض، وهو تعبير عن حرمان نفسي واجتماعي لحالة الشاعر السجين، "والحق أن أقدر الناس تعبيراً عن الشقاء من كان الشقاء في نفسه". (١٣٤) فالنشابي يرسم لنا صوراً عن الحياة والموت من خلال محنة السجن الأليمة، فهو يصور تقلبات الدهر والموت والفناء.

ونحن ركب الأنام فيها

نرحل عنها كما نزلنا

وهكذا الدهر في بنيه

كم راد ظلماً بهم وأفنى (١٣٥)

وأما الحاجري الإربلي فقد ذاق مرارة السجن وآلامه أيضاً، وكانت أيام السجن قاسية عليه، وهو يبعث بشعره الحزين إلى أصدقائه ليترجوا مظفر الدين في إطلاق سراحه، وصوره في السجن كثيرة تنضح مرارة وشكوى وألماً.

يا إخوتي اليوم حقاً

يعذب الخليل خليلاً

أهلاً فلو متّ وجداً

كان الممات قليلاً (١٣٦)

وقوله أيضاً في وصف معاناة السجن:

أقضي الليالي بطرفٍ

باكٍ وقلبٍ حزين

وكلُّ همٍّ وغمٍّ
ولوعةٍ تعتريني
يا ليتني قبل هذا
سقيت كأس المنون (١٣٧)

ويبدو أن شعراء أربيل خصصوا صوراً شعرية عن الهم، وهي صور توزعت في ثنايا المعاني في الأغراض المتعددة التي تناولوها، فالحاجري الإربلي يصور أحزانه الذاتية بسبب رحلة أحبائه عنه، وقد ملأ الحزن فؤاده.

إنَّ الأولى رحلوا غداةً محجَّراً
ملأوا القلوب لواعج الأحران (١٣٨)

وجاء معظم هموم ابن ظهير الإربلي من المرأة التي ألفت ظلالها على صور الحزن عنده، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حالة نفسية قد يكون السبب حرمانه من المرأة، أو موقف اتخذته الشاعر لنفسه في بث همومه، بقوله:

إذا حان من شمس النهار غروب
تذكر مشتاقاً وحنَّ غريباً
يحنُّ إليكم والخطوبُ تنوشه
ويشتاقكم، والنائباتُ تنوبُ (١٣٩)

وقوله أيضاً:

ومن لي بإخفاء الهوى مذيعي صبا
لنائلكم بالحزن يقري ويفرح (١٤٠)

رابعاً: الصورة الشعرية من خلال الأسلوب (صور بلاغية):

ابتدع الشعراء الإربليون صوراً رائعة تنبض بالحركة والحياة يشترك الحسي والمعنوي في بنائها على حد سواء، تعني بالجانب المادية عنايتها بالجوانب الشعورية والنفسية من خلال صور بلاغية التي هي طريقة بديعة ومشوقة للتصوير والتعبير (١٤١)، فالصور البلاغية تضرب جذورها عميقاً في الشعر الإربلي، ويمكن الكشف عن هذه الصور من خلال الأساليب الآتية:

١- التشبيه:

التشبيه لونٌ من ألوان التعبير الرائع، تدفع إلى استعماله دواعٍ كثيرة كنقل الصورة من شكلٍ إلى آخر وتنويعها، ورسم الصور المبتكرة والايحاء بدلالاتها الذهنية عند المتلقي، وكذلك إضفاء الظلال والألوان على الصورة.

حظي التشبيه باهتمام بالغ لأنه يحرك أحاسيس السامع ومشاعره، وفي الأغلب استثمر شعراء أربيل كاف التشبيه أو كأن كلسان عيار بين كفتي ميزان المشبه والمشبه به، فابن ظهير الأربلي يحاول خلق صورته بنسق لطيف وديباجة حسنة، حينما تمكن من حشد تشبيهات متعددة من غير ما اضطراب في وصف رياض مدينة دمشق في صور مركبة مبدعة من خلال ثلاثة أبيات.

كأن قدود السّرو فيه موائساً
قدود عذارى مَيلُها مترفق
إذا ما تداعتُ للتعانق صَدّها
عيون من النور المفتوح ترمق
وقصر بكلّ الطّرف عنه كأنه
إلى النّسرنسّر من السماء مطلق (١٤٢)

إنها صورة غنية بالعلاقات الظلالية مشعة بالإيحاء توصل القارئ إلى القبول بعلاقات مبتكرة بين السرو وقدود العذارى والعناق والأزهار المتفتحة، وقصر عال والنسر الملق في الأعالي، فقد يصل التشبيه في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق إلى جانب الأصالة والإبداع بحيث يكمل الصورة ويؤدي دورها (١٤٣).

ومن تشبيهاته الأخرى التي نلمح فيها صورة جميلة ومبدعة:

وهلال السّماء في الجدول الع
لوي يحكي سفينة من نضار
وكانّ النجوم نور رياض
وكانّ المريخ شعلة نار (١٤٤)

وقد يثير النشابي الأربلي انفعال متلقيه وسامعه باختيار مفردات حسنة حتى يصل به الأمر أحياناً إلى رسم صور شعرية نادرة حينما يشبه الرياض بالسماء العالية التي فيها تلك المجرة البيضاء العظمية التي قوامها نجوم كثيرة ليس بمقدور البصر تمييزها، وهي تشبه بقعا بيضاء منتشرة تتحرك وتحوم مثل النهر الذي يجري بين الرياض.

إذا الرياض سماء والمجرة كالت

هر الذي زهره زهر بمسربه (١٤٥)

وهنا يستوقفنا حبّ الشاعر للتشبيه الذي هو حاضر على لسانه دائماً، ليخلق لنا صوراً تشبيهية التي تلفت الانتباه والتي منها: جعل محبوبه شبيه الغزال الذي يصيد فؤاد الشاعر والأحرى أن يصيد الشاعر الصياد غزاله.

صاد الفؤادَ غزالُ

بقدّه واعتداله(١٤٦)

ومن تشبيهات الشاعر الأخرى وصفه للخال الذي فوق وجه محبوبه:

وتحسبُ الخالَ فوقَ وجنتيه

نقطة نَدُّ فوق قرطاس(١٤٧)

أما الحاجري الإربلي فقد غلبت على صورته التشبيهية النزعة الحسية، ليصبح معظم تشبيهاته للمحبوب لا تنجو من التقليد. فالوجه بدر، والرضاب خمرة، والقوام غصن، والشعر حدس ومن تشبيهاته اللطيفة تشبيه الثغر بصورة البرد الذي لا يذوب مهما أطال الشاعر من قبلاته الحارة لهذا الثغر.

عجبت من ثغره أدنيه من نفسي

فلا يذوب وقد أضحى من البرد(١٤٨)

وهذه صورة مبدعة تركز ثقلها على كفة المشبه به، وإن كان المشبه هو الغاية فيكون المشبه به والحالة هذه الإشعاع الذي يغمر المشبه، كما تغمر الشمس القمر فينير. ومن تشبيهاته الأخرى في موضوع الغزل نفسه:

إذا ما ماسَ تيهاً أو تلفتَ معجباً

فما الغصن ممشوقٌ ولا الطيبيُّ أُعيدُ(١٤٩)

قلتُ لَمَّا بدا يُرنحُ عطْفِي

هـ كَغُصْنِ الأَرَآكَةِ الميِّادِ(١٥٠)

ركّز الحاجري الإربلي على قوة الإدراك لتقريب طرفي المشبه والمشبه به، والإفصاح عنهما بشكل يثير انفعال وخيال متلقيه، وقد أورد شعراء أربيل صوراً تشبيهية وافية، وهذا دليل حسن اختيارهم للمعاني والمفردات، وقد وصلوا إلى رسم صور شعرية نادرة عن طريقها(١٥١).

٢- الاستعارة:

الإنسان قبل أن يتكلم بنثر استطاع أن يقول الشعر، وأن يستعمل الاستعارة(١٥٢) فجمال الشعر في الغالب من جمال الاستعارة التي تعبر عنها بالصورة، ولا يخلو شعر أربيل من بعض الاستعارات.

فالشعر القديم حافلٌ بالصور الاستعارية، ولكن الاستعارة أصبحت ذات بعد خيالي أكثر مما كان عليه الشعر القديم. والاستعارة "ضربٌ من التشبيه ونمطٌ من التمثيل"(١٥٣)، فالتشبيه يمثل الأداة التي تساعد على خلق الصور الفنية.

فمن استعارات النشابي الإبلي في تعزيز صورته الشعرية: نجدة النصر(١٥٤)، وإفصاح العام(١٥٥)، ونظام المدح(١٥٦)، وصلاب الأصلب الذي يعني الظهر القوي.

أودعت أشرف الصلاب في الأصد

لاب في درّة الفقران(١٥٧)

ومن استعاراته في وصف الخمرة (شمس كأس):

فهني بلا شك شمس كأس ولا

تكسف إلا بعقدة الرأس(١٥٨)

فالاستعارة أصعب من التشبيه لأن الشاعر يمعن النظر في الفكرة المراد إجراؤها في ظاهر اللفظة وباطن المعنى، وهي عنصر مهم من عناصر الصورة الشعرية(١٥٩) وبما أن اللغة هي المادة الأولى للشعر فإن أساليب بناء الصورة وعناصرها تظل مرتبطة بالصياغة المباشرة للشاعر في تركيب البناء الفني "لأن جمال الشكل يرجع إلى جمال الصورة، كما أن جمال الصور يرجع إلى جمال التعبير"(١٦٠)، لذا اهتم بها الحاجري الإبلي ووظفها في تقوية صورته الغزلية في الغالب ومنها (برود الصبر أسمال):

مرّت بنا في تهاديهما فقلت لها:

أسماء إن برود الصبر أسمال(١٦١)

و(جيش الغرام):

النجاة النجاة يا خيل سلواني

فجيش الغرام قد جاء زحفا(١٦٢)

وللشاعر استعارات أخرى لطيفة في الوصف فهو يقول على لسان مسجد مهمل في أربيل هجره الإمام والمصلون ولا تقام فيه مراسيم العبادة والصلاة.

أنا مسجد لله بيتُ العبادة

عاري الملابس ليس فيّ حصير(١٦٣)

وفي شعر ابن ظهيرا الإبلي نجد أكثر من مجاز تتمثل علاقته بالمشابهة، يخدم غاية الشاعر الفنية ويوفر للصورة الشعرية حيوية وحركة ما لن يتوافر للصورة المرسومة(١٦٤). فهو يستعين بالاستعارة في تزيين صورته الشعرية التي منها (شمس الراح)(١٦٥) و(يد النوم).

جاء يسعى إلينا وقد خا

طت يدُ النوم أعين السمار(١٦٦)

وقوله أيضاً:

أدارَ عقيقاً في إناءٍ من الدرِّ
فعاينت شمسَ الراحِ في راحةِ البدرِ (١٦٧)

٣- الكناية:

نجد في الكناية ضرباً من جمال الفكرة حين يتعمق الشاعر في صورته الشعرية، وأجمل ما في الكناية هو إرادة القريب والبعيد في المعنى في الوقت الواحد، وكذلك وضع المعنويات في صور المسوسات، ولشعراء أربيل صور في الكناية طافحة بالجمال. حاولوا من خلالها إبراز معاني شعرهم بإحدى صور الكناية التي تنبئ الملكات وتثير الأذواق خلال اللوحة والإشارة والمبالغة (١٦٨).

بلغ النشابى الإربلي شأواً جيداً في استخدام صور من الكناية في ديوانه باستخدام اللفظة في غير معناها، حيث يستخدم مراراً ما يشبهه (طويل النجاد رفيع العماد).

طويل الباع أروع الغالبى

من القوم الكرام على الكرام

عزيز الجار لو جارت إليه الـ

ليالي كفَّ عادية الظلام (١٦٩)

ويقول أيضاً:

نديّ طويل الساعدين أبلج

أروع محمود السجايا شمري (١٧٠)

فالنشابى الإربلي استخدم بنية دلالية في توظيف صور الكناية، فقد امتلك قدرة فنية تجعله يقيم جسراً بينه وبين المتلقي، إذ بواسطة هذه القدرة استطاع أن يوصل تجاربه بمنتهى القوة إلى ذهن المتلقي (١٧١). فمن كناياته الأخرى (أكرم من مشى هوناً) كناية عن التواضع، و(قاتل الأموال) كناية عن الكرم، و(يقدم الرعب سيرها) كناية عن القوة المعنوية للجيش، و(زهر الدراري) كناية عن القصائد الشعرية.

أبي جعفر المنصور أكرم من مشى

على الأرض هوناً أو علامتن أجرد (١٧٢)

القاتلُ الأموالَ كالـ

أبطال في ليل الهريـر (١٧٣)

يقدم الرعب سيرها فلها قبـ

ل لقاء الأعداء طعن اللبـود (١٧٤)

فنظمت الزهر الدّراري لعلياً

ه مديحاً، فأصبحت كالعقود (١٧٥)

والحاجري الإربلي في صورته الغزلية يستكثر من (بلال الخال) الذي يقصد به اللون الأسود في خدود حبيباته عن طريق الكناية.

أقام بلال الخال في صحن خده

يراقب من لألاء غرته الفجر (١٧٦)

وقد يجعل الخال بلالاً بصورة معكوسة جميلة:

أم الخال قد أضحى بلالاً مؤذناً

لطلعة شمس النهار وقت ظهره (١٧٧)

وكذلك استخدم كنايات أخرى في صورته مثل (مُشمّر الأردن) كناية عن التهيؤ والاستعداد.

أخذت عليه يدُ الخلاعة موثقاً

ألا يزال مُشمّر الأردن (١٧٨)

وهكذا فإن معظم كنايات الحاجري تأتي حين يرسم ملامح صورة المرأة من خلال التشكيل اللغوي متأمة من تجاذب الحقيقة والمجاز، أو اشتغالها عليهما كليهما في آن واحد (١٧٩). مما يضيف على المعنى نوعاً من الامتلاء فتثير في الذهن تداعيات أكثر مصدرها الصورة الحسية وما وراءها من صورة شعرية.

ومن كنايات الشاعر التي تحمل في ثناياها عواطفه وانفعالاته المتباينة (انهمار السحب) كناية عن المطر، و(لا تقطع الحبل) كناية عن الوصال، و(بعيد مجال القرط) كناية عن العنق الطويل.

إذا افتتر جادت بالمدامع مقلتي

كذا عند لمع البرق تنهمرُ السحب (١٨٠)

لا تقطعوا الحبل ما بيني وبينكم

إن الكريم لقطع الحبل وصّال (١٨١)

خلقت كحيل المقلتين لشقوتي

بعيد مجال القرط معتدل القد (١٨٢)

ويجمع ابن ظهير الإربلي - أحياناً - عدة كنايات في بيت واحد تثير في الذهن تداعيات أكثر من صورة شعرية التي منها: (دار حزن، ومريض عقل) ويقصد بهما هذه الدنيا والانسان الجاهل فيها.

دار حزن، مريض عقل فتى عا

دته فيها مرة أطرابه^(١٨٣)

وقد يطوع الشاعر كنياته لرسم صور طباع الناس المتباينة المتضادة من حيث البخل والطمع والعدوان وصور الناس التي تبغي الكرم والجود ومد يد المساعدة إلى الآخرين في صور متوافقة _ غالباً _ متوازنة لا يشوبها الارتباك والخلل.

ومن الناس مشبّه الليث لا ير

ضيه إلا عدوانه واغتصابه

ومن الناس عاقر الضيف كالكل

ب، ومنهم من لا تهر كلابه^(١٨٤)

٤- التشخيص:

يقصد به خلع صفات إنسانية على المحسوسات والماديات، وخلق الحياة على الظواهر الطبيعية الصامتة، يرى بعض الدارسين أن الشاعر يلجأ إلى ذلك ليعبر عن وهم كان يعتقد به الإنسان القديم^(١٨٥). حيث يتم خلق الحياة على صور الظواهر الطبيعية الصامتة والمتحركة حتى أنها تخاطب مخاطبة الذي يفعل ويفهم وتخلع عليها صفات المخلوقات النابضة بالحياة، يرى بعض الباحثين أن الصورة في أغلب معانيها " أداة فنية بارعة لنقل صور الانفعال الإنساني عبر استخدام المشاركة الحسية العنيفة"^(١٨٦). فلهذه الصور القابلية على الامتداد والانسياب حسب رغبة الشاعر، وتصوره لاتساع الأفق الشعري للقصيدة كلها.

ويكاد لا تخلو قصائد شعراء أربيل من صور تشخيص الماديات، ولو رحنا نتعقب وجودها لطل بنا الأمر، ولكننا سنورد بعض الأمثلة لهذا الضرب من التصوير عند الشعراء الثلاث. فالشعراء ابتدعوا صوراً شعرية فنية رائعة تنبض بالحياة، يشترك الحسي والمعنوي في بنائها على حد سواء وتعني بالجوانب المادية عنايتها بالجوانب الشعورية والنفسية، وتبادل المدركات والصفات وجمع المتناقضات. يبدو على ابن ظهيرا إربلي تجاوبه مع صور الطبيعة وتعاطفه معها بعلاقات إنسانية جياشة العاطفة. إن أسلوب التشخيص الذي استخدمه يمنحنا متعة جميلة، حين يخلع الشاعر مشاعره الإنسانية على الكائنات الطبيعية ومظاهرها، وقد يكون السبب ارتماؤه في أحضان الطبيعة المتمثلة بسهولة مدينة أربيل الفسيحة، ومن صور التشخيصية: هبوب النسيم تدميه، طاف بدر الدجى، والروض مبتسم، وجه الربيع، تسافر الشمس، ضحك الروض، الغمام يبكي، الروض يبتسم، النجوم مسامر.

رقّ جسماً حتى لقد كان يد

ميه هبوب النسيم بالأسحار^(١٨٧)

وقوله أيضاً:

ضحك الروض من بكاء الغمام
فأجل بنت الكروم بين الكرام(١٨٨)

وقوله أيضاً:

تسافر عنه الشمس قبل غروبها
وترجف إجلالاً له حين تشرق(١٨٩)

وقد نجد عنده صوراً تشخيصية في الغزل أضفى فيها الشاعر صفات إنسانية على أحاسيسه ومشاعره في تصوير محاسن محبوبه التي منها (الهوى جاذبٌ)، و(كعبة الحسن)، و(قاضي الحسن):

إنَّ عَدَّتني عنكم عوادي الزمان
فالهوى جاذبٌ إليكم عناني(١٩٠)

وقوله ايضاً:

ويحمي جفوني حج كعبة حسنه
ولكنه لم يحم أجفانه الغزوا
وأثبت قاضي الحُسْنِ خط عذاره
لعهده رقٌ لستُ أرجو لها محوا(١٩١)

وقد سار الشاعر على مذهب عبدالله بن المعتز الذي يقوم على تحسين الصورة الشعرية بتحويل المرئي إلى كائنات جميلة، تتناسب في جمالها ورقتها مع عالمه الجميل الذي ابتدعه لنفسه ورسمه في خياله(١٩٢). ومن الصور التشخيصية النادرة الأخرى للشاعر قوله في وصف رياض مدينة دمشق:

وكم بركة فيه تضاحك بركة
وكم قسطل للماء فيه تدفق
وكم جدول جارٍ يطارِدُ جدولاً
وكم جوسقٍ عالٍ يوازيه جوسقٌ(١٩٣)

في حين نجد الحاجري الإربلي يتخذ من جمال المرأة نبعاً ثراً يولد لديه معظم صورته فهو يفرغ انفعالاته وأحاسيسه الذاتية وعواطفه في هذا الكائن الجميل متخذاً من صفاته الخارجية لوحات رائعة، وهذا التوجه ليس غريباً على الشاعر لأن معظم ديوانه الشعري هو أناشيد في محراب الجمال.

ولعل أكثر الصور التي تداولها تم فيها نقل المعاني إلى المحسوسات جاءت عن طريق

التشخيص(١٩٤) الغرض منه هو جمال تنظيم خيال الشاعر لتقوية هذه الاحاسيس فنيا، وتسجيل هذه الابيات التي هي في صميمها نابعة من حياته الخاصة، الا وهي عزفه وغناؤه المتوجهان الى المرأة في معظم الاحيان .

ومن الصور التشخيصية للشاعر "منزل الشوق، اللّحاظ تسطو، البدر يسير، الحسن جنود، اللّحاظ تجرح، نار الأسيّ تقدح، الأغصان تتحرش بالأغصان، يغار غصن البان، الحجر يذوب، المحاسن تقتل، النسيم يلوي، النسيم يؤلم، الحسن يلبس، ثمار الوصل".

جرحت لحاظك لبّ قلبي فاغتندي

دمه من الجفن المشهد ينضح(١٩٥)

وقوله أيضاً:

كيف السلامة لي ممن محاسنه

جاءت لقتلي بأنواع من العدد!(١٩٦)

وقوله أيضاً:

لم لا أهيم بشادن نار الأسي

من ماء وجنتيه بقلبي تقدح(١٩٧)

قد لطفته يد الهوى فكانه

كالماء يؤله النسيم بمره(١٩٨)

سقى الله ربعا بالمحصب طالما

جنينا ثمار الوصل في عرصاته(١٩٩)

ونستطيع القول أن النشابي الإربلي يميل إلى التشخيص في معظم صوره من معاني المديح وبالذات في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء، ومعروف أنه شغل نفسه بالسياسة والاجتماع وهو شاعر يتكسب بفنه الشعري، وإن مظاهر هذا التشخيص بادية في صوره التي تؤكد تكسبه وميله الى عطايا وهدايا الممدوح التي منها: "الأيادي تكسي، الحق ينجلي، الزمان يخطب، الأفلاك تسجد، الأمور عظام، الأطماع تحوم، البرق يلثم، العام يرفع، التهاني تملأ، النّوم يطرد، الدهر ينظر، الآمال شوارد، اللوعة تنطق، الرياح عطايا، ظل الخليفة سور، القلوب تطير، الجو يكسي".

كستني أياديك الشريفة ملبساً

من الجود عند الله ويعظم أجره(٢٠٠)

وقوله أيضاً:

وبأرجائه رياح الأمانى
بالعطايا قد سخرت تسخييراً (٢٠١)

هـ- التجسيم:

يطفح ديوان الشعر الإربلي بالصور المجسمة، وهي كريدفتها الصور التشخيصية لا نستطيع الإحاطة بها، فلشعراء أربيل موهبة شعرية قادرة على التجسيم والتصوير يتفاعل مع عواطفهم ومشاعرهم لتبرز من خلاله أصالتهم الفنية، والتجسيم يكسب الصور المعنوية ملامح الإنسان أو صفاته أو أفعاله، وهو توضيح لما هية الشعر الحقيقية (ليس الشعر نظماً للمعاني المجردة وإيراداً للأفكار سرداً وتقريراً ولكن الشعر تصوير للمعاني وتجسيم للأفكار) (٢٠٢)، وأن تحقيق هذه الماهية لا يستطيع تحقيقها إلا من كان ذا موهبة شعرية قادرة على هذا التجسيم والتصوير، ومقترنة بما يصدر عنه من أفكار وآراء تفاعلت مع عواطفه ومشاعره لتكون دليل أصالته الفنية وصدقه، وقد تضمن شعر الشعراء مئات الصور المعنوية المجردة. فالصورة التي تجسم المعاني المجردة تتضح من خلال مشاهد متعددة، فعند ابن ظهير الإربلي "الذكر زاد، والهوى جاذب، والأفراح ترقص، العفو يجلو، والصبر يخيم، والود يباع، والظن جميل، واللهو مطايا، والنائبات تتوب".

بلغنا العلى والشوق يحدو ركابنا

ونذكركم زاد لنا وسمير (٢٠٣)

وقوله أيضاً:

إن عدتني عنكم عوادي الزمان

فالهوى جاذبٌ إليكم عناني (٢٠٤)

وقوله أيضاً:

ديار قضينا العيش فيها منعما

وايامنا تحنو علينا وتشفق

مواطن فيها السهم سهمي فكلنا

نحث مطايا للهو ونعنعق (٢٠٥)

فالتجسيم فضلاً عن كونه عنصراً من عناصر الصورة فإنه وسيلة مهمة لتوضيح المعنى وجلائه، وهذا ما ذهب إليه النشابي الإربلي في صورته المجسمة، ولعل أكثر الصور المتداولة وأكثرها شمولاً عنده التي تم فيها نقل المعاني إلى المحسوسات سواء أكان ذو جسم جامد أم حي، وفي الغالب تكون الصورة مركزة للأثر الأدبي التي ربما استطاع الباحث أن ينفذ منها

إلى خصائص الشاعر، ومميزاته (يمكن دائماً استكشاف عناصر شخصية في صورة شعرية إلى جانب العناصر النمطية) (٢٠٦). فالتجسيم عنده يتمثل في "الوسواس كبير، الصوم له أرج، الدهر له ذنب، الخواطر تظلم، الأمانى مركب، الغرام يجذب".

ظل الذي جعل الأمانى مركباً

وأضاع فيه حزمه لحزامه (٢٠٧)

وقوله أيضاً:

ظلموا الخواطر بالظنون وراودوا

عون العيون على فتور المفتري (٢٠٨)

وإذا تابعنا صورته الشعرية نجد أنه يجسد المعنوي المجرد على هيئة ملامح الإنسان أو صفاته وأفعاله. فمن أمثلة التجسيم المعنوي (غفران ذنب الدهر)، (الصوم يروي الفضيلة)، (الشرك يحوم باطماعه)، (الدهر ينظر نظرة صغرى) .

وغفرت ذنب الدهر حين تعلفت

كفّي بنحبي الخلق في أيامه (٢٠٩)

مضى الصوم يروي عنك كل فضيلة

لها أرج في جنة الخلد ينشق (٢١٠)

فالشرك قد حامت بكم اطماعه

والخطب صعب، والامور عظام (٢١١)

نظر الدهر منه بالنظرة الصغ

رى والفي الدنيا من الادناس (٢١٢)

والصورة المجسمة عند الحاجري الإربلي تعبير عن نفسيته، فصوره عبارة عن أحلام تتراءى بعيداً عن الواقع، وهي ملائمة غالباً لميوله وطبعه، وسبل الشاعر في تجسيم المعاني المجردة متعددة منها: "الوجد يبرح، الجو يهيج، المنايا ألدّ، شرب المنكر، النوم مقووض، الحزن معرّى، الشوق يلعب، الصبر جميل، أشرق وجه الزّمن، اللهو رحب، الهوى طلق العنان".

فالنوم عن جفني القريح مقووض

والحزن في قلبي الجريح معرّس (٢١٣)

وقوله أيضاً:

أجرني من بعبادك فالمنايا

إلى قلبي ألدّ من البعباد (٢١٤)

ويلحظ ان الشاعر يتعمق في شعره الغزلي إلى حد الامتزاج والذوبان، وكأن صورته

انعكاس صادق لحياته على شعوره، فعبّر فيها عن تجارب نفسية، عايشها بنفسه، وتضاعفت انفعالاتها في داخله فصورها في شعره تصويراً بارعاً مقتدرًا على رسمه، وكأن قدرته التصويرية موروثاً عن عهود الإنسان الأول يعبر عما يريد عن طريق الرسم (٢١٥) ومن صورته المجسمة في الغزل (نهض الشوق إلى تكذيبه، (الهوى يريق الدم).

وطن كلما ســـــــلاه فؤادي

نهض الشوق بي الى تكذيبه(٢١٦)

الا يا لقومي قد اراق دمي الهوى

فهل لقتيل الاعين النجل ثائر؟(٢١٧)

عرف الشعر العربي الصور البلاغية منذ نشوئه، ويكاد لا يخلو بيت من قصائد شعراء أربيل من نمط من أنماط البلاغة التي من خلالها تم توليد الصور ونقلها، فالصورة البلاغية تضرب بجذورها عميقاً في الشعر العربي(٢١٨).

ومن منابع الصور البلاغية الأخرى التي وقف عندها شعراء أربيل في محاولة منهم لإبراز جمال الصورة الشعرية، خلقهم صوراً بديعة من مشاهدات جزئية وبأدوات جزئية التي منها أداة الاستفهام، التي لها قدرة طيبة على إدخال المتلقي في صميم الصورة، فقد استثمر الحاجري الإربلي أدوات الاستفهام حيث أكثر من (متى، الهمزة، كيف، هل...إلخ).

يقول الشاعر:

متى تنقضي أيام ذلّي وأجنتي

ثمار زمانٍ قد حرمت جناها؟(٢١٩)

وقوله أيضاً:

البيت من رشف المدامة عاطلاً؟

لا والصبوح الية الندمان(٢٢٠)

كيف التخلص من هواك لمغرمٍ

داء الصبابة في حشاه مبرح؟(٢٢١)

هل عائد والأمني غير صادقة

اسحار وهل قضيناها واصل؟(٢٢٢)

وقد يمزج الحاجري بين ياء النداء وأداة الاستفهام ما:

يا عزُّ ما فعل الزمان بصحبة

كانت قديماً بيننا في إربل؟(٢٢٣)

أما النشابي الإربلي فقد ذهب بعيداً في تكرار ياء النداء في تثبيت صورته الشعرية، بقوله:

يا ابن الخلائق يا خير الخلائق يا

حامي الحقائق يا من سخطه دهق (٢٢٤)

ومرة ثانية يرادفها مع الاستفهام بقوله:

يا نديمي بجرعاء الحمى

هل تبقى في فضول العيش باقي؟ (٢٢٥)

وقد يجد الباحث في شعر النشابي حشودا من الصور البلاغية التي تنتال متلاحقة مستفيضة - غالبا - بوشائج المعنى يسعى الى تعميق ملامح الصورة في الذاكرة بمفاجأة المتلقي بهذه الحشود الصورية مستخدما مختلف ادوات الاستفهام، وفي بعض الأحيان تتوالى الصور باستخدام الأمثال التي منها (أثقل من أحد) (٢٢٦) كما في قوله:

لو وازنت ذرة من حلمه أحدا

لبان خفة نقص الوزن في أحد

والمثل (التقدم قبل التندم) (٢٢٧)

وان جنحوا للسلم فاجنح وان ابوا

فبالسيف تسعى النفس قبل التندم (٢٢٨)

وليس بمقدور الباحث الإحاطة بكلّ الأساليب التي استفاد منها شعراء أربيل في رسم الصور البلاغية لكثرتها أولاً ومحدودية مجال هذا البحث ثانياً، ومع ذلك نذكر بعضها الآخر التي منها اسلوب القسم والأمر والنهي.

يقول الحاجري الإربلي في القسم:

وأقسم لو أنّ المنايا بكفّها

كؤوس فأسقاها لطابت مشاربا (٢٢٩)

أما ابن ظهير الإربلي فقد بالغ في توظيف أفعال الأمر في تشكيلات صورته الشعرية، وكان يسعى إلى قصر الصورة على حلم الشاعر او امنياتة التي كانت تتمثل في اعطاء مواعظ وارشادات إلى الآخرين.

ويقول ابن ظهير الإربلي في الأمر:

وأفعل الخير ما استطعت فقد تع

جز عن فعله ويغلق بابيه

واخشين كاتب الشمال فيا خس

ر امرء في الشمال منه كتابه

واغتتم لذة الخمول اختيارا

فهنيء طعامه وشرابه

عش وحيدا ولو دعاك الى صد
بته مخلص الدعاء مجابه
وانظر الحجر، وهو يطفأ بالماء
فما خاب من اليه انتسابه(٢٢٠)

وقوله أيضاً في النهي:

لا تضع قدر ذي النباهة ان
قدر وذو الجد مؤثر انتهابه(٢٢١)

ومن الأساليب البلاغية الأخرى في تشكيل الصور بوعي ويقظة وسلامة شعور توظيف الشعراء لظاهرة (التضاد) ومبالغتهم فيها، لانهم كانوا يبغون تكوين صور جميلة حية، تشتبك أجزاؤها، في علاقات فيما بينها لتتكامل عناصرها حيث (أن الصورة قد أصبحت ينظر إليها باعتبارها وسيلة شعرية خاصة... ينبغي أن تتكامل مع باقي العناصر الأخرى في القصيدة). (٢٢٢)

وقد جاء على لسان النشابي الإربلي (الظلام والنور)، (الحلال والحرام)، (قرب وبعد)، (صدود ووصال)، (يمنى ويسرى) ... الخ:

ودعا الناس إلى ظلام إلى النو

ر ومنه بحر الندى مسجور(٢٢٣)

(والموصل والهجر)، (إعراض وإقبال)، (جور وعدل)، (سلم وحرب)، (صحة وسقم) ... الخ
عند الحاجري الإربلي:

نصيبكم مني الوصال وليس لي

سوى الهجر منكم والصدود نصيب(٢٢٤)

وابن ظهيرا الإربلي يجمع بين العدو والصدوق والقرب والبعد بصورة متضادة في اللفظ وفي المعنى في بيت واحد بصورة مبدعة.

وعدوٌ يفيدك القرب منه

وصديق من الصواب اجتنابه(٢٢٥)

وغالبا ما يكثر منها في ابیات متلاحقة في صور متضادة، تفرد شعراء اربيل بهذه السمة.

يوحش الجاهل الاقامة في الا

هل ولا يوحش اللباب اغترابه

فصيح لسان اعجم جيرة بكم

واعجم دمع بالصباية مفصح

ومعربدا في صحوه ومباعدة
في قربه، ومحاربا في صلحه(٢٣٦)

٥- الصورة الشعرية من خلال النغم:

سمي بعض الشعراء في العصور الأدبية المختلفة بأنهم من مغنّي العرب(٢٣٧)، وقد تسابق المغنون لانشاد اشعارهم والتغني بها، فالفنون النغمية من مستلزمات الشعر، وقد انعكس حب الشعراء للنغم على الصورة الشعرية، وتكونت لديهم مسامع نغمية توقض الشعور والاحساس لتكون الصورة لوحة يسهم النغم تماما في جلائها وجمالها وهذه الفنون تساهم في جلاء الصور الشعرية وجمالها وتأثيرها في النفس، والشعراء الاربيليون أشاروا في معظم قصائدهم إلى النغم والموسيقى.

بنت كرم حفت بكأس زجاج

ثم رفت بنغمة الاوتار(٢٣٨)

وفي المعنى نفسه، يقول النشابى الاربلي: وقد اخذت الارض زينتها بالنباتات والعندليب
ينعشها بنغماته العذبة .

قد اتاك الهيام والارض في زح

رفها، والهزار في تغريد(٢٣٩)

ومن أهم الأساليب النغمية في خلق الصورة الشعرية هي:

١- البحر:

لا شك أن شعراء أربيل كانوا حريصين على اختيار البحر الذي يحاكي ايقاعاته النغمية ايقاعاتهم النفسية، فابن الظهيرالاربلي استخدم البحر الكامل (٢٤) مرة، والطويل (١٨) مرة، والخفيف (١٢) مرة، والبسيط (٧) مرات، والسريع (٤) مرات، والهزج مرتين، والمجتث مرة واحدة، وأهمل البحور الأخرى.

أما الحاجري الإربلي فقد نظم قصائده على البحر الطويل (٥١) مرة، والكامل (٤٧) مرة، والسريع (٥١) مرة، والبسيط (١٢) مرة، والوافر (١١) مرة، والرمل ست مرات، والمتقارب والخفيف سبع مرات، والرجز خمس مرات، والهزج والمجتث مرة واحدة.

وأكثر البحور التي نظم فيه النشابى الإربلي ديوانه هو البحر الطويل الذي استخدمه (٢٢) مرة، والكامل (٢٠) مرة، والبسيط (١١) مرة، والخفيف (١٠) مرات، والوافر (٩) مرات، والبحور الأخرى ينسب مختلفة.

والملاحظ هنا أن شعراء أربيل استخدموا بحر الطويل والكامل في معظم قصائدهم

الشعرية، وهكذا فهذان البحران لهما منزلة عند الشعراء تفوق سائر البحور الأخرى لما يعتبر فيهما من النغم الموسيقي، والنفس الطويل، وسعة المساحة، وقد توصل أحد الباحثين إلى أن النطق ببيت من الطويل يتم خلال تسع نبضات من نبضات قلب المرء (٢٤٠)، وهذا دليل ثابت بأن شعراء أربيل حاولوا إضفاء مزيد من الإيقاع الموسيقي السليم على صورهم الشعرية.

٢- القافية:

تستطيع القافية للاستحواذ على سياق الصورة، فالقافية توهن الصورة أو تغنيها وفقاً لامكانية الشاعر، ولا يمكن الفصل بين ايقاعات القافية عن الوحدة النغمية للقصيدة. فالشعراء الأربيليون نجحوا في اختيار قوافٍ ملائمة لصورهم الشعرية. استكثر ابن ظهير الأربلي من قافية الألف والنون والذال، والنشابي الأربلي مال نحو قافية الراء والذال والتاء، والحاجري الأربلي أكثر من قافية الراء والذال والتاء.. ويظهر أن الشعراء الثلاثة كرروا قافية الراء والذال أكثر من غيرها التي لها دلالة شعورية ومعنوية، ولا يخلو هاتين الحرفين من الإحساس بموسيقى أصواتهما التي أحبوا حيث لها وقع حسن في السمع والنفس.

٣- التكرار:

اهتم شعراء أربيل بالنظام النغمي القائم على التكرار في خلق الصور الشعرية، ولكن بنسب قليلة، ولغايات مختلفة، فالتكرار الذي نعنيه هو (تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره) (٢٤١)، والنظام النغمي للقصيدة قائم على التكرار الذي يفيد في تقوية الصورة ويشيع في القصيدة جوا عاطفياً، والتكرار في اغلبيته واقع في الالفاظ دون المعاني، ولقد اهتم شعراء أربيل بظاهرة التكرار، وابلوا فيها بلاء حسناً، وغايته عندهم التأكيد والتنبيه، وكذلك استثمروا التكرار في إيضاح الصورة وبيان جمالها أيضاً. فابن ظهير الأربلي كرر بعض العبارات الحسنة في إيضاح صورته المتعددة، والتأكيد على جرد السمات الحسنة وتمييزها عن السمات السيئة عند بعض الناس.

ومن الناس عاد بالشّم والشّم

خ حزمأ نسر الملا وعقابه

ومن الناس من يرضى بأوشا

ل مياه في القطا أسرايه

ومن الناس شبه الليث لا ير

ضيه إلا عدوانه واغتصابه

ومن الناس عاقر الضيف كالكلـ

ب، ومنهم من لا تهر كلابه(٢٤٢)

أما النشابي الإربلي في صورته فهو يسعى إلى جلب انتباه ممدوحه بتكرار الفاظ في بداية أبيات بعض قصائده التي هي رجع صدى لكسب المزيد من نوال ممدوحه وجوائزه.

خير من دانت له أيـ

يَّامه والثقلان

خير من ضاعت بأنوا

ر هداة القمران

خير من سار بعدل

سار فيه العمران(٢٤٣)

فالشاعر يعمد أحيانا إلى التكرار بشكل مكثف بهدف توظيفه فنيا في البناء، وجماليا في الإيقاع بغية استخدامه كمقوم تجديد. إن توظيف التكرار لصالح الشعر فنيا وجماليا فهو أمر في غاية الحساسية (فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها)(٢٤٤). وقد تناول ذلك النشابي ووظفه لأكثر من غرض وغاية، وبالذات في بعض مدائحه، حتى وصل به الأمر إلى تكرار صور الكرم عند ممدوحه حتى خرج عن الحدود المسموح بها دينيا واجتماعيا في مدح الأشخاص متجاوزا عن اللفظ إلى المعنى، وقد تفرد بذلك من بين شعراء أربيل وغايته تنبيه ممدوحه .

رحوم يود المحسنون لو انهم

اسادوا لرد العفو من فضل الندى

شجاع يرد الجيش وهو عرمرم

كان له في الالف الف مهند

وقور فان لاذت به اريـحية

يرى ايهما يجدي بمسال مبدد

كريم اذا اعطى البلاد وملكها

فذلك ادنى جوده المستعود

عليم بمكنون الغيوب كانما

يرى علمه ماهو في غد(٢٤٥)

ويبدو على شعر ابن ظهير الاربلي تكراره للحروف من أجل اضعاف موسيقية على صورته وخلق إيقاع مسابير لتوحي الأصوات بدلالات نفسية تقريبيية لطبيعة الصور والأفكار، ومن صورته في التكرار تكراره لحرف السين:

تميم من ارض الحـجـاز مـنازلا
لها دون مسرى فسيح ومسرح
قسي عليها كالسهام سواهم الـ
وجوه كما امسوا على النوق اصبحوا(٢٤٦)
وأحيانا اخرى يكرر الفاظ في بدايات نصوصه الشعرية في المدح بقصد التأكيد والتنبيه:
وكنت في سنة المختار مجتهدا
وانت باليمن والتوفيق مشتمل
وكنت زينا لاهل العلم مفتخرا
على جديد كساهم ثوبك السمل
وكنت اسبغهم ظلا اذا استعرت
هواجر الجهل والاضلال تنتقل(٢٤٧)

٤- تداعي الحروف والكلمات والجمال:
هناك إيقاع خاص لكل لفظة أو لكل وحدة لغوية عروضية في البيت، وهناك جرس خاص لكل حرف هجائي، ثم توالي هذه الحروف في الكلمات لتشكيل صور رائعة عن طريق هذه الأصوات. فالشعر لا يحقق موسيقية بمحض الإيقاع العام الذي يحدده البحر والقافية بل يحققها بالإيقاع الخاص لكل كلمة أو لكل وحدة لغوية عروضية للبيت، والثاني بالجرس الخاص لكل حرف هجائي وتوالي هذه الحروف في الكلمات، ولكون بعض القصائد الشعرية لشعراء أربيل يعد من الشعر الغنائي، لذا فقد طوعوا شعرهم لهذه الغاية في تجميل الصورة، فتداعي الحروف والكلمات والجمال يشغل حالة نغمية تسهم في جلاء الصورة الفنية وتزيينها كتلك الموسيقى التصويرية التي تصاحب المشاهد المسرحية.

وفي شعر الإربيليين هناك إيقاعات تولد من تكرار الحروف المتشابهة أو المتقاربة بما يخلق نمطاً من جمال الصورة، تأنسه الأذن، وتألّفه النفس، فالحروف لها قدرة على بث المعاني. فالوحدة الصوتية في بعض صور النشابي الإربلي تستقر عند استخدام حرف (أم) للفصل بين جمل ذات معانٍ متباينة، حيث يرصف الشاعر هذه الجمل ضمن بيتين من الشعر، وهو دلالة واضحة على قدرة الشاعر التصويرية وإحساسه بالأصوات وإيقاعاتها، وهو جمع لا يخلو من إحساس بموسيقى الألفاظ مع توظيف أداة الاستفهام في تقوية الصور المتعددة.

أذابل أم قدك الناضر

وباتر أم جفئك الفاتر؟

ووردة هاتيك أم وجنة
وروضة أم وجهك الباهر؟ (٢٤٨)
والحاجري الإربلي يستخدم حرف (أو) في بعض تداعياته .
أنا عبد حبك ان غدوت مواصلي
او هاجري او ظالمي او منصفي (٢٤٩)
ومن تداعياته في تقوية صورته الشعرية تكراره لواء العطف.
نحول واشتياق وغربة
وحزن وأشجان وصد وأدمع (٢٥٠)
وابن ظهير الإربلي يشدد على بعض الحروف لخلق صور موسيقية في شعره، ومنها تكرار
حرف (الخاء).

خير شهر في خير وقت إلى خيد
ر إمام أتى بخير مزيد (٢٥١)
والحاجري الإربلي يفضل تكرار حرف الراء في تداعياته.
وأجرت الریح في أرجائه أرجاً
كالمسك نشرأ على الأفاق تنشره (٢٥٢)
وهناك تداعٍ للكلمات أيضاً في خلق الصور المبدعة وما أكثرها عند شعراء أربيل، ولكننا
سنذكر نماذج منها للاستشهاد.
يقول النشابي الإربلي:

فإذا حللن حبلن ربعاً مقفراً
وإذا حملن حملن أشعت أغبرا (٢٥٣)
وقد يمزج الشاعر بين تداعي الحروف والكلمات معا .
أو ضاربا او طاعنا او نابلا
او اروعا او محربا او قمقاما (٢٥٤)
يقول الحاجري الإربلي:

ودموع عيني مطلق ومقيد
وعلى خدودي مرسل ومسلسل (٢٥٥)
ومن حالات لتداعي الجمل نذكر بعض الشواهد في ديوان النشابي الإربلي:
ومن تداعيات الجمل الفعلية:

متواضع، والله يرفع قدره
ويعزّه، ويزيد في إعظامه (٢٥٦)
ومن تداعياته في الجمل الاسمية:
طاعن الشزر، ضارب الهبر، مقدا
م، وللصيد في الوغى تأخير (٢٥٧)
ومن تداعيات الشاعر المبدعة للجمل الاسمية أيضاً:
بحر الندى، دان المدى، نور الهدى
مغني العدى، دام المدى، ليث الشرى
رحب الذرى، جم القرى، عذب الثرى
كاس العرا، وثيق اسباب العرى (٢٥٨)

الخاتمة

هذه أول دراسة متعمقة عن الصورة الشعرية عند شعراء أربيل لم تسبقها دراسة أخرى في هذا المجال، تبحث عن منابع الصورة وخصائصها وأنماطها معتمدةً على دواوين شعرية مدروسة ومحققة ومطبوعة، ومن هنا تكمن مصداقية هذه الدراسة وعلميتها في محاورها المتعددة، وقد تمخضت عن نتائج من أبرزها:

ثبت أن منابع الصورة في شعر الإربليين ترجع إلى جذور الثقافة العربية القديمة من دينية وتراثية وإقليمية ومحلية، وما علق بالذاكرة من صور شعراء العرب القدامى.

الإكثار من صور معينة عند هؤلاء الشعراء الثلاثة، ما هي إلا صور متفردة تخص الشاعر نفسه بسبب حياته الخاصة، وإن كانت البيئة الثقافية واحدة التي هي مدينة أربيل، وقد كانت لتجارب الشعراء الذاتية دوراً في هذا التنوع. فالنشابي الإربلي أجاد في صورته النابعة من أوصاف المدوح بسبب اتجاهه الشعري في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء، ويتعلق الحاجري الإربلي بالمرأة بسبب كونه ابن الأمراء الأغنياء يبحث عن الحياة الممتعة اللاهية، وتشبث ابن ظهيرا الإربلي بصور الطبيعة والحكمة لكونه كان عالماً قبل أن يكون شاعراً.

اتصف شعر الإربليين بجمالية الصورة التي تنم عن التنوع الصوري مستخدمين وسائل متعددة في أدائهم الفني، وبالذات في الصور البلاغية البديعة.

قلَّ اهتمام شعراء أربيل بالرمز أو الأسطورة، ولم يستخدموا رمزاً معيناً لتعميق الصورة، والتوصل به إلى معنى أعمق وأشمل.

شخص شعراء أربيل مواطن الجمال في المرأة، وجاء معظم صورهم عن المرأة تكراراً للصور الشعرية السائدة وبخاصة عند الحاجري الإربلي مع بعض الإضافات الشكلية من عندهم بسبب البيئة والتربية والثقافة.

تمثل صور الشعراء اندماجية بالمجتمع، والمجتمع الإربلي لم يكن يختلف عن المجتمعات العربية الإسلامية الأخرى، فقد كانت الصور الشعرية متشابهة إلى حد ما عند شعراء أربيل والشعراء الآخرين في البلاد الإسلامية.

أكثر الشعراء من الصور الذاتية من خلال بث همومهم الشخصية وتوجهاتهم الفردية حيال الموت والحياة والشيب والخمرة.

عبر معظم صور الشعراء عن أحاسيسهم بشكل واضح. فالصورة كانت تمثل المعنى الذي

كان يجول في خواطرمهم، لذلك جانبهم التوفيق، وقد جاءت صورهم متألّفة العناصر يتناسب بعضها بعضاً.

الصورة الشعرية عند الشعراء اتسمت بالبساطة والوضوح، ولم تكن غريبة وغامضة، تدعو إلى التأمل وتركيز الفكر، وقد جاءت من خلال ذوق سليم دون لبس أو غموض. ثبت أن أهم سمة من سمات الصورة الشعرية في الشعر الإربلي هي السمة الحسيّة، وقد يغلب عليها الطابع البصري، وإن قدّموا إلينا صوراً أخرى يمكن تخيلها عن طريق الحواس الأخرى.

جاء معظم الصور الشعرية من خلال البيت الواحد في القصيدة، وقد تبين أن توليد الصورة من خلال بيت واحد أسهل عليهم من الصور المركبة في وقت أبدعوا في بعض صورهم المركبة وبخاصة صور ابن ظهيراالإربلي والنشابي الإربلي. وإنتنا نلرجو أن يكون هذا البحث مساهمة يسيرة يضيف إلى شعر الأقاليم حصيلة جديدة، كانت خافية على الدارسين لشعراء عاشوا في مدينة أربيل الكردية التي تتقف أهلها بالثقافة العربية الإسلامية، وتقتضي مثل هذه الدراسات أن يخوض في مظانها واحد من أبنائها، وكان شرفاً لي أن أمتح فيها دلوي وأخوض في غمارها.

المصادر والمراجع

- ١- ابن الرومي حياته في شعره، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية بيروت، ١٩٨٢
- ٢- أدب المهجر، عيسى الناعوري مكتبة الدراسات الادبية، دار المعارف، ١٩٦٧
- ٣- الأدب وفنونه، د.عزالدين اسماعيل، دار الفكر العربي ط٢ القاهرة، ١٩٧٨
- ٤- الاسس الجمالية في النقد العربي، د. عزالدين اسماعيل دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٦
- ٥- أسرار البلاغة، عبدالقادر الجرجاني، محمد رشيد رضا، دار المنار مصر (د.ت)
- ٦- الأسلوب، أحمد الشايب مطبعة السعادة، ط٧ مصر، ١٩٧٦
- ٧- تأريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ت: رمضان عبدالنواب، مط: المعارف القاهرة، ١٩٧٦
- ٨- التبيان في علم البيان: ابن الزمكاني، ت: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، بغداد، ١٩٦٤
- ٩- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٥، د. صالح أبو اميو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر القاهرة، ١٩٧٩
- ١٠- ديوان ابن ظهير الاربلي ت: د.ناظم رشيد، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٨
- ١١- ديوان الحاجري الإربلي، ت: صاحب شنون ياسين الزبيدي، كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٦ (رسالة ماجستير).
- ١٢- ديوان النشابي الإربلي ت: د. عبدالله محمود طه، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).
- ١٣- ذيل مرآة الزمان، سبط بن الجوزي، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥١
- ١٤- شعر آدم بن حجر ورواته الجاهليين، د. محمود عبدالله الجادر، مطبعة دار الرسالة بغداد ١٩٧٩،
- ١٥- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، د. عزالدين إسماعيل دار العودة بيروت، ١٩٦٨
- ١٦- الصورة الشعرية (د. لويس) ت: أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري، دار الرشيد بغداد، ١٩٨٢
- ١٧- الصورة في الشعر العراقي الحديث، ت: د. أحمد نعينع بغداد، ١٩٨٢
- ١٨- الصورة في الشعر العراقي الحديث، سيد علي سيد الدليمي القاهرة ١٩٥٨ (أطروحة الدكتوراة).
- ١٩- الصورة الشعرية في شعر أبي تمام، د. عبدالقهار الرباعي، وزارة الثقافة دمشق، ١٩٧٢
- ٢٠- الصورة في الشعر العربي، د. علي البطل، دار الأندلس بيروت، ١٩٨٠
- ٢١- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف دار المعارف مصر، ١٩٦٠
- ٢٢- عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق، د. طه الحاجري ومحمد زغول سلام، القاهرة ١٩٥٦،
- ٢٣- فن الشعر، د. إحسان عباس بيروت، ١٩٧٩

- ٢٤- فن الشعر، هوراس، ت: لويس عوض، المطبعة الثقافية القاهرة، ١٩٧٠.
- ٢٥- فنون بلاغية، د. أحمد مطلوب بيروت، ١٩٧٣.
- ٢٦- قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبدالصبور دارالكتاب العربي القاهرة، ١٩٦٨.
- ٢٧- قضايا الفن في قصيدة النثر العباسية، د. عبدالله عبدالفتاح التطاوي، دارالثقافة، القاهرة ١٩٦٧،
- ٢٨- القومية في الشعر الحديث، د. أحمد الحوفي دار المعارف مصر، ١٩٦٩.
- ٢٩- اللغة واللون، د. أحمد مختار دار البحوث الكويت (د.ت).
- ٣٠- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١هـ) دار صادر بيروت، ١٩٦٨.
- ٣١- مبادئ النقد العربي (اليغور أ. مسترنغ، تشاروز) ت: د. مصطفى بدوي، مطبعة مصر القاهرة ١٩٦٣،
- ٣٢- المستقصي في أمثال العرب، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.
- ٣٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تونس، ١٩٦٦.
- ٣٤- الموازنة بين الشعراء، د. زكي مبارك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥.
- ٣٥- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر القاهرة (د.ت).
- ٣٦- النقد الأدبي، د. داود سلوم، بغداد، ١٩٦٧.
- ٣٧- وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت٦٨١هـ) ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.

المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣.
- ٢- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.
- ٣- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦.
- ٤- بلدان الخلافة الشرقية: ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤.
- ٥- تأريخ الأدب العربي (بلاشير)، ترجمة: الدكتور إبراهيم الطيلاني منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤.
- ٦- تأريخ إربل: شرف الدين أبي البركات المبارك ابن المستوفي، ترجمة: سامي الصقار، مطبعة المركز العربي للطباعة، بيروت وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠.
- ٧- التأريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصلك علي بن أبي كرم المعروف بابن الجزري، ترجمة د. عبدالقادر أحمد طليعات، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣.
- ٨- تأريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجريك نجيب محمد البهيتي، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٦١.
- ٩- تأريخ الموصل: القس سليمان صائغ الموصللي، مطبعة السلفية، مصر ١٩٢٣.
- ١٠- تأريخ النقد الأدبي عند العرب: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية ١٩٨٦.
- ١١- التذكرة الفخرية: بهاء الدين المنشئ الإربلي، ترجمة د. نوري محمودي القيسي و د. حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤.
- ١٢- جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأة وفواد عبد المعطي، دار إحياء الكتب العربية، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٣.
- ١٣- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير: تاج الدين أبو طالب بن الساعي، ترجمة دكتور مصطفى جواد، مطبعة السريانية بغداد ١٩٤٣.
- ١٤- الحسين بن الضحاك (حياته وشعره): د. شوقي رياض أحمد، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٢.
- ١٥- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي، تعليق: د. مصطفى جواد، مطبعة الفرات بغداد ١٩٣١.
- ١٦- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، أحمد كمال زكي دار الفكر دمشق ١٩٦١.
- ١٧- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبو بكر المعروف بابن حجة الحموي، دار الحديث، بيروت (د.ت).

- ١٨- دراسات في الأدب العربي غرناووم، ترجمة: إحسان عباس، أنيس فريحة، محمد يوسف نجم، كمال اليازجي طبع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة، بيروت ١٩٥٩.
- ١٩- ديوان ابن الرومي: ترجمة: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
- ٢٠- ديوان أسامة بن منقذ: ترجمة: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣.
- ٢١- ديوان ابن الظهير الإبلي محمد بن أحمد بن عمر، تحقيق: د. ناظم رشيد، مطبعة دار الكتب، الموصل ١٩٨٨م.
- ٢٢- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري، تح: صاحب شنون ياسين، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٨ (رسالة ماجستير).
- ٢٣- ديوان النشاي، مجد الدين أسعد بن إبراهيم الإبلي، تح: عبد الله محمود طه، كلية الآداب جامعة الموصل، ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).
- ٢٤- ذيل مرآة الزمان، أبو الفتح موسى اليونيني، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٩٨٦.
- ٢٥- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، عبد المتعال القاضي، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.
- ٢٦- اصلوات الطقسية الفرضية لمدار السن للكلدان والنساطرة، المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٣.
- ٢٧- صورة الأرض، أبو القاسم بن حوقل (ت ٣٦٧هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩.
- ٢٨- طبقات الشعراء، ابن سلام محمد الجمحي (ت ٢٣٢هـ)، تح: جزيه هل ليدن، ١٩١٦.
- ٢٩- عيون التواريخ، محمد شاكر الكتيبي، ترجمة: نبيلة عبد المنعم داود والدكتور فيصل الساحر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٤٨.
- ٣٠- الغصون اليانعة في محاسن شعر المئة السابعة، ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة (د.ت).
- ٣١- فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، دار المعارف مصر، القاهرة، ١٩٦٢.
- ٣٢- فوات الوفيات: محمد شاكر الكتيبي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٩.
- ٣٣- في الأدب العباسي (الرؤية والفن)، عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥.
- ٣٤- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصل، مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة أسعد أفندي في إستانبول تحت رقم (٢٣٢٦).
- ٣٥- الكامل في التاريخ عزالدين علي بن محمد بن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- ٣٦- كنز الدرر وجامع الغرر، عبد الملك بن إبيك الداوداري، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، نشر: المعهد الألماني، القاهرة، ١٩٧٢.

- ٣٧- لسان العرب، محمد بن مكرم الأفرقي المصري ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.
- ٣٨- مرآة الزمان في تأريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥١.
- ٣٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي المسعودي، تح: محمد محي الدين، مطبعة السعد الثانية، القاهرة، ١٩٤٨.
- ٤٠- معجم أسماء البنات، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدماطي، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٦٥.
- ٤١- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، ١٩٥٥.
- ٤٢- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٨٥.
- ٤٣- المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي الطبعة الأولى، حيدر آباد، الدكن ١٣٥٨ هـ.
- ٤٤- النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي، د.ناصر ألحاني، مطبعة بغداد، ١٩٥٥.
- ٤٥- نكت الهميان في نكت العميان، خليل بن إبيك الصفدي، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١١.
- ٤٦- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن إبيك الصفدي، تح: س. ديدرغ، مطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٥.
- ٤٧- الوطن في الأدب العربي، إبراهيم الأبياري، دار القلم، بيروت، ١٩٦٤.
- ٤٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، تح: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.
- ٤٩- الهجاء (سلسلة فنون الأدب العربي)، سامي الدهان، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٥٧.

الرسائل الجامعية:

- ١- الشعر العربي في أربيل في العهد الأتابكي، عثمان أمين صالح، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين (رسالة ماجستير) سنة ١٩٩٣.
- ٢- الهذبانويون في آذربيجان وإربل والجزيرة، أحمد عبد العزيز، كلية الآداب جامعة صلاح الدين (رسالة ماجستير) سنة ١٩٩٠.

المجلات والدوريات:

- ١- مجلة آداب المستنصرية: العدد العاشر سنة ١٩٨٤، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (حسام الدين الحاجري الأربيلي، حياته وشعره).
- ٢- مجلة روشنبيري نوى، العدد (١٣٠)، سنة ١٩٩٣، د. عبد الله محمد حداد، بحث بعنوان (أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي).

- ٣- مجلة زانكو للعلوم الإنسانية، العدد (١٥) لسنة ٢٠٠٢، د. عثمان أمين صالح، بحث بعنوان (ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل في العهد الأتابكي).
- ٤- مجلة المجمع العلمي العربي: العدد (٢١) لسنة ١٩٤٦، العدد (٢٢) لسنة ١٩٤٧، عباس العزاوي، بحث بعنوان (آل بكتكين إمارة إربل في عهدهم).
- ٥- مجلة المثقف الكلداني، العدد (١) لسنة ١٩٩٩، د. عثمان أمين صالح، بحث بعنوان (شاعران من سريان أربيل في القرن السابع الهجري).
- ٦- مجلة المخطوطات العربية، المجلد ٣٣ الجزء الأول لسنة ١٩٨٩، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحضيري الملقب بدلال الكتب).

